



مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م٢٨ع١٥، ٣٢٠ صفحة (٢٠٢٠م)

رندمد ٠٩٨٩ - ١٣١٩

رقم الإيداع: ١٤ / ٠٢٩٤



مجلة جامعة الملك عبدالعزيز الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ٢٨ العدد ١٥

م٢٠٢٠

مركز النشر العالمي
جامعة الملك عبدالعزيز
ص ب ٨٠٩٠ - جدة ٢١٥٨٩
المركز العالمي للنشر
<http://ipc.kau.edu.sa>

■ هيئة التحرير ■

رئيسًا	أ.د. أحمد بن محمد صالح عزب aazab@kau.edu.sa
عضوًا	أ.د. عبدالرحمن بن رجا الله السلمي aralsulami@kau.edu.sa
عضوًا	أ.د. محمد بن صالح ناحي الغامدي Msalghamdil@kau.edu.sa
عضوًا	أ.د. آمال بنت يحيى الشيخ Ayalshaikh@kau.edu.sa
عضوًا	أ.د. سامية بنت عبدالله بخاري Sbukare@kau.edu.sa
عضوًا	أ.د. زكريا بن أحمد الشربيني zalsherpeny@kau.edu.sa
عضوًا	أ.د. نهى بنت سليمان الشرفاء Nalshurafa@kau.edu.sa
عضوًا	د. زيني بن طلال الحازمي Zalhazmi@kau.edu.sa
عضوًا	د. سليمان مصطفى آيدان sloydinn@hotmail.com
عضوًا	د. عبدالرحمن بن عبيد القرني aoalqarni@kau.edu.sa
عضوًا	أ.د. عائض بن سعد الشهراني asalshahrani@kau.edu.sa

الصفحة	المحتويات القسم العربي
١	• آية السحر من سورة البقرة و دلالاتها المعنوية والحكمية عند السلف • هبة الله بنت صادق سعيد أبو عرب.....
٣١	• استكشاف البناء العاملي لمقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (الدليل التشخيصي والإحصائي الخامس للاضطرابات العقلية) على عينة من مرضى الفصام • إبراهيم بن عبده صدي.....
٥١	• واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم بمدينة الرياض • إلهام إبراهيم فوزان الفوزان و فاطمة عبدالعزيز التويجري.....
٨٥	• موقع التخيل عند السجلماسي • إيناس محمود عبد الله أبو سالم.....
١١٩	• أطماع البرتغاليين في بعض موانئ وجزر البحر الأحمر من خلال رحلة البرتغالي (دوّارتي بَاربوزا عام ٩٧٢هـ / ١٥٦٥م) • سماح سعيد باحويرث.....
١٤١	• أثر المعنى والأداء على مسافة الصوت اللغوي الزمنية الرد على الدكتور أحمد كشك في بحثه الموسوم من وظائف الصوت اللغوي أنموذجا دراسة صوتية نقدية دلالية • زمزم أحمد علي تقي.....
١٦٣	• الصوفية المعتدلون • محمد بن أحمد الجوير.....
١٨٩	• بنية اللغة في الخطاب الإشهاري: مقارنة لسانية مقارنة • ناصر بن فرحان الحرّيص.....

المحتويات

- ملامح الهوية الوطنية في الشعر السعودي ديوان "وطني عشقتك" للشاعر مُسلم فريج العطوي
نموذجًا دراسة أسلوبية
- ياسر أحمد حامد مرزوق..... ٢١١
- دلالة البركة في السنّة النبويّة من خلال الكتب الستة ومسند الإمام أحمد رحمه الله قسم
الكتاب والسنة
- هناء علي جمال الزمزمي..... ٢٣٥
- زكاة العسل دراسة فقهية مقارنة
- علي بن حمد بن مهدي الناشري ٢٥٩
- شعرية التوسل: قراءة تحليلية لميميّة ابن مشرف (أسلو) في مدح الإمام فيصل بن تركي
- عبد المعين بن حسن بن عبد الحميد بالفاس ٢٧٧
- تأثير العوامل المناخية على صحة الحيوان محافظة ميسان نموذجا
- كاظم عبادي حمادي الجاسم ٣٢٠

آية السحر من سورة البقرة و دلالاتها المعنوية والحكمية عند السلف

د. هبة الله بنت صادق سعيد أبوعرب

أستاذ مساعد- التفسير وعلوم القرآن

قسم علوم القرآن

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية- جامعة جدة

مستخلص. يهدف هذا البحث: [آية السحر من سورة البقرة ودلالاتها المعنوية والحكمية عند السلف(دراسة تحليلية)] إلى مناقشة الآية الثانية بعد المائة من سورة البقرة، وبيان دلالاتها المعنوية والحكمية ومواضع الإشكال الجزئي في بعض ألفاظها ومعانيها، وأسبابه، وأقوال العلماء في حقيقة السحر وصوره وأنواعه، ومناهج المفسرين من السلف والمتقدمين في تبيين ذلك وتفصيله، وأصولهم ومصادره في ذلك. وقد توصلت الباحثة إلى بيان القيمة العلمية لعلماء السلف ومناهجهم في التعامل مع المشكل من الآيات، ووقوفهم على النصوص ودلالاتها المعنوية والتكليفية، وإعراضهم عن المشكل مما ليس فيه نص، كما أن البحث يشير إلى تكامل معاني آية السحر من سورة البقرة، وتناسبها مع ما قبلها من الآيات، وكذلك تنوع أسباب نزولها وأثره في توسيع دلالات النصوص وأحكامها، وبيان المشكل من إعراب الآية ودلالاته، وكذلك ذكر بعض اللطائف والهدايات المستنبطة من الآية الكريمة.

المقدمة

الحمد، يحي ويميت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، أرسله رحمةً للعالمين، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فأزاح الله به الغمة، وتركها على

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله

تكن مشكلة البحث وتتلور حول كثير من الاستفهامات الواردة في آية السحر من سورة البقرة {وَأَتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ...} [البقرة: ١٠٢]، والتي أشكل على العلماء بيانها وتفصيل معانيها الدقيقة، ويمكن إبراز المشكلة من خلال السؤال الرئيسي التالي: ما أسباب الإشكال الوارد في آية السحر وكيف تعامل سلف الأمة مع الدلالات الاحتمالية للآية وأحكامها.

ويتفرع من هذا التساؤل عدة أسئلة فرعية، منها:

١- ما قيمة الاختلاف في المشكل من المعاني وما دلالاته الحكمية؟

٢- هل ما ذهب إليه السلف من الدلالات والمعاني كاف لبيان معنى الآية ودلالاتها أم لا؟
أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- إثراء المعلومات حول القضية التي ذكرتها الآية، وبيان مذاهب العلماء المتقدمين وآرائهم فيها.
٢- تيسير فهم الآية ومعرفة تفسيرها، ومعانيها، من خلال جمع آراء العلماء المختلفة وبيان التكامل الدلالي والمعنوي فيها.

٣- محاولة إيضاح أكبر قدر ممكن من دلالات الآية وأحكامها، من خلال ذكر أقوال العلماء في المشكل من الألفاظ.

أهداف البحث:

ويهدف هذا البحث إلى:

١- إيضاح أسباب الإشكال الوارد في آية السحر ومنهج السلف في التعامل معه.

المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعد:

فإن علم التفسير من أشرف العلوم، وشرف العلم بشرف المعلوم، وكانت بدايته من زمن النبوة، ثم سار عليه الصحابة والتابعون ومن بعدهم إلى يومنا الحاضر، ففتح الله لهذه الأمة من أسرار كتابه علوما جمة، فبدلوا جهودًا كبيرةً في تفسير كتاب الله بشتى أنواعه، وقد كان لسلف الأمة والمتقدمين من العلماء آراء جلية وفوائد عظيمة وقد لاقى تفسيرهم إقبالاً كبيراً من أهل التفسير بحثاً وتعلماً وتعليماً، وذلك لما له من أهمية بالغة، وصلة وثيقة بزمان نزول القرآن، وبروعهم في جميع أصول التفسير، إلا أنهم مع ذلك وقفوا عند بعض الآيات وجزئياتها ولم يتكلموا فيها باعتبارها من المشكل المتشابه، أو مما لم يرد فيه النص والدليل القطعي، فهذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنهم قد استطردوا في ذكر مدلولات الآيات المشكل فيها وبينوا أحكامها، وكل ما فيها من الدلالات المعنوية والعامية،

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة كتابة هذا الموضوع، ووقع اختياري على آية استشكلها كثير من علماء التفسير، أو بالمعنى الأدق استشكلوا بعض جزئياتها، فأحببت المشاركة بهذا البحث، وسميته: [آية السحر من سورة البقرة ودلالاتها المعنوية والحكمية عند السلف (دراسة تحليلية)].

مشكلة البحث:

السودان ١٩٩٦م.

• السحر في ضوء القرآن الكريم، دراسة موضوعية،
ثناء علي مخيمر الشيخ، نشر: المجلة العلمية لكلية
أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر، فرع الزقازيق،
مصر، ٢٠٠٠م.

وقد أجاد الباحثان وأحسننا من حيث عرضهما لماهية
السحر وآراء العلماء فيه، وسرد أدلت تحريمه من
الكتاب والسنة، وقد أشارا إلى مقاصد الكفار من لمز
الأنبياء ورميهم بالسحر، كما تناولوا أحكام تعلم
السحر، وما يتعلق بها.

وهاتان الدراستان بنيت على أدلة الكتاب والسنة،
ومع توسعها إلا أنها مقيدة بموضوع السحر
وأحكامه، في حين أن دراستي لآية السحر من سورة
البقرة، ستركز على دراسة الآية بشكل مفصل،
وسأحاول دراسة الإشكالات الواقعة عند بعض
المفسرين وأسبابها، وبيان القيمة العلمية لاختلافهم
في أسباب النزول ودلالاتها، وهي مكمله لبعض
جوانب النقص في الدراستين السابقتين.

خطة البحث:

تنقسم إلى مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة،
على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره،
وأهداف البحث وتساؤلاته، ومنهج البحث، والدراستات
السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه تعريف التفسير.

المبحث الأول: دلالات مناسبة الآية الكريمة لما

٢- بيان المعاني العامة للآية وأقوال العلماء فيها
ودلالاتها المعنوية.

٣- الإشارة إلى أنواع السحر وصوره وأحكامه.

٤- الإشارة إلى القيمة العلمية لآراء السلف، في
المشكل من المعاني والمفردات ومصادره في
تفسيرها ووقوفهم عند المتشابه منها.

منهج البحث:

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي. وقد
اتبعت الباحثة التالي:

• ترقيم الآيات القرآنية مع عزوها إلى سورها.

• تشكيل ما يلزمه التشكيل.

• عزو الأحاديث لمن أخرجها، والحكم على
أسانيدها، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما
أكتفي بالعزو إليهما، وإن كانت في غيرهما عزوت
إليه؛ فإن كان هناك قول لأحد الأئمة من العلماء في
الحكم على الحديث أذكره.

• شرح الغريب من الكلمات.

الدراستات السابقة:

لم أقف على دراسة تناولت الموضوع كما عرضها
هذا البحث سوى ما ذكره المفسرون في كتبهم أثناء
تفسير الآية وأما بالنسبة للدراستات السابقة التي
تعرضت للآية بمناهج مختلفة فهي على النحو
الآتي:

• السحر دراسة موضوعية على ضوء القرآن
والسنة، يوسف بن مصطفى مشعل - رسالة
ماجستير - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

قبلها.

المبحث الثاني: أهمية أسباب نزول الآية في إيضاح الدلالات المعنوية.

المبحث الثالث: بيان معاني المفردات القرآنية الواردة في الآية الكريمة عند المفسرين.

المبحث الرابع: إعراب المشكل من الآية ودلالاته.

المبحث الخامس: أقوال السلف والمفسرين في الآية ودلالاته المعنوية.

المبحث السادس: دلالات الآية المتعلقة بالسحر وأحكامه.

المبحث السابع: اللطائف والهدايات المستنبطة من الآية الكريمة.

الخاتمة:

وتشمل أهم النتائج والتوصيات:

التمهيد

وفيه: التعريف بالتفسير.

التفسير لغة: من " (فسر): الفاء والسين والراء كلمة واحدة، تدل على بيان شيء وإيضاحه" (١)، أي: الإيضاح والتبيين، "والفسر: إظهار المعنى المعقول...، والتفسير في المبالغة كالفسر، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال: تفسير الرؤيا وتأويلها، ومنه قوله تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: ٣٣]" (٢).

واصطلاحاً:

عرّفه العلماء بعدة تعريفات، من أبرزها: قول الزركشي: "علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه" (٣).

وعرّفه ابن عثيمين رحمه الله بأنه: "بيان معاني القرآن الكريم" (٤)

وأرى أن من أجمع التعاريف وأخصرها، هو تعريف ابن عثيمين؛ لموافقته المعنى اللغوي الذي يدور حول التوضيح والبيان.

المبحث الأول: دلالات مناسبة الآية الكريمة لما

قبلها

الآية الكريمة: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمُرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٠٢].

وهي إحدى آيات سورة البقرة، وهي مدنية بلا خلاف، قال ابن عاشور: "نزلت سورة البقرة بالمدينة بالاتفاق،

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ١٣).
(٤) أصول في التفسير لابن عثيمين (ص: ٢٣).

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة [ف س ر] (٤ / ٥٠٤).
(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٣٦) بتصرف يسير.

(٣) الشياطين من الجن أو الإنس، أو منهما .
المبحث الثاني: أهمية أسباب نزول الآية في
إيضاح الدلالات المعنوية:

ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة الكثير من الروايات، وإن كان غلب على أكثرها الضعف، بسبب أسانيدها، أو لكون كثير منها من الإسرائيليات، وقد صح أن سبب نزولها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "إن الشياطين كانوا يسترقون السمع، وكان أحدهم يجيء بكلمة حق قد سمعها الناس، فيكذب معها سبعين كذبة، فيشربها قلوب الناس، فأطلع الله على ذلك سليمان بن داود فأخذها فدفنها تحت الكرسي، فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق، فقال: ألا أدلكم على كنز سليمان الذي لا كنز لأحد مثل كنزه الممتع؟ قالوا: نعم فأخرجه فإذا هو سحر فتناسختها الأمم فبقاياها مما يتحدث به أهل العراق، فأنزل الله عذر سليمان"، فقال: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا﴾^(٤).

(١) وهي أول ما نزل في المدينة^(١)، كذا سميت هذه السورة سورة البقرة في المروي عن النبي ﷺ وما جرى في كلام السلف، فقد ورد في «الصحيح» أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفَّتَاهُ»^(٢).

مناسبة الآية الكريمة لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى الفريق من أحرار اليهود وعلمائها، الذين وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى وراء ظهورهم؛ تجاهلاً منهم، وكفراً بما هم به عالمون، كأنهم لا يعلمون، فقال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٠١]. فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزل من عنده على نبيه ﷺ، ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه، وآثروا السحر الذي تلتته الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه، وذلك هو الخسار والضلال المبين، فهذا إخبار من الله تعالى عن اليهود الذين نبذوا كتابهم واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي نقرؤها، أو تتبعها

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢ / ٤٠٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢ / ٤١)، أنوار التنزيل (١ / ٩٧)، مدارك التنزيل (١ / ١١٥)، تفسير أبي السعود (١ / ١٣٦)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢ / ٧١)، التحرير والتنوير (١ / ٢٠١).
(٤) أخرجه سعيد بن منصور في السنن-كتاب التفسير-باب تفسير سورة البقرة-(٢ / ٥٩٤) (٢٠٧)، والطبري في تفسيره جامع البيان في تأويل القرآن، (٢ / ٤١٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١ / ١٨٧) (٩٨٩) مختصراً، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٢ / ٢٩١)، والواحدی فی أسباب النزول (ص: ٣٥) من حديث عمران بن الحارث عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.

(١) التحرير والتنوير (١ / ٢٠١)، وينظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (١ / ٢٤). تفسير ابن كثير (١ / ٦٦).
(٢) التحرير والتنوير (١ / ٢٠١)، والحديث متفق عليه؛ أخرجه البخاري في صحيحه-كتاب فضائل القرآن-باب فضل سورة البقرة (٦ / ١٨٨)، حديث رقم (٥٠٠٩)، ومسلم في صحيحه-كتاب صلاة المسافرين وقصرها-باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، والخط على قراءة الآيتين من آخر البقرة (١ / ٥٥٥) حديث رقم (٨٠٨) من حديث أبي مسعود عتبة بن عمرو رضي الله عنه.

سليمان، وأما السفلة فقالوا: هذا علم سليمان، وأقبلوا على تعلمه، ورفضوا كتب أنبيائها ففشت الملامة لسليمان، فلم تنزل هذه حالهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل الله، عذر سليمان على لسانه وأظهر براءته مما رمي به فقال: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ﴾ الآية^(٣).

وقيل في سبب نزولها، أن سليمان عليه السلام كان إذا نبتت الشجرة قال: لأي داء أنت؟ فتقول: لكذا وكذا، فلما نبتت شجرة الحرنوبة الشامي، قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لمسجدك أخربه، قال: تخربينه؟! قالت: نعم، قال: بنس الشجرة أنت! فلم يلبث أن توفي، فجعل الناس يقولون في مرضاهم: لو كان لنا مثل سليمان، فأخذوا الشياطين، فأخذوا كتابا، فجعلوه في مصلى سليمان، فقالوا: نحن ندلكم على ما كان سليمان يداوي به، انطلقوا فاستخرجوا ذلك الكتاب، فإذا فيه سحر ورقى، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢]^(٤)، فأعلم الله سبحانه وتعالى أن الشياطين هم من كفر، وأنهم هم من علموا الناس السحر.

ورود أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان آصف كاتب سليمان بن داود عليه السلام، وكان يعلم الاسم الأعظم، كان يكتب كل شيء يأمره به سليمان عليه السلام، ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان، أخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطر من سحر وكذب وكفر، فقالوا: هذا الذي كان يعمل سليمان بها، فأكفره جهال الناس وسفهاؤهم وسبوه، ووقف علماءهم، فلم يزل جهالهم يسبونهم حتى أنزل الله جل وعز: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ الآية^(١).

وكل محاور أسباب النزول المختلفة في سبب نزول هذه الآيات تدور حول تبرئة سليمان عليه الصلاة والسلام، وإثبات نبوته، على خلاف زعم اليهود الذين أنكروا نبوته، وقالوا بأن ما كان عنده من العلم والنبوة إنما هو السحر؛ قال الكلبي: "إن الشياطين كتبوا السحر والنانجيات^(٢) على لسان آصف، هذا ما علم آصف ابن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه حين نزع الله ملكه، ولم يشعر بذلك سليمان؛ ولما مات سليمان استخرجوه من تحت مصلاه، وقالوا للناس: إنما ملككم سليمان بهذا فتعلموه، فأما علماء بني إسرائيل فقالوا: معاذ الله أن يكون هذا علم

(٣) أسباب النزول، للواحدى (ص: ٣٢) وانظر: الدر المنثور، للسيوطي (١٧٧/١) تفسير الألويسي (٤٣٥/١).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في السنن-كتاب التفسير-باب تفسير سورة البقرة-(٢/٥٧٦)-رقم (٢٠٤)، ومن طريقه الواحدى في أسباب النزول (ص: ٣٢)، وإسناده ضعيف لإعضاله، ولضعف خصيف ينظر: تقريب التهذيب: (ص: ١٩٣-رقم: ١٧١٨)، ولنكارة أحاديث عتاب بن بشير عن خصيف خاصة، كما قال الإمام أحمد رحمه الله وغيره، ينظر: تهذيب التهذيب: (٩١/٧)، وانظر: الدر المنثور، للسيوطي (١/٢٣٥).

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٣، ١٢/١٠) (١٣، ١٢/١٠) (١٠٩٢٧، ١٠٩٢٦) من حديث سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما موقفاً، وابن أبي شيبة في المصنف (٤/٥٤٠) (٢٢٩٦١) مختصراً، وابن أبي الدنيا في العقوبات (ص ١٢٨) (١٩٢)، وابن أبي حاتم (١٨٥/١) (٩٨٢).

(٢) النانجيات من التبرنج، وهو أخذ السحر وليس به، أي: ليس بحقيقته ولا كالتبرنج، إنما هو تشبيه وتلبس، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: (٢٣٦/٦)، المعجم الوسيط: (٩٦٧/٢).

مُضَارِعٌ فِي مَعْنَى الْمَاضِي، وفيه معنيان: الأول: أَي: مَا تَلَّتْ، والثاني: مَا كَانَتْ تَتْلُو^(٥).

{لى} فيه عدة معان: الأول: الاتِّبَاعُ، كما يُقال: "تلوت فلانا"، إذا مشيت خلفه وتبعته أثره، وذلك يكون تارةً بالجسم، وتارةً بالافتداء في الحكم. والثاني: القراءةُ والدراسةُ، ومصدره: تلاوة، والتلاوة تختص باتِّباع كتبِ الله المنزلة، تارةً بالقراءة، وتارةً بالارتسام؛ لما فيها من أمر ونهي، وترغيب وترهيب، واستعمل في قوله تعالى: {مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ} لما كان يزعم الشيطان أن ما يتلونه من كتب الله. والثاني: الكذب، يقال: فلان يتلو على فلان ويقول عليه، أي: يكذب، فقوله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ}، أي: تقترى وتكذب على ملك سليمان، وهو قولهم: إن سليمان ملك الناس بالسحر^(٦). وقال أبو حيان: "وهي أقوالٌ مُتَقَارِبَةٌ"^(٧).

{الشَّيْطِينُ}: الشيطان النون فيه أصلية، وهو من: شطن، أي: تباعد، وقيل: بل النون فيه زائدة، من: شاط يشيط: احترق غضبًا^(٨). وقيل: في المراد بهم في قوله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ} قولان: ١- أَنَّهُمْ شَيَاطِينُ الْجِنِّ، فالشيطان مخلوق من النار،

والخلاصة في سبب نزول الآية قولان: أحدهما: أن اليهود سألوا محمدًا ﷺ عن السحر، ويقال: إنَّه عندما ذُكر سيدنا سليمان في القرآن، قال اليهود: إنَّ محمدًا يدعي أن ابن داود كان نبيًا، وهم لا يرونه كذلك، بل هو برأيهم ساحرٌ سحر الجن والشياطين لخدمته كما الكهنة، فنزلت هذه الآية لتكذب أقوالهم، ولتبرئ سليمان بن داود -عليهما السلام- مما يُنسبون إليه من تهمٍ وافتراءاتٍ^(١).

الثاني: أن اليهود كانوا لا يسألون النبي ﷺ عن شيء من التوراة إلا أجابهم، فسألوه عن السحر وخاصموه به، فنزلت هذه الآية^(٢).

المبحث الثالث: بيان معاني المفردات القرآنية الواردة في الآية الكريمة عند المفسرين:

{وَاتَّبَعُوا}: يُقال: تبعه واتبعه: قفا أثره، وذلك تارةً بالجسم، وتارةً بالامتثال والاتباع، وعلى ذلك قوله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ}^(٣). وواو الضمير في {لخ} لليهود، وفيه أقوال: الأول: يَعُودُ عَلَى مَنْ كَانَ فِي عَهْدِ سُلَيْمَانَ -عليه السلام-، والثاني: فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، والثالث: يَعُودُ عَلَى جَمِيعِ الْيَهُودِ^(٤).

{لم لى}: {لم}: مَا مَوْصُولَةٌ، صَلَّتْهَا تَتْلُو، وَهُوَ

(٥) ينظر: تفسير البغوي (١ / ١٤٧)، البحر المحيط (١ / ٥٢٢).

(٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني (١٦٧ - ١٦٨)، تفسير الطبري (٢ / ٤٠٩: ٤١١)، البحر المحيط (١ / ٥٢٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (١ / ١٨٥)، تفسير البغوي (١ / ١٤٧).

(٧) البحر المحيط (١ / ٥٢٢).

(٨) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (ص ٤٥٤)، لسان العرب (١٣ / ٢٣٧).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢ / ٤٠٨)، السيرة لابن هشام (٢ / ١٣٨)، أسباب النزول للواحدي (ص: ٣٢)، زاد المسير (١ / ٩٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢ / ٤٠٦)، التفسير لابن أبي حاتم (١ / ١٨٦)، زاد المسير (١ / ٩٢).

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (١٦٢، ١٦٣)، لسان العرب (١٤ / ١٠٤).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١ / ١٨٥)، البحر المحيط (١ / ٥٢٢).

١- {عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ}، أي: على شرعه ونُبُوته وحاله.

٢- عَلَىٰ عَهْدِهِ، وَفِي زَمَانِهِ ^(٦). قال أبو حيان: "وَهُوَ قَرِيبٌ" ^(٧).

{سُلَيْمَانَ}: اسمٌ أعجمي، وامتنع من الصرف للعلمية والعجمة، ونظيره من الأعجمية، في أن في آخره ألفا ونونا: هامان وماهان وسامان، وليس امتناعه من الصرف للعلمية، وزيادة الألف والنون: كعثمان؛ لأن زيادة الألف والنون موقوفة على الاشتقاق والتصريف، والاشتقاق والتصريف العربيان لا يدخلان الأسماء العجمية ^(٨).

{السِّحْرِ}: فيه معان:

١- كُلُّ مَا لَطْفَ وَدَقَّ فَهُوَ سِحْرٌ، يتوصل بلطفه ودقته إلى ما يأتي به ويدعيه، وعلى الوجهين حمل قوله تعالى: {إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا} [الإسراء: ٤٧]، [الفرقان: ٨].

٢- خداع وتخيلات لا حقيقة لها، وعلى ذلك قوله تعالى: {يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَأْتِيهِمْ} [طه: ٦٦].

٣- استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه، وعلى ذلك قوله تعالى: {وَلَا يَكُنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} [البقرة: ١٠٢].

كما دل عليه قوله تعالى: {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ} [الرحمن: ١٥]، ولكونه من ذلك اختص بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة، وامتنع من السجود لآدم؛ ولأنه إذا أُطِيقَ الشيطان، تبادر الدهن إلى أنه من الجان.

٢- المراد شياطين الإنس؛ لأن الشيطان اسم لكل عارم من الجن والإنس، قال الله تعالى: {شَيْطَانٍ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ} [الأنعام: ١١٢] ^(١).

^(٢)

{عَلَىٰ مُلْكٍ}:

{عَلَىٰ}: وفيه قولان: الأول: أنه تضمين، فعدها بـ

{عَلَىٰ}؛ لأنه ضمن {تَتَلَوُاْ}؛ تكذب، والثاني: أن

{عَلَىٰ} ههنا بمعنى (في)، أي: تتلو في ملك

سليمان، وذلك أن العرب تضع (في) موضع (على)

و(على) في موضع (في)، من ذلك قول الله جل

ثناؤه: {وَلَا صَلْبَيْتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ} [طه: ٧١]، يعني

به: على جذوع النخل ^(٣). قال ابن كثير: "والتضمين

أحسن وأولى" ^(٤)، والأول: مذهب البصريين، والثاني

^(٥)

مذهب الكوفيين.

{مُلْكٍ}: الملك: ضبط الشيء المتصرف فيه

بالحكم، والمراد به في الآية على قولين:

(٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (ص ٧٧٥)، جامع البيان للطبري (٢/ ٤٠٥)، البحر المحيط (١/ ٥٢٢ - ٥٢٣)، لباب التأويل (١/ ٦٣)، تفسير البيهقي (١/ ١٤٧)، تفسير أبي السعود (١/ ١٣٦).
(٧) البحر المحيط (١/ ٥٢٣).
(٨) ينظر: البحر المحيط (١/ ٥١١)، تفسير الألوسي (١/ ٣٣٧).

(١) عارم: أي حبيث شيرير. لسان العرب (١٢/ ٣٩٥).
(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص ٤٥٤)، البحر المحيط (١/ ٥٢٢).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٤١١)، لباب التأويل (٢/ ٤٧٣).
(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٢٣٧).
(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٤١١)، لباب التأويل (٢/ ٤٧٣).

قَامَ الْمُرءُ: بِضَمِّ الْمِيمِ، وَرَأَيْتُ الْمُرءَ: بِفَتْحِ الْمِيمِ،
وَمَرَرْتُ بِالْمُرءِ: بِكَسْرِ الْمِيمِ، وَمُؤْتِنَةُ الْمُرءِ^(٦)
{خَلَقِ}: فِيهِ مَعَانٍ:
١- النَّصِيبُ.
٢- الْقَدْرُ.

٣- ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقها، قال الله
تعالى: {مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ}^(٧).

{لَمْ تُوبَةٌ}: مَثُوبَةٌ: مَفْعَلَةٌ مِنَ التَّوَابِ، وَهُوَ مَا يَرْجِعُ
إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ جِزَاءِ أَعْمَالِهِ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ
أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوَّ
كَانُوا يَعْلَمُونَ}{البقرة: ١٠٣} ^(٨).

المبحث الرابع: إعراب المشكل من الآية ودلالاته:
الآية الكريمة: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ
سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنٌ وَلَا كَنَّ الشَّيْطِينُ
كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسُ السَّحَرَاءُ وَمَا نُزِّلَ عَلَىٰ
الْمَلَائِكَةِ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْغَنِيُّ}{البقرة: ١٠٢}.

{وَاتَّبَعُوا}: مَعطوف على (نبت)، ^(٩) {وَاتَّبَعُوا}: الواو
عاطفة، اتبعوا: فعل ماضٍ مبني على الضم، والواو
فاعل.

٤- أَنَّهُ أَمْرٌ يَأْخُذُ بِالْعَيْنِ عَلَىٰ جِهَةِ الْحِيلَةِ، وَمِنْهُ:
قوله تعالى: {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ} {الأعراف: ١١٦}.
كَمَا رُوِيَ أَنَّ جِبَالَهُمْ وَعَصِييَهُمْ كَانَتْ مَمْلُوءَةً زَبَقًا،
فَسَجَرُوا تَحْتَهَا نَارًا، فَحَمِيَتِ الْجِبَالُ وَالْعَصِي،
فَتَحَرَّكَتْ وَسَعَتْ، وَلَا زَبَابَ الْحَيْلِ وَالذَّكِّ^(١) وَالشَّعْوَذَةِ
مِنْ هَذَا أَشْيَاءُ ^(٢).

{بِبَابِلَ}: اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ، وَقِيلَ: هِيَ بَابِلُ الْعِرَاقِ
بِأَرْضِ الْكُوفَةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِتَبَلُّبِ الْأَلْسِنَةِ بِهَا عِنْدَ
سُقُوطِ صِرْحِ نَمْرُودَ ^(٣).

{هَرُوتَ وَمَكْرُوتَ}: اسْمَانِ سَرِيَانِيَانِ، وَهُمَا مَلَكَانِ
هَبِطَا بِبَابِلَ، فَعَلَّمَا النَّاسَ السِّحْرَ امْتِحَانًا لَهُمْ ^(٤).

{فِتْنَةٌ}: أَصْلُ الْفِتْنِ: إِدْخَالُ الذَّهَبِ النَّارَ؛ لِتَظْهِرَ
جُودَتَهُ مِنْ رِدَائَتِهِ، وَهِيَ: الْإِبْتِلَاءُ وَالِاخْتِبَارُ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: {إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ} ^(٥).

{الْمُرءُ}: الرَّجُلُ، وَفِيهِ أَوْجُه:

١- فَتْحُ الْمِيمِ مُطْلَقًا، وَهُوَ الْأَفْصَحُ.

٢- وَحْكِي الضَّمُّ مُطْلَقًا.

٣- وَحْكِي إِتْبَاعُ حَرَكَةِ الْمِيمِ لِحَرَكَةِ الْإِعْرَابِ فَتَقُولُ:

(١) هو علم يتعرف منه الحيل المتعلقة بالصناعات الجزئية من التجارات، وصناعة السمين،
واللازورد، واللعل، والباقوت، وتغيرير الناس في ذلك. ولما كان مبناه محرماً أضربنا عن
تفصيله. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. ط. العلمية. (١/٣٤٥)
لطاشكيزي زادة.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص ٤٠٠ - ٤٠١)، فتوح الغيب للطبي (٩/٣١٠)،
البحر المحيط (١/٥١١، ٥٢٥)، لباب التأويل (١/٦٤)، تفسير البغوي (١/١٤٨)،
تفسير أبي السعود (١/١٣٧).

(٣) ينظر: معجم البلدان (١/٣٠٩، ٣١٠)، (٥/٤٢٢)، البحر المحيط (١/٥٢٨)،
تفسير البغوي (١/١٤٨).

(٤) ينظر: المعجم الوسيط (٢/٨٦٠) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/٢٣١٧).

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص ٦٢٣)، البحر المحيط (١/٥١١)، فتوح الغيب
(٧/٥٤٧).

(٦) ينظر: البحر المحيط (١/٥١١).

(٧) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص ٢٩٧)، البحر المحيط (١/٥٣٥)، لسان العرب
(١٠/٩٢).

(٨) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص ١٨٠).

(٩) ينظر: تفسير أبي السعود (١/١٣٦)، إعراب القرآن العظيم لكريرا الأنصاري (ص:
١٧٨)، إعراب القرآن للدعاس (١/٤٤).

أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ سِحْرًا.

٢- وَقِيلَ: هُوَ مَعطُوفٌ عَلَى {مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ}،
أَي: وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ، وَالَّذِي أُنزِلَ، وَظَاهِرُهُ
أَنْ مَا عَلَّمُوهُ النَّاسَ، أَوْ مَا اتَّبَعُوهُ هُوَ مَنْزِلٌ^(٣).

٣- وَقِيلَ: (مَا) فِي مَوْضِعِ جَرِّ عَطْفًا عَلَى {مُلْكٍ
سُلَيْمَانَ}، وَالْمَعْنَى: افْتِرَاءٌ عَلَى مَلِكِ سُلَيْمَانَ، وَافْتِرَاءٌ
عَلَى مَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ.

٤- وَقِيلَ: مَا حَرْفٌ نَفْيِي، وَالْجُمْلَةُ مَعطُوفَةٌ عَلَى
{وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ}، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا: إِنَّ
اللَّهَ أُنزِلَ جِبْرِيْلَ وَمِيكَالَ بِالسِّحْرِ، فَنفَى اللَّهُ ذَلِكَ^(٤).

**المبحث الخامس: أقوال السلف والمفسرين في الآية
ودلالاته المعنوية:**

اختلف أهل التأويل في الذي عنوا بقوله: {وَاتَّبَعُوا
مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ} على أقوال:
القول الأول: عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا بين
ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ؛ لأنهم خاصموا رسول
الله ﷺ بالتوراة، فوجدوا التوراة للقرآن موافقة، تأمر من
اتباع محمد ﷺ وتصديقه، بمثل الذي يأمر به القرآن،
فخاصموا بالكتب التي كان الناس اكتتبوها من الكهنة
على عهد سليمان^(٥).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إنه كانت

{مَا}: اسم موصول مفعول به، والجملة معطوفة. و
{تَتْلُوا}: فعل مضارع مرفوع بالضممة المقدرة على
الواو للثقل.
{الشَّيَاطِينُ}: فاعل^(١).

قال أبو حيان: "يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ":
الضمير في {يُعَلِّمُونَ} اختلف في من يعود
عليه، فالظاهر أنه يعود على الشياطين، يقصدون به
إغواءهم وإضلالهم، وهو اختيار الزمخشري، وعلى
هذا تكون الجملة في موضع الحال من الضمير في
{كَفَرُوا}. قالوا: أو خبرا ثانيا، وقيل: حال من
الشياطين. وردَّ بأن لكن لا تعمل في الحال، وقيل:
بدل من {كَفَرُوا}، بدل الفعل من الفعل؛ لأن
تعليم الشياطين السحر كفر في المعنى، والظاهر أنه
استئناف إخبار عنهم، وقيل: الضمير عائد على
الذين اتبعوا ما تتلو الشياطين، على اختلاف
المفسرين فيمن يعود عليه ضمير اتبعوا، فيكون
المعنى: يعلم المتبعون ما تتلو الشياطين الناس،
فالناس معلومون للمتبعين، وعلى القول الأول يكونون
معلمين للشياطين^(٢).

{وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ}: {وَمَا} فيها أقوال:

١- موصول اسمي منصوب، معطوف على قوله:
{السِّحْرَ}، وظاهر العطف التغاير، فلا يكون ما

(٣) ينظر: البحر المحيط (١/ ٥٢٦).

(٤) ينظر: البحر المحيط (١/ ٥٢٧).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٤٠٥).

(١) ينظر: إعراب القرآن للدعاس (١/ ٤٤).

(٢) البحر المحيط (٢/ ٥٢٤).

وقال أبو حيان: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ}؛ "تَنْزِيَهُ لِسُلَيْمَانَ عَنِ الْكُفْرِ، أَي: لَيْسَ مَا اخْتَلَقْتُهُ الْجَبُّ مِنْ نِسْبَةٍ مَا تَدَّعِيهِ إِلَى سُلَيْمَانَ تَعَاطَاهُ سُلَيْمَانُ؛ لِأَنَّهُ كُفِّرَ، وَمَنْ نَبَّأَهُ اللَّهُ تَعَالَى مُنْزَهُ عَنِ الْمَعَاصِي الْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ، فَضْلاً عَنِ الْكُفْرِ، وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ نَفْيِ الشَّيْءِ عَمَّنْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ مِنْهُ، لِأَنَّ النَّبِيَّ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ مِنْهُ الْكُفْرُ"^(٤).

قال الطبري: "والصواب من القول في تأويل قوله: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتَلَوُا الشَّيْطَانُ عَلَى مَلِكِ سُلَيْمَانَ}، أن ذلك توبيخ من الله لأخبار اليهود الذين أدركوا رسول الله ﷺ، فجددوا نبوته، وهم يعلمون أنه لله رسول مرسل، وتأنبب منه لهم في رفضهم تنزيله، وهجرهم العمل به، وهو في أيديهم يعلمونه ويعرفون أنه كتاب الله، واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلافهم ما تلتته الشياطين في عهد سليمان، وإنما اخترنا هذا التأويل؛ لأن المتبعة ما تلتته الشياطين في عهد سليمان وبعده إلى أن بعث الله نبيّه بالحق، وأمر السحر لم يزل في اليهود، ولا دلالة في الآية أن الله تعالى أراد بقوله: {وَاتَّبَعُوا} بعضاً منهم دون بعض...، فكان الواجب من القول في ذلك أن يقال: كل من تبع ما تلتته الشياطين على عهد سليمان من اليهود داخل في معنى الآية"^(٥).

قوله تعالى: {وَمَا تَتَلَوُا الشَّيْطَانُ}؛ القول الأول: واتبعوا الذي تتلو الشياطين، أي: تحدّث وتروي،

الشياطين يسترقون السمع من السماء، فيأتي أحدهم بكلمة حق قد سمعها، فإذا حدث منه صدق، كذب معها سبعين كذبة. قال: فتشربها قلوب الناس. فأطلع الله عليها سليمان، فدفنها تحت كرسيه، فلما توفي سليمان بن داود قام شيطان بالطريق فقال: ألا أدلكم على كنزه الممنوع الذي لا كنز مثله؟ تحت الكرسي! فأخرجه، فقالوا: هذا سحر! فتناسخها الأمم -حتى بقاياهم ما يتحدث به أهل العراق-، فأنزل الله عن سليمان: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتَلَوُا الشَّيْطَانُ عَلَى مَلِكِ سُلَيْمَانَ} "^(١).

القول الثاني: عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا على عهد سليمان، تلت الشياطين السحر على اليهود على ملك سليمان، فاتبعته اليهود، يعني: اتبعوا السحر على ملك سليمان ^(٢). فلما ذكر رسول الله ﷺ -فيما نزل عليه من الله تعالى- سليمان بن داود، وعدّه فيمن عدّه من المرسلين، قال من كان بالمدينة من يهود: ألا تعجبون لمحمد! يزعم أن سليمان بن داود كان نبياً! والله ما كان إلا ساحراً! فأنزل الله في ذلك من قولهم على محمد ﷺ: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتَلَوُا الشَّيْطَانُ عَلَى مَلِكِ سُلَيْمَانَ} وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَنَّ الشَّيْطَانُ كَفَرُوا "^(٣).

(١) جامع البيان للطبري (٢/ ٤١٥)، أسباب النزول للواحدي (ص: ٣١، ٣٢)، وقد تقدم.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٤٠٧)، تفسير آيات الأحكام (ص: ٢٤).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٤٠٧)، لباب التأويل (١/ ٨٧).

(٤) البحر المحيط (١/ ٥٢٣).

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٤٠٨، ٤٠٩).

ثناؤه إليهم اتّباع ما تَلَّته الشياطينُ على عهد سليمان من السحرِ والكفرِ مِنَ اليهودِ، نسبوا ما أضافه الله تعالى ذكره إلى الشياطينِ من ذلك إلى سليمان بن داودَ، وزعموا أن ذلك كان من علمه وروايته، وأنه إنما كان يستعبدُ مَنْ كان يستعبدُ من الإنس والجن والشياطينِ وسائر خلق الله بالسحر، فحسّنوا بذلك - من ركوبهم ما حرّم الله عليهم من السحر - لأنفسهم عند مَنْ كان جاهلاً بأمر الله ونهيه، وعند مَنْ كان لا علم له بما أنزل الله في ذلك من التوراة، وتبرأ - بإضافة ذلك إلى سليمان - من سليمان، وهو نبي الله ﷺ، منهم بشر، وأنكروا أن يكونَ كان لله رسولاً، وقالوا: بل كان ساحراً، فبرأ الله سليمانَ بنَ داودَ من السحر والكفر عند مَنْ كان منهم ينسبُه إلى السحر والكفر ...، وأكذّب الآخرين الذين كانوا يعملون بالسحر، متزيين عند أهل الجهل في عملهم ذلك، بأن سليمانَ كان يعملُه، فنفى الله عن سليمان - عليه السلام - أن يكونَ كان ساحراً أو كافراً، وأعلمهم أنهم إنما اتّبعوا - في عملهم بالسحر - ما تَلَّته الشياطينُ في عهد سليمان، دون ما كان سليمانُ يأمرهم من طاعة الله، واتّباع ما أمرهم به في كتابه الذي أنزله على موسى صلوات الله عليه .^(٥)

قال أبو حيان: "والمعنى: افتراء على ملك سليمان، وافتراء على ما أنزل على الملكين، وهو اختيار أبي مسلم، وأنكر أن يكون الملكان نازلا عليهما السحر، قال: لأنه كفر، والملائكة معصومون، ولأنه لا يليق

وتتكلّم به وتخبر، ووجّه قائلو هذا القولِ تأويلهم ذلك، إلى أن الشياطينَ هي التي علّمت الناسَ السحرَ وروّته لهم .^(١) القول الثاني: {مَا تَتَلَّوْا}: ما تتبّعهُ وتروّيه وتعملُ به .^(٢)

قال الطبري: "والصوابُ من القولِ في ذلك أن يقال: إن الله عز وجل أخبر عن الذين أخبر عنهم أنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين على عهد سليمان، باتباعهم ما تلتته الشياطينُ، ولم يخبرنا الله جل ثناؤه بأي معنى التلاوة؛ كانت تلاوةُ الشياطين الذين تلو ما تلوهُ من السحر على عهد سليمان بخبر يقطع العذر، وقد يجوز أن تكون الشياطينُ تَلَّتْ ذلك دراسةً وروايةً وعملاً، فتكون كانت متبعةً بالعمل، ودارسةً بالرواية، فاتبعت اليهودُ منهاجها في ذلك، وعملت به وروّته".^(٣)

قوله تعالى: {مُلْكٍ سُلَيْمَانَ}. قال الطبري: "يعني بقوله جل ثناؤه: {عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ}: في ملك سليمان".^(٤)

قوله تعالى: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَنَّ الشَّيْطَانُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} [البقرة: ١٠٢].

قيل في وجهه نفي الكفر عن سليمان بعقب الخبر عن اتّباع مَنْ اتبَع الشياطينَ في العملِ بالسحرِ وروايته من اليهودِ؟: أن وجه ذلك أن الذين أضاف الله جل

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢ / ٤٠٩) تفسير البغوي (١ / ٨٨).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢ / ٤١٠) الكشاف (١ / ١٧٤).

(٣) تفسير الطبري (٢ / ٤١١).

(٤) تفسير الطبري (٢ / ٤١١).

(٥) تفسير الطبري (٢ / ٤١٢).

يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ وَلَمْ يُعَلِّمُوهُمْ، فَهُوَ مِنْ بَابِ الإِعْلَامِ لَا مِنْ بَابِ التَّعْلِيمِ^(٧). وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجده^(٨).
 قوله تعالى: {وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ}. اختلف أهل العلم في تأويل (ما) التي في قوله: {وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ}.

١- أن معناها الجحد، وهي بمعنى (لم). وتأويل الآية: واتبعوا الذي تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما كفر سليمان، وما أنزل الله السحر على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر بيبابل؛ هاروت وماروت، فيكون حينئذ قوله: {بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ} من المؤخر الذي معناه التقديم، وأن الذين يعلمانهم ذلك رجلان: اسم أحدهما هاروت، واسم الآخر ماروت^(٩).

ورجح ذلك الشيخ محمد نسيب الرفاعي معتمداً في ترجيحه على إثبات القراءات المتواترة والاحتجاج بها على الشاذة، فقال: "أرجح أن يكون هاروت وماروت بدلا من الناس، وعلى هذا يكون تأويل الآية: وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين السحر، ولكن الشياطين كفروا بتعليمهم السحر للناس، أي: يعلمون هاروت وماروت، الذين هما رجلان من الناس، ثم يعلم هذان الناس، وما يعلمان أحداً منهم حتى يقولوا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر، فيكون هاروت وماروت

بالله إنزاله، ولا يضاف إليه؛ لأن الله يبطله، وإنما المنزّل على الملكين الشرع، وإنهما كانا يعلمان الناس ذلك"^(١). وقال الطبري: "فبين أن في الكلام متروكاً، ترك ذكره اكتفاءً بما ذكر منه، وأن معنى الكلام: واتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر على ملك سليمان، فتضيفه إلى سليمان، وما كفر سليمان فيعمل بالسحر، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر"^(٢).

وعن قتادة في قوله تعالى: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا} قال: "ما كان عن مشورته ولا عن رضا منه، ولكنه شيء افتعلته الشياطين دونه"^(٣).

قوله تعالى: {يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ}، وفيه أقوال: الأول: أَنَّهُمْ يُفَهِّمُونَهُمْ إِيَّاهُ بِالإِقْرَاءِ وَالتَّعْلِيمِ^(٤). والثاني: يَدُلُّونَهُمْ عَلَى تِلْكَ الكُتُبِ، فَأَطْلَقَ عَلَى الدَّلَالَةِ تَعْلِيمًا، تسميةً للمسبب بالسبب^(٥). والثالث: يُوقِرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ أَنَّهَا حَقٌّ، تَصُرُّ وَتَنفَعُ، وَأَنَّ سُلَيْمَانَ إِنَّمَا تَمَّ لَهُ مَا تَمَّ بِذَلِكَ، وَهَذَا أَيْضًا تَسْمِيَةً لِلْمُسَبَّبِ بِالسَّبَبِ^(٦). والرابع: يُعَلِّمُونَ مَعْنَاهُ يُعَلِّمُونَ، أَي: يُعَلِّمُونَهُمْ بِمَا يَتَعَلَّمُونَ بِهِ السِّحْرَ، أَوْ بِمَنْ

(١) البحر المحيط في التفسير (١/ ٥٢٧).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٤١٧).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٤١٨)، الدر المنثور (١/ ٢٣٥).

(٤) ينظر: البحر المحيط (١/ ٥٢٦)، تفسير أبي السعود (١/ ١٣٧).

(٥) البحر المحيط (١/ ٥٢٦).

(٦) البحر المحيط (١/ ٥٢٦).

(٧) ينظر: البحر المحيط (١/ ٥٢٦).

(٨) تفسير أبي السعود (١/ ١٣٧).

(٩) تفسير الطبري (٢/ ٤١٩، ٤٢٠)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٣٨).

الهُوى، وظاهر سياق القرآن إجمالاً القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أَراده اللهُ تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال" (٣).
وقد ردَّت تلك الروايات أيضاً أبو السعود رحمه الله فقال عنها: "قما لا تعويلَ عليه لما أن مداره رواية اليهود، مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل" (٤).

وَصَحَّحَ هذا القولَ البغويُّ فقال: "إن الله امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت، فمن شقي يتعلم السحرَ منهما فيكفر به، ومن سعد يتركه فيبقى على الإيمان" (٥).

وقال أبو السعود: "وهما ملكان أنزلا لتعليم الناس السحرَ؛ ابتلاءً من الله للناس، أو تمييزاً بينه وبين المعجزة؛ لئلا يغتر به الناس، أو لأن السحرة كثرت في ذلك الزمان، واستتبقت أبواباً غريبةً من السحر، وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلمنا الناس أبواب السحر؛ حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الكذابين، وإظهار أمرهم للناس" (٦).

قوله تعالى: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ}، أي: فيتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون به فيما يتصرفون فيه من الأفاعيل المذمومة، ما إنهم ليفرقون به بين الزوجين، مع ما بينهما من الائتلاف؛

بدلاً من الناس الذين من فطرتهم النصح، وفي هذا ينزله الله عن تنزيل السحر على الملكين، ثم ننزلهما من تعليم السحر للناس، والسحر هو في أساسه كفر، فلن يستطيع أحد أن يعلم السحر إلا أن يكفر، ولا يستطيع المتعلم إلا أن يتعلم إلا أن يكفر، والملائكة منزّهون عن الكفر وتعلمه وتعليمه، وإن الله لا يرضى لعباده الكفر" (١).

٢- أنها بمعنى: الذي. فقوله تعالى: {وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ}، أي: والذي أنزل على الملكين، وهما: هاروت وماروت، فكانا يعلمان الناس السحر، فأخذ عليهما أن لا يعلم أحداً حتى يقولوا: {إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ}، أي: ابتلاء ومحنة {فَلَا تَكْفُرْ}، أي: لا تتعلم السحر، فتعمل به فتكفر" (٢).

وذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء، وأنهما أنزلا إلى الأرض، فكان من أمرهما ما كان...، وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وبين ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة، أن هذين سبق في علم الله لهما هذا، فيكون تخصيصاً لهما، فلا تعارض حينئذ، قال ابن كثير: "وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين...، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن

(٣) تفسير ابن كثير (١ / ٢٣٩، ٢٤٦).

(٤) تفسير أبي السعود (١ / ١٣٨).

(٥) تفسير البغوي (١ / ١٤٨).

(٦) تفسير أبي السعود (١ / ١٣٨).

(١) تفسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير (١ / ٨٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢ / ٤٢١ - ٤٢٢)، تفسير ابن كثير (١ / ٢٤٤).

يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، لكن حملهم الحسد والكِبْر على أن امتنعوا من اتِّباعه، فهم يعلمون أنه رسول الله، ولذلك قال الله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ} [البقرة: ١٠١]، يعني: محمدًا، مصدق لما معهم في التوراة من صفاته وبيان شريعته، فالذي جاء به محمد مصدقٌ وموافقٌ لما في التوراة من أوصافه وعلاماته وإثبات رسالته، هم يعلمون ذلك، لكن حملهم الكِبْر والحسد عن أن يتبعوه، {نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} ليس كلهم، فمنهم من أسلم، اعترف بالحق وأسلم، لكن فريق منهم عاندوا وكابروا، ونبذوا ما معهم من التوراة، طرحوه طرحَ مستكبرٍ ومعاندٍ.

{قم كج} استخفافا بها، واحتقارًا لها؛ بسبب الحسد لهذا الرسول، فنبذوه استهانةً به.

{كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}: فعلهم هذا فعلٌ من لا يعلم، لكنهم يعلمون، اتصفوا بصفات الجهلة، لما نبذوا التوراة أخذوا كتب السحر والعياذ بالله، ونسبوا هذه الكتب إلى سليمان؛ وذلك لأن الله عز وجل سخر الشياطين لسليمان يعملون له ما يشاء، فالله أعطاه الملك والنبوة، فهو رسولٌ ملك، وأنه إنما سخر المردة بسبب السحر، حيث خضعوا له، فاتهموه بالسحر، فالله نفى عن سليمان هذه الفرية فقال:

{وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ} أي: وما سحر، عبّر عن السحر بالكفر، والكفر لا يليق بالأنبياء، فما استعمل

ابتلاء من الله، لا أن السحر له تأثيرٌ في نفسه بدليل الآية الآتية ^(١).

قوله تعالى: {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا نِرْتًا}، أي: إلا بقضاء الله، وهو بأن يخلي الله بينه وبين ما أراد ^(٢).

قوله تعالى: {وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ}، أي: يضرهم في دينهم، وليس له نفع يوازي ضرره ^(٣).

قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ}، أي: ولقد علم اليهود الذي استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسل لمن فعل فعلهم، ذلك أنه ماله في الآخرة من نصيب ^(٤).

قوله تعالى: {وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}، أي: ولبئس البديل ما استبدلوا به من السحر عوضًا عن الإيمان، ومتابعة الرسل، لو كان لهم علم بما وُعدوا به ^(٥).

فالراجح في معنى الآية والله أعلم: أن الآية في شأن اليهود الذين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، وطالبهم بما في التوراة من أمرهم باتِّباعه، فهم

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٩)، لباب التأويل (١/ ٦٧).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٩)، تفسير البغوي (١/ ١٥٢)، لباب التأويل (١/ ٦٧).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٩)، تفسير البغوي (١/ ١٥٢).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٩)، تفسير البغوي (١/ ١٥٢).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٩).

السحر كما ظننته اليهود.

(١).

{وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا}: الشياطين كفرة، يعلمون الناس السحر.

{وَمَا هُمْ} أي: السحرة، {بِضَائِينَ بِهِ} أي: بالسحر، {مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} أي: بقضائه وقدره الكوني القدري، لا إذنه الشرعي، فالله لم يأذن به شرعاً، وإنما أذن به قضاء وقدرًا للابتلاء والامتحان، والله هو الذي يقدر الضرر الذي ينجم عن السحر، وليس السحرة هم الذين يقدرون الضرر؛ لأن الأمر كله بيد الله، فهذا يفيد المسلم التوكل على الله جل وعلا.

{وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ}: هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله فتنةً للعباد، يعلمان الناس السحر اختباراً وابتلاءً، ولكنهما لا يعلمان أحدًا حتى ينصحا ويقولان له: {فَلَا تَكْفُرْ}؛ ليميز المؤمن الصادق من الكافر.

{وَيَتَعَلَّمُونَ} أي: اليهود، {مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ}: يتعلمون ما هو ضرر محض ليس فيه منفعة، بعض الأشياء فيها نفع وضرر، قد يكون الضرر هو الراجح، وقد يكون النفع هو الراجح، وقد يكونان متساويين، ولكن السحر ضرر محض ليس فيه نفع.

{فَلَا تَكْفُرْ} أي: لا تتعلم السحر، سمى تعلم السحر كفرًا.

{فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهَا} أي: من الملكين من السحر ما يفرقون به بين المرء وزوجه، السحر يؤثر في المحبة، ويربط القلوب بعضها ببعض، ويؤثر في التفرقة، وهذا ما يُسمى بالصرف والعطف، فالسحر يفرق ويربط.

{وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ} أي: من أخذ علم السحر وترك كتاب الله.

{مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ} أي: فيتعلم الناس السحر من الملكين بما يتصرفون به تصرفات منمومة، من أعظمها التفريق بين الزوجين، مع ما بينهما من المودة والرحمة؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: ((إن إبليس يصنع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً!، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت!))

{مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ} أي: من نصيب.

{وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ} أي: باعوها للكفر.

{لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}: علما ينفعهم، هم يعلمون كما قال الله جل وعلا: {وَلَقَدْ عَلِمُوا}، فهم يعلمون الحق من الباطل، ولكنهم لا يعلمون علماً ينفعهم، ويتفنون بعلمهم.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب تحريش الشيطان ونجسه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً (٤/ ٢١٦٧)، برقم (٢٨١٣).

المبحث السادس: دلالات الآية المتعلقة بالسحر

وأحكامه:

ومن الأحكام في الآية الكريمة ما يلي:

أولاً: حقيقة السحر:

لقد أثبت القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال أهل العلم على أن للسحر حقيقةً بأدلة كثيرة، منها: قوله تعالى: {وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} [سورة الفلق: ٤]، يعني: السَّوَّاحِرِ اللَّاتِي يَعْفِدْنَ فِي سِحْرِهِنَّ، وَيَنْفُثْنَ عَلَيْهِ، وَلَوْلَا أَنَّ السِّحْرَ لَهُ حَقِيقَةٌ، لَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ؛ يقول تعالى: {قَالَ الْقَوَّاطِلَ فَلَئِمَّا الْقَوَّاطِلَ سَحَرُوا عَيْنَ النَّاسِ وَأَسْرَهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ} [سورة الأعراف: ١١٦].

ووصف الله سبحانه وتعالى السحر في الآية بأنه {عَظِيمٍ}، ولا يقع هذا الوصف على شيء لا وجود له، فدل على أن السحر حقيقة لا خيال، يقول تعالى: {فَلَئِمَّا الْقَوَّاطِلَ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِعُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: ٨١]، ويقول تعالى: {فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف: ١١٨]. ويُفهم من هاتين الآيتين أن للسحر حقيقةً

وتأثيراً ثابتاً، وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة منها:

حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم. قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ،

أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: ((يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنْ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَجَفَّ طَلْعَةَ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِنْرِ ذِي أَرْوَانَ قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نَقَاعَةُ الْحِنَاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ» قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ؟ قَالَ: «لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَاقَنِي اللَّهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فُدْفِنْتُ» (١).

وأجمع علماء أهل السنة والجماعة على أن السحر له حقيقة، فمنه ما يقتل، ومنه ما يُمرض ونحو ذلك بإذن الله.

قال القرافي: "السحر له حقيقة، وقد يموت المسحور أو يتغير طبعه وعادته، وإن لم يباشره وقال به الشافعي وأحمد وغيرهم" (٢). وقال الشيرازي: (٣)

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه-كتاب الطِّبِّ-بابُ السِّحْرِ-(١٣٦/٧) برقم (٥٧٦٣)، ومسلم في صحيحه-كتاب السَّلَامِ-بابُ السِّحْرِ (١٧١٩/٤) برقم (٢١٨٩).

(٢) أنوار البروق في أنواء الفروق (الفروق) للقرافي (١٤٩/٤).

(٣) هو جمال الدين إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي، أبو إسحاق، ولد ٣٩٣ بفيروز آباد (بفارس)، ظهر نبوغه في علوم الشريعة الإسلامية، واشتهر بقوة الحجّة في الجدل والمناظرة، فكان يدرّس في المدرسة النظامية ويديرها، عاش فقيراً صابراً. وكان حسن المجالسة، طلق الوجه، فصيحاً مناظراً، ينظم الشعر، وله تصانيف كثيرة، منها: التنبية والمهذب وكلاهما في الفقه، والتبصرة وهو في أصول الشافعية، واللمع وشرحه وهو في أصول الفقه، والملخص والمعونة في الجدل وغير ذلك، توفي ببغداد سنة ٤٧٦. تاريخ الإسلام للذهبي (١٠/٣٨٣)، سير أعلام النبلاء (١٨/٤٥٢)، طبقات السبكي (٤/٢١٥).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْرَلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتَهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، فَيُذْنِبُهُ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ» (٥).

٣- ثالثاً: حكم السحر: قال النووي: «فَعَمَلُ السِّحْرِ حَرَامٌ، وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ بِالْإِجْمَاعِ» (٦).

قال ابن العربي: «إن الله سبحانه قد صرح في كتابه بأنه كفر، لأنه تعالى قال: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا

الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ} من السحر، {وَمَا كَفَرَ السُّلَيْمَانُ} بقول السحر، {وَلَا كَانَ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا} به وتعليمه، وهاروث وماروث يقولان: {إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ}، وهذا تأكيد للبيان» (٧).

والسحر من الكبائر التي نُهي عنها ويحرم تعلمه لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «السِّبْرُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالنَّوَالِي يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَدْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ» (٨). فعدَّ رسول الله ﷺ السحر من الكبائر،

"وللسحر حقيقة، وله تأثير في إيلاج الجسم وإتلافه" (١). وقال البغوي بعد أن أثبت حقيقة السحر، وردَّ على المنكرين: «فنفى السحر جهلاً، والردُّ على مَنْ نفاه لغوً وفضلًا» (٢).

وقال القرطبي: «وعندنا أن السحر حقٌّ، وله حقيقة، يخلق الله عنده ما شاء... وعلى هذا أهل الحلِّ والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع» (٣). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ» (٤).

ثانياً: تأثير السحر:

مذهب أهل السنة والجماعة على أن السحر له أثر ثابت، وهو حقيقة لا خيال، وقد استدلت العلماء على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة:

١- من الكتاب: قوله تعالى: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ}، حيث دلَّت الآية على أن السحر له تأثير على المرء وزوجه، مع ما بينهما من الألفة والمحبة والترابط، وقوله تعالى: {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}، فقد أثبت الله تعالى في هذه الآية أثر السحر وضرره، مع أن هذا التأثير إنما هو بقضاء الله وقدره.

٢- ومن السنة النبوية: حديث جابر قال: قَالَ

(٥) تقدم تخريجه ص (٣٠).

(٦) شرح مسلم للنووي (١٤ / ١٧٦).

(٧) أحكام القرآن لابن العربي (١ / ٤٨).

(٨) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الوصايا - باب قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي

(١) المهذب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي (٣ / ٢٦٠).

(٢) شرح السنة للبغوي (١٢ / ١٨٨).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٢ / ٤٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٩ / ٣٨٤).

ورضى الله عنها زوجها النَّبِيِّ ﷺ قَتَلَتْ جَارِيَةً لَهَا

سَحَرْتَهَا، وَقَدْ كَانَتْ دَبَّرْتَهَا، فَأَمَرَتْ بِهَا، فَقَتَلَتْ .^(٥)

والثاني: فسق وعدوان، هو الذي يكون بواسطة

الأدوية والعقاقير ونحوها. قال النووي: عمل السحر

حراماً، وهو من الكبائر بالإجماع ...، ومنه ما لا

يكون كفراً بل معصيةً كبيرةً، فإن كان فيه قولٌ أو

فعلٌ يقتضي الكفر فهو كفرٌ وإلا فلا .^(٦) وقال

الشنقيطي: "التحقيق في هذه المسألة هو التفصيل؛

فإن كان السحرُ مما يعظمُ فيه غيرُ الله، كالكواكب

والجنِّ وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر فهو كفر بلا

نزاع، ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور

في سورة "البقرة" فإنه كفر بلا نزاع، كما دلَّ عليه

قوله تعالى: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ

الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} ...،

وإن كان السحرُ لا يقتضي الكفر كالاستعانة بخواص

بعض الأشياء من دهانات وغيرها فهو حرامٌ حرمةً

شديدةً، ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر".^(٧)

واتفق جمهورُ العلماء^(٨) على قتل الساحر الذي

يكون سحره بواسطة الشياطين، يعيدهم ويتقرب إليهم

ليسلطهم على المسحور؛ أما مذهب الشافعي

فحاصله أن الساحر له ثلاثة أحوال: حال يقتل كفراً،

وأمرنا باجتنابه.

٤- رابعاً: حُكْمُ تَعَلُّمِ السِّحْرِ. إن تَعَلَّمَ السَّحْرَ وتعلّمه كفر؛

لقوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي

الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ}، أي: من نصيب، وهذا يدل

على كفر الساحر؛ لأن الذي ليس له نصيبٌ في

الجنة هو الكافر، أما المؤمنُ فله نصيبٌ في الجنة،

ولو أذنب ذنوباً دون الشرك ودون الكفر، فالساحرُ

كافرٌ كفراً أكبر^(١). قال ابن قدامة: "تعلّم السحرِ

وتعلّمه حرامٌ، لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم ...،

ويكفر الساحرُ بتعلّمه وفعله، سواء اعتقد تحريمه أو

إباحته".^(٢) وقال ابن حجر: {إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا

تَكْفُرُ} فيه إشارةٌ إلى أَنَّ تَعَلَّمَ السَّحْرَ كُفْرٌ".^(٣)

خامساً: حكم الساحر. السحرُ ينقسم إلى قسمين:

الأول: كفر؛ هو الذي يكون بواسطة الشياطين؛

يعيدهم ويتقرب إليهم ليلسلطهم على المسحور. لما

أخرجه أبو داود في سننه عن بجالة بن عبده

التميمي يحدث عمرو بن أوسٍ وأبا الشعثاء، قال:

كنت كاتباً لجزءٍ بن معاوية عمِّ الأحنف بن قيس، إذ

جاءنا كتابٌ عُمرٌ قبل موته بسنة: اقتلوا كل ساحر

...، فقتلنا في يوم ثلاثة سواحر^(٤). وصحَّ أَنَّ حَفْصَةَ

عند البخاري في صحيحه-كتاب الجزية-باب الجزية والمواذعة مع أهل الحرب (٤) / ٩٦ برقم (٣١٥٦).

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٢ / ٨٧١) برقم (١٤).

(٦) شرح مسلم للنووي (١٤ / ١٧٦) بتصرف يسير.

(٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤ / ٥٠).

(٨) قال ابن قدامة: "وخذ الساحر القتل، روي ذلك عن عمر وعثمان بن عفان وابن عمر وحفصة ومجنذب بن عبد الله وكثير من الفقهاء". المغني (٩ / ٢٠).

بُطُونَهُمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: ١٠ / ٤] برقم (٢٧٦٦)، ومسلم في صحيحه-كتاب الإيمان-باب تبيان الكبائر وأكبرها (١ / ٩٢) برقم (٨٩).

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (١ / ٤٨).

(٢) ينظر: المغني (٩ / ٢٩).

(٣) فتح الباري (١٠ / ٢٢٥).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه-كتاب الخراج والإمارة والفتنة-باب في أخذ الفدية من الجوس (٣ / ١٦٨) برقم (٣٠٤٣)، وأصل الحديث في ذكر كتاب عمر رضي الله عنه

ومن أنواع السحر المذكورة في القرآن:

سحر التفريق: قال الله تعالى: {فَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ}، وقد يكون التفريق بين الرجل وأمه أو أبيه أو أخيه أو صديقه أو شريكه في العمل.

وسحر التخيل: وهو ما يفعله الساحر حتى يخيل إلى المسحور الشيء بخلاف ما هو عليه؛ قال تعالى: {قَالَ الْقَوَّاءُ فَلَمَّا أَقْبَوُا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَهُبُهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَزِيمٍ} [الأعراف: ١١٦] ^(٤).

المبحث السابع: اللطائف والهدايا المستنبطة من الآية الكريمة

فهذه الآية استنبط منها العلماء لطائف وفوائد كثيرة، منها:

١- كون أناسٍ من أهل الكتاب إذا وقعت المسألة وأرادوا إقامة الدليل عليها تركوا كتاب الله كأنهم لا يعلمون، واحتجوا بما في الكتب الباطلة، فهم تركوا التوراة التي هي من عند الله لأنها ضدُّهم، وأخذوا بعلم السحر وكتب السحر.

٢- أن من العجب احتجاجهم بذلك على رسولٍ من الرسل، فهم احتجوا به على محمد ﷺ، كذبوا محمداً ﷺ، وقالوا: ليس برسول، احتجوا بكتب الباطل، وتركوا التوراة التي تؤيد الرسول ﷺ وتصدِّقه، تركوها

وحال يقتل قصاصاً، وحال لا يقتل أصلاً، بل يعزر، أما الحالة التي يقتل فيها كفراً فقال الشافعي رحمه الله: أن يعمل بسحره ما يبلغ الكفر. وشرح أصحابه ذلك بثلاثة أمثلة: (أحدها) أن يتكلم بكلام هو كفر، ولا شك في أن ذلك موجب للقتل، ومتى تاب منه قبلت توبته وسقط عنه القتل، وهو يثبت بالإقرار وبالبيينة. (المثال الثاني): أن يعتقد ما اعتقده من التقرب إلى الكواكب السبعة ^(١)، وأنها تفعل بأنفسها، فيجب عليه أيضاً القتل... وتقبل توبته، ولا يثبت هذا القسم إلا بالإقرار. (المثال الثالث): أن يعتقد أنه حق يقدر به على قلب الأعيان، فيجب عليه القتل...، ولا يثبت ذلك أيضاً إلا بالإقرار، وإذا تاب قبلت توبته وسقط عنه القتل، وأما الحالة التي يقتل فيها قصاصاً؛ فإذا اعترف أنه قتل بسحره إنساناً فكما قاله، وأنه مات به، وإن سحره يقتل غالباً، فها هنا يقتل قصاصاً، ولا يُثبت هذه الحالة إلا بالإقرار، ولا يسقط القصاص بالتوبة، وأما الحالة التي لا يقتل فيها أصلاً، ولكن يعزر فهي ما عدا ذلك ^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ السَّاحِرَ كَافِرٌ يَجِبُ قَتْلُهُ، وَقَدْ ثَبَّتَ قَتْلُ السَّاحِرِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ وَحَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَجُنْدُبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ..." ^(٣).

سادساً: أنواع السحر:

(١) هي: الشمس، والقمر، والمشتري، وزحل، والمريخ، والزهرة، وعطارد. النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب» (٢/ ١٣٥).

(٢) ينظر: فتاوى السبكي (٢/ ٣٢٤)، المجموع شرح المهذب (١٩/ ٢٤٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٩/ ٣٨٤).

(٤) وهناك أنواع من السحر كسحر الجنون، والخمول، والهواتف، وتعطيل الزواج. ينظر: السحر والشعوذة في ضوء الكتاب والسنة، د: محمد أحمد عبد الغني (ص: ١٠-١٢)، الحذر من السحر د/ خالد الجريسي (ص ١٢٨-١٣٧).

بالباطل من أجل أن يصدق ويؤخذ بقولهم، وهذه لا يميزها إلا أهل العلم وأهل البصيرة، أما العوام فقد يروج عليهم هذا التلبيس^(١).

٨- كُفِّرَ السَّاحِرِ، وَحُرْمَةُ تَعْلَمِ السَّحْرِ، وَحُرْمَةُ اسْتِعْمَالِهِ.

٩- إن الله تعالى خالق الخير والضرير، ولا ضرر ولا نفع إلا بإذنه، فيجب الرجوع إليه في جلب النفع، ودفْع الضرر بدعائه والضرعة إليه.

١٠- العلم المهم، كالظن الذي لا يقين معه، لا يغير من نفسية صاحبه شيئاً، فلا يحمله على فعل خير، ولا على ترك شر، بخلاف الرسوخ في العلم، فإن صاحبه يكون لديه من صادق الرغبة وعظيم الرهبة ما يدفعه إلى الإيمان والتقوى، ويجنبه الشرك والمعاصي^(٢).

١١- حصر بعضهم أصول السحر في ثلاثة هي:

أ- زجر النفوس بمقدمات توهيمية وإرهابية، بما اعتاده الساحر من التأثير النفساني في نفس المسحور الضعيف روحاً، المستعد لقبول التأثير، ويشهد لهذا قوله تعالى: {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَهُمُوهُمْ} [الأعراف: ١١٦].

ب- استخدام مؤثرات من خصائص الأجسام من حيوان ومعادن؛ كالزئبق وسائر العقاقير المؤثرة، ويشهد لهذا قوله تعالى: {إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ} طه:

وأخذوا الباطل من السحر التي عملته الشياطين بسبب الهوى.

٣- أن الكلام يدل على أنهم يعلمون؛ لقوله تعالى: {كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}، فهم يعلمون أن رسول الله ﷺ حق، وأن التوراة جاءت بإثبات رسالته والأمر باتباعه، يعلمون هذا، ولكنهم تجاهلوا هذا، وصاروا كأنهم لا يعلمون.

٤- أن المسائل الباطلة قد تنسب إلى الأنبياء كذباً عليهم، كما نسبت اليهود السحر إلى سليمان عليه الصلاة والسلام، من أجل الترويج للباطل، وكذلك من ينسب أحاديث باطلة إلى رسول الله ﷺ، وهو ما يسمى بالوضع، فليس كل ما ينسب يؤخذ على القبول، فلا بد من التدقيق والتمحيص والتوقف والتثبت، قال تعالى: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقُ بَنِي فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦].

٥- أن الكتب الباطلة قد تنسب إلى بعض الصديقين، وهذا واقع.

٦- أن ذلك مما تتلوه الشياطين على زمان الأنبياء، كما وقعت أشياء في زمن النبي ﷺ.

٧- أن الشياطين مزجت به الحق في زمن سليمان، فمزجت السحر مع نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام من أجل أن يروج السحر، ولبس الحق بالباطل مما يفعله اليهود، قال تعالى: {وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ

وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ} [البقرة: ٤٢]، يخلطون الحق

(١) تفسير آيات من القرآن الكريم، للإمام محمد بن عبد الوهاب (ص ٢١، ٢٢) بتصرف وزيادة.

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (١/ ٩٢، ٩٣).

[٦٩].

- اختلاف القراءات الواردة في الآية واختلاف

دلالاتها وعدم إمكانية الجمع بين دلالاتها.

٢- تنوعت آراء المتقدمين من المفسرين في المشكل من المعاني إلا أن أكثرهم كان يقف عندها لعدم توفر النصوص القطعية، ولكنهم استخلصوا جميع الدلالات المعنوية والحكمية المستوحاة من دلالات السياق العام للآية .

٣- اختلفت أحكام السحر عند العلماء باختلاف صورته وأنواعه، وجميعهم ذهب إلى أن كل سحر يشابه سحر هاروت وماروت في صورته وأساليبه ومقاصده فهو محرم تعلمه وتعليمه.

٤- إن هاروت وماروت ملكان امتحن الله بهما عباده، وأنه لا تعارض بذلك بين ما ثبت من الدلائل على عصمة الملائكة، وجواز تعليم الملائكة الناس التفريق بين المرء وزوجه، فتنة واختباراً لبني آدم، ذلك أن تعليمهما كان تعليم تحذير من السحر، لا تعليم دعاء إليه.

٥- إن للسحر تأثيراً في ذاته، بإيقاع حب أو بغض، وجمع أو فرقة ونحوه، لكنه مع ذلك لا يؤثر ضرراً إلا فيمن سبق في قضاء الله أن السحر يضره.

٦- إن إذن الله تعالى بوقوع أثر السحر لا يعني بحالٍ إذنًا شرعيًا.

ثانياً: أهم التوصيات والمقترحات:

١- توصي الباحثة الباحثين في المشكل من الألفاظ والدلالات الغيبية والوقف عند ما وقف عنده علماء السلف؛ لأن ذلك يُحتاج في تفسيره إلى نصوص

ت- الشعوذة باستخدام خفايا الحركة والسرعة، حين يخيل أن الجماد يتحرك، ويشهد لهذا قوله تعالى:

{يُحْيِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنْهَآ تَسْعَى} [طه: ٦٦] ^(١).

الخاتمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والسائرين على هداة ...

أما بعد:

فقد من الله عليّ بإتمام هذا البحث، والذي أدعو الله عز وجل أن ينفعني وينفع به، وما كان فيه من صواب فمن الله سبحانه وتعالى وتوفيقه وتيسيره، فله الحمد والشكر، وما كان فيه من خطأ أو زلل فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله تعالى العفو والمغفرة. وفيما يلي أبرز النتائج والتوصيات، التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

أولاً: النتائج:

١- اختلف العلماء في تفسير المشكل من الألفاظ في الآية، ومن أبرز أسباب الاختلاف فيه ما يلي:

- عدم توفر النصوص القطعية الدالة، واعتماد بعض المفسرين على بعض الروايات الضعيفة والإسرائيليات مما لا تقوم به حجة.

- تنوع الدلالات الاحتمالية لمفردات الآية واتساع معانيها.

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (١/ ٩١) الهامش.

تحقيق: طاهر أحمد الزاوي-محمود محمد الطناحي

الناشر: المكتبة العلمية -بيروت.

٤. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن

بن علي بن محمد(ت:٥٩٧هـ)، عام النشر:

(١٤٢٢هـ) زاد المسير في علم التفسير، الطبعة

الأولى، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار

الكتاب العربي-بيروت.

٥. ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد

الله(ت:٥٤٣هـ)، عام النشر: (١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣م)،

أحكام القرآن، الطبعة الثالثة، ط. دار الكتب

العلمية-بيروت.

٦. ابن تيمية الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد

بن عبد الحلیم (ت:٧٢٨هـ)، عام النشر: (١٤١٦هـ-

١٩٩٥م). مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن

محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة

المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية

السعودية.

٧. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي

بن محمد بن أحمد (ت:٨٥٢هـ)، عام النشر:

(١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).تقريب التهذيب، الطبعة

الأولى، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد

- سوريا.

٨. ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن

أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم

الدمشقي، الحنبلي(ت:٧٩٥هـ)، عام النشر:

(١٤١٧هـ-١٩٩٦م). فتح الباري شرح صحيح

صحيحة صريحة.

٢- توصي الباحثة بدراسة القراءات الواردة في الآية

وتوجيهها لغويا وبلاغيا.

٣- توعية المسلمين وتذكيرهم بأن النفع والضرر بيد

الله عز وجل.

٤- تذكير المسلمين بضرورة طلب العلم الشرعي

لمعرفة المعنى الصحيح للآيات الكريمة.

٥- اجتناب المنكرات والبعد عن المحرمات، فكلُّ

ذلك من أسباب السلامة والحفظ والوقاية بإذن الله.

٦- إيجاد وسائل ووسائط اتصال تعين من لديه

معلومة مفيدة على العابثين بأمن الوطن من السحرة

والمشعوذين، وبالتالي الوصول إليهم والتعامل معهم

بحزم.

٧- بيان العلماء والدعاة والخطباء خطر هؤلاء،

وتتقيف الناس وتحذيرهم من أعمالهم.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد

بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي(ت:٣٢٧هـ)،

عام النشر: (١٤١٩هـ). تفسير القرآن العظيم

الطبعة الثالثة، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر:

مكتبة نزار مصطفى الباز-المملكة العربية السعودية.

٣. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن

محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني

الجزري (ت:٦٠٦هـ)، عام النشر: (١٣٩٩هـ -

١٩٧٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر،

- ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
١٤. أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، عام النشر: (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الخامسة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
١٥. أبو حيان. أثير الدين الأندلسي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، (ت: ٧٤٥هـ)، (١٤٢٠هـ) **البحر المحيط في التفسير**، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت.
١٦. الأصفهاني، الراغب، (ت: ٤٢٥هـ)، عام النشر: (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م). **مفردات ألفاظ القرآن**، الطبعة الأولى، تحقيق: صفوان داوودي، ط. دار القلم - دمشق، والدار الشامية، بيروت.
١٧. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم (ت: ١٤٢٠هـ)، **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، الناشر: المكتب الإسلامي.
١٨. الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ)، عام النشر: (١٤١٥هـ). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الطبعة الأولى، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
١٩. بالي، وحيد عبد السلام، عام النشر (١٤١٢هـ-١٩٩٢م). **الصارم البتار في التصدي البخاري**، الطبعة الأولى، تحقيق: مجموعة محققين، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية-المدينة النبوية.
٩. ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) سنة النشر: (١٩٨٤م) **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»** الناشر: الدار التونسية للنشر- تونس.
١٠. ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، **المغني** الطبعة: بدون طبعة. الناشر: مكتبة القاهرة،
١١. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، عام النشر: (١٤١٩هـ). **تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)**، الطبعة الأولى، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
١٢. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، عام النشر: (١٤١٤هـ). **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، الناشر: دار صادر-بيروت.
١٣. ابن هشام، أبو محمد، جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت: ٢١٣هـ)، عام النشر: (١٣٧٥هـ-١٩٥٥م)، **السيرة النبوية** الطبعة الثانية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة

- للسحرة الأشرار، الطبعة الثالثة، الناشر: مكتبة التابعين، القاهرة. مكتبة الصحابة، جدة، الشرفية.
٢٠. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (١٤٢٢هـ). **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، الطبعة الأولى، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).
٢١. البغوي، الحسين بن مسعود (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، **شرح السنة**، الطبعة الثانية، دار النشر: المكتب الإسلامي-دمشق، بيروت، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش.
٢٢. البغوي، الحسين بن مسعود (١٤٢٠هـ) **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**، الطبعة الأولى، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت.
٢٣. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت: ٨٨٥هـ) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٢٤. ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي (ت: ٢٨١هـ)، عام النشر: (١٩٩٦م)، **العقوبات**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الطبعة: الأولى، الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان.
٢٥. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي (ت: ٢٣٥هـ)، عام النشر: (١٤٠٩هـ)، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض.
٢٦. البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: ٦٨٥هـ)، عام النشر: (١٤١٨هـ) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٧. التميمي، الإمام محمد بن عبد الوهاب، تفسير **آيات من القرآن الكريم**، راجع أصوله وصححه ووضع هوامشه، وأعدده للطبع: د/ محمد البلتاجي- الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود-الرياض.
٢٨. الجريسي، د/ خالد بن عبد الرحمن بن علي، **الحذر من السحر**، الناشر: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان-الرياض.
٢٩. الجوزجاني، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (ت: ٢٢٧هـ)، عام النشر: (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م). **سنن سعيد بن منصور**، كتاب التفسير منه، الطبعة الأولى، دراسة وتحقيق: د/ سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع.
٣٠. الخازن، علاء الدين علي بن محمد البغدادي (ت: ٧٤١هـ)، عام النشر: (١٤١٥هـ)

التجارية، مكة المكرمة.

٣٧. الرومي، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، عام النشر: (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، الطبعة الأولى، الناشر: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، برقم ٩٥١/٥، وتاريخ ١٤٠٦/٨/٥.

٣٨. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت: ٧٩٤هـ)، عام النشر: (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م) **البرهان في علوم القرآن**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

٣٩. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٠. السبكي، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي (ت: ٧٥٦هـ)، **فتاوى السبكي** الناشر: دار المعارف.

٤١. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٤٢. السنيكي، زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد

تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٣١. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن (ت: ٧٤١هـ)، عام النشر: (١٤١٥هـ). **لباب التأويل في معاني التنزيل**، الطبعة الأولى، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٢. الدعاس، أحمد عبید - أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، عام النشر: (١٤٢٥هـ) **إعراب القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، الناشر: دار المنير ودار الفارابي - دمشق.

٣٣. زادة، طاشكُبري، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. ط. العلمية.

٣٤. الرازي أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، عام النشر: (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م). **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر.

٣٥. الرفاعي، محمد نسيب، عام النشر: (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م). **تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير**، اختصره وعلق عليه واختار أصح رواياته، ط. مكتبة المعارف - الرياض.

٣٦. الركبي، محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطلال (ت: ٦٣٣هـ)، عام النشر: ١٩٩١م، **النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المذهب**، تحقيق: د. مصطفى عبدالحفيظ سالم، الناشر: المكتبة

والنشر، بيروت.

٤٩. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد(ت:١٤٢١هـ)، عام النشر: (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م)، **أصول في التفسير**، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى، الناشر: المكتبة الإسلامية.

٥٠. العمادي، أبو السعود محمد بن محمد (ت:٩٥١هـ)، ط. **تفسير أبي السعود، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

٥١. عبد الغني، د/ محمد أحمد، **السحر والشعوذة في ضوء الكتاب والسنة**، دار العلوم العربية، للطباعة والنشر، بيروت.

٥٢. القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي(ت:٦٨٤هـ)، بدون تاريخ. **الفروق (أنوار البروق في أنواع الفروق)**، بدون طبعة، الناشر: عالم الكتب.

٥٣. القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي(ت:٦٧١هـ)، عام النشر: (١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م). **الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي**، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية-القاهرة.

٥٤. مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني(ت:١٧٩هـ)، عام النشر: (١٩٨٥م). **موطأ الإمام مالك**، صححه ورقمه وخرج

بن أحمد بن زكريا الأنصاري(ت:٩٢٦هـ)، عام النشر: (٢٠٠١م). **إعراب القرآن العظيم**، حققه وعلق عليه: د/ موسى على موسى مسعود (رسالة ماجستير)، الطبعة: الأولى.

٤٣. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت:٩١١هـ)، **الدر المنثور**، الناشر: دار الفكر-بيروت.

٤٤. الشايع، د. محمد، **معجم مصطلحات علوم القرآن**، دار التدمرية.

٤٥. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني(ت:١٣٩٣هـ)، عام النشر: (١٩٩٥م). **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان.

٤٦. الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف(ت:٤٧٦هـ)، **المهذب في فقه الإمام الشافعي**، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.

٤٧. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر (ت:٣١٠هـ)، بدون تاريخ، **جامع البيان في تأويل القرآن**، المحقق: محمود محمد شاكر، الناشر: دار التربية والتراث-مكة المكرمة(حقق الشيخ محمود شاكر إلى تفسير الآية ٢٧ من سورة إبراهيم، وبقية التفسير هو إعادة صف طبعة الحلبي بنصها وحواشيها).

٤٨. عبد الغني، محمد أحمد، **السحر والشعوذة في ضوء الكتاب والسنة**، دار العلوم العربية، للطباعة

- أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت.
٥٥. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى-أحمد الزيات-حامد عبد القادر-محمد النجار)، المعجم الوسيط، الناشر: دار الدعوة.
٥٦. مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، عام النشر: (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)، الموسوعة القرآنية المتخصصة، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-مصر.
٥٧. المحاربي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي(ت:٥٤٢هـ)، عام النشر: (١٤٢٢هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
٥٨. مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني(ت:١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
٥٩. النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني(ت:٣٠٣هـ)، عام النشر (١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م)، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه:
- حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
٦٠. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين(ت:٧١٠هـ)، عام النشر: (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م). تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، الطبعة الأولى، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت.
٦١. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف(ت:٦٧٦هـ)، المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي)، الناشر: دار الفكر.
٦٢. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري(ت:٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٦٣. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد(ت:٤٦٨هـ)، عام النشر: (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، أسباب النزول، دراسة وتحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الطبعة الثانية ط. دار الإصلاح-الدمام.

(Verse of Witchcraft from Surat Al-Baqara and its Moral and Judicial Implications for the Salaf - Analytical Study)

Hibatallah Sadiq saeed Abu Arab

Assistant Professor

In Quranic Interpretation and Quranic Science

College of the Holy Quran and Islamic studies

Department of Quran Science

University of Jeddah

Abstract. this Research (Verse of Witchcraft from Surat Al-Baqara and its Moral and Judicial Implications for the Salaf - Analytical Study) aims to discuss verse 102 from Surat Al-Baqara, And clarify its moral and constructive significance and partial problematic points in some of its words, meanings, and causes, and scholars' sayings about the reality of Witchcraft, its images and types, and the approaches of the interpreters of the predecessors and the Salaf in explaining that and its detail, and their basis and sources in that.

The researcher reached to explain the scientific value of the Salaf scholars and their approaches in dealing with the problem of the verses, and their focus on the texts and their moral and assignment implications, and their reluctance to the problem from what is not in the text, and that the research indicates the integration of the meanings of the verse of Witchcraft from Surat Al-Baqarah, and its compatibility with the previous verses, as well as the diversity of the circumstances of revelation " *Asbāb al-nuzūl* " and its effect on expanding the indications and provisions of texts, and clarifying the problem of the syntax of the verse and its implications, as well as mentioning some Subtleties and guidance derived from the verse.

استكشاف البناء العاملي لمقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (الدليل التشخيصي والإحصائي الخامس للاضطرابات العقلية) على عينة من مرضى الفصام

إبراهيم بن عبده صدي

قسم علم النفس - كلية العلوم الاجتماعية- جامعة جدة، جدة

المملكة العربية السعودية

isaadi@uj.edu.sa

المستخلص. تهدف الدراسة الحالية إلى استكشاف البناء العاملي والاتساق الداخلي لمقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان " (CRDPSS) Clinician-Rated Dimension of Psychosis Symptom Severity"، وذلك على عينة سعودية من مرضى الفصام. تكونت العينة من ١٦٠ مشاركًا: ٨٠ مريضًا فصاميًا، تراوحت أعمارهم بين ١٨، ٦٠ عامًا (M= 33.82، SD= 9.70)، و ٨٠ فردًا من العاديين، تراوحت أعمارهم بين ١٨، ٦٣ عامًا (M= 33.94، SD= 9.12). تم استخدام المقاييس التالية ١- مقياس الأعراض الموجبة والسالبة للفصام " Positive and Negative Syndrome Rating Scale (PANSS)". ٢- مقياس الطب النفسي المختصر " Brief Psychiatric Rating Scale (BPRS)". ٣- مقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CRDPSS)، وذلك لتقييم شدة أعراض اضطراب الفصام. أشارت النتائج إلى أن المقياس يتكون من ثلاثة عوامل، هي الأعراض الموجبة، والأعراض السالبة/العجز المعرفي، والأعراض الوجدانية. أيضًا أظهر المقياس دقة تشخيص مرتفعة، حيث القدرة على التمييز الدقيق بين المرضى والأسوياء؛ بالإضافة لتحقق الصدق التقاربي، حيث وجود ارتباط موجب قوي بين المقياس الحالي ومقاييس أخرى تقيس نفس المكون. وأظهرت النتائج اتساقًا داخليًا مرتفعًا للمقياس، بالرغم من قلة عدد عباراته. كلمات مفتاحية: الفصام، الخصائص السيكومترية، مقياس تقدير، الدليل التشخيصي الخامس، التحليل العاملي الاستكشافي.

المقدمة

" Schizophrenia Spectrum and Other Psychotic Disorders

Disorders" كثنائي فئة من الاضطرابات. وتضم هذه الفئة الاضطرابات التي تظهر فيها الخمسة جوانب التالية: الضلالات، والهلاوس، والتفكير، والتحدث غير المترابط والسلوك الحركي غير الطبيعي، وأخيرًا الأعراض السالبة. وتعتبر هذه هي الأعراض الأساسية لاضطراب الفصام، والتي يجب توافر عرضين على الأقل (يجب توافر عرض واحد منهم من أول ثلاثة أعراض) تبقى لمدة لا تقل عن شهر حتى تنطبق معايير التشخيص. هذا، ويعد معدل انتشار الفصام ما بين ٠,٣٪، و٠,٧٪ في المجتمع العام (5th ed.; DSM-5; American Psychiatric Association [APA], 2013

وفيما يتعلق بتقييم شدة أعراض الفصام، فقد كانت هناك العديد من الدراسات التي استخدمت واختبرت العديد من مقاييس التقدير التي تقيم شدة أعراض الفصام. من أهم تلك المقاييس وأكثرها استخدامًا وانتشارًا ما يلي: أ- مقياس مجموعة الأعراض الموجبة والسالبة للفصام " Positive and Negative Syndrome Rating (PANSS) Scale". ب- المقياس الطبي المختصر " Brief Psychiatric Rating Scale (BPRS)". ج- مقياس تقييم الأعراض الموجبة " The Scale for the Assessment of Positive Symptoms (SAPS)". د- مقياس تقييم الأعراض السالبة " The Scale for the Assessment of Negative Symptoms (SANS)

يشير مصطلح الفصام إلى اضطراب عقلي، وتشتمل أعراض هذا الاضطراب على تفكك التفكير. ويعتبر الفصام اضطراب متنوع المظاهر، حيث يمكن أن يظهر بأشكال مختلفة مع الاحتفاظ بالأعراض الأساسية، وهي التغيرات في السلوك والإدراك (Sperner-Unterweger, 2005)، ويتضمن العجز المعرفي من حيث عجز الإدراك والانتباه والذاكرة والتفكير المجرد (Savage et al., 2003). وأيضًا العجز في البدء أو الإبقاء على العلاقات الاجتماعية، بالإضافة للمشكلات الوجدانية، حيث تظهر أعراض الاكتئاب أو الهوس أو كلاهما في شكل دوري، ووجود الأعراض الذهانية، التي تمثل الشكل الشائع، وتتضمن الضلالات، والهلاوس، واضطراب التفكير، والسلوك، والانسحاب الاجتماعي (Waterworth et al., 2002). عوامل الخطورة النفسية والاجتماعية والثقافية التي تكون سببًا في ظهور اضطراب الفصام من الصعب تحديدها، فلا يمكن ببساطة تحديد ثقافة أو عرق أو جماعة أو مستوى اجتماعي ثقافي معين ينتشر فيه هذا الاضطراب عن غيره (Veague, 2007).

في الجزء الثاني Section II من الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية - الإصدار الخامس DSM-5، تقع المحكات التشخيصية لمجموعات الاضطرابات، وتقع مجموعة اضطراب طيف الفصام واضطرابات ذهانية أخرى

أوروبا، واليابان (Rothman et al., 2012). كما يشير التراث الأدبي للمقياس أن هناك دراستين هدفنا إلى تطوير أبنية إضافية للمقياس، وذلك بغرض جعل المقياس أكثر شمولية في تقييم الجوانب المتشعبة لاضطراب الفصام، مثل الهوس والهياج (Lindenmayer et al., 2004; Montoya et al., 2011).

كما يعتبر Brief Psychotic Rating Scale (BPRS) والمعروف بمقياس الطب النفسي المختصر الصورة المختصرة لمقياس الأعراض الموجبة والسالبة للفصام (PANSS)، وقد كان الهدف منه هو الحصول على تقييم سريع وأكثر اقتصادية وأقل مجهود للفصام (Overall & Gorham, 1962). مؤخرًا، قام العديد من الباحثين بفحص الخصائص السيكومترية لمقياس الطب النفسي المختصر (BPRS) (Biancosino et al., 2010; Sawamura et al., 2010; Shafer, 2013; Zanello et al., 2013). وقام باحثون آخرون باختبار الخصائص السيكومترية للمقياس على عينات مختلفة (عينة من المشردين الذين يعانون من اضطرابات عقلية جسيمة، بالإضافة لكونهم من المدمنين على المواد) (Burger et al., 2003)، وبملاحظين مختلفين (ثبات الملاحظين) (Crippa et al., 2001)، في حين اختبر فيلجن الخصائص السيكومترية للمقياس باستخدام عبارات إضافية للمقياس، حيث أصبح المقياس مكون من ٢٤ عبارة بدلا من ١٨ عبارة (Velligan et al., 2005). بالإضافة إلي باحثين آخرين قاموا باختبار المقياس

(Ventura & Marder, 2012). يعد الهدف الأساسي من إعداد وتطوير تلك المقاييس هو الأغراض البحثية، مثل تقييم شدة اضطراب الفصام، وتحديد كفاءة العقاقير الطبية في علاج الفصام، ومتابعة التدخلات العلاجية الأخرى (Macfadden, et al., 2010; Voisey et al., 2011).

أما مقياس الأعراض الموجبة والسالبة للفصام (PANSS)، فقد كان هدفا للعديد من الدراسات والبحوث الأكاديمية التي كان هدفها فحص خصائصه السيكومترية (Anderson et al., 2015; Kelley et al., 2013; Khan et al., 2014; Langeveld et al., 2013; Stochl et al., 2014). في حين قامت دراسات أخرى بعمل التكيف الثقافي للمقياس وفحص خصائصه السيكومترية الخاصة بالأعراض الموجبة والسالبة للفصام (PANSS) في عدد من الدول، مثل السويد (Lindström & Knorrning, 1993)، وفرنسا (Lançon et al., 1999). وعلاوة على ذلك، فقد قام بعض الباحثين بتقييم المقياس في ثقافات عدة، مثل: البولندية (Rzewuska, 2002)، والمكسيكية (Fresán et al., 2005)، والصينية (Jiang et al., 2013)، والروسية (Ivanova et al., 2014). أيضًا هناك دراسة سابقة عبر ثقافية فحصت المقياس عبر العديد من المناطق المختلفة، مثل: شرق آسيا، وشمال أوروبا، وروسيا، وأوكرانيا، وجنوب أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية (Khan et al., 2013). بالإضافة إلى دراسة أخرى فحصت ثبات وصدق المقياس بين الملاحظين في

الجزء الثالث من الدليل التشخيصي على مقياس تقدير بعنوان التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان Clinician-Rated Dimension of Psychosis " online; DSM-) (CRDPSS) "Symptom Severity 5/psychiatry.org; American Psychiatric Association [APA], 2015". وقد تم حساب الخصائص السيكمترية لهذا المقياس مؤخرًا، حيث أظهرت نتائج دراسة (Park et al., 2016) أن المقياس يتكون من ثلاثة عوامل هي (عامل الأعراض الموجبة/ تفكك الكلام، وعامل الأعراض السالبة/العجز المعرفي، وعامل الأعراض الوجدانية). كما أشارت أيضا دراسة (Berendsen et al., 2019) أن المقياس يتكون من ثلاثة عوامل، وهي: عامل العجز الحركي، وعامل الأعراض الموجبة، وعامل الأعراض الوجدانية. كان هناك اتفاق في عدد العوامل، ولكن مع اختلاف في تحميل العبارات على هذه العوامل.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

فيما يتعلق بمقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CPRDSS)، لا توجد دراسة عربية - سعودية فحصت الخصائص السيكمترية للمقياس، بالإضافة لندرة الدراسات الأجنبية أيضًا مع اختلاف نتائج التحليل العاملي، بالرغم من التوصل لنفس عدد العوامل. لذا تحاول الدراسة الحالية الإجابة على التساؤلات التالية:

عن طريق مقارنة البنية العاملية للمقياس بمقاييس أخرى تقيس نفس البنية (Mogge et al., 2002;) (Morlan & Tan, 1998). أيضًا، هناك العديد من الدراسات اختبرت ارتباط المقياس بمقاييس أخرى تقيس نفس المكون لتقييم الصدق التقاربي للمقياس (Czobor et al., 1991; Dingemans, 1990;) (Faustman Jr. et al., 1989). علاوة على ذلك، قام العديد من الباحثين بتعديل إصدارات عديدة من المقياس لتقييم الفصام في مرحلة الطفولة (Henderson et al., 2010; Lachar et al., 2001;) (McIlhaney et al., 2008)، وفي مرحلة الشيخوخة (Seno et al., 1998). بالإضافة لما سبق، قام أندرياسين في عام ١٩٨٤م بتصميم مقياس لتقييم الأعراض الموجبة (SAPS) للفصام (Andreasen, 1984). كما قام أيضا في نفس العام بتصميم مقياس آخر لتقييم الأعراض السالبة (SANS) للفصام (Andreasen, 1984) ولكن لم يكن هناك الكثير من الدراسات التي اهتمت بهذين المقياسين من حيث حساب خصائصهم السيكمترية.

ومؤخرًا، اشتمل الإصدار الخامس للدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية على جزء خاص بالمقاييس " Section III; Emerging Measures and Models"، وذلك لتكون هناك مقاييس لتحديد شدة الاضطرابات، بالإضافة للطريقة التقليدية التي تعتمد على التصنيف (وجود الاضطراب أو عدم وجوده فقط) (American Psychiatric Association,) (2013). لتقييم شدة الأعراض الذهانية. ويحتوي

٣- يقيم المقياس الحالي (CPRDSS) نفس البنية التي تقيّمها مقاييس الفصام الأخرى (PANSS and BPRS) بشكل دال إحصائياً.

٤- ثبات الملاحظين لمقياس التقييم.

٥- المقياس ثابت بشكل دال إحصائياً من حيث الاتساق الداخلي بين عباراته.

أهمية الدراسة

تفتقر البيئة العربية بشكل عام والسعودية بشكل خاص للمقاييس التشخيصية ذات الموثوقية العلمية والنتائج السريعة في الميدان النفسي، كما أن هناك العديد من الأسباب التي تتطلب عمل الترجمة والتكيف الثقافي، وتقييم الخصائص السيكومترية لمقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CPRDSS)، وتتمثل هذه الأسباب في: أولاً: اقترح الجزء الثالث من الدليل التشخيصي- الإصدار الخامس المزيد من البحث لتقييم الاضطرابات العقلية لتحسين إجراءات التشخيص، وذلك للحد من الاختلافات الثقافية في تفسير مثل هذه الاضطرابات؛ ثانياً: يعتبر مقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CPRDSS) مشتق مباشرة من المعايير التشخيصية للاضطرابات الذهانية، وفقاً للدليل التشخيصي- الإصدار الخامس. ثالثاً: أغلب الباحثين والمختصين يفضلون استخدام المقاييس التي تحدد شدة الاضطراب عن تلك المقاييس التي تحدد فقط وجود الاضطراب من عدمه. رابعاً: قصر

١- هل يصلح مقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CPRDSS) لتقييم أعراض الفصام وشدها في البيئة السعودية؟

٢- هل البنية العاملية للمقياس على المرضى السعوديين المشخصين بالفصام تتماثل مع الأبنية العاملية للمقياس في الدراسات السابقة، حيث تتكون من ثلاثة عوامل؟

٣- هل المقياس قادر على التمييز الدقيق بين المرضى والعاديين؟

٤- هل يتفق تقييم الملاحظين (من يستخدم المقياس لتقييم الحالات) في تقييمهم للحالات (هل عبارات المقياس يختلف في فهمها اثنين من الأخصائين في تقييمهم لحالة ما)؟

٥- هل تتسق عبارات المقياس فيما بينها لمقياس أعراض الفصام؟

فروض الدراسة

١- تتكون البنية العاملية لمقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CPRDSS) من ثلاثة عوامل دالة إحصائياً، تعكس هذه العوامل البنية المنطقية لاضطراب الفصام.

٢- المقياس (CPRDSS) دال إحصائياً على التشخيص الدقيق للفصام.

بمستشفى الصحة النفسية بجدة. في حين تم اختيار المشاركين العاديين من المجتمع العام بمدينة جدة، وذلك لتناظر عينة المرضى في الخصائص الديموجرافية. تم فحص مجموعتي الدراسة باستخدام مقابلة إكلينيكية مبنية على معايير الدليل التشخيصي والإحصائي الخامس. واشتملت المقابلة على الاضطرابات المدرجة تحت التصنيف "طيف الفصام واضطرابات ذهانية أخرى". معايير التضمن لعينة الفصام كانت وجود اضطراب الفصام وفقاً لمعايير تشخيص الدليل التشخيصي والإحصائي الخامس للفصام، ومعايير الاستبعاد كانت وجود اضطرابات ذهانية أخرى بخلاف الفصام، سواء كانت حالية أم سابقة. لتحديد إذا ما كان هناك فروق دالة إحصائية بين مجموعتي الدراسة في العمر، استخدم الباحث اختبار - ت لفحص دلالة الفرق بين المجموعتين. أظهرت النتائج أنه لا توجد فروق دالة بين المجموعتين فيما يتعلق بالعمر، $t(158) = 0.045$ ، عند احتمالية $= 0.964$. أيضاً، أشارت نتائج اختبار كاي^٢ إلى أنه لا يوجد فرق دال إحصائياً بين المجموعتين فيما يتعلق بالنوع (نسبة الذكور للإناث في المجموعتين) كاي^٢ (١، $n = 160$) = 0.493 ، عند احتمالية $= 0.482$.

أدوات الدراسة

أولاً: مقياس الأعراض الموجبة والسالبة للفصام

مقياس الأعراض الموجبة والسالبة للفصام (PANSS) هو مقياس تقدير بالملاحظة لتقييم شدة

مدة تطبيق المقياس، وبذلك يكون أكثر عملية وسهولة مع العينات الكبيرة، وخصوصاً في إجراء البحوث التي تعتمد المنهج المسحي، فالأمر موفر للوقت والجهد (American Psychiatric Association, 2013).

الهدف من الدراسة

فيما يتعلق بالسياق المجتمعي والثقافي السعودي في تفسير وتقييم الاضطرابات، تهدف الدراسة الحالية إلى عمل ترجمة وتكيف ثقافي وفحص للخصائص السيكومترية لمقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CRDPSS) على عينة سعودية من مرضى الفصام، وذلك لتقديم مقياس لتقدير شدة اضطراب الفصام، وكأداة مساعدة في اتخاذ القرار التشخيصي.

إجراءات الدراسة

عينة الدراسة

تألفت عينة الدراسة الحالية من ١٦٠ مشاركاً: منهم ٨٠ مريضاً مشخصين طبيًا باضطراب الفصام، وهم تحت العلاج في العيادات الخارجية أو في أقسام التنويم، وهم على النحو التالي: ٧١ ذكراً وتسع من الإناث تراوحت أعمارهم بين ١٨ و ٦٠ عاماً ($M = 33.82$ ، $SD = 9.70$)، و ٨٠ مشاركاً من أفراد المجتمع العاديين (٦٨ ذكراً، ١٢ أنثى) تراوحت أعمارهم بين ١٨ و ٦٣ عاماً ($M = 33.94$ ، $SD = 9.12$). قام الباحث باختيار العينة من المرضى المنومين والمترددن على العيادات الخارجية

يُعد مقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CRDPSS) هو مقياس لتقييم شدة أعراض الذهان بشكل عام. ويتكون المقياس من ٨ عبارات بطريقة تصحيح ليكرت-خماسي. وتقيس العبارات أعراض الهلوس، والضلالات، والكلام غير المترابط، والعجز المعرفي، والأعراض السالبة، والسلوك الحركي غير الطبيعي، والاكتئاب، والهوس. إذ يقوم الأخصائي النفسي القائم على رعاية ومتابعة المريض بتقييمه وفقاً لسلوكه في السبعة أيام الأخيرة قبل التطبيق، وذلك من خلال ملاحظته ثم يقوم باختيار من مدرج خماسي وفقاً لشدة أعراض المريض، حيث تتراوح الشدة بين "لا تظهر عليه أعراض" وحتى "تظهر عليه الأعراض بشدة" وتكون الدرجة على كل عبارة بين صفر و٤، وتتراوح الدرجة الكلية على المقياس بين صفر و٣٢ درجة (American Psychiatric Association, 2015).

الترجمة والتكيف الثقافي للمقياس

لإجراء التكيف الثقافي للمقياس، فقد اعتمد الباحث القواعد الإرشادية لجويلمن (Guillemin's, 1993)، حيث قام الباحث بعمل ما يلي: أولاً، ترجمة المقياس إلى اللغة العربية: عن طريق اثنين من المترجمين كانا علي علم بالغرض من الدراسة لإجراء الترجمة. حيث قام المترجمان بإجراء الترجمة كل منها على حدة بحيث يكون أحدهما منفصلاً عن الآخر. وقد نتج عن ذلك إصداران مختلفان من المقياس باللغة العربية، يعكس كل منهما الأسلوب الخاص بالترجمة لكل مترجم. ثانياً، مرحلة الترجمة للغة الأصلية

أعراض الفصام. يتكون المقياس من ٣٠ عبارة. ويصحح المقياس بطريقة ليكرت-السباعي لكل عبارة، حيث تتراوح الدرجة على كل عبارة بين ١ و٧، وبذلك تكون أقل درجة على المقياس = ٣٠ وأعلى درجة = ٢١٠ درجة. العبارات السبعة الأولى تُستخدم لتقييم الأعراض الموجبة للفصام، والسبع عبارات التي تليها تقيس الأعراض السالبة للفصام. باقي عبارات المقياس تُستخدم لتقييم المرض النفسي العام. يكون التصحيح من خلال أخصائي نفسي مدرب على استخدامه، نظراً لأن المقياس يقوم على طريقة الملاحظة وتقدير الأخصائي للأعراض التي تظهر على المريض (Kay, Fiszbein, & Opler, 1987).

ثانياً: المقياس الطبي النفسي المختصر

مقياس الطب النفسي المختصر (BPRS) هو مقياس لتقييم شدة أعراض الفصام. ويتكون المقياس من ١٦ عبارة بطريقة تصحيح ليكرت-السباعي. والهدف الأساسي من المقياس هو تقييم شدة الفصام بشكل سريع وبكفاءة عالية، وذلك لمتابعة التحسن الناتج عن علاج مرضى الفصام. ويتم التطبيق بشكل فردي، ويعتمد المقياس على أسلوب الملاحظة، ويكون التقييم على كل عبارة من صفر إلى ٧ حسب شدة العرض، ثم تجمع الدرجة الكلية الخام للمقياس (Overall & Gorham, 1962).

ثالثاً: مقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان

على المريض في الواقع. وتمت كل إجراءات التقييم من خلال مقابلة الفردية، واستغرقت المقابلة لكل مريض ما بين ٣٠ إلى ٤٥ دقيقة. في حين تم اشتقاق عينة العاديين باستخدام مقابلة مبنية على معايير الدليل التشخيصي والإحصائي الخامس لطيف الفصام والاضطرابات الذهانية الأخرى، وذلك للتأكد من عدم وجود أي من الاضطرابات الذهانية لدى مجموعة العاديين.

نتائج الدراسة ومناقشتها

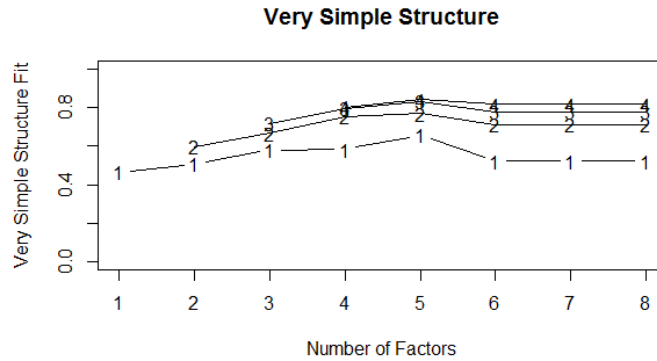
نتائج الفرض الأول ومناقشته: "تتكون البنية العاملية لمقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان من ثلاثة عوامل دالة إحصائيًا تعكس البنية المنطقية لاضطراب الفصام"

وللتحقق من صحة الفرض، قام الباحث باستخدام الصدق البنائي للتحقق من البناء العاملي للمقياس عن طريق استخدام التحليل العاملي لتحديد عدد العوامل الكامنة التي يجب استخراجها من الـ (٨) عبارات للمقياس. وكان المعيار الأساسي هو مدى إمكانية تفسيرها بالإضافة إلى اختبار البنية البسيطة Very Simple Structure (VSS) (شكل ١) وذلك باستخدام لغة البرمجة (R) الحزمة الإحصائية (Psych) (Revelle, 2017) (جدول ١).

للمقياس: حيث قام الباحث باختيار مترجمين آخرين مختلفين عن المترجمين في المرحلة الأولى، ولم تكن لديها دراية بغرض الدراسة أو الهدف من ترجمة المقياسين للغة الإنجليزية. وقد كانت نتيجة هذه المرحلة إصدارين مختلفين للمقياس باللغة الإنجليزية، تعكس كل نسخة طريقة وأسلوب خاص بكل مترجم. ثالثاً، النسخة النهائية للمقياس: للحصول على النسخة النهائية للمقياس باللغة العربية، قام الباحث بفحص الإصدارات الأربعة للمقياس، من حيث المعني والمصطلحات، للوصول إلي النسخة النهائية. نتج عن هذه الإجراءات السابقة النسخة النهائية لمقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CRDPSS) باللغة العربية.

الإجراءات الميدانية للدراسة

تم اختيار ٨٠ مريضاً فصامياً من أصل ١١٣ مريضاً، وذلك وفقاً لمعايير التضمين والاستبعاد المذكورة سلفاً. وتم تقييم مرضى الفصام باستخدام مقياس الأعراض الموجبة والسالبة للفصام (PANSS)، ومقياس الطب النفسي المختصر (BPRS)، ومقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CRDPSS). وقد قام بالمقابلات اثنان من الأخصائيين النفسيين، حيث تم تدريبهم على استخدام المقاييس سائلة الذكر، واستغرقت مدة التدريب ثلاث جلسات، بواقع جلسة تدريبية لكل مقياس، بالإضافة لجلسة ختامية للتأكد من الفهم الكامل لربط عبارات المقياس بالأعراض التي تظهر



شكل ١. تحديد العوامل الممكن استخراجها بشكل دالٍ من البيانات الحالية للدراسة.

جدول ١. كود البرمجة للغة R لحساب عدد العوامل المستخرجة والنتائج.

```
> library(psych)
> library(readxl)
> ex <- read_excel
> view(ex)
> vss(ex)
Very Simple Structure
Call: vss(x = ex)
VSS complexity 1 achieves a maximum of 0.66 with 5 factors
VSS complexity 2 achieves a maximum of 0.77 with 5 factors

The velicer MAP achieves a minimum of NA with 1 factors
BIC achieves a minimum of NA with 1 factors
Sample size adjusted BIC achieves a minimum of NA with 3 factors
```

Statistics by number of factors													
	vss1	vss2	map	dof	chisq	prob	sqresid	fit	RMSEA	BIC	SABIC	complex	eChisq
1	0.46	0.00	0.043	20	3.3e+01	0.03	5.8	0.46	0.091	-54	8.92	1.0	4.9e+01
2	0.51	0.60	0.064	13	1.9e+01	0.14	4.4	0.60	0.072	-38	2.56	1.3	2.4e+01
3	0.58	0.67	0.097	7	6.2e+00	0.52	3.1	0.72	0.000	-25	-2.44	1.4	5.3e+00*
4	0.58	0.75	0.160	2	1.7e+00	0.42	2.2	0.80	0.000	-7	-0.72	1.6	1.1e+00
5	0.66	0.77	0.266	-2	4.7e-02	NA	1.7	0.84	NA	NA	NA	1.3	3.3e-02
6	0.52	0.71	0.490	-5	3.9e-12	NA	1.8	0.83	NA	NA	NA	1.8	2.1e-12
7	0.52	0.71	1.000	-7	3.8e-13	NA	1.8	0.84	NA	NA	NA	1.8	2.4e-13
8	0.52	0.71	NA	-8	5.0e-13	NA	1.8	0.84	NA	NA	NA	1.8	2.4e-13
	SRMR	ecRMS	eBIC										
1	1.0e-01	0.124	-38.3										
2	7.4e-02	0.108	-32.5										
3	3.4e-02	0.069	-25.4										
4	1.6e-02	0.058	-7.7										
5	2.7e-03	NA	NA										
6	2.2e-08	NA	NA										
7	7.3e-09	NA	NA										
8	7.3e-09	NA	NA										

* النتائج المهمة.

الأعراض السالبة	٠,٦٩٠
تفكك حركي	٠,٥٥٦
الهوس	٠,٨٥١
الاكتئاب	٠,٥٨٩
الضلالات	٠,٨٧٨
الهلاوس	٠,٥٧١

كما أشارت أيضا دراسة (Berendsen *et al.* (2019) إلى وجود نفس عدد العوامل (ثلاثة عوامل) ولكن بتحميل مختلف نسبيا للعبارات على العوامل (جدول ٤). وتتفق هذه النتيجة مع نتائج الدراسة الحالية جزئياً مع وجود عامل مستقل بالأعراض الموجبة، وآخر مستقل بالأعراض الوجدانية؛ أما الاختلاف فكان وجود عامل يضم كل من أعراض التفكك والعجز المعرفي بالإضافة للأعراض السالبة.

جدول ٣. تحميل عبارات المقياس على العوامل المستخرجة بدراسة (Park *et al.* (2016).

العبارة	الأعراض الموجبة/ تفكك الكلام	الأعراض السالبة/العجز المعرفي
ضلالات	٠,٨٨	
هلاوس	٠,٨١	
كلام مفكك	٠,٧٦	
سلوك حركي غير طبيعي	٠,٦٩	
أعراض سالبة		٠,٨٢
عجز معرفي		٠,٧٧
اكتئاب		٠,٨٥
هوس		٠,٦٠

واتفقت النتائج السابقة على ثلاثة عوامل. بعد أن تم تحديد عدد العوامل التي يمكن استخراجها، تم استخدام التحليل العاملي الاستكشافي بدلاً من التحليل العاملي التوكيدي، نظراً لأنه حتى تاريخ كتابة البحث لم يتم تحديد بنية عاملية للمقياس تسمح للباحث الحالي بالتأكد منها. وقد أدى هذا إلى استخدام التحليل العاملي الاستكشافي مع تحديد ثلاثة عوامل للاستخلاص بطريقة من طرق التدوير المائل Oblique وهي (EQUMAX) ببرنامج (SPSS). ونتج عن كل ما سبق ثلاثة عوامل لمقياس الفصام، وهي: أعراض سالبة/تدهور معرفي، وأعراض وجدانية، وأعراض موجبة (جدول ٢).

تتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراسة (Park *et al.*, (2016) من حيث عدد العوامل، ولكن تختلف معها من حيث مكونات كل عامل (جدول ٣). حيث كان تحميل عبارات الكلام المفكك مع الأعراض الموجبة، وعبارات العجز المعرفي مع الأعراض السالبة، في حين كانت عبارات الاكتئاب والهوس محملة على عامل الأعراض الوجدانية، حيث كان مماثل لما هو عليه في الدراسة الحالية.

جدول ٢. تحميل عبارات المقياس على العوامل المستخرجة.

العبارة	الأعراض السالبة/التدهور المعرفي	الأعراض الوجدانية	الأعراض الموجبة
العجز المعرفي	٠,٨١٥		
كلام مفكك	٠,٧٦٦		

الأعراض الموجبة) أو في الحالة الخاملة (ظهور الأعراض السالبة). هذا، وتشير تلك النتائج إلى تحقق الفرض من حيث عدد العوامل، وأيضاً وجود بنية منطقية لتحميل عبارات المقياس على العوامل المستخرجة لتعكس اضطراب الفصام.

نتائج الفرض الثاني ومناقشته: "المقياس قادر بشكل دالٍ إحصائيًا على التمييز بين المرضى والعاديين"

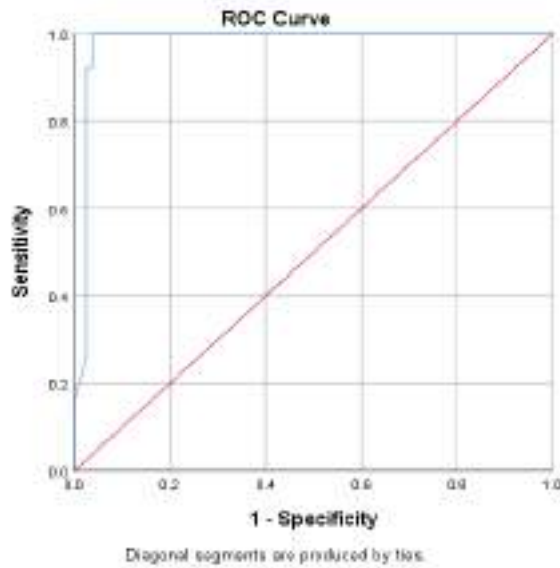
وللتحقق من صحة الفرض، فقد استخدم الباحث الصدق التمييزي أو ما يعرف بدقة التشخيص، حيث تم استخدام منحنى الحساسية والتحديد " receiver operating characteristic (ROC) curve" للتحقق من قدرة المقياس على التحديد الدقيق والتمييز بين مجموعة الفصام ومجموعة العاديين ($n = 160$ ؛ ٨٠ مريضاً فصامياً، و٨٠ فرداً من العاديين). وأظهرت النتائج أن المقياس يتميز بحساسية وتحديد مرتفعين، حيث كانت المنطقة تحت المنحنى = ٠,٩٨٠ (شكل ٢)، عند احتمالية $> 0,001$ ، بفترة ثقة ٩٥٪، وبنقطة فصل ≤ 11 (جدول ٥). وتشير النتائج السابقة إلى أن المقياس قادر بشكل دالٍ على التمييز بدقة بين مرضي الفصام، وبين العاديين.

جدول ٤. تحميل عبارات المقياس على العوامل المستخرجة بدراسة (Berendsen et al. 2019).

العبارة	الأعراض السالبة/ العجز المعرفي	الأعراض الموجبة	الأعراض الوجدانية
هلاوس		٠,٧٩	
ضلالات		٠,٦٨	
كلام مفكك	٠,٦٩		
سلوك حركي غير طبيعي	٠,٥٨		
أعراض سالبة	٠,٦٦		
عجز معرفي	٠,٧٨		
اكتئاب		٠,٤٠	
هوس		٠,٣٩	

ولكن اختلفت نتائج الدراسة الحالية مع دراسة (Ritsner et al. 2013)، حيث أظهرت النتائج عاملين فقط، هما عامل الذهانية (اشتمل على: الضلالات، وعدم التنظيم، والسلوك الحركي غير الطبيعي)، وعامل العجز (اشتمل على: العجز المعرفي، والأعراض السالبة، والاكتئاب).

ويمكن تفسير اختلاف تلك النتائج بسبب الاختلافات الثقافية، بالإضافة للتباين في حجم العينات، ومستوى تدريب القائمين على الملاحظة، بالإضافة أيضاً لطبيعة الاضطراب المتشعبة، والتي قد يصاحبها أعراض وجدانية أو تكون في الحالة النشطة (ظهور



شكل ٢. منحنى الحساسية والتحديد لمقياس شدة أعراض الزهان.

جدول ٥. نقاط الفصل على مقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الزهان.

التحديد-١	الحساسية	نقاط الفصل
٠,١٢٥	١,٠٠٠	٢,٣٠
٠,١١٣	١,٠٠٠	٢,٨٠
٠,٠١٢	١,٠٠٠	٣,٥٠
٠,٠٠٠	١,٠٠٠	١١
٠,٠٠٠	٠,٩٨٨	١٨
٠,٠٠٠	٠,٩٦٣	١٩
٠,٠٠٠	٠,٩٢٥	٢٠

ملحوظة: الصف المظلل هو نقطة الفصل، حيث أعلى نقطة في الحساسية والتحديد.

المقياس على التشخيص الدقيق، ولكن في تلك الدراسة كانت المساحة تحت المنحنى أقل مما هي عليه في الدراسة الحالية، بالرغم من كبر حجم العينة في تلك الدراسة (٣١٤ مريضاً). وتشير النتائج السابقة لتحقيق الفرض، حيث قدرة المقياس على

يتضح من الجدول (٥) السابق أن المقياس يحدد المرضى بداية من الدرجة الخام ١١ على المقياس الحالي، حيث وجود أعلى نقطة للحساسية والتحديد تكون عند هذه الدرجة. وتتسق نتيجة الدراسة الحالية مع دراسة Ritsner et al. (2013)، حيث قدرة

وجد اتفاق، حيث أظهرت نتائج تلك الدراسة وجود ارتباط طردي قوي بين مقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CRDPSS)، ومقياس الأعراض الموجبة والسالبة للفصام (PANSS) حيث $r = 0.90$ ، وعند مقارنة نتائج الدراسة الحالية بدراسة (Park et al. 2016) نجد أن نتائج معامل الارتباط في تلك الدراسة كانت أقل مما هي عليه في الدراسة الحالية حيث كان معامل الارتباط بين مقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CRDPSS)، ومقياس الطب النفسي المختصر (BPRS) ارتباط طردي متوسط حيث $r = 0.62$. أما في دراسة (Berendsen et al. 2019) فقد أظهرت نتائجها اتساقاً مع نتائج الدراسة الحالية حيث وجود ارتباط طردي قوي بين مقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CRDPSS)، ومقياس الأعراض الموجبة والسالبة للفصام (PANSS)، حيث $r = 0.78$. وتشير النتائج إلى تحقق الفرض الحالي، إذ كان المقياس الحالي يقيس نفس المتغير (الفصام) التي تقيسه نفس مقاييس الفصام الأكثر تداولاً وشهرة بين الباحثين في المجال.

نتائج الفرض الرابع ومناقشته: "المقياس ثابت بشكل دالٍ إحصائياً بين المحكمين"

ثبات بين الملاحظين

وللتحقق من صحة الفرض الحالي، تم حساب ثبات الملاحظين باستخدام اثنين من الإحصائيين. حيث تمت إعادة تطبيق الاختبار مرة أخرى على بعض

التمييز الدقيق بين المرضى والعاديين بشكل دالٍ إحصائياً.

نتائج الفرض الثالث ومناقشته: "يقيم المقياس الحالي نفس البنية التي تقيّمها مقاييس الفصام الأخرى بشكل دالٍ إحصائياً"

للتحقق من صحة الفرض، قام الباحث بتقييم الصدق التقاربي لمقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CRDPSS)، إذ تم حساب معامل الارتباط بين مقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CRDPSS)، وكلاً من مقياس الأعراض الموجبة والسالبة للفصام (PANSS)، ومقياس الطب النفسي المختصر (BPRS). أظهرت النتائج ارتباطاً طردياً قوياً بين مقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CRDPSS)، ومقياس الأعراض الموجبة والسالبة للفصام (PANSS)، حيث $r = 0.992$ ، عند احتمالية $= 0.01$ ، أيضاً كان معامل الارتباط بين مقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CRDPSS)، ومقياس الطب النفسي المختصر (BPRS) ارتباط طردي قوي، حيث $r = 0.988$ ، عند احتمالية $= 0.01$. وتشير تلك النتيجة إلى أن المقياس الحالي يتسم بالصدق التقاربي، حيث الارتباط الإحصائي القوي بين المقياس الحالي ومقاييس آخرين يقيمان نفس المكون (الفصام). وتؤكد النتيجة على الصدق الإحصائي للمقياس في البيئة السعودية. عند مقارنة نتيجة الدراسة الحالية بدراسة (Ritsner et al. 2013)

نتائج الفرض الخامس ومناقشته: "المقياس
ثابت بشكل دالٍ إحصائياً من حيث الاتساق
الداخلي للمقياس"

وللتحقق من صحة الفرض الحالي، تم استخدام كل من معامل ألفا، وارتباط العبارات بالدرجة الكلية، وارتباط العبارات بعضها ببعض. وأشار معامل ألفا كرونباخ إلى وجود اتساق مرتفع فيما بين عبارات المقياس، وذلك للدرجة الكلية على المقياس، حيث ألفا = ٠,٩٧٩. وتشير النتيجة الحالية إلى وجود اتساق داخلي مرتفع للمقياس، بالرغم من قلة عدد العبارات (٨ عبارات)، والتي من المفترض أن تؤدي إلى انخفاض درجة ألفا، حيث إن درجة ألفا تتأثر بعدد عبارات المقياس (Tavakol & Dennick, 2011). علاوة على ما سبق، أظهرت النتائج أن متوسط معامل الارتباط بين العبارات بعضها البعض كان ٠,٨٥٣، وتراوح بين ٠,٧١٢ و ٠,٩٦٧ (جدول ٦).

تشير النتيجة السابقة إلى أن عبارات المقياس تتجانس في قياسها لنفس المكون. أيضاً، كان المتوسط الإحصائي لارتباط العبارة بالدرجة الكلية = ٠,٩٠٠، ويتراوح بين ٠,٦٢٩ و ٠,٩٤٩. مما سبق، يمكن القول أن المقياس يتسم بثبات مرتفع على العينة السعودية من مرضي الفصام. واتسقت نتائج الدراسة الحالية من حيث الاتساق الداخلي لعبارات المقياس مع الدراسات السابقة، حيث أظهرت نتائجها أيضاً اتساق داخلي متوسط، وكانت معاملات ألفا في تلك الدراسات أقل مما هي عليه في الدراسة

المرضى من العينة الأساسية في مدة لم تتجاوز الثلاثة أيام، للتأكد من عدم حدوث تغير في شدة الأعراض (ن = ٣٠ مريضاً فصامياً) باستخدام مقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان (CRDPSS). وأظهرت النتائج أن المقياس ثابت مع اختلاف الملاحظين (كابا-كوهين = ٠,٩٨٠، عند احتمالية > ٠,٠٠١). وتشير تلك النتيجة إلى أن المقياس ثابت مع اختلاف الملاحظين. وتشير هذه النتيجة إلى سهولة فهم عبارات المقياس ووصفها للأعراض المرضية بشكل واضح لا يختلف عليه اثنين من الملاحظين المدربين، وهو ما يجعل نتائج المقياس ثابتة مع اختلاف من يقوم بالملاحظة. في الدراسة الحالية أشارت النتائج إلى وجود قدرة مرتفعة للمقياس على التمييز بين المرضى والأسوياء عما أظهرته نتائج دراسة (Ritsner et al. 2013)، حيث كانت درجة معامل كابا-كوهين = ٠,٧٥٠ وهي أقل مما عليه في الدراسة الحالية. وفي دراسة (Berendsen, et al. 2019) كانت درجة معامل كابا-كوهين = ٠,٥٩٠، حيث قدرة المقياس على التشخيص تقترب من المتوسط. ويمكن إرجاع اختلاف تلك النتائج لسبب وجود عينات من المرضى غير الذهانيين في تلك الدراسات التي قد أثرت سلباً على قدرة المقياس على التشخيص الدقيق. تشير النتائج الحالية لتحقيق الفرض من حيث ثبات المقياس، بالرغم من اختلاف من استخدمه من الأخصائيين.

تحقق الفرض الحالي، حيث تتسق عبارات المقياس فيما بينها لقياس متغير الفصام.

الحالية، حيث تراوحت بين ٠,٦٧ و ٠,٧٣ (Berendsen, et al., 2019; Park et al., 2016; Ritsner et al., 2013). وتشير النتائج السابقة إلى

جدول ٦. مصفوفة الاتساق الداخلي للمقياس.

العبارات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨
١	١							
٢	٠,٩٦	١						
٣	٠,٨٨	٠,٨٨	١					
٤	٠,٩٤	٠,٩٣	٠,٨٩	١				
٥	٠,٩٣	٠,٩٥	٠,٨٨	٠,٩١	١			
٦	٠,٨٦	٠,٨٥	٠,٨٩	٠,٨٩	٠,٨٦	١		
٧	٠,٨٨	٠,٨٩	٠,٨٢	٠,٨٥	٠,٨٧	٠,٧٩	١	
٨	٠,٧٥	٠,٧٤	٠,٧١	٠,٧٥	٠,٧٥	٠,٧١	٠,٧٤	١

مناقشة عامة

حيث تحديد وجود الاضطراب من عدمه إلى التشخيص البُعدي، وذلك لتحديد شدة الاضطراب أيضًا. والسبب الثالث لاختيار المقياس لاختباره سيكومتريا هو ندرة الدراسات التي أجريت عليه، حيث وجد الباحث ثلاث دراسات فقط منشورة دوليًا عن هذا المقياس، بالإضافة أيضًا لوجود اختلاف نسبي في نتائج هذه الدراسات.

أظهرت نتائج الدراسة الحالية بالاتفاق مع الدراسات السابقة أن المقياس يقيم ثلاثة أبعاد لاضطراب الفصام، ولكن مع اختلاف طفيف من حيث تحميل العبارات على العوامل. ومن أهم النتائج في الدراسة الحالية هي قدرة المقياس التشخيصية، والتي وصلت

هدفت الدراسة الحالية إلى توفير مقياس مختصر لتقييم شدة أعراض الفصام يتميز بسرعة التطبيق، بالإضافة لكونه يتمتع بصدق وثبات، وذلك لاستخدامه في البيئة السعودية. تم اختيار مقياس التقييم الإكلينيكي لشدة أعراض الذهان لعدة أسباب، أولها أن المقياس مختصر وغير مرهق في تطبيقه، وخصوصا مع العينات الكبيرة، والأمر الثاني أنه مقياس حديث نسبياً، حيث صدر ضمن الدليل التشخيصي والإحصائي بإصداره الخامس في عام ٢٠١٣م ضمن مجموعة مقاييس مدمجة، كمحاولة من فرق العمل بالدليل للتحويل من التشخيص الفئوي،

التحليل العاملي التوكيدي بين الثقافات المختلفة، مع اختبار التماثل بين الذكور والإناث للتحقق ما إذا كان للنوع تأثير في تحميل هذه العوامل بهذا الشكل، أيضًا التحقق من التماثل العاملي بين الفئات العمرية المختلفة.

المراجع

American Psychiatric Association, First, M. B. & Ward, M. N. (2013). *Emerging Measures and Models*. In: *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders* (5th ed., pp. 742-744). Washington, DC: American Psychiatric Association.

American Psychiatric Association. (2015). *DSM-5* psychiatry.org. Retrieved from: <http://www.psychiatry.org/dsm5>.

Anderson, A., Wilcox, M., Savitz, A., Chung, H., Li, Q., Salvatore, G. & Bilder, R. M. (2015). Sparse factors for the positive and negative syndrome scale: Which symptoms and stage of illness? *Psychiatry Research*, **225**: 283–290. Retrieved from <http://dx.doi.org/10.1016/j.psychres.2014.12.025>.

Andreasen, N. C. (1984). *Scale for the Assessment of Negative Symptoms (SANS)* Iowa City, IA: Univ.

Andreasen, N. C. (1984). *Scale for the Assessment of Positive Symptoms (SAPS)*. Iowa City: University of Iowa.

Arbuckle, J. (2007). *Amos 16.0 User's Guide*. Chicago, IL: SPSS Inc.

Berendsen, S., van der Veen, N. M., van Tricht, M. J. & de Haan, L. (2019). *Psychometric properties of the DSM-5 Clinician-Rated Dimensions of Psychosis Symptom Severity*. *Schizophrenia Research*.

Biancosino, B., Picardi, A., Marmai, L., Biondi, M. & Grassi, L. (2010). Factor structure of the Brief Psychiatric Rating Scale in unipolar depression. *Journal of Affective Disorders*, **124**(3): 329-334. doi:10.1016/j.jad.2009.11.019

Blanchard, J. J. & Cohen, A. S. (2005). The Structure of Negative Symptoms Within Schizophrenia: Implications for Assessment. *Schizophrenia Bulletin*, **32**(2): 238-245. doi:10.1093/schbul/sbj013.

Burger, G. K., Yonker, R. D., Calsyn, R. J., Morse, G. A. & Klinkenberg, W. D. (2003). A confirmatory factor analysis of the Brief Psychiatric Rating Scale in a homeless sample. *International Journal of Methods in Psychiatric Research*, **12**(4): 192-196. doi:10.1002/mpr.156.

لنسبة دقة = ٩٨٪. وهي أعلى من النسب التي ذكرت في الدراسات السابقة، ويمكن إرجاع هذا الأمر لعينة الدراسة الحالية، حيث الفروق الثقافية، والتي من الممكن أن تلعب دورًا في مثل هذه الاختلافات في النتائج. وأظهر المقياس ارتباطًا قويًا بمقاييس الفصام الأكثر شهرة وتداولًا بين العلماء، والتي لها تاريخ طويل من الاستخدام في البحوث الدولية، مما يؤكد على الصدق التقاربي للمقياس الحالي.

تعتبر مقاييس الملاحظة من المقاييس التي تحتاج خبرة وتدريب، وبالأخص عندما نكون بصدد تقييم اضطرابات عقلية جسيمة، مثل الفصام، لذا وجب التأكد من ثبات الملاحظين، حيث يمكن أن يختلف الملاحظون في فهمهم لعبارات المقياس أو تقييمهم للمرضى بناء على مقدار خبراتهم. وانطلاقًا من هذه الاعتبارات، فقد تمت الاستعانة بأخصائيين لديهم خبرات متقاربة، ثم تم تدريبهم على مقاييس الدراسة، وأشارت النتائج إلى ثبات المقياس بين الملاحظين. أما من حيث اتساق عبارات المقياس فيما بينها لقياس اضطراب الفصام، فقد أظهرت النتائج اتساقًا مرتفعًا، مما يؤكد على تناغم عبارات المقياس مع بعضها في قياس المتغير الحالي.

ولكن لازال هناك بعضًا من التضارب في النتائج، وخصوصًا في تحميل العبارات على العوامل، لذا توصى الدراسة الحالية بعمل دراسة عبر ثقافية على عينات مختلفة للتحقق من التماثل العاملي من خلال

- Kay, S. R., Fiszbein, A. & Opler, L. A.** (1987). The positive and negative syndrome scale (PANSS) for schizophrenia. *Schizophrenia Bulletin*, **13**(2): 261-276.
- Kelley, M. E., White, L., Compton, M. T. & Harvey, P. D.** (2013). Subscale structure for the Positive and Negative Syndrome Scale (PANSS): A proposed solution focused on clinical validity. *Psychiatry Research*, **205**: 137-142. doi:10.1016/j.psychres.2012.08.019.
- Khan, A., Lindenmayer, J. P., Opler, M., Kelley, M. E., White, L., Compton, M. & Harvey, P. D.** (2014). The evolution of illness phases in schizophrenia: A non-parametric item response analysis of the Positive and Negative Syndrome Scale. *Schizophrenia Research: Cognition*. Retrieved from <http://dx.doi.org/10.1016/j.scog.2014.01.002>.
- Khan, A., Lindenmayer, J., Opler, M., Yavorsky, C., Rothman, B. & Lucic, L.** (2013). A new integrated negative symptom structure of the Positive and negative syndrome scale (PANSS) in schizophrenia using item response analysis. *Schizophrenia Research*, **150**: 185-a96. Retrieved from <http://dx.doi.org/10.1016/j.schres.2013.07.007>.
- Lachar, D., Randle, S. L., Harper, R. A., Scott-Gurnell, K. C., Lewis, K. R., Santos, C. W., ... Morgan, S. T.** (2001). The Brief Psychiatric Rating Scale for Children (BPRS-C): Validity and Reliability of an Anchored Version. *Journal of the American Academy of Child and Adolescent Psychiatry*, **40**(3): 333-340. doi:10.1097/00004583-200103000-00013.
- Lançon, C., Reine, G., Llorca, P. M. & Auquier, P.** (1999). Validity and reliability of the French-language version of the Positive and Negative Syndrome Scale (PANSS). *Acta Psychiatrica Scandinavica*, **100**: 237-243. doi:10.1111/j.1600-0447.1999.tb10851.x.
- Langeveld, J., Andreassen, O. A., Auestad, B., Færden, A., Hauge, I. J., Joa, I. & Larsen, T. K.** (2013). Is there an optimal factor structure of the Positive and Negative Syndrome Scale in patients with first-episode psychosis? *Scandinavian Journal of Psychology*, **54**: 160-165. doi:10.1111/sjop.12017.
- Levine, S. Z. & Leucht, S.** (2013). Psychometric analysis in support of shortening the Scale for the Assessment of Negative Symptoms. *European Neuropsychopharmacology*, **23**(9): 1051-1056. doi:10.1016/j.euroneuro.2012.11.008.
- Lindenmayer, J., Brown, E., Baker, R. W., Schuh, L. M., Shao, L., Tohen, M., ... Stauffer, V. L.** (2004). An excitement subscale of the Positive and Negative Syndrome Scale. *Schizophrenia Research*, **68**: 331- 337. doi:10.1016/S0920-9964(03)00087-2.
- Lindström, E. & Knorrning, L. V.** (1993). Principal component analysis of the Swedish version of the Positive and Negative Syndrome Scale for schizophrenia. *Nordic Journal of Psychiatry*, **47**: 257- 263. doi:10.3109/08039489309103335
- Byrne, B. M.** (2010). *Structural Equation Modeling with AMOS: Basic Concepts, Applications, and Programming* (2nd ed.). New York, NY: Routledge, Taylor & Francis Group.
- Crippa, J. A., Sanches, R. F., Hallak, J. E., Loureiro, S. R. & Zuardi, A. W.** (2001). A structured interview guide increases Brief Psychiatric Rating Scale reliability in raters with low clinical experience. *Acta Psychiatrica Scandinavica*, **103**: 465-470. doi:10.1034/j.1600-0447.2001.00185.x.
- Czobor, P., Bitter, I. & Volavka, J.** (1991). Relationship Between the Brief Psychiatric Rating Scale and the Scale for the Assessment of Negative Symptoms: A Study of Their Correlation and Redundancy. *Psychiatry Research*, **36**(2): 129-13.
- Dingemans, P. M.** (1990). The brief psychiatric rating scale (BPRS) and the nurses' observation scale for inpatient evaluation (NOSIE) in the evaluation of positive and negative symptoms. *Journal of Clinical Psychology*, **46**(2): 168-174.
- Faustman, W. O., Jr., J. A., Csernansky, J. G. & White, P. A.** (1989). Correlations between the MMPI and the brief psychiatric rating scale in schizophrenic and schizoaffective patients. *Psychiatry Research*, **28**: 135-143. doi:10.1016/0165-1781(89)90041-3.
- Fresán, A., Fuente-Sandoval, C. D., Loyzaga, C., García-Anaya, M., Meyenberg, N., Nicolini, H. & Apiquian, R.** (2005). A forced five-dimensional factor analysis and concurrent validity of the Positive and Negative Syndrome Scale in Mexican schizophrenic patients. *Schizophrenia Research*, **72**: 123-129. doi:10.1016/j.schres.2004.03.021.
- Guillemin, F., Bombardier, C. & Beaton, D.** (1993). Cross-cultural adaptation of health-related quality of life measures: Literature review and proposed guidelines. *Journal of Clinical Epidemiology*, **46**(12): 1417-1432. doi:10.1016/0895-4356(93)90142-n.
- Henderson, L., McIlhaney, K. & Wasser, T.** (2010). Measuring outcomes of multiple diagnosis groups in residential treatment using the brief psychiatric rating scale for children (BPRS-C). *Children and Youth Services Review*, **32**: 98-102. doi:10.1016/j.childyouth.2009.07.018.
- Ivanova, E., Reznik, A., Opler, M., Khan, A. & Gao, L.** (2014). EPA-0120-Validation and normalization of the russian version of the positive and negative syndrome scale (PANSS-RU) in schizophrenia: preliminary findings. *European Psychiatry*, **29**: 1.
- Jiang, J., Sim, K. & Lee, J.** (2013). Validated five-factor model of Positive and Negative Syndrome Scale for schizophrenia in Chinese population. *Schizophrenia Research*, **143**(1): 38-43. Retrieved from <http://dx.doi.org/10.1016/j.schres.2012.10.019>.

- Rothman, B., Khan, A., Opler, M. & Bhargava, L.** (2012). P-1301-Cross-cultural differences in the positive and negative syndrome scale (PANSS) among european and japanese raters. *European Psychiatry*, **27**: 1.
- Rzewuska, M.** (2002). Validity and reliability of the Polish version of the Positive and Negative Syndrome Scale (PANSS). *International Journal of Methods in Psychiatric Research*, **11**(1): 27-32. doi:10.1002/mpr.120.
- Savage, R. M., Jackson, W. T. & Sourathathone, C. M.** (2003). Brief Report: A Brief Neuropsychological Testing Battery for Evaluating Patients with Schizophrenia. *Community Mental Health Journal*, **39**(3): 253-262.
- Sawamura, J., Morishita, S. & Ishigooka, J.** (2010). Is there a linear relationship between the Brief Psychiatric Rating Scale and the Clinical Global Impression-Schizophrenia scale? A retrospective analysis. *BMC Psychiatry*, **10**(1): 105. doi:10.1186/1471-244X-10-105.
- Seno, H., Shibata, M., Fujimoto, A., Koga, K., Kanno, H. & Ishino, H.** (1998). Evaluation of mini mental state examination and brief psychiatric rating scale on aged schizophrenic patients. *Psychiatry and Clinical Neurosciences*, **52**(6): 567-570.
- Shafer, A. B.** (2013). Factor structure of the Brief Psychiatric Rating Scale for Children (BPRS-C) among hospital patients and community clients. *Personality and Individual Differences*, **55**(1): 41-46. doi:10.1016/j.paid.2013.01.024.
- Sperner-Unterweger, B.** (2005). Immunological aetiology of major psychiatric disorders. *Drugs*, **65**(11): 1493-1520. American Psychiatric Association, First, M. B., & Ward, M. N. (2013). Emerging Measures and Models. In Diagnostic and statistical manual of mental disorders (5th ed., pp. 742-744). Washington, DC: American Psychiatric Association.
- Stochl, J., Jones, P. B., Plaistow, J., Reininghaus, U., Priebe, S., Perez, J. & Croudace, T. J.** (2014). Multilevel ordinal factor analysis of the Positive and Negative Syndrome Scale (PANSS). *International Journal of Methods in Psychiatric Research*, **23**(1): 25-35. doi:10.1002/mpr.1429.
- Tavakol, M. & Dennick, R.** (2011). Making sense of Cronbach's alpha. *Int. J. Medical Education*, **2**: 53-55. doi:10.5116/ijme.4dfb.8dfd.
- Veague, H. B.** (2007). Schizophrenia. New York, NY: Chelsea House Publishers.
- Velligan, D., Prihoda, T., Dennehy, E., Biggs, M., Shores-Wilson, K., Crismon, M. L., ... Shon, S.** (2005). Brief Psychiatric Rating Scale Expanded Version: How do new items affect factor structure? *Psychiatry Research*, **135**: 217-228. doi:10.1016/j.psychres.2005.05.001.
- Ventura, J. & Marder, S.** (2012). Symptom rating scales in schizophrenia. In R. S. Keefe (Ed.), *Guide to*
- Lindström, E. & Lindström, L. H.** (1996). A subscale for negative symptoms from the Comprehensive Psychopathological Rating Scale (CPRS): a comparison with the Schedule for Assessment of Negative Symptoms (SANS). *Eur Arch Psychiatry Clin Neurosci*, **246**(4): 219-223. doi:10.1007/bf02188957.
- Lyne, J., Renwick, L., Grant, T., Kinsella, A., McCarthy, P., Malone, K., ... Clarke, M.** (2013). Scale for the Assessment of Negative Symptoms structure in first episode psychosis. *Psychiatry Research*, **210**(3): 1191-1197. doi:10.1016/j.psychres.2013.09.008.
- Macfadden, W., DeSouza, C., Crivera, C., Kozma, C. M., Dirani, R. D., Mao, L. & Rodriguez, S. C.** (2011). Assessment of effectiveness measures in patients with schizophrenia initiated on risperidone longacting therapy: the SOURCE study results. *BMC Psychiatry*, **11**(167): 1-12. doi:10.1186/1471-244X-11-167.
- McIlhaney, K. K., Henderson, L., Gunn, C. & Wasser, T. E.** (2008). Rating Scale-Children (BPRSC) as an Outcomes Measure in the Residential and Foster Care Setting. *Residential Treatment for Children & Youth*, **24**(3): 243-259. doi:10.1080/08865710802115684.
- Mogge, N. L., LePage, J. P., Del Ben, K. & Murphy, J.** (2002). The comparison of the Behavioral Observation System and the Brief Psychiatric Rating Scale—Expanded. *Journal of Clinical Psychology*, **58**(7): 847-852. Retrieved from 10.1002/jclp.2004.
- Montoya, A., Valladares, A., Lizán, L., San, L., Escobar, R. & Paz, S.** (2011). Validation of the Excited Component of the Positive and Negative Syndrome Scale (PANSS-EC) in a naturalistic sample of 278 patients with acute psychosis and agitation in a psychiatric emergency room. *Health and Quality of Life Outcomes*, **9**: 18. doi:10.1186/1477-7525-9-18.
- Morlan, K. K. & Tan, S.** (1998). Comparison of the brief psychiatric rating scale and the brief symptom inventory. *Journal of Clinical Psychology*, **54**(7): 885-894. doi:10.1002/(SICI)1097-4679(199811)54:73.0.CO;2-E.
- Overall, J. E. & Gorham, D. R.** (1962). The brief psychiatric rating scale. *Psychological Reports*, **10**(3): 799-812.
- Park, S. C., Lee, K. U. & Choi, J.** (2016). Factor Structure of the Clinician-Rated Dimensions of Psychosis Symptom Severity in Patients with Schizophrenia. *Psychiatry Investigation*, **13**(2): 253-254. https://doi.org/10.4306/pi.2016.13.2.253.
- Revelle, W.** (2017). *How To: Use the psych package for Factor Analysis and data reduction.*
- Ritsner, M. S., Mar, M., Arbitman, M. & Grinshpoon, A.** (2013). Symptom severity scale of the DSM5 for schizophrenia, and other psychotic disorders: diagnostic validity and clinical feasibility. *Psychiatry Research*, **208**(1): 1-8.

schizophrenia. *Cellular and Molecular Life Sciences CMLS*, **59**(2): 331-348. American Psychiatric Association. (2015). DSM-5 | psychiatry.org. Retrieved from <http://www.psychiatry.org/dsm5>.

Zanello, A., Berthoud, L., Ventura, J. & Merlo, M. C. (2013). The Brief Psychiatric Rating Scale (version 4.0) factorial structure and its sensitivity in the treatment of outpatients with unipolar depression. *Psychiatry Research*, **210**(2): 626-633. doi:10.1016/j.psychres.2013.07.001.

Assessment Scales in Schizophrenia (3rd ed., pp: 1-8). London: Springer Healthcare.

Voisey, J., Swagell, C. D., Hughes, I. P., Barnes, M., Burton, S. C., Daal, A. V., ... Young, R. M. (2010). A DRD2 polymorphism predicts PANSS score variability in schizophrenia patients treated with antipsychotics. *Psychiatry Research*, **177**: 367-368. doi:10.1016/j.psychres.2010.02.015.

Waterworth, D. M., Bassett, A. S. & Brzustowicz, L. M. (2002). Recent advances in the genetics of

Exploring the Factorial Structure of the Clinician-Rated Dimension of Psychosis Symptom Severity (CRDPSS-DSM-5) in Patients with Schizophrenia

Ibrahim A. Saadi

*Department of Psychology, College of Social Sciences,
University of Jeddah, Jeddah, Saudi Arabia*

Abstract. the present study aims to explore the factorial structure and the internal consistency of the Clinician-Rated Dimension of Psychosis Symptom Severity (CRDPSS) on a sample of Saudi schizophrenic patients. The sample consisted of 160 participants: 80 schizophrenic patients their ages ranged between 18 and 60 years old ($M= 33.82$ & $SD= 9.70$), and 80 participants as a matched group their ages ranged between 18 and 63 years old ($M= 33.94$ & $SD= 9.12$). The following measurements were utilized: 1- Positive and Negative Syndrome Rating Scale (PANSS), 2- Brief Psychiatric Rating Scale (BPRS), and 3- the CRDPSS. The results indicated that the CRDPSS comprised three factors (positive symptoms, negative/cognitive symptoms, and affective symptoms. Furthermore, the results revealed that the CRDPSS has significantly discriminate between disordered and normal participants. Moreover, the results showed that the convergent validity of the CRDPSS with PANSS and BPRS. Finally, the CRDPSS has showed significant high internal consistency.

Keyword: Schizophrenia, Psychometric Properties, Rating scale, DSM-5, Exploratory factor analysi

واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم بمدينة الرياض

د. إلهام إبراهيم فوزان الفوزان
باحث رئيسي مشرفة عموم بالمعهد الوطني
للتطوير المهني التعليمي

د. فاطمة عبدالعزيز التويجري
باحث مشارك أستاذ مشارك بقسم الإدارة والتخطيط التربوي،
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مستخلص. هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم بمدينة الرياض، والمعوقات التي تحد من تطبيقها، وتحديد الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين متوسط استجابات أفراد عينة الدراسة.

واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي المسحي في دراستها، وطبقت على جميع مديرات ومساعدات مكاتب التربية والتعليم للبنات بمدينة الرياض، وعينة عشوائية من رئيسات الوحدات و المشرفات التربويات، وقد بلغ عدد أفراد عينة الدراسة (٢٣٦) من المجتمع الأصلي.

واستخدمت الباحثة "الاستبانة" كأداة لجمع المعلومات، وأسفرت الدراسة عن النتائج التالية: أن واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مجالات (التخطيط، التنظيم، التوجيه، الرقابة) متحققة بدرجة متوسطة وبمتوسط حسابي (٢,٨٥)، والمعوقات التي تحد من إعادة هندسة العمليات الإدارية متحققة بدرجة عالية حيث بلغت (٣,٨١)، مع عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد عينة الدراسة في واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية والمعوقات التي تحد من تطبيقها تعود لاختلاف المؤهل العلمي، بينما توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد عينة الدراسة في واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية والمعوقات التي تحد من تطبيقها تعود لاختلاف الوظيفة وسنوات الخبرة.

الكلمات المفتاحية: العمليات الإدارية - إعادة هندسة العمليات الإدارية.

المقدمة

يمر عالمنا اليوم بالعديد من التغيرات والتطورات المتلاحقة في جميع المجالات على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، الأمر الذي يستوجب

حتمية التغيير والنظر إلى المستقبل في إطار التطور العالمي والاتجاهات المعاصرة؛ لذا تسعى المنظمات وخاصة التربوية لمواكبة هذه التغيرات وزيادة الفاعلية لتحسين العمل، وهذا ما أكدته خطة

الدور القيادي المنتظر في إدارة جودة التعليم والتعلم، حيث يستلزم الأمر إعادة النظر في مهام الإدارة، وفي البنية التنظيمية القائمة، ومجمل الممارسات الإشرافية المرتبطة باستخدام أساليب إعادة الهندسة الإدارية.

ويؤكد الغريب وحسين والمليجي (٢٠٠٥، ص ٤٠) على أن إعادة هندسة العمليات الإدارية أحد مداخل التطوير التي تركز على تطوير العمليات الإدارية التي تحول مدخلات النظام إلى مخرجات، وتشمل: التخطيط، والتنظيم، والتنسيق، والرقابة، وتقويم الأداء، والعمليات الاستراتيجية، والعمليات التنظيمية، والعمل الجماعي، والنظم والسياسات.

وتشير نادية حنون (٢٠١٠، ص ٤) إلى أن المنظمات التي طبقت إعادة هندسة العمليات الإدارية قامت بالتخلص من طرقها القديمة في معالجة الأمور، وبدأت بفكر ورؤى جديدة، وحققت نجاحات كثيرة، وتحسيناً للأداء في مؤسسات الأعمال والخدمات والتعليم.

كما أكدت دراسة سيفاج (Lawrie savage, 2010, p.33) على ضرورة إعادة هيكلة الإدارة مع تطبيق مفهوم الهندرة داخل إدارات الإشراف التربوي؛ لتحقيق الأهداف المنشودة، والتركيز على إعادة هندسة العمليات الإدارية؛ لتوفير الوقت والجهد والمال ودمج الوظائف المتشابهة في وحدة واحدة.

التممية التاسعة لوزارة التخطيط (١٤٣١:١٤٣٥ هـ، ص ١٢٣) في المملكة؛ والتي تدعو إلى: ضرورة اتخاذ السبل الكفيلة لزيادة الفاعلية التنظيمية، ورفع كفاءة أداء الأجهزة الحكومية والعاملين فيها، وتسهيل مسارات العمل ونظمه المتبعة وتحسينها؛ لتحسين نوعية الخدمات المقدمة".

وأكدت عليه أيضاً وزارة التربية والتعليم (١٤٢٩ هـ، ص ٥): من أن هذه التغيرات لا يمكن الاستجابة لها بأساليب تقليدية، وإنما ينبغي التعامل معها من خلال رؤى وأهداف واستراتيجيات مختلفة نوعاً وكماً، وأساليب تعتمد فكراً تربوياً مغايراً، ينظر إلى المستقبل بهدف متحرك، أساسه نظام تربوي قوي، مرن، متجدد، ومحوره العنصر البشري القادر على تحليل الحاضر والتفاعل الفوري مع المتغيرات.

ونظراً لأن الإشراف التربوي يعد أهم مدخلات النظام التعليمي وجهازه الإداري، حيث يؤثر ويتأثر بما يحدث داخل النظام التعليمي وخارجه، ويتعامل مع المحاور الرئيسية للعملية التعليمية، فإنه لا بد أن يكون لديه ديناميكية وفاعلية التغيير والتطوير المستمر، منسجماً مع الرؤية العامة للوزارة وأهدافها، ومتوائماً مع التوجهات الحديثة للتطوير التربوي.

وقد جاء ذلك متماشياً مع التعميم رقم (٢٤٧٥٣٤) وتاريخ ١٤٢٨/٦/٢٢ هـ بشأن مهام وهيكل الإدارة العامة للإشراف التربوي والذي يؤكد على: ضرورة تنظيم العمل في الإدارة العامة للإشراف التربوي وتطويره، وبلورة مفاهيمه بما يتناسب مع طبيعة

وكذلك دراسة (آل الحارث، ٢٠١١) والتي أكدت على ضرورة إعادة هيكلة العمليات الإدارية (التخطيط، والتنظيم) بإدارات الإشراف التربوي في ضوء مدخل إعادة الهندسة الإدارية وفق الأهداف الموضوعية والإمكانات المتاحة.

ومما لا شك فيه أن تطبيق مدخل إداري متطور كإعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم بما يتواءم مع التحديات الحديثة أصبح حاجة ملحة؛ للنهوض بالعملية التعليمية والدخول في مجتمع المعرفة.

وبحكم عمل الباحثة مشرفة تربوية فقد رأت ضرورة دراسة واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مجال (التخطيط، والتنظيم، والتوجيه، والرقابة) لمسايرة التحولات الكبيرة في المداخل الإدارية الحديثة؛ وتحقيق الجودة، والوصول إلى معدلات عالية في الأداء والإنتاج في مكاتب التربية والتعليم، وكذلك الكشف عن المعوقات التي تحد من تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية.

وعلى حد علم الباحثة فلم تتل إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم نصيبها من البحث الكافي وخاصة على المستوى المحلي، وفي ضوء ما سبق تتحدد مشكلة الدراسة الحالية في دراسة واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم.

لهذا تسعى هذه الدراسة للكشف عن الواقع الذي يعتبر هو أولى الخطوات في تحديد الإمكانيات والمعوقات لتطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم، وتحقيق الأهداف المنشودة بكفاءة.

مشكلة البحث:

تسعى وزارة التربية والتعليم لتطوير أجهزة التعليم بما فيها الإشراف التربوي؛ لتحقيق كفاءة النظام التعليمي وفق الأهداف والسياسات المرسومة له، حيث يقوم الإشراف التربوي بشكل خاص بدور مؤثر في حركة التطوير وتجويد العملية التعليمية من خلال المتابعة الميدانية للعملية التربوية وتقويمها تقويمًا شاملاً، وهذا ما أكدته وزارة التربية والتعليم (١٤٢٧، ص ٣٠): بأن للإشراف التربوي دورًا مهمًا للمساهمة في تحقيق جودة العمليات التربوية التعليمية وجودة منتجاتها وتعزيز ورعاية استمرارها.

إلا أن هناك مشكلات تتعلق بالعمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم، والتي تتحقق من خلال مجموعة وظائف تحتاج جميعها لإعادة الهندسة، وهذا ما توصلت إليه دراسة (القرني، ٢٠٠٩) والتي أثبتت أن واقع الأداء الإداري في إدارات الإشراف التربوي للبنات في المملكة في مجال (التخطيط، والقيادة، والاتصال) كان يمارس بدرجة متوسطة، في حين أن مجال (التنظيم، والتقويم) فكان يمارس بدرجة ضعيفة.

أسئلة الدراسة:

_ قد تسهم هذه الدراسة في الكشف عن مواطن القوة والضعف في العمليات الإدارية؛ لتساعد في إعادة تنظيمها.

_ تأمل الباحثة أن توفر نتائج هذه الدراسة بعض الأسس العلمية التي يمكن أن يستند إليها متخذ القرار الإداري في إدارة الإشراف التربوي؛ لإعادة التصميم الجذري للعمليات الإدارية.

المصطلحات:**العمليات الإدارية:**

يعرفها السلطان (١٩٤١هـ، ص٨٦) بأنها: "مجموعة متناغمة ومتناسقة من الأنشطة التي تم تصميمها معاً لتحويل مدخلات معينة إلى مخرجات محددة بهدف تحقيق رغبات المستفيدين، وإضافته نتائج إدارية مرغوبة".

وتقصد بها الباحثة في الدراسة الحالية بأنها وظائف إدارية محددة يؤدي تنفيذها إلى حُسن سير العمل بكفاءة بما يحقق الأهداف المرجوة، وتشمل: التخطيط، والتنظيم، والتوجيه، والرقابة؛ لإحداث تغييرات جذرية تطويرية جوهرية في مكاتب التربية والتعليم.

إعادة هندسة العمليات الإدارية:

يعرفها هامر وشامبي (١٩٩٥م، ص١٥) بأنها: "إعادة التفكير المبدئي والأساسي وإعادة تصميم العمليات الإدارية بصفة جذرية بهدف تحقيق تحسينات جوهرية فائقة - وليست هامشية تدريجية

١_ ما واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم بمدينة الرياض من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة؟

٢_ ما المعوقات التي تحد من إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم بمدينة الرياض من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة؟

٣_ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة تبعاً لمتغيرات (الوظيفة، المؤهل العلمي، عدد سنوات الخبرة) نحو واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم بمدينة الرياض؟ والمعوقات التي تواجهها؟

أهداف الدراسة:

١_ التعرف على واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم بمدينة الرياض من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة.

٢_ التعرف على المعوقات التي تحد من إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم بمدينة الرياض من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة.

أهمية الدراسة:

_ تستمد هذه الدراسة أهميتها من حاجة مكاتب التربية والتعليم لعمليات التطوير والتحسين المستمر في العمليات الإدارية لمواكبة التطورات الحديثة في الفكر الإداري.

كعنوان لكتابهما الشهير: (هندرة المنظمات)، ومنذ ذلك الحين أحدثت الهندرة ثورة حقيقية في عالم الإدارة الحديث، بما تحمله من أفكار غير تقليدية، ودعوة صريحة إلى إعادة النظر وبشكل جذري في كافة الأنشطة والإجراءات، ودعوة العاملين إلى الإبداع في أعمالهم.

وبالرغم من أن مفهوم إعادة هندسة العمليات الإدارية كمدخل إداري لم يظهر إلا حديثاً، حيث أكد سلطان (١٩٩٦م، ص ٦) بأن مفهوم هندسة التغيير ليس جديداً، ولكن الجديد هو وضع منهجية علمية لهندسة التغيير على التفكير غير التقليدي من خلال التطور الذي يعمل على كسر حواجز التفكير التقليدي الذي يؤدي إلى محدودية الأداء.

مفهوم إعادة هندسة العمليات الإدارية:

تختلف مفاهيم الهندرة اختلافاً جزئياً في صياغتها ولكنها تتفق إلى حد كبير في مضمونها، فيعرفها العجمي (٢٠٠٨م، ص ١٦) بأنها: "مدخل منطقي منظم لتحسين العمليات الإدارية بالمنظمة، بهدف تحقيق الاستفادة القصوى من الموارد المادية والبشرية المتاحة، وزيادة كفاءة وفعالية هذه العمليات".

أما بصنوي (٢٠١٢م، ص ٦٤) فيعرفها بأنها: "إعادة نظر أساسية وإعادة تصميم جذرية لنظم وأساليب العمل لتحقيق نتائج هائلة في مقاييس الأداء العصرية مثل التكلفة، والسرعة، والجودة ومستوى الخدمة".

- في معايير الأداء الحاسمة مثل: التكلفة والجودة والخدمة والسرعة".

وتعرفه الباحثة إجرائياً بأنه: مدخل إداري لإحداث تغيير مخطط ومدروس بشكل جذري، يعمل على إعادة تصميم العمليات الإدارية، والتي تشمل: التخطيط، والتنظيم، والتوجيه، والرقابة لتحقيق الكفاءة التربوية والإدارية لمكاتب التربية والتعليم، وبالتالي تحقيق الأهداف المنشودة.

مكاتب التربية والتعليم:

بناء على القرار الوزاري رقم ٨/٥/٢٤ وتاريخ ١٤٣٠/١/٣ هـ المتضمن تغيير مسمى مراكز الإشراف التربوي في قطاع تعليم البنات إلى مكاتب التربية والتعليم، فإن المراد بمكاتب التربية والتعليم هي: "وحدات إدارية تابعة لإدارة التعليم بالمنطقة، تقوم على تطوير الموقف التعليمي بالمدارس التابعة لها وتقييمها؛ لكي تسهل تحقيق أهدافها التربوية والتعليمية، وبرامجها وخططها الإدارية، والمالية، والخدمية على أفضل وجه" (وزارة التربية والتعليم، ١٤٣٠هـ).

الإطار النظري والدراسات السابقة:

المبحث الأول: إعادة هندسة العمليات الإدارية

(الهندرة):

أشار العتيبي والحمامي (٢٠٠٤، ص ٦) إلى أنه ظهر مفهوم إعادة الهندسة في بداية التسعينيات وبالتحديد في عام ١٩٩٢م، عندما أطلق الكاتبان الأمريكيان مايكل هامر وجيمس شامبي (الهندرة)

مبادئ إعادة هندسة العمليات الإدارية:

- أشار مرسى (٢٠٠٣م، ص٢٣) إلى أن إعادة هندسة العمليات الإدارية تتمثل في الآتي:
- التحديد الواضح لأهداف وإستراتيجيات المنظمة.
- إعادة التفكير في الوضع الحالي.
- التركيز على العمليات وليس الوظائف.
- توفير النظم، والسياسات، والهياكل وحشد البيانات والمعلومات والمبررات اللازمة؛ لاتخاذ القرارات السليمة.
- الاستخدام المناسب للأدوات الإدارية للتأكد من دقة المعلومات وما سيتم إنجازه.

خصائص إعادة هندسة العمليات الإدارية:

- أكد هامر وشامبي (١٩٩٥م، ص٣٣ - ٣٩)، وعقيلي (٢٠٠١، ص٩٥)، ورفاعي (٢٠٠٦م، ص١٢)، وحسين (٢٠٠٦م، ص٤٤٩) على أن إعادة هندسة العمليات الإدارية تتميز بعدة خصائص هي:
- دمج عدة وظائف في وظيفة واحدة وذلك في حالة الوظائف ذات الطبيعة الواحدة والمتقاربة.
- اشتراك الموظفين في اتخاذ القرارات.
- تنويع مواصفات كل عملية لكي تتناسب مع متطلبات المستفيدين.
- الجمع بين مميزات المركزية واللامركزية في عملياتها.

- خفض مستويات الرقابة والمراجعة، حيث إن إعادة هندسة العمليات الإدارية تتبع أساليب الرقابة الكلية فقط.
- تنفيذ العمل حسب نوع وطبيعة كل نشاط بدلاً من الأسلوب التقليدي وهو ترتيب الخطوات المتتالية للعمل.
- توفير المرونة الكافية في تنفيذ مراحل وخطوات العمليات.
- توسيع صلاحيات الموظف وكأنه مستقل في وظيفته، ومن ثم تحقيق إجراءات الرقابة والاتجاه نحو الرقابة الذاتية.
- إنجاز العمل في مكانه مما يؤدي إلى تحسين الأداء العام، وحصول الوحدات التنظيمية على احتياجاتها بسرعة أكبر وتكاليف أقل.
- كما أضاف السلطان (٢٠٠٩م، ص٤١ - ٤٢) الخصائص التالية:
- تختلف إعادة هندسة العمليات الإدارية اختلافاً أساسياً عن أساليب التطوير الإداري التقليدي مثل الإصلاح الإداري.
- تهتم بالنتائج وتركز على حاجة العميل الداخلي والخارجي.
- التركيز على الأنشطة ذات القيمة المضافة للعملية، وهي العمليات الهامة لرغبات واحتياجات العميل.
- الاعتماد بشكل رئيس على تقنية المعلومات كأساس لمشروع إعادة هندسة العمليات الإدارية.

العمليات الإدارية في المؤسسات التربوية:

إعادة هندسة العمليات الإدارية هي أداة لتطوير المؤسسات التربوية، حيث تُعنى بالعمليات الإدارية لا الإدارات نفسها، أي أنها تعمل على إحداث تغيير جذري في العمل الذي يؤديه العاملون في تلك المؤسسات، وهي عمليات متداخلة تتم من خلال وظائف يقوم بها المدير.

أولاً: التخطيط:

يعتبر التخطيط أولى وأهم الوظائف الرئيسة في العملية الإدارية، ونقطة البداية للعمل الإداري؛ لأنه يؤثر تأثيراً كبيراً في الوظائف الأخرى كالتنظيم والتوجيه والرقابة، وبالتالي في نجاح العملية الإدارية أو فشلها.

علاقة التخطيط بإعادة هندسة العمليات الإدارية:

يرى هلال (٢٠١٢م، ص ٤٢) أن المتغيرات فرضت إعادة النظر في أساليب التخطيط المتبعة، حيث إنه لا بد أن تكون هناك رؤية للمنظمة كوحدة متكاملة تشتمل على الرؤية والرسالة وصناعة الأهداف، ويرى حسين (٢٠٠٤، ص ١٢٤-١٢٥) أن إعادة هندسة العمليات الإدارية تقوم على تحديد العملية الإستراتيجية للمؤسسة التعليمية وتحسينها، ويتضح ترابط إعادة هندسة العمليات الإدارية بالتخطيط من خلال عدة أمور منها:

- الانسجام بين الخطط الفرعية التي تطرحها الهندسة الإدارية، بحيث تتربط بصورة متكاملة، وتحديد البدائل الممكنة أثناء التخطيط .

- مرونة التخطيط وواقعيته؛ أي اللامركزية في اتخاذ القرار.

- تحويل دور المدير من رئيس إلى قائد مشارك، وهذا يسمح بتضافر الجهود ومشاركة كافة الأطراف في عملية التخطيط.

- الأخذ بأنماط التفكير الابتكاري والمبادأة عند التخطيط، والابتعاد عن النمطية والتكرار.

ثانياً: التنظيم:

وهي الوظيفة الثانية في العملية الإدارية بعد وظيفة التخطيط، ومن خلاله يتم تحويل الخطط إلى أفعال، وبالتالي يعتبر التنظيم والتخطيط وجهان لعملة واحدة.

العلاقة بين التنظيم وإعادة هندسة العمليات الإدارية:

يرى حسين (٢٠٠٤م، ص ١٣٤-١٣٥) أن عملية إعادة الهندسة تعمل على تحقيق العمليات التنظيمية والتنظيم الإداري من خلال:

- تحديد المسؤوليات بصفة مستمرة حتى تلائم التغيرات الحادثة في نمط الأعمال المطلوبة.

- تفويض السلطة من الرئيس إلى المرؤوس حتى يستطيع أداء عمله المطلوب منه بكفاءة.

- تحديد العلاقات التنظيمية المطلوبة داخل فريق عمل إعادة هندسة العمليات الإدارية.

- تحديد نطاق الإشراف الذي يمد عملية إعادة هندسة المنظومة بالنظم والإجراءات والطرق والخطوات لأداء الأعمال والأنشطة.

رابعاً: الرقابة:

الرقابة هي الوظيفة الرابعة والأخيرة في العملية الإدارية ولا يكتمل أي عمل إداري دون رقابة. العلاقة بين الرقابة وإعادة هندسة العمليات الإدارية:

تتضح العلاقة كما أشار (حسين، ٢٠٠٧م، ص ٣٢) من خلال عدة أمور: إذ تعمل إعادة هندسة العمليات الإدارية على تحسين نظام الرقابة، من خلال توضيح الجوانب الموضوعية فيها، وجعل نظام الرقابة مرناً.

ويشير الصباب وآخرون (٢٠١٠م، ص ١٩٧) إلى أنه كلما كانت الرقابة ذاتية كلما أدى ذلك إلى تحقيق وفر في التكاليف، وكلما اعتبر العامل شريكاً في المحصلة النهائية للنتائج كلما أمكن تكليفه مع المجموعة التي يعمل معها لتحقيق النتائج المطلوبة دون مراقبة مباشرة.

المبحث الثاني: واقع الإشراف التربوي بالمملكة العربية السعودية

يعتبر الإشراف التربوي أهم مدخلات النظام التعليمي، يؤثر ويتأثر بما يحدث داخل هذا النظام وخارجه، ويسعى لتحقيق كفاءته وفاعليته وفق الأهداف والسياسات المرسومة له.

المنطلقات الرئيسية للإشراف التربوي:

أشارت وزارة التربية والتعليم (١٤٣٣هـ، ص ٣ - ٥) إلى المنطلقات الرئيسية وهي:

- إعادة بناء التفاعل داخل المنظومة.

- إعادة تشكيل الهيكل التنظيمي ليلائم التغيير في العمليات، وتوزيع الاختصاصات والأعمال على العاملين، بالإضافة إلى إعادة هيكلة الوظائف.

- توفير الثقافة التنظيمية المساندة لإعادة هندسة العمليات الإدارية.

ثالثاً: التوجيه:

يعد التوجيه أحد الأركان الأساسية للعملية الإدارية بعد وظيفتي التخطيط والتنظيم، ويتم من خلاله الإشراف على المرؤوسين وإرشادهم وترغيبهم في العمل، ثم قياس أدائهم بالوظائف التنفيذية.

العلاقة بين التوجيه وإعادة هندسة العمليات الإدارية:

تشير إيمان أبو غربية (٢٠١٠م، ص ٤٥) إلى أن التوجيه في ظل إعادة هندسة العمليات الإدارية يساعد العاملين على حل المشكلات وتذليل الصعوبات التي يواجهونها؛ لتحسين وتطوير أدائهم، واكتشاف قدراتهم وكفاءاتهم، ومعرفة نقاط الضعف لمعالجتها، ومواطن القوة لتعزيزها، ومن ثم تحقيق الأهداف المنشودة، ويكون ذلك من خلال التواصل الفعال، ويجب أن يتصف بالموضوعية والصدق والشمول والاستمرارية.

وأوضح اللوزي (٢٠١٠م، ص ٢٧٠) أنه عند تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية لابد أن يتم مكافأة العاملين مقابل أداء أعمالهم والارتقاء بها.

الدراسات السابقة:

الدراسات التي تناولت إعادة هندسة العمليات الإدارية في التعليم:

هدفت دراسة حنون (٢٠١٠) إلى التعرف على درجة استخدام أسلوب الهندسة الإدارية في ممارسة العمليات الإدارية في المدارس الحكومية في محافظات الضفة الغربية، من وجهة نظر المديرين والمديرات، وكان من أبرز النتائج: أن الدرجة الكلية لدرجة استخدام أسلوب الهندسة الإدارية في ممارسة العمليات الإدارية في المدارس الحكومية في محافظات الضفة الغربية، من وجهة نظر المديرين والمديرات، كانت مرتفعة جدًا.

كما هدفت دراسة لوري سفاج (Lawrie, 2010) إلى التعرف على خطوات إعادة هندسة جودة الإشراف، وقد توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج لعل من أهمها: تركيز إدارات الإشراف التربوي على إعادة هندسة العمليات الإدارية لتوفير الوقت والجهد والمال، ودمج الوظائف المتشابهة في وحدة واحدة.

أما دراسة آل حارث (٢٠١١) فهدفت إلى إعادة هيكلة العمليات الإدارية بإدارات الإشراف التربوي بمنطقة عسير التعليمية في ضوء مدخل إعادة هندسة عمليات التخطيط المستقبلي داخل هذه الإدارات، ودمج الأعمال وتوحيدها منعًا للتداخل بين الوظائف، وتوصلت إلى مجموعة نتائج منها أن واقع ممارسة مبادئ إعادة هندسة عملية التخطيط

- التطوير التربوي الحقيقي هو الذي يتجه للمدرسة مباشرة، باعتبارها وحدة التطوير والتحسين المستمر.

- التوطين للعمليات الإشرافية داخل المدرسة.

- النماذج الإشرافية المبنية على النظرية البنائية التي تعزز فرص النمو الذاتي والتشاركي في المسار المهني، وتمكين المعلمين.

- التوجه لمجتمعات وشبكات التعلم المهنية كأسلوب لتحويل المدرسة إلى منظمة تعلم مهني.

- التحول والتغيير في مهام الإشراف التربوي في الميدان بما يتطلب إعادة رسمها في إدارات الإشراف التربوي ومكاتب التربية والتعليم بما يعزز التوجه للمدرسة كوحدة تطوير.

دور الإشراف التربوي في تجويد التعليم:

يسعى الإشراف التربوي من خلال تبني فلسفة الجودة الشاملة إلى تسخير كافة المعلومات والإمكانات المادية والبشرية، وضمان مشاركة جميع الجهات والإدارات والقيادات التربوية؛ مشرفين تربويين، ومديري مدارس، ومعلمين في العمل كفريق واحد، وتوظيف مواهبهم، واستثمار قدراتهم الفكرية في مختلف مستويات التنظيم على نحو إبداعي؛ لضمان تحقيق التحسن المستمر، والعمل في اتجاه واحد وهو تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في النظام التربوي التعليمي، وتقويم مدى تحقيق الأهداف، ومراجعة العمليات والخطوات التنفيذية التي يتم توظيفها في الميدان (وزارة التربية والتعليم، ١٤٢٩هـ، ص ١١).

واللامركزية، كما أن الهيكل التنظيمي الحالي بحاجة إلى مزيد من المرونة.

أما دراسة **القرني (٢٠٠٩م)** فهدفت إلى التعرف على واقع الأداء الإداري في إدارات الإشراف التربوي للبنات في المملكة العربية السعودية في مجالات: (القيادة، التخطيط، التنظيم، العلاقات الإنسانية، التقويم، الاتصال، التنمية المهنية للمشرفات التربويات) من وجهة نظر أفراد الدراسة، وقد توصلت الدراسة للعديد من النتائج منها: يرى أفراد الدراسة وعينتها أن الأداء الإداري في مجالات (القيادة، التخطيط، الاتصال) يمارس بدرجة متوسطة وفي مجال (التنظيم) بدرجة قليلة.

أما دراسة **الزدجالي (٢٠١٠م)** فهدفت إلى التعرف على الأسس الفكرية لإدارة الجودة الشاملة في الفكر الإداري المعاصر في مجال الإشراف التربوي بسلطنة عمان، وتوصلت لمجموعة من النتائج منها: المركزية في اتخاذ القرارات، وكثرة الأعباء الإدارية، وأن أهداف الإشراف التربوي في مجال العمل الفرقي واتخاذ القرارات تحققت بدرجة متوسطة.

بينما هدفت دراسة **فرانيسيس.م. ديفي Francis. M.Duffy, 2010** إلى التعرف على ما يركز عليه الإشراف التربوي عند القيام بزيارات تفتيشية وخاصة عند رصد سلوكيات المعلم داخل الفصل، وذلك بالتحول من فحص سلوك المعلم إلى دراسة وتحسين ثلاثة مجموعات من المتغيرات التنظيمية الرئيسية، الإجراءات العملية، الهيكلية، والعلاقات

والتنظيم في إدارات الإشراف التربوي كانت بدرجة (ضعيفة)، ووجود معوقات ممارسة مبادئ إعادة هندسة عملية التخطيط والتنظيم بدرجة (عالية).

وهدف **دراسة الحربي (٢٠١٢)** إلى وضع تصور مقترح للعمليات الإدارية لقسم الإدارة المدرسية في إدارات التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية في ضوء منهج هندسة العمليات الإدارية، وكان من أهم نتائج الدراسة: أن واقع العمليات الإدارية القائمة لقسم الإدارة المدرسية في إدارات التربية والتعليم بحاجة إلى ضرورة إعادة هندسة وبدرجة كبيرة، كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في واقع العمليات الإدارية القائمة لقسم الإدارة المدرسية في إدارات التربية والتعليم تعزى لمتغير (المسمى الوظيفي، المؤهل العلمي).

الدراسات التي تناولت واقع الإشراف التربوي (مكاتب التربية والتعليم حالياً):

هدفت دراسة **العساف (٢٠٠٢م)** إلى تحليل الواقع التنظيمي للإشراف التربوي التابع لتعليم البنات بمدينة الرياض، مع تقديم تصور مقترح لإعادة الهيكلة التنظيمية للإشراف التربوي التابعة لتعليم البنات بمدينة الرياض، وقد أسفرت الدراسة عن عدد من النتائج من أهمها: أن الوضع التنظيمي للإشراف التربوي بحاجة إلى إعادة هيكلة، وإعادة الهيكلة تتحدد ب: تفعيل الصلاحيات المخولة للإشراف التربوي بحيث تصل حد صلاحيات اتخاذ القرار، واستمرار العمل بنظام الجمع بين المركزية

إدارات الإشراف التربوي، واختلفت عن دراسة (الحربي، ٢٠١٢م) التي اقتصت بدراسة واقع العمليات الإدارية لقسم الإدارة المدرسية في إدارات التربية والتعليم في ضوء إعادة الهندسة.

_ جاءت الدراسة الحالية لتكون عونًا بإذن الله على النهوض بمكاتب التعليم من خلال إعادة هندسة العمليات الإدارية والوقوف على المعوقات التي تحد من تطبيقها ومواكبة تحديات العصر.

_ تعد من أوائل الدراسات التي كشفت واقع تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم التسعة للبنات في مدينة الرياض.

منهج وأسلوب الدراسة: استخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي المسحي؛ لملاءمته لطبيعة الدراسة وغرضها.

مجتمع وعينة الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من العاملات في مكاتب التربية والتعليم والبالغ عددها (٩) مكاتب للبنات بمدينة الرياض، حيث شمل مجتمع الدراسة جميع أفراد الهيئة الإدارية من مديرات المكاتب والبالغ عددهن (٩)، ومن المساعدات والبالغ عددهن (٢١)، وعينة عشوائية من رئيسات الوحدات والبالغ عددهن (٥١) من المجتمع الأصلي (١٧١)، وعينة عشوائية من المشرفات التربويات والبالغ عددهن (١٥٥) من المجتمع الأصلي (٥١٨).

شملت هذه الدراسة جميع أفراد الهيئة الإدارية (مديرات ومساعدات) لقلّة عددهن وبلغ عددهن (٢٥)

البيئية، وتوصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج لعل منها: اعتماد الإشراف التربوي على إعادة هندسة العمليات الإدارية خاصة في مجال التحفيز للأفراد، إعادة هيكلة البنى الإدارية للإشراف التربوي وإداراته بما يواكب تبني مفهوم الهندرة أو إعادة هندسة العمليات الإدارية - مثل الاعتماد على التقنية، ومعرفة توصيف العمل، وتحسين مستويات الجودة، والتطوير التنظيمي، وجودة القيادة في الإدارات العليا.

يتبين من خلال استعراض الدراسات السابقة:

_ انفتحت الدراسة الحالية مع دراسة فرانسيس م. ديفي (Francis. M.Duffy, 2010)، ودراسة لوري سفاج (Lawrie. Savage, 2010)، ودراسة آل حارث (٢٠١١)، ودراسة الحربي (٢٠١٢م) في الهدف وهو التعرف على إعادة هندسة العمليات الإدارية في الإشراف التربوي.

_ انفتحت مع جميع الدراسات في استخدام الاستبانة كأداة.

_ اختلفت دراسة (الطنيجي، ٢٠٠٨م)، ودراسة (آل حارث، ٢٠١١م)، ودراسة (الحربي، ٢٠١٢م) عن الدراسة الحالية بتقديم أنموذج مقترح لإعادة هندسة العمليات الإدارية في المنظومة التعليمية سواء في التعليم العام أم العالي.

_ اختلفت الدراسة الحالية عن دراسة (آل حارث، ٢٠١١م) التي ركزت على كشف واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية لعمليتي التخطيط والتنظيم في

على (٣٧) عبارة، موزعة على أربع مجالات (التخطيط - التنظيم - التوجيه - الرقابة).

المحور الثاني: المعوقات التي تحد من إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم، ويحتوي هذا المحور على (١٧) عبارة، وهي العبارات من (٣٨) إلى (٥٤).

ولتسهيل تفسير النتائج استخدمت الباحثة الأسلوب التالي لتحديد مستوى الإجابة على بنود الأداة. حيث تم إعطاء وزن للبدائل:

(عالية جدًا=٥ ، عالية=٤ ، متوسطة=٣ ، منخفضة=٢ ، غير موافق=١)، ثم تصنيف تلك الإجابات إلى خمسة مستويات متساوية المدى من خلال المعادلة التالية: طول الفئة = (أكبر قيمة - أقل قيمة) ÷ عدد بدائل الأداة = (٥ - ١) ÷ ٥ = ٠,٨٠

صدق أدوات البحث:

جدول (١): معاملات ارتباط مجالات المحور الأول
واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية بالدرجة الكلية للمحور

معامل الارتباط	المجال
**٠,٩١٥١	هندسة العمليات الإدارية في مجال التخطيط
**٠,٩٥٢٣	هندسة العمليات الإدارية في مجال التنظيم
**٠,٨٣١٩	هندسة العمليات الإدارية في مجال التوجيه
**٠,٩٥٨٠	هندسة العمليات الإدارية في مجال الرقابة

** دالة عند مستوى ٠,٠١

من المجتمع الأصلي (٣٠) أي بنسبة (٨٣,٣ %)، وعينة عشوائية من رئيسات الوحدات وبلغ عددهن (٥١) من المجتمع الأصلي (١٧١) أي بنسبة (٣٠ %)، وعينة عشوائية من المشرفات التربويات وبلغ عددهن (١٥٥) من المجتمع الأصلي (٥١٨) أي بنسبة (٣٠ %).

وقد بلغ أفراد عينة الدراسة (٢٣٦) فردًا من المجتمع الأصلي (٧١٩)، أي ما يعادل (٣٢,٨ %)، وكان العائد من الاستبانات (٢٢١) استبانة.

أدوات البحث:

استخدمت الباحثة الاستبانة كأداة لجمع البيانات اللازمة للدراسة، وذلك لكون الاستبانة وسيلة فعالة في التعرف على الآراء عندما تتوفر معرفة دقيقة بالمطلوب، وبكيفية قياس المتغيرات المرغوب دراستها، وتحقيقًا لأهداف الدراسة قامت الباحثة بتصميم استبانة لدراسة واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم للبنات بمدينة الرياض من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة، والمعوقات التي تحد من تطبيقها، وقد اشتملت الاستبانة على جزئين أساسيين هما:

الجزء الأول: يتضمن بيانات أساسية خاصة بأفراد عينة الدراسة وهي (الوظيفة، المؤهل العلمي، عدد سنوات الخبرة في مكاتب التربية والتعليم).

الجزء الثاني: تناول محاور الدراسة وهما محوران: المحور الأول: واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم، ويحتوي هذا المحور

ثبات أدوات البحث:

جدول (٣): معاملات ثبات ألفا كرونباخ لمجالات ومحاوير الدراسة

مجال/المحور	عدد البنود	معامل ثبات ألفا كرونباخ
هندسة العمليات الإدارية في مجال التخطيط	١٠	٠,٩٤
هندسة العمليات الإدارية في مجال التنظيم	١٠	٠,٩٤
هندسة العمليات الإدارية في مجال التوجيه	٧	٠,٨٨
هندسة العمليات الإدارية في مجال الرقابة	١٠	٠,٩٦
المحور الأول: واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية	٣٧	٠,٩٨
المحور الثاني: المعوقات التي تحد من تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية	١٧	٠,٩٥

يتضح من جدول (٣) أن معامل الثبات لإعادة هندسة العمليات الإدارية في مجال التخطيط بلغ (٠,٩٤)، وبلغ معامل الثبات في مجال التنظيم (٠,٩٤)، وبلغ معامل الثبات في مجال التوجيه (٠,٨٨)، في حين بلغ معامل الثبات في مجال الرقابة (٠,٩٦)، وبلغ معامل الثبات في المحور الأول: واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية (٠,٩٨)، وأما المحور الثاني: المعوقات التي تحد من إعادة هندسة العمليات الإدارية فقد بلغ

يتضح من جدول (١) أن قيم معاملات الارتباط لكل مجال من مجالات المحور الأول والدرجة الكلية للمحور دالة إحصائياً عند مستوى الدالة (٠,٠١)، وهذا يؤكد أن جميع مجالات المحور الأول للدراسة تتمتع بدرجة صدق جيدة، يمكن التعويل عليها لقياس ما أعدت من أجله.

جدول(٢): معاملات ارتباط عبارات المحور الثاني المعوقات التي تحد من إعادة هندسة العمليات الإدارية بالدرجة الكلية للمحور

م	معامل الارتباط	م	معامل الارتباط	م	معامل الارتباط
٣٨	*٠,٤٥٦٣	٤٤	**٠,٨٠٢٥	٥٠	**٠,٨١٠٧
٣٩	**٠,٦٢٦٨	٤٥	**٠,٥٢٦٦	٥١	**٠,٦٩٧١
٤٠	**٠,٨١٠١	٤٦	**٠,٨٠٧١	٥٢	**٠,٨١٨١
٤١	**٠,٦٨٠٧	٤٧	**٠,٨١٨٤	٥٣	*٠,٤٣٥٦
٤٢	**٠,٨٣٤٤	٤٨	**٠,٨٦٨٨	٥٤	**٠,٥٧٧٤
٤٣	**٠,٧٠٢٩	٤٩	**٠,٨٤٤٥		

* دالة عند مستوى ٠,٠٥

** دالة عند مستوى ٠,٠١

يتضح من جدول (٢) أن قيم معاملات الارتباط الداخلية (الاتساق الداخلي) لكل عبارة من عبارات المحور الثاني والدرجة الكلية للمحور نفسه دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (٠,٠١) و (٠,٠٥)، وهذا يؤكد أن عبارات المحور الثاني تتمتع بدرجة صدق جيدة يمكن التعويل عليها لقياس ما أعدت من أجله.

* المتوسط من ٥ درجات

للإجابة على هذا السؤال تم استخدام التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري، وأظهرت النتائج بأن موافقة أفراد عينة الدراسة على إعادة هندسة العمليات الإدارية في مجال التوجيه كانت بدرجة متوسطة بمتوسط حسابي (٣) من أصل (٥)، وتعزو الباحثة ذلك إلى أنه قد يكون الاتصال ليس بالمستوى المطلوب لتطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية، أو بسبب عدم رفع الحالة المعنوية للمشرفات التربويات، أو قلة مساعدة المديرية للمشرفات في حل المشكلات، أو كثرة الأعمال الإشرافية لدى المشرفات التربويات، الأمر الذي لا يمكنهن من المبادرة في الأعمال الاختيارية، ثم تأتي موافقة أفراد عينة الدراسة على إعادة هندسة العمليات الإدارية في مجال التنظيم في المرتبة الثانية وبدرجة متوسطة بمتوسط حسابي (٢,٨٩)، وقد يكون ذلك لعدم وجود توصيف وظيفي بشكل دقيق يتواءم مع مستجدات الهيكل التنظيمي، أو لتطبيق المركزية، وقلة تفويض مديرات مكاتب التربية والتعليم جزء من صلاحياتهن للمشرفات التربويات، ثم تأتي موافقة أفراد عينة الدراسة على إعادة هندسة العمليات الإدارية في مجال الرقابة في المرتبة الثالثة بدرجة متوسطة بمتوسط حسابي (٢,٨٠)، وتعزو الباحثة ذلك إلى قلة دعم الرقابة الذاتية لدى المشرفات التربويات في المكاتب، أو إغفال التحفيز، أو عدم وجود الشفافية

(٩٥,٠)، ويتضح من ذلك أن معامل ثبات أداة الدراسة مرتفع ويمكن الاعتماد عليه.

أساليب المعالجة الإحصائية:

لتحليل بيانات الدراسة تم استخدام الأساليب الإحصائية التالية:

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية- معامل ارتباط بيرسون- معامل ألفا كرونباخ، تحليل التباين الأحادي اختبار (ف)، الانحراف المعياري، اختبار شيفيه.

نتائج البحث:

إجابة السؤال الأول /١ ما واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم بمدينة الرياض من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة؟

جدول (٤): المتوسطات الحسابية وترتيبها تنازلياً

لمجالات واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية

الترتيب	المتوسط* الحسابي	المجالات
ب		
٤	٢,٧٧	هندسة العمليات الإدارية في مجال التخطيط
٢	٢,٨٩	هندسة العمليات الإدارية في مجال التنظيم
١	٣,٠٠	هندسة العمليات الإدارية في مجال التوجيه
٣	٢,٨٠	هندسة العمليات الإدارية في مجال الرقابة
	٢,٨٥	الدرجة الكلية لواقع إعادة هندسة العمليات الإدارية

بينما تختلف هذه النتيجة مع نتيجة دراسة (حنون، ٢٠١٠م) والتي توصلت إلى أن درجة استخدام أسلوب الهندسة الإدارية في ممارسة العمليات الإدارية في المدارس الحكومية في محافظات الضفة الغربية من وجهة نظر المديرين والمديرات كانت مرتفعة جدًا في المجالات التالية (التخطيط، التنظيم، التوجيه، والرقابة).

وكذلك تختلف هذه النتيجة مع نتيجة دراسة (آل حارث، ٢٠١١م) والتي أكدت أن واقع ممارسة مبادئ إعادة هندسة عمليتي التخطيط والتنظيم في إدارات الإشراف التربوي كانت بدرجة ضعيفة.

وكذلك تختلف هذه النتيجة مع نتيجة دراسة (الحربي، ٢٠١٢م) والتي أكدت على أن واقع العمليات الإدارية القائمة لقسم الإدارة المدرسية في إدارات التربية والتعليم بالمملكة بحاجة إلى إعادة هندسة وبدرجة كبيرة حيث إن واقع تطبيق العمليات الإدارية كان منخفضًا.

إجابة السؤال الثاني ٢/ ما المعوقات التي تحد من إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم بمدينة الرياض من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة؟

يتبين من الجدول رقم (٥) أن المتوسط العام لدرجة الموافقة على عبارات المعوقات التي تحد من تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية متحققة بدرجة عالية، حيث بلغت (٣,٨١) من أصل (٥) درجات.

والوضوح في بعض الأساليب الرقابية، ثم تأتي موافقة أفراد عينة الدراسة على إعادة هندسة العمليات الإدارية في مجال التخطيط في المرتبة الرابعة بدرجة متوسطة وبمتوسط حسابي (٢,٧٧)، وتعزو الباحثة ذلك لعدم تحديد البدائل الممكنة أثناء التخطيط، أو لقلّة الوعي بأهميتها كرافدٍ للخطة الأساسية، أو قلّة تطبيق التخطيط التنبؤي، أو قد يكون التخطيط وفق رؤية قد تقادمت ولم تتواءم مع المداخل الإدارية الحديثة، وبالتالي فكانت الدرجة الكلية لواقع إعادة هندسة العمليات الإدارية متوسطة، وبمتوسط حسابي (٢,٨٥).

وبناءً على تلك النتائج تخلص الباحثة إلى أن مكاتب التربية والتعليم للبنات بمدينة الرياض حسب وجهات نظر أفراد عينة الدراسة يطبق إعادة هندسة العمليات الإدارية بدرجة (متوسطة)، وهي بهذه النتيجة تتفق مع نتيجة دراسة (بني عيسى، ٢٠٠٩م)؛ إذ أظهرت الدراسة أن درجة تطبيق عمداء كلية التربية لعملية الهندرة الإدارية من وجهة نظر رؤساء الأقسام فيما يتعلق بالمجالات (تخطيط، توجيه، تقييم) بدرجة متوسطة.

وتتفق هذه النتيجة كذلك مع نتيجة دراسة (الطراونة وآخرون، ٢٠١١م) والتي توصلت إلى أن درجة تطبيق بنود إعادة هندسة العمليات الإدارية لتطویر أداء العاملين في مديرية التربية والتعليم بعمّان بشكل عام كانت متوسطة.

ويتضح أن هناك تفاوتًا في درجة الموافقة، حيث تراوح متوسطات درجة الموافقة ما بين (٤,٢٢ - (٢,٩٨)، وكما يتضح من الجدول موافقة أفراد عينة الدراسة على جميع العبارات بدرجة عالية باستثناء ثلاث عبارات إحداها كانت بدرجة عالية جدًا وعبارتين كانتا بدرجة متوسطة.

جدول (٥): التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية وترتيبها تنازليًا لإجابات أفراد عينة الدراسة حول المعوقات التي تحد من إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم بمدينة الرياض

م	المعوق	درجة وجود المعوق					الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي
		عالية جدًا	عالية	متوسطة	منخفضة	غير موافق		
٤٦	ضعف الميزانيات المخصصة لإعادة هندسة العمليات الإدارية.	ت	٨٧	٩٩	٢٤	٥	٢	٤,٢٢
		%	٤٠,١	٤٥,٦	١١,١	٢,٣	٠,٩	
٤٤	ضعف نظام التشجيع والحوافز المقدمة للعاملات في مكاتب التربية والتعليم.	ت	١١١	٦١	٣٠	١٤	٣	٤,٢٠
		%	٥٠,٧	٢٧,٩	١٣,٧	٦,٤	١,٤	
٥٤	قصور نظم التدريب في إعادة هندسة العمليات الإدارية.	ت	٨٨	٨٦	٤٤	٣		٤,١٧
		%	٣٩,٨	٣٨,٩	١٩,٩	١,٤		
٣٩	القلق لدى العاملات في مكاتب التربية والتعليم بسبب غموض آلية تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية.	ت	٧٦	١٠٧	٣٣	٣	١	٤,١٥
		%	٣٤,٥	٤٨,٦	١٥,٠	١,٤	٠,٥	
٤١	إغفال تطبيق معايير الجودة الشاملة كمتطلب أساسي لتطبيق إعادة هندسة	ت	٩٧	٥٨	٥٣	٩	٤	٤,٠٦
		%	٤٣,٩	٢٦,٢	٢٤,٠	٤,١	١,٨	

الترتيب	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	درجة وجود المعوق					المعوق	م	
			غير موافق	منخفضة	متوسطة	عالية	عالية جدًا			
								العمليات الإدارية.		
٥	٠,٩٢	٤,٠٦	١	١١	٤٧	٧٥	٨٦	ت	ضعف الصلاحيات الممنوحة للعاملات في مكاتب التربية والتعليم لاتخاذ القرارات ذات العلاقة بعملهن.	٤٧
			٠,٥	٥,٠	٢١,٤	٣٤,١	٣٩,١	%		
٧	٠,٩٩	٤,٠٤	٢	١٢	٥٥	٥٩	٩٣	ت	تجاهل قيم واتجاهات الثقافة السائدة للعاملات في مكاتب التربية والتعليم عند التطبيق.	٤٣
			٠,٩	٥,٤	٢٤,٩	٢٦,٧	٤٢,١	%		
	٠,٨٦	٣,٨٢	٢	١١	٥٩	١٠١	٤٨	ت	ضعف الوعي بأهمية إعادة هندسة العمليات الإدارية من قبل العاملات في مكاتب التربية والتعليم.	٤٨
			٠,٩	٥,٠	٢٦,٧	٤٥,٧	٢١,٧	%		
٩	٠,٨٣	٣,٧٩		١٢	٦٩	٩٤	٤٦	ت	تعدد البرامج التطويرية المطبقة في الميدان التربوي يجعل إعادة هندسة العمليات الإدارية لا تحظى	٥١
				٥,٤	٣١,٢	٤٢,٥	٢٠,٨	%		

حسب وجهات نظر العاملات فيها - تواجه صعوبات ومعوقات في تطبيق إعادة هندسة

وبناء على تلك النتائج تخلص الباحثة إلى أن مكاتب التربية والتعليم للبنات بمدينة الرياض -

للإجابة عن هذا السؤال تم استخدام تحليل التباين الأحادي اختبار (ف) لفحص الدلالة الإحصائية للفروق التي ترجع إلى متغيرات (الوظيفة، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة)، كما تم استخدام اختبار(شيفيه) للكشف عن مصدر تلك الفروق.

أولاً: الفروق في واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم بمدينة الرياض: الفروق باختلاف الوظيفة:

- أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد عينة الدراسة حول واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم في المجالات: (التخطيط، التنظيم، التوجيه، الرقابة) والدرجة الكلية للواقع تعود لاختلاف نوع الوظيفة وهي كالتالي:

جدول (٦): اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق في استجابات أفراد عينة الدراسة حول

واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم باختلاف الوظيفة

التعليق	مستوى الدلالة	قيمة ف	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين	المجال
دالة عند مستوى ٠,٠١	٠,٠٠٠	٤١,٨٢	١٣,٥٤	٢	٢٧,٠٨	بين المجموعات	مجال التخطيط
			٠,٣٢	٢١٨	٧٠,٥٨	داخل المجموعات	
دالة عند مستوى ٠,٠١	٠,٠٠٠	٣٠,٣٢	١٢,٤٥	٢	٢٤,٩٠	بين المجموعات	مجال التنظيم
			٠,٤١	٢١٨	٨٩,٥٢	داخل المجموعات	
دالة عند مستوى ٠,٠١	٠,٠٠٠	٣٠,٠١	١٠,٣٩	٢	٢٠,٧٧	بين المجموعات	مجال التوجيه
			٠,٣٥	٢١٨	٧٥,٤٦	داخل المجموعات	
دالة عند مستوى ٠,٠٠٠	٠,٠٠٠	٣٦,٤٦	١٤,٧٤	٢	٢٩,٤٧	بين المجموعات	مجال الرقابة

العمليات الإدارية بدرجة عالية، وتتمثل في الصعوبات الإدارية، والصعوبات الفنية، والصعوبات الشخصية، والتي تؤثر بشكل مباشر على العمليات الداخلية لمكاتب التربية والتعليم، وبمعالجة تلك الصعوبات ستتمكن مكاتب التربية والتعليم للبنات.

من التحول للاهتمام بتطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية، حيث إنه لم يكن ترفاً فكرياً مجرداً، وإنما جاء ذلك التحول استجابة لعدة متطلبات ومؤثرات بيئية داخلية وخارجية.

السؤال الثالث: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة تبعاً لمتغيرات (الوظيفة، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة) نحو واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم بمدينة الرياض؟

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة	التعليق
	داخل المجموعات	٨٧,٧٢	٢١٧	٠,٤٠			٠,٠١
الدرجة الكلية للواقع	بين المجموعات	٢٥,٧٦	٢	١٢,٨٨	٤٢,٢٥	٠,٠٠٠	دالة عند مستوى ٠,٠١

الدراسة حول واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم في تلك المجالات، تعود لاختلاف الوظيفة، وكانت تلك الفروق لصالح عينة الهيئة الإدارية، وباستخدام اختبار شيفيه للكشف عن مصدر تلك الفروق (٧):

يتضح من الجدول رقم (٦) أن قيم (ف) دالة عند مستوى ٠,٠١ في المجالات: (التخطيط، التنظيم، التوجيه، الرقابة)، وفي الدرجة الكلية لواقع إعادة هندسة العمليات الإدارية، مما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد عينة

جدول (٧): اختبار شيفيه لتوضيح مصدر الفروق في استجابات أفراد عينة الدراسة حول

واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم باختلاف الوظيفة

المجال	العمل الحالي	المتوسط الحسابي	مديرة/مساعدة مكتب التربية والتعليم	رئيسة وحدة	مشرفة تربوية	الفرق لصالح
مجال التخطيط	مديرة/مساعدة مكتب التربية والتعليم	٣,٧٤		*	*	مديرة/مساعدة مكتب التربية والتعليم
	رئيسة وحدة	٢,٦٧				
	مشرفة تربوية	٢,٦٣				
مجال التنظيم	مديرة/مساعدة مكتب التربية والتعليم	٣,٨٢		*	*	مديرة/مساعدة مكتب التربية والتعليم
	رئيسة وحدة	٢,٨٦				
	مشرفة تربوية	٢,٧٥				
مجال التوجيه	مديرة/مساعدة مكتب التربية والتعليم	٣,٨٥		*	*	مديرة/مساعدة مكتب التربية والتعليم

المجال	العمل الحالي	المتوسط الحسابي	مديرة/مساعدة مكتب التربية والتعليم	رئيسة وحدة	مشرفة تربوية	الفرق لصالح
	والتعليم					
	رئيسة وحدة	٢,٩٧				
	مشرفة تربوية	٢,٨٦				
مجال الرقابة	مديرة/مساعدة مكتب التربية والتعليم	٣,٨٠	*	*	*	
	رئيسة وحدة	٢,٩٧				
	مشرفة تربوية	٢,٦٣				
الدرجة الكلية للواقع	مديرة/مساعدة مكتب التربية والتعليم	٣,٨٠	*	*	*	
	رئيسة وحدة	٢,٨١				
	مشرفة تربوية	٢,٧١				

* تعني وجود فروق دالة عند مستوى ٠,٠٥

وظيفة (المديرات والمساعدات)، وذلك لصالح أفراد عينة الدراسة في وظيفة (المديرات والمساعدات).
 ٣- توجد فروق دالة في مجال التوجيه بين أفراد عينة الدراسة في وظيفة (رئيسات الوحدات - المشرفات التربويات)، وبين أفراد عينة الدراسة في وظيفة (المديرات والمساعدات)، وذلك لصالح أفراد عينة الدراسة في وظيفة (المديرات والمساعدات).
 ٤- توجد فروق دالة في مجال الرقابة بين أفراد عينة الدراسة في وظيفة (رئيسات الوحدات - المشرفات التربويات)، وبين أفراد عينة الدراسة في

يتضح من الجدول (٧) وجود فروق دالة عند مستوى ٠,٠٥ على النحو التالي:
 ١- توجد فروق دالة في مجال التخطيط بين أفراد عينة الدراسة في وظيفة (رئيسات الوحدات - المشرفات التربويات)، وبين أفراد عينة الدراسة في وظيفة (المديرات والمساعدات)، وذلك لصالح أفراد عينة الدراسة في وظيفة (المديرات والمساعدات).
 ٢- توجد فروق دالة في مجال التنظيم بين أفراد عينة الدراسة في وظيفة (رئيسات الوحدات - المشرفات التربويات)، وبين أفراد عينة الدراسة في

وظيفة (المديرات والمساعدات)، وذلك لصالح أفراد عينة الدراسة في وظيفة (المديرات والمساعدات).
٥- توجد فروق دالة في الدرجة الكلية لواقع إعادة هندسة العمليات الإدارية بين أفراد عينة الدراسة في وظيفة (رئيسات الوحدات - المشرفات التربويات)، وبين أفراد عينة الدراسة في وظيفة (المديرات والمساعدات)، وذلك لصالح أفراد عينة الدراسة في وظيفة (المديرات والمساعدات).

ويلاحظ من هذه النتيجة أن لمتغير الوظيفة تأثيراً على استجابات أفراد عينة الدراسة، وتعزو الباحثة الموافقة العالية لدى الهيئة الإدارية (مديرات ومساعدات) لعدة أسباب منها: حجب الهيئة الإدارية للمعلومات عن الباحثات خوفاً من كشف سلبيات العمل الميداني، واعتقاد البعض منهن أن الكشف عن الواقع يسيء إلى مكانتهن الوظيفية، كما أنهن يحظين بدورات تدريبية في مجال إعادة هندسة العمليات الإدارية، الأمر الذي يجعله أكثر الفروق باختلاف المؤهل العلمي:

وضوحاً لهن، وأكثر ضبابية لرئيسات الوحدات والمشرفات التربويات إضافة إلى هرمية التنظيم الإداري الذي يجعل رئيسات الوحدات والمشرفات التربويات بمعزل عن مستجدات الإدارة، كما يمكن عزو انخفاضها لدى (رئيسات الوحدات، المشرفات التربويات) بسبب كثرة الأعباء الإشرافية والإدارية المطالبة فيها، وعدم مشاركة رئيسات الوحدات والمشرفات التربويات للهيئة الإدارية في التخطيط، إضافة إلى عدم تناسب الصلاحيات بقدر المسؤوليات التي تقوم بها رئيسات الوحدات والمشرفات التربويات، وكذلك قصور الثقافة التنظيمية المحفزة للأداء في مكاتب التربية والتعليم، وضعف التحفيز وإثارة الدافعية للعمل.

وتختلف هذه النتيجة مع نتيجة دراستي كلاً من (آل حارث، ٢٠١١م)، و(الحربي، ٢٠١٢م) اللتين أكدتا على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الوظيفة الحالية.

جدول (٨): اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق في استجابات أفراد عينة الدراسة حول

واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم باختلاف المؤهل العلمي

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة	التعليق
مجال التخطيط	بين المجموعات	٠,٢٢	٢	٠,١١	٠,٢٥	٠,٧٧٧	غير دالة
	داخل المجموعات	٩١,٤٨	٢١٣	٠,٤٣			
مجال التنظيم	بين المجموعات	٠,٢٥	٢	٠,١٢	٠,٢٥	٠,٧٨٣	غير دالة
	داخل المجموعات	١٠٧,٨٧	٢١٣	٠,٥١			
مجال التوجيه	بين المجموعات	١,١٤	٢	٠,٥٧	١,٣٦	٠,٢٥٩	غير دالة

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة	التعليق
	داخل المجموعات	٨٩,٤٧	٢١٣	٠,٤٢			
مجال الرقابة	بين المجموعات	١,١٠	٢	٠,٥٥	١,٠٥	٠,٣٥٣	غير دالة
	داخل المجموعات	١١٠,٨٩	٢١٢	٠,٥٢			
الدرجة الكلية للواقع	بين المجموعات	٠,٤٦	٢	٠,٢٣	٠,٥٦	٠,٥٧٠	غير دالة
	داخل المجموعات	٨٦,١٧	٢١٣	٠,٤١			

نسبة ٨٨,٢% من أفراد عينة الدراسة، وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراستي كل من (آل حارث، ٢٠١١م)، و(الحربي، ٢٠١٢م) اللتين أشارتا إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في كافة مجالات الدراسة تعزى لمتغير المؤهل العلمي، في حين تختلف هذه النتيجة مع نتيجة دراسة (حنون، ٢٠١٠م) والتي أكدت على وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المؤهل العلمي.

يتضح من الجدول (٨) أن قيم (ف) غير دالة في المجالات: (التخطيط، التنظيم، التوجيه، الرقابة)، وفي الدرجة الكلية لواقع إعادة هندسة العمليات الإدارية، مما يشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد عينة الدراسة حول واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم في تلك المجالات، تعود لاختلاف المؤهل العلمي لأفراد العينة.

ويمكن عزو هذه النتيجة إلى أن غالبية أفراد عينة الدراسة من حملة شهادة البكالوريوس، حيث يمثلن الفروق باختلاف عدد سنوات الخبرة:

جدول (٩): اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق في استجابات أفراد عينة الدراسة حول واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم باختلاف عدد سنوات الخبرة

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة	التعليق
مجال التخطيط	بين المجموعات	٥,٣٦	٢	٢,٦٨	٦,٦٠	٠,٠٠٢	دالة عند مستوى ٠,٠١
	داخل المجموعات	٨٦,٩٢	٢١٤	٠,٤١			
مجال التنظيم	بين المجموعات	٩,٥٦	٢	٤,٧٨	١٠,٣٠	٠,٠٠٠	دالة عند مستوى ٠,٠١
	داخل المجموعات	٩٩,٣٤	٢١٤	٠,٤٦			
مجال التوجيه	بين المجموعات	٧,٦٩	٢	٣,٨٥	٩,٨١	٠,٠٠٠	دالة عند مستوى ٠,٠١
	داخل المجموعات	٨٣,٩١	٢١٤	٠,٣٩			

التعليق	مستوى الدلالة	قيمة ف	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين	المجال
دالة عند مستوى ٠,٠١	٠,٠٠٠	١٣,٤٦	٦,٣٢	٢	١٢,٦٣	بين المجموعات	مجال الرقابة
			٠,٤٧	٢١٣	٩٩,٩٨	داخل المجموعات	
دالة عند مستوى ٠,٠١	٠,٠٠٠	١١,٧٧	٤,٣٣	٢	٨,٦٥	بين المجموعات	الدرجة الكلية للواقع
			٠,٣٧	٢١٤	٧٨,٦٩	داخل المجموعات	

إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم في تلك المجالات، تعود لاختلاف عدد سنوات خبرة أفراد عينة الدراسة. وباستخدام اختبار شيفيه للكشف عن مصدر تلك الفروق جدول (١٠)

يتضح من الجدول (٩) أن قيم (ف) دالة عند مستوى ٠,٠١ في المجالات: (التخطيط، التنظيم، التوجيه، الرقابة)، وفي الدرجة الكلية واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية، مما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد عينة الدراسة حول واقع

جدول (١٠): اختبار شيفيه لتوضيح مصدر الفروق في استجابات أفراد عينة الدراسة حول واقع

إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم باختلاف عدد سنوات الخبرة

المجال	عدد سنوات الخبرة	المتوسط الحسابي	أقل من ١٠ سنوات	من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة	من ١٥ سنة فأكثر	الفرق لصالح
مجال التخطيط	أقل من ١٠ سنوات	٢,٥١				
	من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة	٢,٧٨				
	من ١٥ سنة فأكثر	٢,٩١	*		من ١٥ سنة فأكثر	
مجال التنظيم	أقل من ١٠ سنوات	٢,٥٦				
	من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة	٢,٩١	*		من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة	
	من ١٥ سنة فأكثر	٣,٠٩	*		من ١٥ سنة فأكثر	

المجال	عدد سنوات الخبرة	المتوسط الحسابي	أقل من ١٠ سنوات	من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة	من ١٥ سنة فأكثر	الفرق لصالح
مجال التوجيه	أقل من ١٠ سنوات	٢,٧٠				
	من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة	٣,٠١	*		من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة	
	من ١٥ سنة فأكثر	٣,١٧	*		من ١٥ سنة فأكثر	
مجال الرقابة	أقل من ١٠ سنوات	٢,٤٢				
	من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة	٢,٨١	*		من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة	
	من ١٥ سنة فأكثر	٣,٠٣	*		من ١٥ سنة فأكثر	
الدرجة الكلية للواقع	أقل من ١٠ سنوات	٢,٥٤				
	من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة	٢,٨٧	*		من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة	
	من ١٥ سنة فأكثر	٣,٠٤	*		من ١٥ سنة فأكثر	

* تعني وجود فروق دالة عند مستوى ٠,٠٥

يتضح من جدول (١٠) وجود فروق دالة عند مستوى ٠,٠٥ على النحو التالي:

١- توجد فروق دالة في مجال التخطيط بين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (أقل من ١٠ سنوات) وبين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٥ سنة فأكثر)، وذلك لصالح أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٥ سنة فأكثر).

٢-١- توجد فروق دالة في مجال التنظيم بين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (أقل من ١٠ سنوات) وبين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة)، وذلك لصالح أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة).

٢-٢- توجد فروق دالة في مجال التنظيم بين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (أقل من ١٠ سنوات)

١-٥- توجد فروق دالة في الدرجة الكلية لواقع إعادة هندسة العمليات الإدارية بين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (أقل من ١٠ سنوات) وبين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة)، وذلك لصالح أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة).

٢-٥- توجد فروق دالة في الدرجة الكلية لواقع إعادة هندسة العمليات الإدارية بين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (أقل من ١٠ سنوات) وبين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٥ سنة فأكثر)، وذلك لصالح أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٥ سنة فأكثر).

وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراسة (حنون، ٢٠١٠م) والتي أكدت على وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعود لمتغير سنوات الخبرة لصالح أكثر من عشر سنوات.

وتختلف هذه النتيجة مع نتيجة دراستي (بني عيسى، ٢٠٠٩م)، و(أل حارث، ٢٠١١م) اللتين أكدتا على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد عينة الدراسة تعزى لمتغير سنوات الخدمة لصالح أكثر من عشر سنوات.

وبين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٥ سنة فأكثر)، وذلك لصالح أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٥ سنة فأكثر).

١-٣- توجد فروق دالة في مجال التوجيه بين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (أقل من ١٠ سنوات) وبين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة)، وذلك لصالح أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة).

٢-٣- توجد فروق دالة في مجال التوجيه بين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (أقل من ١٠ سنوات) وبين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٥ سنة فأكثر)، وذلك لصالح أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٥ سنة فأكثر).

١-٤- توجد فروق دالة في مجال الرقابة بين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (أقل من ١٠ سنوات) وبين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة)، وذلك لصالح أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة).

٢-٤- توجد فروق دالة في مجال الرقابة بين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (أقل من ١٠ سنوات) وبين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٥ سنة فأكثر)، وذلك لصالح أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٥ سنة فأكثر).

ثانياً: الفروق في المعوقات التي تحد من تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية:
الفروق باختلاف الوظيفة:

جدول (١١): اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق في استجابات أفراد عينة الدراسة حول المعوقات التي تحد من تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم باختلاف الوظيفة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة	التعليق
بين المجموعات	٢٠,٤١	٢	١٠,٢١	٣٣,٣٠	٠,٠٠٠	دالة عند مستوى ٠,٠١
داخل المجموعات	٦٦,٨١	٢١٨	٠,٣١			

يتضح من جدول (١١) أن قيمة (ف) دالة عند مستوى ٠,٠١، مما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد عينة الدراسة حول المعوقات التي تحد من تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم، تعود لاختلاف الوظيفة.

وباستخدام اختبار شيفيه للكشف عن مصدر تلك الفروق جدول (١٢):

جدول (١٢): اختبار شيفيه لتوضيح مصدر الفروق في استجابات أفراد عينة الدراسة حول المعوقات التي تحد من تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم باختلاف الوظيفة

العمل الحالي	المتوسط الحسابي	مديرة/مساعدة مكتب التربية والتعليم	رئيسة وحدة	مشرفة تربوية	الفرق لصالح
مديرة/مساعدة مكتب التربية والتعليم	٢,٩٦				
رئيسة وحدة	٣,٩٢	*			
مشرفة تربوية	٣,٩٢	*			

* تعني وجود فروق دالة عند مستوى ٠,٠٥

(٢) توجد فروق دالة في محور المعوقات بين (المديرات والمساعدات) وبين (المشرفات التربويات)، وذلك لصالح (المشرفات التربويات).
ويلاحظ من هذه النتيجة أن لمتغير الوظيفة تأثير على استجابات أفراد عينة الدراسة، وتعزو الباحثة ذلك إلى قلة الصلاحيات الممنوحة لرئيسة

يتضح من جدول (١٢) وجود فروق دالة عند مستوى ٠,٠٥ على النحو التالي:
(١) توجد فروق دالة في محور المعوقات بين (المديرات والمساعدات) وبين (رئيسات الوحدات)، وذلك لصالح (رئيسات الوحدات).

تلامس المعوقات بشكل دقيق، وكذلك التحفظ الشديد عن الحديث عن سلبيات العمل أو معوقاته من قبل الهيئة الإدارية.

الوحدة أو المشرفة التربوية بالنسبة للمسؤوليات المكلفة بها، واختلاف وجهات النظر حيال عمليات تطوير الإشراف التربوي، واحتكاك رئيسة الوحدة والمشرفة التربوية بالميدان بشكل أكبر، مما يجعلها الفروق باختلاف المؤهل العلمي:

جدول (١٣): اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق في استجابات أفراد عينة الدراسة حول المعوقات التي تحد من تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم باختلاف المؤهل العلمي

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة	التعليق
بين المجموعات	٠,٧١	٢	٠,٣٦	٠,٩٣	٠,٣٩٥	غير دالة
داخل المجموعات	٨١,٤٨	٢١٣	٠,٣٨			

يتضح من الجدول (١٣) أن قيمة (ف) غير دالة، مما يشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد عينة الدراسة حول المعوقات التي تحد من تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم، تعود لاختلاف المؤهل العلمي لأفراد العينة.

الفروق باختلاف عدد سنوات الخبرة:

جدول (١٤): اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق في استجابات أفراد عينة الدراسة حول المعوقات التي تحد من تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم باختلاف عدد سنوات الخبرة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة	التعليق
بين المجموعات	٥,٢٠	٢	٢,٦٠	٧,٢٠	٠,٠٠١	دالة عند مستوى ٠,٠١
داخل المجموعات	٧٧,٢٨	٢١٤	٠,٣٦			

يتضح من الجدول (١٣) أن قيمة (ف) دالة عند مستوى ٠,٠١، مما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد عينة الدراسة حول المعوقات التي تحد من تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم، تعود لاختلاف عدد سنوات خبرة أفراد العينة، وباستخدام اختبار شيفيه للكشف عن مصدر تلك الفروق جدول(١٥)

جدول (١٥): اختبار شيفيه لتوضيح مصدر الفروق في استجابات أفراد عينة الدراسة حول المعوقات التي تحد من تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم باختلاف عدد سنوات الخبرة

عدد سنوات الخبرة	المتوسط الحسابي	أقل من ١٠ سنوات	من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة	من ١٥ سنة فأكثر	الفرق لصالح
أقل من ١٠ سنوات	٤,٠٥			*	أقل من ١٠ سنوات
من ١٠ إلى أقل من ١٥ سنة	٣,٨١				
من ١٥ سنة فأكثر	٣,٦٦				

* تعني وجود فروق دالة عند مستوى ٠,٠٥

منها: أن أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة أقل من عشر سنوات لا تحظى بنصيبتها من الدورات والبرامج التدريبية كما هو الحال مع ذوات الخبرة من خمس عشرة سنة فأكثر، وفي الغالب من خبرتها أقل من عشر سنوات تكون مشرفة تربوية في الميدان التربوي، مما يمكنها من الاحتكاك المباشر فتلامس الصعوبات على أرض الواقع أكثر من ذوات الخبرة من خمس عشرة سنة فأكثر والتي غالبًا ما تكون إما رئيسة وحدة أو من الهيئة الإدارية

يتضح من جدول (١٥) وجود فروق دالة عند مستوى ٠,٠٥ في المعوقات التي تحد من تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية بين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (من ١٥ سنة فأكثر) وبين أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (أقل من ١٠ سنوات)، وذلك لصالح أفراد عينة الدراسة ذوات الخبرة (أقل من ١٠ سنوات).

ويلاحظ من هذه النتيجة أن لمتغير عدد سنوات الخبرة تأثيرًا على استجابات أفراد عينة الدراسة، ويمكن عزو هذه النتيجة لعدة أسباب

التوصيات:

التربية، كلية التربية، جامعة الملك خالد، منطقة عسير التعليمية.

بصنوي، محمد أحمد. (٢٠١٢م). هندسة الموارد البشرية وعلاقتها بالحكومة الإلكترونية. جده: مكتبة الملك فهد.

الحربي، فهد جهز. (٢٠١٢). تصور مقترح للعمليات الإدارية لقسم الإدارة المدرسية في إدارات التربية والتعليم في ضوء منهج هندسة العمليات الإدارية. رسالة دكتوراه غير منشورة. قسم الإدارة والتخطيط التربوي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

حسين، سلامة عبد العظيم. (٢٠٠٤م). اتجاهات حديثة في الإدارة المدرسية الفعالة. عمان: دار الفكر.

حسين، سلامة عبد العظيم. (٢٠٠٦م). الإدارة المدرسية والصفية المتميزة. عمان: دار الفكر.

حسين، سلامة عبد العظيم. (٢٠٠٧م). ثورة إعادة الهندسة، مدخل جديد لمنظومة التعليم. الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة

حنون، نادية مراد. (٢٠١٠م). درجة استخدام أسلوب الهندسة الإدارية في ممارسة العمليات الإدارية في المدارس الحكومية في محافظات الضفة الغربية. رسالة ماجستير منشورة. كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، فلسطين.

- ضرورة تعاون المشرفات التربويات والمديرات والمعلمات في التخطيط ضمن فريق العمل في ضوء إعادة هندسة العمليات الإدارية.

- الحرص على إيجاد خطط بديلة كامتداد للخطة الأساسية؛ لمواجهة المواقف الطارئة برؤية مسبقة الدراسة.

- ضرورة تطبيق مبدأ اللامركزية في مكاتب التربية والتعليم.

- ضرورة توفير ميزانية مخصصة لإعادة هندسة العمليات الإدارية دون غيرها من عمليات التطوير.

- تكثيف البرامج التدريبية في إعادة هندسة العمليات الإدارية لجميع العاملات في مكاتب التربية والتعليم.

- تطبيق معايير الجودة الشاملة كمتطلب أساسي لتطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية.

المراجع:

أبو علام، رجاء محمود. (٢٠٠٤). مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية. ط٤، مصر: دار النشر للجامعات.

أبو غريبة، إيمان. (٢٠٠٩م). الإشراف التربوي (مفاهيم - واقع - آفاق). عمان: دار البداية.

آل حارث، فاطمة علي عبدالله. (٢٠١٢). إعادة هيكلة العمليات الإدارية بإدارات الإشراف التربوي بمنطقة عسير التعليمية في ضوء مدخل إعادة الهندسة. رسالة ماجستير غير منشورة. قسم

العمليات الإدارية. رسالة دكتوراه. جامعة عمان العربية للدراسات العليا، الأردن.

العتيبي، سعد مرزوق، والحماي، راشد محمد. (٢٠٠٤م). إعادة هندسة العمليات الإدارية (الهندرة) في القطاع العام عوامل النجاح الحاسمة. بحث مقدم إلى المؤتمر الوطني الأول للجودة، ١٥ - ١٧ مايو، الرياض: جامعة الملك سعود.

العجمي، محمد حسين. (٢٠٠٨م). استراتيجيات الإدارة الذاتية للمدرسة والصف. عمان: دار المسيرة.

العساف، صالح حمد. (١٤٣٣هـ). المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية. الرياض: دار الزهراء.

العساف، نوال محمد. (٢٠٠٢). تطور مقترح لإعادة الهيكلة التنظيمية للإشراف التربوي التابع لتعليم البنات بمنطقة الرياض، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية، جامعة الملك سعود.

عقيلي، عمر وصفي. (٢٠٠١م). مدخل إلى المنهجية المتكاملة لإدارة الجودة الشاملة. عمان: دار وائل.

الغريب، شبل بدران؛ وحسين، سلامة عبد العظيم؛ والمليجي، رضا إبراهيم. (٢٠٠٥م). الثقافة المدرسية. عمان: دار الفكر.

الفوزان، إلهام إبراهيم فوزان. واقع إعادة هندسة العمليات الإدارية في مكاتب التربية والتعليم بمدينة الرياض. رسالة ماجستير غير منشورة. قسم

رفاعي، ممدوح عبد العزيز. (٢٠٠٦م). إعادة هندسة العمليات. كلية التجارة، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية.

الزدجالي، نجيب شاهو (٢٠١٠م). تطوير الإشراف التربوي في ضوء مبادئ الجودة الشاملة. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب والعلوم، جامعة نزوى، سلطنة عمان.

سلطان، تركي. التغيير الجذري في أداء المؤسسات الحكومية وقطاع الأعمال والخدمات. ورقة مقدمة إلى المؤتمر الخامس والعشرون للاتحاد الدولي لمنظمات التدريب والتنمية، ٤-٧ نوفمبر ١٩٩٦م. القاهرة.

السلطان، فهد صالح. (١٤١٩هـ). إعادة هندسة العمليات الإدارية (الهندرة) نقلة جذرية في مفاهيم وتقنية الإدارة. الرياض: مطابع الخلد.

السلطان، فهد صالح. (٢٠٠٩م). إعادة هندسة نظم العمل (الهندرة) النظرية والتطبيق. ط٢، الرياض: مطابع الخلد.

الصباب، أحمد؛ ودياب، عبد الحميد؛ وميمي، خالد، وحبيب؛ شكيل. (٢٠١٠م). أساسيات الإدارة الحديثة. ط٣، جده: خوارزم العلمية.

الطنيجي، سالم زايد خليفه (٢٠٠٨م). أنموذج مقترح لتطوير أداء العاملين في وزارة التعليم العالي، والبحث العلمي في دولة الإمارات العربية المتحدة، في ضوء منهجية إعادة هندسة

الإدارة والتخطيط التربوي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

القرني، سعداء بنت فرحان. (٢٠٠٩). تطبيق إدارة الجودة الشاملة في إدارات الإشراف التربوي للبنات بالمملكة العربية السعودية (تصور مقترح). رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية، جامعة الملك سعود.

القرني، سعداء بنت فرحان. (٢٠٠٩). تطبيق إدارة الجودة الشاملة في إدارات الإشراف التربوي للبنات بالمملكة العربية السعودية (تصور مقترح). رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية، جامعة الملك سعود.

اللوزي، موسى. (٢٠٠٠). التنمية الإدارية: المفاهيم، الأسس، التطبيقات. عمان: دار وائل.

اللوزي، موسى. (٢٠١٠). التطوير التنظيمي أساسيات ومفاهيم حديثة. ط٤، عمان: دار وائل.

مرسي، جمال الدين. (٢٠٠٣). الإدارة الإستراتيجية للموارد البشرية. الإسكندرية: الدار الجامعية.

هامر، م & ستيفن، س. (٢٠٠٠). ثورة إعادة الهندسة: دليل إلى ثورة إعادة الهندسة. (ترجمة حسن الفلاح). الرياض: آفاق الإبداع للنشر والإعلام.

هامر، م & شامبي، ج. (١٩٩٥). إعادة هندسة نظم العمل في المنظمات "الهندرة". (ترجمة شمس الدين عثمان). القاهرة: الشركة العربية للإعلام العلمي "شعاع".

هامر، م. (١٤١٩هـ). نتائج إعادة الهندسة. (ترجمة قسم الترجمة في دار آفاق الإبداع). الرياض: دار آفاق الإبداع (العمل الأصلي نشر في عام ١٩٩٦م).

هلال، محمد عبد الغني. (٢٠١٢م). إعادة هندسة الموارد البشرية (الهندرة). مصر الجديدة: مركز تطوير الأداء والتنمية.

وزارة الاقتصاد والتخطيط. (١٤٣١). خطة التنمية التاسعة (١٤٣١ - ١٤٣٥). الرياض.

وزارة التربية والتعليم. (١٤٢٧هـ). التعميم الوزاري رقم (٣١/٣٨٥) بتاريخ (١٣/٨/١٤٢٧هـ). الرياض.

وزارة التربية والتعليم. (١٤٢٨هـ). تعميم وكيل الوزارة للتعليم رقم (٢٤٧٥٣٤) بتاريخ (٢٢/٦/١٤٢٨هـ). الإدارة العامة للإشراف التربوي، الرياض.

وزارة التربية والتعليم. (١٤٢٩هـ). الإشراف التربوي في عصر المعرفة. الرياض: الإدارة العامة للإشراف التربوي.

وزارة التربية والتعليم. (١٤٣٣هـ). الإطار المرجعي للإشراف التربوي. الجوف: الإدارة العامة للإشراف التربوي.

الإدارة والتخطيط التربوي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

القرني، سعداء بنت فرحان. (٢٠٠٩). تطبيق إدارة الجودة الشاملة في إدارات الإشراف التربوي للبنات بالمملكة العربية السعودية (تصور مقترح). رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية، جامعة الملك سعود.

القرني، سعداء بنت فرحان. (٢٠٠٩). تطبيق إدارة الجودة الشاملة في إدارات الإشراف التربوي للبنات بالمملكة العربية السعودية (تصور مقترح). رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية، جامعة الملك سعود.

اللوزي، موسى. (٢٠٠٠). التنمية الإدارية: المفاهيم، الأسس، التطبيقات. عمان: دار وائل.

اللوزي، موسى. (٢٠١٠). التطوير التنظيمي أساسيات ومفاهيم حديثة. ط٤، عمان: دار وائل.

مرسي، جمال الدين. (٢٠٠٣). الإدارة الإستراتيجية للموارد البشرية. الإسكندرية: الدار الجامعية.

هامر، م & ستيفن، س. (٢٠٠٠). ثورة إعادة الهندسة: دليل إلى ثورة إعادة الهندسة. (ترجمة حسن الفلاح). الرياض: آفاق الإبداع للنشر والإعلام.

هامر، م & شامبي، ج. (١٩٩٥). إعادة هندسة نظم العمل في المنظمات "الهندرة". (ترجمة شمس

Francis. M. Duffy; (2010): Knowledge work supervision: Transforming school-systems into high performing organizations in the international Journal of educational management, vol. (11), issue (1) publisher: Mcb up Ltd. 2010
http://www.papers.ssrn.com/so13/papers.cfm?abstract_id=569216

Jody. H.p. (2003): A study of organizational culture in education and manpower bureau, master of arts in public and management, submitted to city, university of Hong Kong
 John. P. Kotter's; (2008): Change management organizational and personal change management, process, plans, change management and business development tips, business balls website, U.S.A

Lawrie. Savage; (2010): Re-engineering insurance supervision, world bank 2024

Chicago: Irwin

وزارة التربية والتعليم. (١٤٣٣هـ). التعميم الوزاري رقم (٣٣٧٦٨٩٢٨) بتاريخ (١٤٣٣/٥/٢هـ). الرياض.

وزارة المعارف. (١٤١٩هـ). دليل المشرف التربوي. الرياض: الإدارة العامة للإشراف التربوي.

المراجع الأجنبية:

Asian productivity organization; (2000): Asian cases on corporate reengineering, Tokyo: Apo

Bertrand. Brenda; (2002): Transformation within organizational culture: The gap between paper and reality, the Journal of organizational learning and leadership.

Francis. M. Duffy; (1996): Designing high performance schools: A practical guide to organizational reengineering, Florida, luice press

Philip. Sadler; (1995): Managing change, London, Kogan page.

William. G. Nickols & other's (1996):

Understanding business, 4th edition, U.S.A,

General Supervisor at the National Institute for Educational Professional Development (NIEPD)

Dr. ILham Ibrahim Fouzan AlFouzan- Principle researcher
*Reality of managerial operations re-engineering at the offices of
Education in Riyadh city.*

Dr. Fatima Abdulaziz Al-Tewaigri- Associate Researcher
*Associate Professor at the Educational Administration and Planning
Department -Imam Mohammed Bin Saud Islamic University*

Abstract. this study aimed to recognize the reality of the re-engineering of administrative processes in the offices of education In Riyadh city and the obstacles which prevent their real application and to find statistically significant differences between the average responses of the sample of the study .

The researchers used the descriptive survey approach in their study and applied the study to all the directors and assistants of the offices of education for girls in Riyadh, and a random sample of the heads of units and educational supervisors. The number of members of the sample of the study were (236) from the original society.

The researchers used the questionnaire as the tool of collecting data. The study had a number of results which were:

The reality of re-engineering administrative processes in the dimensions (planning, organization, guidance, control) achieved to a medium degree with the arithmetic mean at (2.85), and the obstacles to the re-engineering of administrative processes achieved to a high degree with the arithmetic mean at (3.81), there were no statistically significant differences between the responses of the sample study to the reality of re-engineering administrative processes and the obstacles that limit their application due to the different scientific qualifications but there were statistically significant differences between the responses of the sample study to the re-engineering of administrative processes and the obstacles that limit their application due to different job and years of experience.

Key words: Administrative Processes - re-engineering administrative processes.

موقع التخيل عند السجلماسي

د. إيناس محمود عبد الله أبو سالم
أستاذة الأدب والنقد الحديث المساعد
قسم اللغة العربية - كلية العلوم الإنسانية
جامعة الملك خالد

مستخلص. يعد أبو محمد السجلماسي الذي عاش بالمغرب أواخر القرن السابع الهجري (٧هـ) من أعظم رواد المدرسة البلاغية المغربية، حيث قام بإبداع كتابة الموسوم (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع) في عام ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م.

و(المنزع البديع) كتاب جاد مبتكر في النقد والبلاغة من وجهه نظر فلسفية ومنطقية، وظف فيه السجلماسي العقل والذوق والثقافة المتكاملة بين العربية واليونانية في الدرس النقدي والبلاغي، وخرج بمنهج جديد أكثر فهما للنظريات الأرسطية في النقد والبلاغة.

وقد كان هدف الدراسة من ذلك إظهار الملامح المميزة لكتاب المنزع من خلال استعراض أهم ما جاء به من مباحث صنفها السجلماسي تحت علم البيان - ونخص بالذكر ما يتعلق منها بالشعر والشعرية والعناصر الرئيسية التي يراها السجلماسي هي المكونات الحقيقية لشعرية الشعر وفنائه وجماله، حيث كان ذلك واقعا في نوع (التخيل) أكثر من سائر الأنواع الأخرى، ولذلك جاءت دراستنا لجنس التخيل أكثر تفصيلا وإفاضة من تفصيل بقية أجناس الكتاب؛ لأن التخيل هو موضوع الصناعة الشعرية، وهذا مجال دراستنا هذه.

ولم ننس أن نرصد أيضا أي نوع آخر يمكن أن يكون عاملا مساعدا في تكوين الشعرية، وقع في مبحث آخر غير مبحث التخيل، لذلك كان منهج هذه الدراسة مبتدئا بإطلالة سريعة على عصر السجلماسي ونبذة عن سيرته، وفكرة عن تطور البلاغة في زمنه.

ثم عرضنا في المبحث الثاني بعض ملامح الكتاب وجديد السجلماسي الذي ميزه به، قبل أن نصل إلى المبحث الثالث، الذي ما أن نلجه حتى ندخل إلى عالمه ونبدأ جولتنا فيه وما جاد به في موضوع التخيل، الذي هو موضوعنا الأساسي لهذه الدراسة.

وقد تبين من خلال هذا البحث الموجز أن السجلماسي رائد في مجال النقد والبلاغة والتتظير الأدبي، الناتج عن فكر وتعمق بالغين بالثقافة العربية واليونانية على السواء، كما لاحظنا تقدمه في رؤيته للشعر ومكونات الشعرية، وأهمية توفير التخيل قبل أي شيء آخر، لكي يكون الشعر كائنًا حيا مكتملا ونابضا بالحركة. كما نستنتج من دراستنا لأنواع البيان عند السجلماسي، أنه رصد الكثير من الأركان الهامة التي تحي القول والجملة والنظم وتبث دماء الشعرية فيه، وبالتالي تخلق عند المتلقي اللذة والانفعال والاستقرار. تقديم أول:

ظهرت في نهايات القرن السابع الهجري ومشارف القرن الثامن، مدرسة بلاغية عربية مغربية كانت أكثر اطلاعا على منطق أرسطو، وأكثر إدراكا لمضمون كتابيه (الشعر) و(الخطابة) من نقاد المشرق والمغرب السابقين، بحيث أنهم تمكنوا من إفادة البلاغة العربية ورفدها ببعض الأفكار اليونانية بأسلوب مبدع وجديد. ويعد أبو محمد السجلماسي الذي عاش بالمغرب أواخر القرن السابع الهجري (٥٧هـ) من أعظم رواد تلك المدرسة البلاغية، حيث قام بإبداع كتابة الموسوم (المنزغ البديع في تجنيس أساليب البديع) في عام ٥٧٠٤هـ / ١٣٠٤م. و(المنزغ البديع) كتاب جاد مبتكر في النقد والبلاغة من وجهه نظر فلسفية ومنطقية، وظف فيه السجلماسي العقل والذوق والثقافة المتكاملة بين العربية واليونانية في الدرس النقدي والبلاغي، وخرج بمنهج جديد أكثر فهما للنظريات الأرسطية في النقد والبلاغة^(١).

وكان السجلماسي في كتابه يسعى "لوضع قوانين كلية لعملية الصياغة الأدبية، وي طرح مفهومه للشعر: ماهيته وطبيعته ووظيفته، والخصائص اللغوية النوعية التي تميز الشعر عن غيره من المستويات اللغوية الأخرى"^(٢)، كما كان "يهدف إلى استقراء القوانين العامة للكتابة الفنية، وتصنيفها منطقيا بحسب الجنس والنوع والفصل، وهذه القوانين التي يسعى لتصنيفها متضمنة في علم البيان والبديع وصناعة البلاغة بشكل عام، ويجعل علم البيان هو الذي يمد الخطابة والشعر وصناعة البلاغة بشكل عام ويجعل علم البيان هو الذي يمد الخطابة و الشعر بالقوانين العامة للعبارة البلاغية، وقد قصد السجلماسي بدلالة كلمة (المنزغ) الإشارة إلى قوانين عملية الصياغة الأدبية بأكملها بشكل عام"^(٣).

المقدمة

واليونانية، لتضيف جوهرة لامعة فريدة إلى عقد

البلاغة العربية وبيانها.

وقد كان هدف الدراسة من ذلك إظهار الملامح المميزة لكتاب المنزغ من خلال استعراض أهم ما جاء به من مباحث صنفا السجلماسي تحت علم البيان - ونخص بالذكر ما يتعلق منها بالشعر

لقد جاءت هذه الدراسة محاولة متواضعة للتجول الجاد في غابات كتاب المنزغ المتشكلة من أشجار بليغة، تتفرع عنها عشرات الثمار البيانية الناضجة التي قام السجلماسي برصدها وقطفها وإنتاجها من جديد، بأسلوب هو مزيج من الثقافتين العربية

ليلى التيمي (التخيل عند السجلماسي في كتابه المنزع البديع)، وغيرها. وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت بقدر جهدي المتواضع في خوض غمار كتاب عملاق! فالدراسة حاولت أن تعبد الطريق حتى ولو بجبر واحد. المبحث الأول:

١. إطلالة على العصر:

عاش السجلماسي في عصر الدولة المرينية بالمغرب خلال القرن الثامن الهجري، في الوقت الذي كان يسيطر المرينيون فيه على منطقة المغرب العربي، وتفرغوا للبناء الحضاري والاقتصادي والفكري، وكان العهد عهد ازدهار في ألوان الفن الإسلامي وتطور الثقافة باختلاف تياراتها ومذاهبها .

كما شهد هذا العصر تطورا ملحوظا في مختلف العلوم النظرية والإنسانية والأدبية، حيث تكونت خصائص المدرسة الغربية الفلسفية من خلال تلاحم المصادر الأساسية اليونانية والشرقية بالجزور المحلية المغربية، وبرز المفكرون الكبار أصحاب الوجه الخاص بين مفكري العالم مثل : ابن خلدون وابن رشد، ومن بعدهم السجلماسي، والأديب حازم القرطاجني، والمفكر الأديب ابن البناء المراكشي . كما جاء تطور الأدب والشعر تبعا لتطور العقلية المغربية وانسجام القمة مع القاعدة في الدولة المرينية، التي أحب ملوكها الأدب ورجاله، وتدارسوا الشعر مع الشعراء والدارسين^(٤).

والشعرية والعناصر الرئيسية التي يراها السجلماسي هي المكونات الحقيقية لشعرية الشعر وفنيته وجماله، حيث كان ذلك واقعا في نوع (التخيل) أكثر من سائر الأنواع الأخرى، ولذلك جاءت دراستنا لجنس التخيل أكثر تفصيلا وإفاضة من تفصيل بقية أجناس الكتاب؛ لأن التخيل هو موضوع الصناعة الشعرية، وهذا مجال دراستنا هذه.

ولم ننس أن نرصد أيضا أي نوع آخر يمكن أن يكون عاملا مساعدا في تكوين الشعرية، وقع في مبحث آخر غير مبحث التخيل، لذلك كان منهج هذه الدراسة مبتدئا بإطلالة سريعة على عصر السجلماسي ونبذة عن سيرته، وفكرة عن تطور البلاغة في زمنه .

ثم عرضنا في المبحث الثاني بعض ملامح الكتاب وجديد السجلماسي الذي ميزه به، قبل أن نصل إلى المبحث الثالث، الذي ما أن نلجه حتى ندخل إلى عالمه ونبدأ جولتنا فيه وما جاد به في موضوع التخيل، الذي هو موضوعنا الأساسي لهذه الدراسة. وقد أفدت من دراسات عدة تحدثت عن التخيل والسجلماسي، منها على سبيل المثال لا الحصر: دراسة علال الغازي (تطور مصطلح التخيل في نظرية النقد الأدبي عند السجلماسي)، ودراسة ألفت الروبي (مفهوم الشعر عند السجلماسي)، ودراسة سعاد المانع (مفهوم مصطلح (المجاز) عند السجلماسي في علاقته بمصطلح (التخيل)، ودراسة

٢. السجلماسي - سيرة سريعة:

ولد أبو محمد القاسم بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري السجلماسي في مدينة "سجلماسة" المغربية ونشأ فيها ثم رحل إلى فاس للأخذ عن علمائها والتدريس بها، وهناك ألقى على تلاميذه كتابه "المنزعة"، وفرغ من إملائه أواخر شهر " صفر عام ٧٠٤ هـ " وهو من العائلات الأنصارية التي وردت على المغرب في فترات تاريخية^(٥).

والسجلماسي يمتلك ثقافة شاملة في أكثر من حقل علمي ومعرفي، وله من كل علم نصيب، ومتبحر في الثقافتين اليونانية والعربية والفلسفة الإسلامية، وشخصيته كفيلسوف منطقي جانب من شموليه ثقافته، وكتاب المنزعة شاهد على ذلك في أسلوبه ومنهجه المعتمد على المصطلحات والمفاهيم النظرية قبل مناقشتها عند التطبيق .

وهو أديب متفلسف، بمعنى أنه مفكر في التحليل النظري، أديب في التحليل الأدبي، ويظهر نبوغه في التحليل الأدبي في دراسته لبعض الصور والشواهد من القرآن والحديث والشعر، وأقوال البلغاء والأدباء، حيث كان يطبق ذلك على مصطلحات كتابه (المنزعة) ، مستعينا ببعض المصطلحات المعروفة في الخطابة والشعر على إبراز القيم الجمالية، مثل : النفس والروح والصورة والخيال والانفعال..، وغير ذلك من الكلمات التي يدخل استعمالها عنده في البحث عن العلاقة بين التحليل النظري والتطبيق، وكما انفرد السجلماسي الأديب بإيراد شواهد غير

التي اتفق النقاد العرب على ذكرها كأمثلة من الشعر والنثر، وفي الاهتمام البالغ بالأدباء والشعراء والدارسين من النقاد والفلاسفة سواء في اختياراته الذكية للصور، أو في الفهم العميق لما خفي من أسرار تلك الصور ودلالاتها الفنية والفكرية، إضافة إلى ولعه بإيراد الآراء النقدية والفلسفية وتحليلها ومناقشتها، واتخاذ الموقف الذي يراه صالحا منها، (لا فرق بين قدامه وابن جني وابن رشيق والفارابي وأرسطو).

ومن جوانب ثقافة السجلماسي، أنه علم من أعلام النقد والبلاغة؛ فقد تميز بمنهجه العلمي الذي انفرد به عن غيره بما حمل من عناصر الخلق والتجديد، حيث توضح ذلك مكتبته النقدية والفلسفية والمنطقية التي اختارها من الفكر اليوناني والتراث الأدبي، وأخضع مباحث كتابه لمنهاج موضوعي متكامل من الثقافتين، داخل مجموعة من المصطلحات والمفاهيم الفلسفية التحليل، والمنطقية التقسيم، والبلاغية الروح، والنقدية التنظير والتطبيق؛ فأخرج الموضوع النقدي والبلاغي من فوضى التحديد والتحليل وقرر المصطلح إلى وضعه في إطار العلم والصناعة النظرية، أكثر مما عرف عند النقاد العرب، وكانت له مع أرسطو جولات كبيرة^(٦).

إضافة لما سبق، فإن السجلماسي يعد لغويا ونحويا وعروضا، وواضع علم المصطلحات؛ فمن ناحية اللغة ابتعد عن التفسير الجاف وتجاوزه إلى إدراج معنى الكلمة في السياق، وفي بحثه عن معنى الكلمة

٣ . التقدم النقدي والبلاغي في زمنه:

تطور الأدب العربي ونقده قبل السجلماسي، حيث بلغ أوجه في القرن الرابع الهجري بعد أن نضجت الثقافة العربية وامتزجت بروافد الثقافات العالمية وخصوصا الفكر اليوناني، وقد قامت معركة بين الدارسين للفلسفة والأدب والنقد والخطابة والشعر عن مدى ما أحدثه الفكر اليوناني من أثر في النقد والبلاغة، وبالذات كتب أرسطو في المنطق والخطابة والشعر، وقد تمثلت المعركة في اتجاهين متضادين: "هل النقد والبلاغة لم يتطورا لولا وجود كتب أسطو ونظرياته؟ أم أن التطور داخل في إطار الروافد التي تسهم في البناء الثقافي للأمم؟ وأن العرب تطوروا في النقد والبلاغة تطورا طبيعيا، لأنهم يملكون الإمكانيات الرائدة لذلك، وكان أن نتج عن وجود هذا التأثير أو عدم وجوده تياران، هما: ١. التيار الأول: يرى الثقافة اليونانية لم تؤثر في النقد والبلاغة العربية، بمعنى أن التطور الذي حصل كان عربي الروح والأسلوب والمضمون والمنهاج والمصطلح، وليست الإشارات اليونانية العقلية عند بعض النقاد العرب مثل (قدامه) إلا رافدا من روافد ثقافة النقاد العامة، لا يتجاوز السطح إلى الجوهر. ٢. التيار الثاني: يرى أن الثقافة اليونانية أحدثت أثرا كبيرا في النقد والبلاغة، وأنه لولاها لما بلغت الثقافة العربية في النقد والبلاغة هذا المستوى من الخصوبة عبر عصورها، ودليلهم على ذلك أن النقد والبلاغة العربيين قد حملا خصائص لم تكن موجودة قبل

عند الجمهور، يعود للنتقيب عن أصلها اللغوي، ويقف عندها باختصار وتركيز حتى تصبح مهياة لقبول مقاييس المصطلح، حيث قدم للغة إمكانيات هائلة، كما كانت له شخصيته المستقلة في المجال النحوي، شخصية واضحة بين أعلام النحو كسيبويه وابن جني والفراسي والأخفش، من خلال تحليله وتعليقه للإشكالات النحوية في وضعها بين الإعراب والمعنى الذي يفرضه السياق، كما كان واثقا عند مناقشته قضية الشعر والوزن .

وأخيرا فإن كتابه المنزع يعد إبداعا في علم المصطلحات، يجعل السجلماسي ينفرد بمنهاج جديد في هذا المجال، حيث استطاع أن يتناول موضوعه من خلال مصطلحات وقياسات منطقية صارمة، مع مسحة أدبية ومنهاج علمي يخضع للتصميم الجيد الذي وضعه لكتابه، كل ذلك في انسجام عضوي واتحاد منهجي بالثقافة النقدية والبلاغية العربية، وفي تخطيط ذكي ينطلق من الكليات بوصفها أجناسا عالية، قسم إليها مباحث (المنزع) تتفرع عنها تنازليا تقسيمات يعطيها التوزيع الطبيعي لتلك الكليات، ونظام المقارنة بين النقد والبلاغة عند العرب، وما ينسجم معها في الفكر اليوناني بعد أن وظف منطقته وفلسفته في قضايا النقدية والبلاغية، من خلال نورين: التحديد النظري للقضية، ثم التطبيق من التراث الأدبي العربي^(٧).

(المقدمة) والرحالة المغربي (ابن رشيد السبتي) في
(رحلته الموسوعية)^(١١).

المبحث الثاني: على مشارف المنزع:

١. بصمة السجلماسي على مصطلح البديع:

جعل السجلماسي للبديع جنسا خاصا ناقشه فلسفيا
وتطبيقا عمليا حتى حقق نقلة نوعية في مفهومه،
وأوقف انتماء هذا المصطلح مرة لمفهوم (البيان)،
ومرة لمفهوم (البلاغة والفصاحة)، أو (البديع) أحيانا
أخرى.

٢. ماهية المنزع وأسلوبه:

يبين السجلماسي هدفه من وضع كتابه المنزع قائلا:
"قصدنا في هذا الكتاب إحصاء قوانين أساليب
النظوم المشتملة عليها الصناعة الشعرية الموضوعية
لعلم البيان وأساليب البديع، وتجنيسها في التصنيف،
وترتيب أجزاء الصناعة في التأليف على جهة الجنس
والنوع، وتمهيد الأصل من ذلك للفرع، وتحرير تلك
القوانين الكلية وتجريدها من المواد الجزئية"^(١٢)، ثم
يبين أنواع البيان ويحصرها بعشرة أنواع هي:
(الإيجاز والتخييل والإشارة والمبالغة والرصف
والمظاهرة والتوضيح والانتساع والانتشاء والتكرير)،
ويظهر ولعه بالفلسفة عند تعاطيه مع أنواع كتابه،
واستناده للعمق الفلسفي والتراث الأدبي عند العرب
واليونان، ويرتب تلك الأنواع من الأعلى إلى الأوسط
إلى ما يتفرع عن كل نوع منها بمصطلحات محددة
ودقيقة، وقد منهج السجلماسي كتابه كالتالي^(١٣):

عصر الترجمة، سواء في تطور المصطلح أوفي
المنهاج أو في القضايا التي طرحت طرحا جديدا^(٨).
ويعد الشاعر الأديب (حازم القرطاجني) المتوفى
سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م علما بارزا من أعلام
الاتجاه اليوناني، "وهو أول من أدخل نظريات
أرسطو وتعرض لتطبيقها في كتب البلاغة العربية
الخالصة، وذلك في كتابه (منهاج البلغاء وسراج
الأدباء)، حيث عاصر حازم السجلماسي معاصرة
الشيخ للتلميذ، والتقى معه في الكثير من الخصائص
رغم أن لكل منهما منهاجه الخاص، وأسلوبه
المنطلق من اتفاقهما في توظيف نظريات أرسطو"^٩
"حيث تعرض حازم لكثير من القضايا النقدية
الأرسطية انطلاقا من نظرية المحاكاة إلى آخر ما
أمكن تطبيقه على البلاغة العربية .

وفي منهاج حازم تبرز عبقريته ناقدا يجمع بين
علمية المنهاج وثقافة الناقد العلمية وبين الذوق
الأدبي؛ فاجتمعت في شخصيته عناصر الثقافة
العربية واليونانية^(١٠)، ولحازم أرائه في الشعر
والمتلقي، قد تطرقت لها الدراسة عند المقارنة بينه
وبين السجلماسي في الصفحات القادمة .

كما ظهرت عدة مؤلفات متعلقة بالنقد في عصر
السجلماسي بالمغرب، إما من قبل علماء
متخصصين مثل حازم في (منهاج البلغاء)،
والسجلماسي في (المنزع)، وابن البناء في (الروض
المريع)، أو من قبل علماء تعرضوا للنقد والبلاغة
بشكل عام دون تخصص مثل: ابن خلدون في

٣ . لغة السجلماسي وتطويره للمصطلحات:
لكي يستطيع الدارس فهم (منزع) السجلماسي،
والوقوف على الثورة التنظيرية التي أحدثها بوضع
منهج جديد لصناعة البديع في إطار علم البيان،
وسبقه للوضع العلمي والمنهجي الفريد للنقد الأدبي
في إطار قانون جديد، لا بد من تتبع تطور
المصطلح النقدي والبلاغي عند السجلماسي من
خلال النقاط التالية:

١ . المصطلح لغة واستعمالا: حيث وقف
السجلماسي عند الكلمة بالمفهوم اللغوي واستعمالها
الشائع عند الجمهور، ومثال ذلك قول السجلماسي
عن مصطلح (المبالغة): "واسم المبالغة عند
الجمهور هو مثال أول لقولهم: بالغ في الأمر ببالغ
فيه: إذا أفرط وأغرق واستفرغ الوسع، هذا هو
موضوعه في اللغة وعند الجمهور"^(١٤)، وهكذا
بالنسبة للمصطلحات كلها، يعرض للناحية اللغوية.

٢ . التحديد العلمي للمصطلح: ومثاله قول
السجلماسي عن (الإيجاز): "وهو منقول إلى هذا
الجنس من علم البيان على سبيل نقل الاسم من
المعنى الجمهوري إلى المعنى الناشئ في الصناعة
الحادث فيها، وسبيل النقل بأن يكون المعنى المنقول
ملاقيا للمعنى المنقول منه إما لمشابهة المعنى
الصناعي للمعنى الجمهوري، مثل الزمام المستعمل
في صناعة الكتابة، وإما لتعلقه به بوجه آخر من
وجوه التعلق، مثل أن يسمى الشيء باسم فاعله عند
الجمهور، أو غايته، أو جزئه، أو عرض من

١ . التمهيد: حيث عرض فيه لأهمية البيان في فهم
أسرار القرآن وإعجازه.

٢ . تحديد موضوع الكتاب من خلال مباحثه العشرة.

٣ . تتبع كل جنس ورصد تفرعاته الاصطلاحية.

٤ . تحديد المصطلح من جانبه اللغوي واستعماله
عند الجمهور، ثم مفهومه الاصطلاحي وطرح آراء
العرب واليونان مناقشا ومعللا.

٥ . تحديده لكل جنس أو نوع معتمدا على
مصطلحين كبيرين هما: (الموطئ والفاعل)، ويقصد
بالموطئ: المعنى أو القاسم المشترك الذي يضم
التفرعات اللاحقة المتولدة مباشرة، وذلك مقدمة عامة
على إيجازها للفاعل، ويقصد بالفاعل: القانون
العلمي النظري العام الذي يمثل القاسم المشترك بين
المصطلحات التي تلتحم في وضعها الفلسفي
المنطقي بدلالاتها النقدية والبلاغية وفق نظام بنيوي
لغوي محدد.

٦ . الانتقال من الكلي العام (المقدمة/الموطئ) إلى
الكلي الخاص (القانون)، وقد اعتمد على شخصيته
وثقافته في التخطيط لفلسفة نقدية وبلاغية، مستعينا
بآراء النحاة والنقاد، والفلاسفة والمناطق من مفكري
المسلمين واليونان، مع وضع تنظيره الخاص .

٧ . إيراد الصور التطبيقية ليستخرج من مناقشتها
عناصر التقابل مع ما حدده في تنظير المصطلح،
وذلك بعد تحليله النظري لمعطيات الفاعل وبديهيته
المتجسدة في المصطلحات التي تحمل كل واحدة
منها التنظير المنهجي نفسه، الموطئ ثم الفاعل.

يناقشها نظريا وتطبيقا، ولذلك يتميز استخدام السجلماسي للمصطلح بالعلمية والدقة وقابلية الاحتمال للمعاني المتعددة ضمن النوع البياني التابع له، وتتبع جزئيات اللفظ ومعناه واهتمامه البالغ بما يدل اللفظ عليه، كل ذلك اعتمادا على الفلسفة والمنطق اللذين أخضعهما لإفادة البيان وأنواعه، مما يثبت أنه كان متميزا بأسلوبه دون تقليد لأحد.

٤ . إشكاليات ناقشها السجلماسي:

١. إشكالية الشعر بين المفهوم والخطابة: في رؤيته للشعر "أعاد السجلماسي تعريف الشعر إلى أرسطو ومن شرحه من العرب، وأضفى عليه صورته الناضجة المتكاملة" (١٩)، ويرى أن مفهوم الشعر لم يكن قد ترسخ بعد عند "أصحاب علم البيان ومتأدبي العرب، بسبب اختلاطه بالأقاول الخطبية، وعدم تميز صناعة عن صناعة" (٢٠)، مما أدى إلى الالتباس وعدم الوضوح.

ويؤكد السجلماسي تحليل معنى "القول المخيل) كضرورة حتمية لإعانة الأديب على التمكن من صناعته، وعلاقة النفس بالخلق الفني من حيث تذوقها للدلالة التخيلية واستمتاعها بالحدث الفني من عدمه، ويرى أن الشعر وحيه التخيل متجاوزا فكرة الصدق والكذب، بقوله: إن الجمال الفني يسكن في القول المستفز المتيقن كذبه والمركب من مقدمات مخترعة، أما الأسلوب الخطابي فيعطيه مكانا ضئيلا في التخيل، حيث يلتقي عنده مع بعض خصائص القول الشعري" (٢١)، وسيأتي تفصيل هذه القضية في

أعراضه، وجهة الالتقاء هنا: المشابهة . إذ في كل واحد منهما حذف فصول وتقريب فصول" (١٥)، ويريد من تحديده ذلك أن يرسخ الأرضية أو القاعدة التي يبحث عنها.

٣ . المصطلح الصناعي: لقد أوصل السجلماسي المصطلح إلى مرحلة النضج حتى أصبح يعتمد عليه في التحليل النقدي، ويمكن اكتشاف ذلك من قراءة النصوص التي تثبت تفوقه كفيلسوف ومنظر (١٦).

يقول: "واسم الإيجاز هو اسم لمحمول يشابه شيء شيئا في جوهر مشترك لهما، محمول عليهما من طريق ما هو حمل تعريف الماهية، والمحمول كذلك هو الجنس... " (١٧).

وفي حديثه عن المساواة والمفاضلة كنوعين متفرعين عن جنس الإيجاز، يقول: "إن الأقاويل، وبالجملة الألفاظ المركبة بالنسبة إلى المعاني قسمان: أحدهما: مساواة القول، وبالجملة اللفظ، للمعنى المدلول عليه ومطابقتها له، وهذا هو النوع الأول المدعو مساواة، والثاني: تقاضلها وزيادة أحدهما على الآخر، وهذا بحسب ما تعطيه القسمة قسمان: ما فضل فيه المعنى على اللفظ، وهذا هو المدعو مفاضلة، وربما فضل اللفظ على المعنى وهذا النوع، وإن كان نوعا يسوق إليه التقسيم فهو مردول غير معرج في الدلالة عليه، ولا مرجوع في العبارة إليه، وهو مما يعد في سبب استغلاق القول" (١٨).

نفهم من تلك الأمثلة ملامح القانون الخاص الذي يعكسه المصطلح النظري لفهم جميع القضايا التي

والاسترسال، والاتحاد العضوي بين اللفظ والمعنى مع إيراده الشواهد على ذلك من القرآن الكريم والشعر والنثر (٢٥).

٤ . قضية الدلالة: قام السجلماسي بتحديد (الدلالة) فلسفياً ونقدياً، وربطها بالصور استخلاصاً للقضية التي يتطلبها السياق، ثم ينتقل بعد مثل هذا التحديد النظري إلى الصور ويعلق عليها، حتى يتمثل البعد الدلالي المطلوب (٢٦).

٥ . مقاييس الأسلوب الجيد: ومن القضايا التي عالجها السجلماسي قضية الأسلوب الجيد في الأدب، ويرى أنه ذلك الأسلوب الذي يعتمد على الفلسفة والمنطق معا دون أن يقع تحت سيطرتهم، ويشترط توفر خمسة مقاييس في البيان الجيد هي: فصاحة الألفاظ، وجزالتها، وأسهلها نطقاً، وأحسنها سماعاً، وأثبتها إبانة عند النفس، وقد وضع السجلماسي هذه المقاييس في نوع (البيان) لأنه يرى أن هذا العلم هو المظلة التي تستظل بها علوم البلاغة كلها. (٢٧).

٦ . علاقة الفن بالنفس: يرى السجلماسي أن العملية الإبداعية تصدر من النفس كمصدر للمعاناة، ومن الفكر كمقوم للصناعة في تثبيت حدود العمل، فعن النفس تصدر الوحدة الفنية وإليها تعود لاستيعابها والتفاعل معها، ويرى أن البناء الفني الخلاق هو الذي يحمل في نفسه دلالة التأثير بالأسلوب والتركيب والتخيل والمحاكاة وما بينهما من جهة،

الصفحات القادمة من هذه الدراسة عند تناولنا لجنس التخيل.

٢ . الشعر بين الوزن والمحاكاة: ويتعرض السجلماسي في هذه القضية لمصطلح (التصدير) الذي يعني: "رد أعجاز الكلام إلى صدره، ويناقد علماء البيان والبلاغة الذي يحصرون هذا الأسلوب من التراكيب بالقول الشعري فقط، ويقع في القوافي فحسب، ولذلك فإنهم يبعدونه عن القرآن الكريم وأي قول غير شعري" (٢٢)، ويثبت السجلماسي أن رأيهم هذا خطأ، ويورد الأدلة على أن التصدير غير مقصور على الشعر والقوافي فقط، ويقول مثلاً: (فلان سريع إلى الشر وليس إلى الخير سريع، وفلان حسن القول وليس فعله بحسن) (٢٣)، والآية (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) (٢٤)، ويقصد السجلماسي من ذلك أن يرد العجز إلى الصدر دون وزن وقافية، مخالفاً العلماء الذين يرون أن هذا الأسلوب من التراكيب مقتصر بالقول الشعري فقط، ويثبت خطأ رأيهم هذا بالمثالين السابقين، وأن التصدير يقع في الأقوال الشعرية وغير الشعرية، وسنرى المزيد من التوضيح حول التصدير عند استعراضنا لمفهوم الشعر عند السجلماسي.

٣ . قضية اللفظ والمعنى: تبدو مناقشة السجلماسي لهذه القضية جلية عند دراستنا لكتاب (المنزع)، حيث يؤكد أهمية مساوقة اللفظ والمعنى دون شذوذ أو تنافر، وعدم تفوق اللفظ على المعنى بالحشو

يتصدى السجلماسي لهذا الكلام ويوضحه معللاً، إذ يقول: "لقد بلغ هذا الكلام معاوية فقال: شك أبو الأسود، فرد أبو الأسود على معاوية بآية قرآنية هي قوله تعالى: "وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين"، وقال: أترى أنه كان شك في ضلال الكفار؟" (٣١)، ويقول السجلماسي تعليقا على ذلك: "إن هذا التمثيل من أبي الأسود الدؤلي صحيح لاتحاد صورتين، وارتقائهما معا إلى هذا النوع من إجراء الكلام على الشك في اللفظ فقط دون الحقيقة لحسم العناد، ويضيف السجلماسي لذلك: هذا النوع من علم البيان وأساليب البديع، هو من الكلام الرائق، والمبالغة الحسنة، ... فجمع السجلماسي هنا بين تحليل البيت الشعري وتحليل جدال أبي الأسود الدؤلي لمعاوية بالأسلوب القرآني" (٣٢).

المبحث الثالث: جولة في عوالم المنزع:

ربما أن لنا الآن أن نلج إلى عالم عالمنا السجلماسي، أو إلى مشروعه المتفرع إلى تخصصات كثيرة في النقد والبلاغة والأدب والفلسفة والمنطق .

١. ما الذي يريده السجلماسي ؟

عند الوقوف على مدخل (المنزع) نجده يقول: "قصدنا في هذا الكتاب إحصاء قوانين أساليب النظم التي تشتمل عليها الصناعة الموضوعية لعلم البيان، وأساليب البديع، وتجنيسها في التصنيف وترتيب أجزاء الصناعة في التأليف على جهة الجنس

والتصور العقلي التنظيري من جهة أخرى هو الذي يعطي للفن صورته المطلوبة" (٢٨).

٥ . السجلماسي ناقدا ومحللا:

قبل أن نلج إلى أجناس السجلماسي التي خصص (منزعه) لها، يجدر أن نقف عند بعض النماذج التي عالجه تحليلًا ونقدًا؛ ففي بيت بشار بن برد مثلا يمزج صاحب (المنزع) بين التحليل الفلسفي العميق وبين انعكاسه فكريا من أجل تنظير العمل الأدبي.

نص البيت "إذا أيقظتك حروب العدى فنبه لها عمراً ثم نم" (٢٩).

في تحليله لهذا البيت تبرز قدرة السجلماسي على التحليل في الأجواء الفلسفية والمنطقية دون التخلي عن المنطق البلاغي والنقدي؛ فقد طرح البيت في إطار وضع عمر مواجهها للحرب في الميزان من خلال التضاد بينهما في القوة والفعالية والتقابل، وانتهى إلى أن عمرا سيكون عاجزا لمواجهه الحرب وحيدا؛ فركز على الجانب المعنوي في الفكرة، وكان الحل برأيه أن نوقف للحرب، ورأي عمر صائب، لأن الرأي والتخطيط هو الذي يجعل من عمر قوة قادرة على المواجهة.

وفي تحليله لأبيات (أبي الأسود الدؤلي)، يسترسل إذا وجد في ذلك واقعا توضيحيا، وداعما لرأي سيعطيه.

يقول الدؤلي :

"أحب محمد حبا شديدا وعباسا وجعفر والوصيا

فإن يك حبهم رشدا أصبه وليس بضائري إن كان غيا" (٣٠).

نبدأ بذلك الآن حرصاً على لم شمل أفكارنا التي قد تشتتت إذا ما قمنا بعرض كل الأجناس المذكورة في منزع السجلماسي قبل جنس التخيل، بسبب تشعباتها وتفرعاتها الكثيرة، وسوف نتطرق لها بعد فراغنا من الموضوع الأهم لدراستنا هذه.

٢. التخيل موضوع الصناعة الشعرية:

التخيل إذن هو مرادنا، وهو المنبع الأول الذي يروي الشعر بالحياة، ويغذيه، ويكفل له الارتقاء واستحقاق صفة الشعر الشعرية، هذا المنبع الأول الذي تتولد عنه روافده الأربعة، التي إن التقت جميعها كان الشعر شعراً وأدباً وفناً، وإن جف رافد منها، فقد الشعر والقول الشعري حجراً أساسياً من بنائه، ودعامة هامة من دعاماته، والروافد الأربعة هي: التشبيه، والاستعارة، والمماثلة، والمجاز. هكذا يراها السجلماسي؛ فهو يصنف التخيل جنساً ثانياً من ضمن عشرة أجناس تنضوي تحت راية علم البيان وصناعة البلاغة والبديع، والتخيل هو الموضوع الأساس الذي تتألف منه الصناعة الشعرية، وهذا التخيل والقول المخيل ينقسم إلى الأنواع الأربعة المذكورة سابقاً.

فكيف يرى السجلماسي ذلك؟ ما هي الصناعة الشعرية؟ وما هي المحاكاة؟ ثم ما مفهوم صاحب المنزع للشعر والشعرية؟ وما رأيه بتلقي الشعر حين تقارنه بآبن جيله العالم حازم القرطاجني الذي عاصره؟ وهل تركزت الصناعة الشعرية بالتخيل وأنواعه، أو ببعض هذه الأنواع دون غيرها؟ ثم ما

والنوع، وتمهيد الأصل من ذلك للفرع، وتحرير تلك القوانين الكلية وتجريدها من المواد الجزئية^(٣٣).

ومعنى ذلك أن السجلماسي يريد أن يتتبع أسس الكتابة الفنية وأصولها وقواعدها، من خلال تقسيم كل قانون إلى (جنس عال) أو (قاعدة كلية راسخة) تبنى عليها فروع ذلك القانون وتفرعاته، ونلاحظ أن قوانين السجلماسي هذه واقعة في علم البلاغة والبيان، وأنه يقنن أقسام صناعة البديع والبلاغة بعشرة أجناس بلاغية هي التي تقود الحالة الأدبية والإبداعية، وتزودها بالطاقة.

ويقصد السجلماسي بكلمة (المنزع) : "الهيئات الحاصلة عن كيفيات مآخذ الشعراء في أغراضهم، حتى يصل الكلام إلى صورة تقبلها النفس أو تمتع من قبولها"^(٣٤)، أي أنه يعني قوانين صياغة العملية الإبداعية الأدبية حتى تصل إلى حالة النضج والاكتمال.

أما الأجناس التي قسم السجلماسي كتابه إليها فهي حسب ترتيبه لها: " الإيجاز، التخيل، الإشارة، المبالغة، الرصف، المظاهرة، التوضيح، الاتساع، الإنباء، والتكرير"^(٣٥).

وحيث أن موضوع دراستنا الأساسي هنا، والمتعلق بالصناعة الشعرية وأركانها، كما قسمها السجلماسي، مفهوم الشعر والشعرية، التخيل والمحاكاة، وقد أدرجه السجلماسي في إطار الجنس الثاني من الأجناس العشرة المذكورة وهو جنس "التخيل"، وحيث أن ذلك هو المحتوى الرئيس لهذه الدراسة، فسوف

أرسطو، أو فيما عرفه المصطلح من تطور على يد حازم القرطاجني في كتابه (منهاج البلغاء) (٣٩).

إذن؛ "فقد مر (التخييل) بمراحل عديدة، وعرف تقلبات بين الفلسفة والأدب قبل أن يستقر على الصورة التي حملت دلالتها في الخطاب الشعري مشتتة على يد أرسطو، ثم على يد الفلاسفة المسلمين بعده بعد اتحاد التخييل بالمحاكاة... إلى المنعطف النظري لها في منهاج (حازم)، ولكنها لم تدخل المجال اللغوي الأسلوبى المباشر، ويصبح التخييل وما اشتق منه جزءاً من النظرية البلاغية النقدية إلا على يد السجلماسي" (٤٠).

وعند دخولنا إلى (جنس التخييل) في كتاب المنزع، نلاحظ أنه يقصد بالتخييل، الاستخدام المتميز للغة الشعرية من خلال شحنات التصوير وانزياح دلالات الكلام بعلاقات المقارنة أو النسبة أو الإبدال، بالإضافة إلى إشارة مصطلح التخييل إلى مكوناته من تشبيه واستعارة وتمثيل ومجاز، وأنه مرادف للمحاكاة، والأهم من ذلك أنه الجوهر الأساس للصناعة الشعرية، باعتباره المميز الذي يجعل الشعر مختلفاً عن الاستخدامات الأخرى للغة والكلام.

ثم يأتي السجلماسي إلى تعريف الشعر وتفسيره، لخط العلماء بين الأقاويل الشعرية مع الخطبية تفسيراً مقنعاً، ثم يأتي إلى معنى (القول المخيل) وتحليله وأنواعه التي هي نفسها مكونات (التخييل).

٣ . ماهية الشعر وحقيقته عند السجلماسي:

الذي يدعو السجلماسي لوضع تلك القواعد للعملية الإبداعية؟

يقول السجلماسي في مطلع جنس التخييل: "هذا الجنس من علم البيان يشتمل على أربعة أنواع تشترك فيه وهي: نوع التشبيه، ونوع الاستعارة، ونوع المماثلة. وقوم يدعون التمثيل، ونوع المجاز، وهذا الجنس هو موضوع الصناعة الشعرية" (٣٦).

كما يجعل التخييل مرادفاً للمحاكاة والتمثيل، يقول: "والتخييل هو المحاكاة والتمثيل، وهو عمود الشعر، إذ كان به جوهر القول الشعري وطبيعته ووجوده بالفعل" (٣٧)، ويشاكل السجلماسي الفلاسفة المسلمين السابقين في أن التخييل هو الشريان الحي لعملية الإبداع والصناعة الشعرية، حيث وضع الفلاسفة المسلمون الأصول النظرية لموضوع الشعرية التي تقوم على التخييل بشكل خاص" (٣٨)، حيث كان ذلك واضحاً في آراء الفارابي وابن سينا والجرجاني، وكذلك جازم القرطاجني المعاصر للسجلماسي.

كما أن التخييل كان قد نشأ قبل السجلماسي بزمن بعيد، "ونشأ بعد نضج مصطلحين كبيرين هما: التخييل والمحاكاة، حيث ولد التخييل وتطور في المباحث السيكلوجية الأرسطية، والتطورات التي عرفت على يد الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، ونشأت المحاكاة وتطورت في المباحث النقدية والأدبية سواء في فن الشعر والخطابة عند

الموضوعات خلال الصفحات القادمة، وكيف أضفى على الشعر صورته الناضجة المتكاملة. ثم يؤكد السجلماسي على إشكالية الشعر بين مفهومه وعلاقته بالخطابة وسبب تلك الإشكالية، حيث يقول: "والسبب في ذكر أصحاب علم البيان ومتأدبي العرب هذا الجنس مختلطاً، هو أنهم لم يكونوا تميزت لهم الأقاويل الشعرية من الأقاويل الخطبية، ولم يتبين لهم ما يخص صناعةً صناعةً، بل كانت مختلطة عندهم، والسبب هو التباس كلياتها بموادها وعسر انتزاعها منها" (٤٤).

أي أن السجلماسي يريد أن يحدد الشكل التام والناضج للشعر، رغم أن تعريفه له نجده عند ابن سينا وحازم القرطاجني نقلاً عن أرسطو، كما نجده عند العرب في عصور الأدب المختلفة، واستخدامه لتعريف ابن سينا للشعر يخدم مدخله إلى تناول الشعر بوصفة بنية لغوية متميزة تعتمد على التخيل، فضلاً عن الوزن والقافية، وهي عناصر تتعلق بالشكل والصياغة على المستوى الصوتي (الوزن والقافية)، والمستوى المعنوي الدلالي (التخيل)، وهي عناصر أساسية في تمييز الشعر عما عداه من الأشكال اللغوية ودورها في التأثير (٤٥). ثم يبين السجلماسي في جنس (التخيل) من كتابه (المنزح البديع) معنى القول المخيل، يقول: "إن القول المخيل هو القول المركب من نسبة أو ينسب الشيء إلى الشيء، تركيباً تدع له النفس فتتبسط عن أمور وتتقبض عن أمور من غير روية وفكر" (٤٦)، بمعنى

يعرض السجلماسي رؤيته للشعر في مستهل جنس التخيل إذ يقول: "الشعر هو الكلام المخيل المؤلف من أقوال موزونة متساوية، وعند العرب مقفاه" (٤١). ثم يبين دلالة تلك الأقوال الموزونة والمقفاه بقوله: "فمعنى كونها موزونة؛ أن يكون لها عدد إيقاعي، ومعنى كونها متساوية؛ هو أن يكون كل قول منها مؤلفاً من أقوال إيقاعية؛ فإن عدد زمانه مساو لعدد الآخر، ومعنى كونها مقفاه؛ هو أن تكون الحروف التي يختم بها كل قول منها واحدة" (٤٢).

ثم يؤكد بعد ذلك أن "التخيل هو جوهريته والمشارك للجميع، وينبغي أن يكون موضوعها ومحل نظرها" (٤٣).

ونحن نرى -تعليقاً على تعريف السجلماسي ذلك- أنه لم يأت بجديد في معنى الشعر وتعريفه له، حيث أن تعريف الشعر عند العرب بجميع عصورهم حتى منتصف القرن العشرين تقريباً، كان متقاطعاً مع تعريف السجلماسي؛ فعبارة (الشعر هو الكلام الموزون المقفى، وله معنى)، عبارة لا يختلف عليها اثنان منذ العصر الأدبي في الجاهلية وحتى ما قبل عصر الحداثة الشعري، ولكن الذي يمكن أن يكون جديداً نوعاً ما في الموضوع، ما يتعلق منه بالرؤية العميقة للسجلماسي في التخيل، واستشراجه للكثير من الآراء الشعرية التي ظهرت في العصر الحديث حول الخيال والصدق والكذب ووظيفة الشعر وتأثيره عند المتلقي، ومدرسة الفن للفن، والوظيفة الجمالية للشعر؛ حيث سنرى تقدم تفكير السجلماسي في هذه

"قول جوهره هو القول المستنقز للنفس، المتيقن كذبه، المركب من مقدمات مخترعة كاذبة تخيل أمورا وتحاكي أقوالا، ولما كانت المقدمة الشعرية إنما نأخذها من حث التخيل والاستقزاز، وكان القول المخترع المتيقن كذبه أعظم تخيلا وأكثر استقزازا وإلذاذا للنفس، وكلما كانت مقدمة الشعر أكذب.. كان أذهب في معناه"^(٥٠)، بمعنى أقواه أثرا.

إذن، لنحاول أن نللم مرة أخرى رؤية السجلماسي للشعر وما فيه من شعرية، وما يضمنه من قضايا أخرى، وما نلمسه من تميز وإبداع، حيث يتبين لنا أن مفهوم الشعر عند السجلماسي قد "تجاوز ما جاء عند البلاغيين العرب القدماء من حيث ارتباط الشعر بالوزن والقافية فقط، إلى أن التخيل هو الذي يجسد جوهر الشعر وعموده، كما أن مفهوم الشعر عنده قد ارتبط بمفهوم الشعر عند الفلاسفة المسلمين الذين شرحوا كتاب فن الشعر لأرسطو، لكن السجلماسي قد اقتصرت وظيفة الشعر عنده على إثارة المتلقي وإمتاعه واستقزازه، بينما ارتبط مفهوم الشعر عند الفلاسفة المسلمين على إحداثه اللذة، ومن ثم تحقيق توجيه معين لسلوك المتلقي نحو أهداف تربوية وأخلاقية"^(٥١).

إذن ما يدل على رؤية السجلماسي الحداثوية للشعر رغم أنه عاش في القرن الثامن، هو تميزه في "تحديد ماهية الشعر حتى عن التيار النقدي الذي أفاد من التراث الفلسفي، حيث ركز أصحاب هذا التيار في تعريفهم للشعر على أنه كلام منظوم بائن عن

أن "مفهوم الخيال عنده يتبين في التركيب المشتمل على شروط الارتباط والنسب والوصل بين الأشياء كضرورة حتمية لتمكين الأديب من صناعة يستطيع معها الانتقال من صورة إلى صورة ومن فكرة إلى فكرة في تسلسل وتلاحم ووحدة، كما يستطيع معها القارئ أن يتعاطف مع الأثر ويتبع دلالاته الفنية والفكرية"^(٤٧).

والسجلماسي في تقديمه لمعنى القول المخيل، يؤكد على "علاقة النفس بالحالة الفنية من حيث انسياقها مع الدلالة التخيلية وإذعانها للحدث الفني الذي يحدثه فيها إحساسا واقتناعا بالنفس الناطقة، وقد تنفر منه إذا لم يحمل ما يستجيب لتطلعاتها"^(٤٨)؛ فهي إذن تنبسط عن أمور وتتقبض عن أخرى تلقائيا من غير تفكير، كما يبين في عناصر القول المخيل سر الجاذبية الكامنة فيه، وإذعان النفس له، وسبب ذلك هو الالتذاذ الكائن للنفس الناطقة من إدراك النسب والاشتراكات والوصل بين الأشياء؛ ويقصد السجلماسي بهذا أن من طبيعة النفس في رد فعلها حين تدرك بشيء أو بإشارة أدبية شيئا آخر، أن يصيبها التذاذ وانبساط وطرب وانفعال، ثم يكمل السجلماسي رؤيته للقول المخيل قائلا: "إذ كانت القضية الشعرية إنما تؤخذ من حيث هي مخيلة فقط دون نظر إلى صدقها أو عدم صدقها"^(٤٩)، وفي ذلك تجاوز لقضية الصدق والكذب في الشعر إلى الإيمان بالتخيل كمصدر لكل وحي وإلهام، وذلك يؤكد السجلماسي حين يقول عند حديثه عن المجاز

تعريف الشعر، حيث لا يختلف تعريفه له عن تعريف ابن سينا وغيره من العلماء والفلاسفة، لكنه أعاد هذا التعريف وصاغه حتى أوصله إلى حالة متقدمة من خلال:

أ- التخيل والقول المخيل: والتخيل هو نفسه القول المخيل عند السجلماسي، ومعناه "القول المركب من نسبة الشيء إلى الشيء تركيباً تدعن له النفس فتنبسط عن أمور وتتقبض عن أمور من غير روية وفكر" (٥٥)، وهذا التخيل هو أساس الشعر عنده، والمكون الرئيسي للشعرية في القول، والفنية في الشعر، أكثر من أي شيء آخر ذكره العرب السابقون، وقد بينا ذلك في تعريف السجلماسي للقول المخيل وعناصر القول الشعري الجميل، الذي يحمل دلالات توحى بتخيل أمور ومحاكاة أقوال ومشاهد .

ب- موضوع والقافية والوزن: نعلم أن النقاد العرب قد حصروا الشعر في الوزن والقافية، وأن ما يسمى بـ (التصدير) الذي هو (رد العجز إلى الصدر في الكلام)، وما يسمى بالقافية خصوصاً، هو عند علماء العربية ونقادها لا يقع إلا في القول الشعري، وبالتالي جعلوا ذلك ما يميز الشعر عن النثر أو غيره من الكلام، أما السجلماسي فقد عارض هذا الرأي وقال: "التصدير هو رد أعجاز الكلام على صدوره، وعلماء البيان يرون أن هذا النوع من النظم والتراكيب هو مخصوص بالقول الشعري وفي القوافي خاصة، ولذلك يبعدونه من القرآن الكريم ومن القول غير الشعري، ويرون أنه يوجد في الشعر فقط، فهل

المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خص به من النظم" (٥٦)، أو أنه "قول موزون مقفى يدل على معنى، حيث يحضر هذان التعريفان الفارق بين الشعر والنثر في الجانب الموسيقى المتحقق في الوزن والقافية" (٥٣)، وحينما قلنا في بداية حديثنا عن جنس التخيل في هذه الدراسة وتعريف السجلماسي للشعر، إنه لم يأت بجديد في معنى الشعر أو تعريفه له، لأن تعريفه له مشابه لما عرفناه عند العرب في جميع عصورهم، ولأنه هو نفسه تعريف ابن سينا وأرسطو وغيرهما، وكأن هذا التعريف ليس من إبداع السجلماسي نفسه؛ إنما الجديد أنه أعاد تعريف الشعر الذي ذكرناه سابقاً في حديثه ببداية جنس التخيل، وأكد في مكان آخر من كتابه فهمه للشعر وتصوره، "أن الوزن والقافية وحدهما لا يكفيان لتحديد ماهية الشعر وجوهره، فالشعر يقوم على التخيل أولاً، ثم الوزن والقافية، لذلك فقد عد السجلماسي أن الفارق الأساسي بين الشعر والنثر هو التخيل، وأن الوزن والقافية هما في المرتبة الثانية في تعريفه للشعر، بينما ركز العلماء السابقون على الوزن والقافية أولاً كفرق بين الشعر والنثر، في حين أن الوزن قد يكون في النثر العادي وكذلك القوافي المسماة بالفواصل في القرآن الكريم؛ فالقضية الرئيسية التي يثيرها السجلماسي هي أن الوزن والقافية ليسا الفارق الوحيد بين الشعر والنثر" (٥٤).

إذن يتبين لنا أن الشعر عند السجلماسي يشتمل على العديد من المعطيات والقضايا الإشكالية، وهي:

كاذبة^(٥٨)؛ فالكذب إذن مرادف للتخيل الذي هو أهم مميز من مميزات الشعر والشعرية.

د . المتلقي وغرض الشعر: وما دام الكذب المثير للتخيل هو ما يحقق شعرية النص عنده، فإن وظيفة الشعر برأيه، تتحصر في إثارة انبساط المتلقي ومتعته واستفرازه وانجذابه للنص، بسبب ما فيه من قول مخيل.

هـ . النفس والحالة الفنية: حيث أن النفس هي مصدر الوحدة الفنية، وإليها تعود، لاستيعابها وتذوقها، وتتبسط من أمور أو تنفر من أمور لأنها هي مصدر المعاناة التي تنطلق منها العملية الإبداعية.

وبهذا نرى أن فهم السجلماسي للشعر، كان أشمل وأعمق من غيره في احتوائه على العديد من الإشكاليات والقضايا، ويذكرنا بحديثه عن التخيل بالحدثة الشعرية التي تطورت في القرن العشرين، وبعض ما في النصوص الأدبية الحديثة من تخيل وإثارة، وجعل المتلقي يشعر بالدهشة والحيرة والتحليق في عالم الخيال واللامرئي.

٤. أركان التخيل وروافده الأساسية:

ربما يجدر بنا الآن أن ننقل إلى الأنواع التي يرى السجلماسي أنها تشكل بمجملها موضوع الصناعة الشعرية المتمثل بالتخيل، هذه الأنواع هي الروافد الرئيسية التي تكون شعرية الشعر وفنائه وجماله، وبدونها لا تتشكل الحالة الإبداعية، أما هذه الأنواع فهي أربعة وهي:

رأيهم هذا صدق؟.. وهم يعنون بالقول الشعري القول المقفى فقط، وذلك لالتزامهم هذا في الشعر، وكان الوزن هو الفصل عندهم للشعر، لأنهم لم يشعروا بمعنى التخيل والمحاكاة وأنه عمود الشعر وجوهه^(٥٦).

ثم يثبت خطأ رأيهم ذلك، قائلاً: "إن ذلك غير مقصور على القول الشعري ولا مخصوص بالقوافي؛ فلو فحص قول غير شعري مردود العجز على الصدر دون وزن وقافية، لم يكن ممتنعاً، وذلك كأن نقول: فلان سريع إلى الشر وليس إلى الخير سريع، وفلان حسن القول وليس فعله بحسن، وأما وجوده بالفعل قوله تعالى: (واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون)"^(٥٧).

وهو يثبت بهذا أن (التصدير) بمعنى رد عجز الكلام إلى صدره، يقع في مختلف أنواع الكلام شعرية كانت أو غير شعرية، وأن سبب غلط النقاد وغيرهم من العلماء السابقين، هو اعتيادهم على القوافي والاعتياد للأقويل الشعرية التي ترد فيها أعجاز الكلام إلى صدرها بسبب ورود العجز في القافية، ويثبت وجود التصدير في الشعر والنثر وفي الأسلوب القرآني، وبالتالي لم يعد الوزن والقافية هما الفارق الرئيسي لتمييز الشعر عن غيره، وإنما بالتخيل كما ذكرنا.

ج . الصدق والكذب في الشعر: كما يشتمل الشعر عند السجلماسي على موضوع الصدق والكذب، فهو عنده "القول المستفز المركب من مقدمات مخترعة

يتبع بما يراد تخيله فيه وتشبيهه به، إما بالأداة وإما بالتبديل والتنزيل^(٦٤)، ومثاله الذي يضعه السجلماسي الآية "وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام"^(٦٥)، حيث ذكر المشبه أولاً، ثم ذكر المشبه به بعد ذلك، وأداة التشبيه حرف الكاف. وقوله: "إذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان"^(٦٦)، حيث ذكر المشبه أولاً وهو السماء عند انشقاقها، ثم ذكر ما خيلها به وهو الدهان، باستخدام أداة التشبيه الكاف.

ومثاله قول الشاعر أبي القاسم الزاهي:

"أرى الليل يمضي والنجوم كأنها
عيون الندامي حين مالت إلى الغمض"^(٦٧).

حيث نلاحظ في هذا البيت أنه قد ذكر المشبه به أولاً وهو (النجوم)، ثم ذكر ما شبهها به وهو (عيون الندامي)، وذلك باستخدامه لأداة التشبيه (كأن)، ولا يخفى للسامع حين يسمع هذا البيت ما فيه من شعرية، تتمثل بتخيله لصورة النجوم في آخر الليل ومقارنتها السريعة بعيون الندامي المثقلة بتأثير الشراب وتغيرها وتبدل حالها، فهذا الاستخدام للغة يثير متعة المتلقي وانبساطه الناتج عن حدوث التخيل.

ب. أما النوع الثاني من التشبيه البسيط، فهو الجري على غير المجرى الطبيعي ويقصد السجلماسي به: "عكس التشبيه"^(٦٨)، بمعنى "أن يكون الجزء الأخير من القول التشبيهي هو المشبه والموصوف، والجزء الأول هو المشبه به، وسبب هذا التشبيه هو المبالغة

١. التشبيه ٢. الاستعارة ٣. المماثلة (التمثيل) ٤. المجاز.

١. ولنبدأ بالنوع الأول من أنواع التخيل وهو (التشبيه):

يعرفه السجلماسي بأنه "هو القول المخيل وجود شيء في شيء، إما بأحد أدوات التشبيه الموضوعه له كالكاف وحرف (كأن) أو (مثل)، وإما على جهة التبديل والتنزيل"^(٥٩). ومثاله قول امرئ القيس: "وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي"^(٦٠).

ويقول بتعريف آخر: وقال قوم: "التشبيه هو صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة، أو من جهات كثيرة لا من جميع جهاته"^(٦١). ومثال آخر، قول أبي تمام:

"هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف
والبحر ساحله"^(٦٢).

ودلالة التشبيه واضحة في المثالين. ثم يقسم السجلماسي التشبيه نوعين آخرين هما:

١. البسيط ٢. المركب.

فالتشبيه البسيط هو نفسه التعريف السابق وهو "القول المخيل المشبه والممثل فيه شيء بشيء، ويعني ذاتا مفردة بذات مفردة من جهة واحدة أو أكثر"^(٦٣).

وهذا التشبيه البسيط نوعان أيضا وهما:

أ. الجري على المجرى الطبيعي: ويقصد به في التخيل والتمثيل "أن يبدأ بما يراد تخيله وتشبيهه، ثم

حالة من الشعور بالمتعة والانفعال، من خلال العلاقة الوثيقة بين التشبيه والصورة الشعرية، فيتحقق بذلك الهدف من القول بتفاعله مع جميع كلمات البيت أو مكونات القول الشعري، لخلق الإشارات التي تصنع التخيل والاستفزاز.

٢. نأتي إلى النوع الثاني من أنواع التخيل حسب تقسيم السجلماسي، وهو المكون الثاني للشعرية، وهذا النوع هو (الاستعارة)، والاستعارة ليست تغيرا في المعنى، بل في طبيعة المعنى ونمطه، وهي انتقال من المعنى المفهومي إلى المعنى الانفعالي، بمعنى انتقال من اللغة المطابقة إلى اللغة الإيحائية^(٧٣).

يقول السجلماسي: "الاستعارة هي أن يكون اسم ما دالا على ذات معنى معروف به دائما من أول ما وضع، ثم يلقب بهذا المعنى والاسم شيء آخر لمواصلته للأول بنحو ما، تخيلا لذات المعنى الأول الموضوع عليه الاسم في الشيء الثاني الملقب به حين اللقب، من غير أن يجعل مثبتا للثاني دالا على ذاته"^(٧٤)، يقول السجلماسي: "قرب الشبه بين المستعار منه والمستعار له، وتحقق النسبة، وامتزاج اللفظ بالمعنى دون منافرة"^(٧٥).

ويقصد السجلماسي بهذا التعريف المعنى المعروف للاستعارة، وهي: استعمال اللفظ في غير ما وضع له أصلا لعلاقة المشابهة، مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي، وهي إغارة اسم المشبه به للمشبه

في التخيل والوصف"^(٦٩)، ويمثل السجلماسي لهذا النوع من التشبيه بقول الشاعر البحتري: "في طلعة الشمس شيء من محاسنها وفي القضيب نصيب من تشنيها"^(٧٠).

إن المشبه به هنا هو (المحاسن) وقد جاءت في آخر الشطر، والمشبه به هو (طلعه الشمس) وقد جاء في الجزء الأول من القول لغرض الغلو والمبالغة؛ حيث عكس التشبيه هنا بذكر المشبه به قبل المشبه، مما يثير المتلقي ويترك عنده أحسن الوقع الناتج عند مفاجئته بـ(طلعة الشمس)، قبل أن يعرف أن هذه الطلعة هي مجرد بعض قليل من محاسن الموصوفة.

والنوع الثاني من التشبيه بصفته ركنا من أركان التخيل هو (التشبيه المركب)، ويقصد به السجلماسي: "أن يقع التخيل في القول لشيئين بشيئين، والمشبه والمشبه به ذوات كثيرة، وينتظم التشبيه والتخيل بالمناظرة بين الجنبتين"^(٧١)، ومثاله التوضيحي قول بشار بن برد: "كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه"^(٧٢).

فالمشبه هو النقع والأسياف ووقعها، والمشبه به هو الليل وكواكبه التي تهوي، وانتظم التشبيه بمناظرة إحدى الجهتين بالأخرى، حيث لاحظنا هنا أن المشبه أكثر من شيء واحد، والمشبه به عدة أشياء أيضا، وهذا مما يجعل المتلقي محتارا ومندهشا بسبب التخيل الذي وقع في القول؛ فتحدثت عنده

اللغة بدور محدد: هو التوصيل فحسب، فتستخدم الألفاظ بدلالاتها المباشرة المحددة، وتصبح الألفاظ عندئذ إشارات إلى دلالات ومعان ثابتة، أما المستوى الثاني فتستخدم فيه الألفاظ بهدف آخر غير التوصيل، هو التخيل أو التأثير، ومن هنا تستخدم الألفاظ استخداما تتحرف فيه عن الاستعمال الحرفي المباشر، فتصبح مشحونة بدلالات متنوعة متعددة، من خلال إقامة علاقات جديدة بينها، تعتمد على الاستعارة^(٧٨).

وهذا يعني أن المتعة والشعرية في النص لا تتحقق إلا باستخدام الألفاظ الموحية، التي تطلق العنان للمتلقي كي يحلق فيما يسمع، تحليقا يجعله منطلقا في ما أوحى به اللفظة، لا بما يعرف عنها من معنى لغوي تقليدي.

٣. أما (المماثلة) أو (التمثيل)؛ فهي المكون الثالث من مكونات التخيل، وبالتالي الشعرية عند السجلماسي، يقول السجلماسي في مستهل تعريفه لها: "وحيثها التخيل والتمثيل للشيء بشيء له إليه نسبه، وفيه منه إشارة وشبهه... وذلك أن يقصد الدلالة على معنى، فيضع ألفاظا تدل على معنى آخر، ذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذي قصد الدلالة عليه"^(٧٩).

وقد عد المماثلة نوعا من الإشارة أو الكتابة، وهو خروج باللغة من دلالتها الصريحة إلى معناها الانفعالي والفني^(٨٠)، كما "ربط السجلماسي المماثلة بالمتلقي من حيث إحداث اللذة والمتعة الفنية"^(٨١)،

وإجراؤه عليه.

ومثال الاستعارة، قول المتنبي:

"من الجآذر في زي الأعراب حمر الحلى
والمطايا والجلابيب"^(٧٦).

حيث استعار الشاعر لفظة (جآذر) وهي جمع (جؤذر) ولد البقرة الوحشية، لتدل على النساء الأعرابيات، فنقل المعنى من معناه المعروف إلى معنى آخر جديد، وهناك علاقة مشابهة بين (جآذر) والنساء، هي المشابهة في جمال الشكل والهيئة، ولا شك أن هذا الأسلوب من القول هو في غاية الحسن والجمال، الناتج عن إخفاء المشبه وإظهار المشبه به، مما يولد الطاقة الفنية الكامنة في الحالة الإبداعية، وبالتالي تترك مفعولها واقعا على المتلقي.

إذن؛ فالاستعارة عند السجلماسي "تجسد جوهر العملية الشعرية وطاقتها الفنية، وقد حدد السجلماسي مجال الاستعارة الذي يختلف عن مجال اللغة البرهانية بقوله: فإن البرهانية يشترط فيها من استعمال الألفاظ الأصلية والنظوم الأصلية غير المغيرة والمستعارة مع سائر ما يشترط فيها، ما لا يشترط في البلاغية، فإنه يعرض في البلاغية بحسب موضوعها من الإبدال والتغيير في الألفاظ والنظوم، عوارض توجب استعمال النظوم غير الأصلية المغيرة"^(٧٧).

فالسجلماسي "يفرق هنا بين العبارة البلاغية، وهي التي يستخدمها الشعر، والعبارة البرهانية، مشيرا إلى مستويين لغويين متمايزين، في المستوى الأول تقوم

تخييلا واستفزازا لمزيد الغرابة، ولولوع النفس بذلك" (٨٥).

وعند تحليلنا لتعريف السجلماسي المذكور للمجاز، نتذكر رؤية السجلماسي للشعر، ونظرته للمتلقي، وإيمانه بأن أكذب الشعر أقواه تأثيرا ومتعه ولذة، فهو يقرن المجاز صراحة بالكذب بقوله (القول المستنقز للنفس المتيقن كذبه، المركب من مقدمات مخترعة كاذبة...)، ويبين العلاقة القوية بين المجاز والتخييل، بقوله (ولما كانت المقدمة الشعرية إنما نأخذها من حيث التخييل والاستفزاز فقط، وكان القول المخترع المتيقن كذبة أعظم تخييلا وأكثر استفزازا...)، كان -ويقصد المجاز- أذهب في معناه وأقعد أنواع الجنس بفعل التخييل، "وبهذا يصبح المجاز عند السجلماسي أشد أنواع جنس التخييل خصوصية بالتخييل، وأعظم أنواع التخييل استفزازا للنفس، لكونه مركبا من مقدمات مخترعة كاذبة" (٨٦)، ولهذا "فالأنواع الثلاثة الأولى للتخييل، وهي التشبيه والاستعارة والمماثلة (التمثيل)، هي أقل درجة في التخييل من النوع الرابع (المجاز)" (٨٧)، إذ أن تلك الأنواع لا تجمل القول المستنقز للنفس المتيقن كذبه، ولا تتركب من مقدمات مخترعة كاذبة.

ويقودنا هذا إلى القول بأن الصناعة الشعرية عند السجلماسي قد تركزت بجميع أنواع جنس التخييل، من خلال مكوناته الأربعة: التشبيه والاستعارة والمماثلة والمجاز، غير أن المجاز هو أكثر هذه الأنواع إحداثا للتخييل، وأبلغها في خلق التأثير

ويقول في ذلك: "... فمن قبل ذلك كان له في النفس حلاوة ومزيد إلذاذ، لأنه داخل في نوع الكناية من جنس الإشارة، والكناية أبدا أحلى موقعا من التصريح" (٨٢).

ومن الأمثلة التي يسوقها السجلماسي على المماثلة قوله تعالى: "وثيابك فطهر" (٨٣)، وهو يقصد (نفسك)، ولا يخفى أن استخدامه لكلمة الثياب يعد مماثلة، لقصدته تطهير النفس لا مجرد تنظيف ثياب.

وقول امرئ القيس: "وما ذرفت عيناك إلا لتقديحي بسهميك في أعشار قلب مقتل

فتمثل عينيها بسهمي الميسر، وهما: المعلى وله سبعة أنصباء، والرقيب وله ثلاثة أنصباء، فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها، ومثل قلبه بأعشار الجزور، فتمت له المماثلة" (٨٤).

٤. ويعد المجاز عند السجلماسي أهم مكون للشعرية، وأهم نوع من أنواع التخييل، مما جعله يطنب في إيراد الأمثلة والشواهد عليه، إثباتا لأهميته في تحقيق التخييل وتكوين شعرية النص الشعري.

يقول السجلماسي في المجاز: "إنه قول جوهره هو القول المستنقز للنفس المتيقن كذبه، المركب من مقدمات مخترعة كاذبة تخيل أمورا وتحاكي أقوالا، ولما كانت المقدمة الشعرية إنما نأخذها من حيث التخييل والاستفزاز فقط، وكان القول المخترع المتيقن كذبه أعظم تخييلا وأكثر استفزازا، وكلما كانت مقدمة القول الشعري أكذب، كانت أعظم

البديع، أو بعض الأنواع المتفرعة عن تلك الأجناس، ومنها: (الاكتفاء)، الذي جعله السجلماسي نوعاً من أنواع الإيجاز، حيث بين السجلماسي العلاقة الوثيقة بين الاكتفاء والتخيل، حيث يقول: "يترك السامع مع أقصى تخيله بتقديره أشياء لا يحيط بها الوصف، يحار الوهم ويعظم التخيل لها بذلك" (٩٠)، ويعني بذلك قوة التأثير التي تفاجئ المتلقي حي يخلق بتخيله إلى أبعد حد، فيستقبل القول بحيرة ودهشة، والاكتفاء هو: "قول مركب من جزئين فيه مرتبطين، ترك منهما جزء للدلالة عليه" (٩١)، ومثاله قوله تعالى: "كلا لو تعلمون علم اليقين، لترون الجحيم" (٩٢)، "وكأنه قال: (لأقلعتم عن باطلكم) أو (لتحققتم مصداق ما تحذرون منه)، فالجواب إذن محذوف لقصد المبالغة، ليترك السامع مع تخيله للإحاطة بالشيء" (٩٣).

كما يعد نوع (الاقتضاب) -وهو أحد أنواع جنس الإشارة- مكوناً رئيساً للشعرية، وتابعا للتخيل وبالتالي مرتبطاً به، يقول السجلماسي عن الاقتضاب: "هو اقتضاب الدلالة، وذلك أن يقصد الدلالة على ذات معنى فيترقى عن التعبير المعتاد، ويظهر المقدرة على العبارة عن المعاني، وتوسعه في نطاق الكلام، فيقتضب في الدلالة عليه" (٩٤).

وعن علاقة الاقتضاب بالتخيل يقول: "وفي ذلك ما فيه من الإلذاذ للنفس والإطراب لها بالغرابة والطراءة، وما يلحقها من انبساط روحاني وطرب" (٩٥)، والاقتضاب بأنواعه الأربعة مولد لطاقة التخيل،

والانفعال، وبالتالي تكوين ما يسمى بالشعرية للنص الأدبي.

هذا وقد أورد السجلماسي شواهد كثيرة على المجاز ومنها قول أبي العلاء المعري:

" تخيلت الصباح معين ماءً فما صدقت ولا كذب العيان

فكان الفجر تشربه المطايا وتملاً منه أسقية
شنان" (٨٨).

وبهذا فإن المجاز يعد من "أهم وسائل خلق الصورة الفنية، لأنه يشكل مجالاً هاماً لانتهاك النظام اللغوي، والخروج على مألوفة والتوسع فيه، ولذا فقد جسد المجاز بعداً هاماً من أبعاد العملية الشعرية، فهو طاقة فنية مدهشة ومستنزة للمتلقي، وهذا ما يحدث اللذة والمتعة لديه من خلال الطاقة الفنية بالإشارات والإيحاءات والصور" (٨٩).

٥. مخيلات أخرى (مصادر مكونات للشعرية):

وإن كان (التخيل) هو الجنس الأساسي الذي يؤلف موضوع الصناعة الشعرية بأنواعه الأربعة التي عرفناها، فلا يعني ذلك توقف المكونات الشعرية عند ذلك الجنس فقط؛ فما دام علم البيان والبديع والعبارة البلاغية هو الذي يزود الشعر بطاقته الفنية والإيحائية والإبداعية، فقد أورد السجلماسي مصادر أخرى مكونة للشعرية يمكن إلحاقها بالتخيل، لا غنى للشعر عنها ليكون فناً وإبداعاً راقياً، ومحدثاً للانفعال ومزلاً لما هو خامد وجامد، ومن تلك المكونات أجناس عديدة تطرق لها السجلماسي في منزعه

ينجذب للعمل الشعري من خلال ما يحدثه من لذة وإطراب للنفس" (١٠٣).

كما يعد نوع (الغلو) مكونا من مكونات الشعرية والتخيل، يقول السجلماسي: "وهو يرادف الإفراط، ويقصد الإفراط في الإخبار عن الشيء، ومجاوزة الحقيقة للخيال المحض والكذب المخترع" (١٠٤)، والغلو نوع من أنواع جنس المبالغة، حيث نلاحظ مدى ما يقوله السجلماسي عنه، وما قاله عن الشعر وتميزه بالتخييل، مما يدل على صلة الغلو بالتخييل وما يتركه من أثر في نفس المتلقي.

ومثاله قول الأعشى:

فلو أن ما أبقيت مني معلق بعود ثمام ما تأود
عودها

والثمام نوع من النباتات الضعيف، حيث نلاحظ الغلو والإفراط في وصف الأعشى لنفسه، مما يحدث لذة عند السامع وطربا ومتعة (١٠٥).

ومن عناصر الشعرية أيضا نوع (المطابقة)، الذي وضعه السجلماسي ضمن جنس (المظاهرة)، حيث يقول: إن المطابقة هي "المخالفة والمنافرة" (١٠٦)، وهي "قول مركب من جزأين كل جزء هو عند الآخر بحال منافريه" (١٠٧)، بمعنى أنها التضاد وليس التجانس، والتضاد يجعل المتلقي متفاجئا لما هو غير متوقع في القول، مما يسهم في تكوين الخيال والإمتاع عنده، ومن أمثلة السجلماسي على المطابقة قول الرسول (ص): "قلأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبه قبل الهرم، والحياة

وأنواعه: التتبع والكناية والتعريض والتلويح، وكلها تعني "اقتضاب الدلالة على الشيء بلازم من لوازمه أو بماله إليه نسبه أو بنقيضه أو بنظيره" (٩٦).

ومثاله قول امرئ القيس:

"ويضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤم الضحى
لم تنتطق عن تفضل

فهنا أراد أن يصفها بالترف والنعيم والغنى؛ فجاء بما هو تابع لذلك بلازم من لوازمه، وهذا يسمى اقتضاب تتبع" (٩٧)، وقوله في مثال آخر الآية "وقالوا لجلودهم" (٩٨)، يعني (فروجهم) وهذا اقتضاب كناية، وعبر عن المعنى بما له إليه نسبة (٩٩)، والآية "إنك لأنت الحليم الرشيد" (١٠٠)؛ ففي هذه الآية اقتضاب في الدلالة على معنى الفظاظة والضلال عند المشركين، وعبر عنه بنقيضه وهو (الحلم والرشاد)، وهذا اقتضاب تعريض (١٠١).

وعن الاقتضاب أيضا قول النابغة الذبياني:

تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي
يرعى النجوم بأيب

الشاعر يقصد هنا الصبح، وقد جعله الشاعر محل الراعي الذي يخرج وقت الغداة بماشيته، وفي هذا البيت اقتضاب تلويح، بمعنى اقتضاب الدلالة على المعنى الغداة أو الشيء بنظيره وإقامته مقامه (١٠٢).

إذن نلاحظ أن أنواع الاقتضاب التابع لجنس الإشارة "تعبّر عن المستوى اللغوي الأول الصريح، والمستوى الثاني وهو المستوى الفني والانفعالي، الذي به يتم خلق علاقة قوية بين العملية الشعرية والمتلقي، الذي

وقال آخرون في تأويل القول نفسه: هو أمر عظيم، فإنما ينادي فيه الرجال الأشداء لا الأبناء والصبية، وقال غيرهم: أن يحتشد الصبيان إذا ورد الحي كاهن أو جزاء ويجتمعوا عليه، بمعنى أن هذا اليوم يوم جد وتجرد، وليس يوم أنس ولهو، وفي تفسير رابع لقول: هذا أمر لا ينادي وليده، أي لا وليد فيه فينادي، وإنما فيه الكفأة والنهضة^(١١٢).

نلاحظ كثرة التأويلات واتساعها لتفسير قول واحد، وكيف ولدت محاولات التفسير خيال المفسر أو انفعاله، وذلك ركن هام من أركان الصناعة الشعرية، حيث التأويل متوقف على المتلقي، وهذا ما يجعله منجذبا للقول ومنفعلا معه شعرا أو نثرا.

وتتزايد المكونات الأخرى للشعرية كلما قلنا منزع السجلماسي، وهي مكونات لم يدرجها في جنس التخيل، لكنها عوامل مؤكدة في تكوين التخيل، وتصوير الغائب، وشعرية النص وفنيته.

ومن تلك المكونات نوع (الالتفات)، الذي رتبته السجلماسي ضمن جنس (الانثناء)، يقول: "هو خطاب التلون، وهو تردد المتكلم في الوجوه، وفائدة هذا الأسلوب من النظم والفن، استقرار السامع والأخذ بوجهه، وحمل النفس بتنوع الأسلوب، وطراءة الافتتان على الإصغاء للقول والارتباط بمفهومه"^(١١٣).

ونلاحظ مدى ارتباط هذا القول بفكرة الانفعال والاندھاش والمتعة، وهي أبعاد تهم المتلقي كونها هي التي تجعله يقبل على القول وينجذب له أو ينفر

قبل الممات^(١٠٨)؛ فالمطابقة في قول الرسول -عليه الصلاة والسلام- هي بين (دنياه-آخرته) و(الشبيبه-الهرم) و(الحياة-الممات)، ولو سمع المتلقي مثل هذه المتضادات، لأدرك مدى تأثيرها في النفس، وإحداثها للخيال واستحضار ما هو غائب.

وكذلك في الشعر ما تحدثه المتضادات من متعة وانفعال لدى المتلقي، ومن شعرية وجمال وفنية، ومثال القول الشعري، قول البحري:

يا أمة كان قبح الجور يسخطها دهرًا، فأصبح حسن العدل يرضيها
حيث تتضح المقابلة بين الأضداد (كان . أصبح) و (قبح . حسن) و (الجور . العدل) و (يسخط . يرضى)^(١٠٩).

كما أن (الاتساع) -وهو الجنس الثامن في ترتيب السجلماسي لأجناسه العشرة- يعد مكونا هاما للعملية الشعرية والتخيل، وفي النثر كذلك؛ لأن السجلماسي ربط فهمه بتأويل المتلقي للقول الذي يسمعه، ولا يخفى مدى ما تحدثه كثرة التأويلات للقول الواحد من تخيل واستقزاز ومتعة، حتى لو خرج التأويل عن القصد المراد من القول، يقول السجلماسي: "هو صلاحية اللفظ الواحد للاحتمالات المتعددة من غير ترجيح"^(١١٠)، ومثال ذلك من النثر قولهم: "هذا أمر لا ينادي وليده"^(١١١)، فإن هذا القول واحد بلفظه، لكن تأويله قد اختلف عن من سمعه، فقال بعضهم في دلالتة: "إن الإنسان يذهل عن ولده لشدة به، فيكون مثل الآية (يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه)،

منه، ومثاله قوله تعالى: "والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها"^(١١٤)؛ باختلاف أسلوب القول وانصرافه إلى أكثر من وجه هو الالتفات، ولو كان الأسلوب على نمط واحد، لما كان للقول تأثير أو وقع عند السامع، وفي الآية المذكورة التفات في القول، لأنه حدث انصراف فيه من الإخبار إلى المخاطبة، ومن المخاطبة إلى الإخبار.

فالالتفات بهذا المعنى مصدر هام من مصادر الشعرية وصناعتها، "لأنه يشكل انحرافاً عن المؤلف في اللغة، وهذه سمة الشعرية، التي هي خروج عن المؤلف إلى مجال جديد من التشكيل الفني"^(١١٥).

كما نكتشف وجود علاقة وثيقة بين جنس (التكرير) - وهو الجنس الأخير من أجناس علم البيان لدى السجلماسي- وبين جنس التخيل، وبالتالي ما يعنيه ذلك من ارتباطه بالشعرية والفنية والإبداع؛ ففي جنس التكرير نجد نوعين مهمين تابعين له، يمكن أن يكونا عنصرين فاعلين لخلق الحالة الإبداعية وشعريتها، وهما (التصريف والاشتقاق).

يعرف السجلماسي التصريف بقوله: "إعادة اللفظ الواحد بنوع المادة فقط في القولين ببنائين مختلفي الصورتين مرتين فصاعداً"^(١١٦)، ويقصد بقوله (بنوع المادة)؛ عدد الحروف المكونة للكلمة، وبمعنى آخر هو: لفظ يشتق من لفظ ويساويه بعدد حروفه وليس ببنائه، دون الحاجة إلى أن يتفق اللفظان بأصلهما الصرفي، ومثاله قول عمرو التغلبي: "كنية الحي من

ذي الغضبة احتملوا مستحقين فؤادا ما له فاد"^(١١٧).

حيث يوضح السجلماسي هنا "أثر الإيقاع الناتج عن الجنس على المتلقي من حيث اللذة والانفعال"^(١١٨). ويقول السجلماسي: "فؤاد من لفظ (ف ي د)، وفاد من لفظ (ف د ي)، لكنهما لما تقاربا هذا التقارب دنوا من التجنيس، والإخفاء بارتباط الانفعال هنا والارتياح ما يقرع السمع ويفجأ البديهة فقط دون ما عداه"^(١١٩).

ونلاحظ مدى ما يحققه التكرار من انعطاف في اللغة، وما يؤكد من شحنات مستغرة للسامع، ودلالة فائضة بالقدرة على خلق الشعرية والحالة المؤثرة.

ويتضح ذلك بشكل جلي في المثال الذي صنفه السجلماسي تحت نوع (الاشتقاق التابع للتكرير)، وهو قول أبي نواس^(١٢٠):

سكرت من لحظه لا من مدامته
ومال بالنوم عن عيني تمايله

وما السلاف دهنتي بل سوالفه ولا الشمول
ازدهرني بل شمائله

الوي بصبري أصداع لوين له
وغل صدري بما تحوي غلائله

حيث نلمس في الأبيات المذكورة ما فيها من هز للسامع وارتياح في نفسه، من خلال تكرير الألفاظ واشتقاقها

(مال . تمايله)، (السلاف . سوالفه)، (الشمول . شمائله)، (الوي . لوين)، (غل . غلائله)، وما يثيره عند المتلقي من تخيل وتحليق.

ومنه (تجنيس القلب)، كقول أبي إسحاق بن خفاجة^(١٢٦):

وسقى فأروى غلة من ناهل أورى بجانحتيه زبد أوار

حيث نلاحظ تجنيس القلب في قوله: (أروى-أورى).
ومنه كذلك (تجنيس السمع)، وهو "من قرب أحد المخرجين من الآخر"^(١٢٧)، مثل قول عمرو بن كلثوم^(١٢٨):

وقد علمت عليا كنانة أننا مطاعين في الهيجا، مطاعيم في المحل

فتجنيس السمع في قوله: (مطاعين-مطاعيم)

ومنه (تجنيس الخط)، وهو تحسين التصحيف، ومثاله قوله تعالى: "وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا"^(١٢٩)، فتجنيس الخط في (يحسبون ويحسنون)^(١٣٠).

وهكذا نلاحظ أن التجنيس يعد مكونا هاما من مكونات الشعرية لما له من ارتباط كبير بإثارة الخيال عند المتلقي، من خلال تبادل أدوار الحروف داخل الكلمات، وما تحدثه عند المتلقي من لذة وانبساط، وبالتالي فإن موضوع الصناعة الشعرية عند السجلماسي قد تركز أكثر ما تركز في جنس التخييل، من خلال مكوناته الأربعة (التشبية والاستعارة والمماثلة (التمثيل) والمجاز).

كذلك نجد الشعرية أيضا في مثل تلك الأنواع البيانية، وإن كان السجلماسي قد وزعها على عدة أنواع بيانية من بين أجناس كتابة العشرة، لكنها تلتقي

ويذكر أن العديد من أشكال التكرار تشكل -إضافة لما سبق- مكونات إضافية للشعرية، قد وضعها السجلماسي وحدد دلالتها بدقة بارعة، تشكل جميعها روافد خصبة للتخييل وللشعرية والجمال، ومنها (التجنيس) بأقسامه المختلفة، وما يتفرع عنه من أشكال فرعية أخرى، حيث يعرف السجلماسي التجنيس قائلا: "إنه إعادة اللفظ الواحد بالعدد لمعنيين متباينين، ومنه تجنيس المماثلة الذي هو إعادة اللفظ الواحد مع اختلاف المعنى"^(١٣١)، مثل قول زياد بن الأعجم: (١٣٢)

قانع المغيرة للمغيرة إذ بدت شعواء مشعلة كنبج النابح فهو يرثي المغيرة بن المهلب، فالأول اسمه، والثاني الخيل المغيرة.

ومنه (تجنيس المضارعة) الذي يعرفه السجلماسي بأنه: "إعادة لفظين بمعنيين مختلفين، بزيادة حروف أو نقصها أو قلبها أو تقاربها سمعا أو خطأ"^(١٣٣)، ومثل قوله تعالى: "وهم ينهون عنه وينأون عنه"^(١٣٤)، ونحن نلمس ما في ذلك من الجمال في تجنيس الزيادة والنقص في حروف الكلمات، مثل قول البحري^(١٣٥):

فيا لك من حزم وعزم طواهما تحت الصفاء والصفائح

فنلاحظ قوله (حزم وعزم)، وقوله (الصفاء والصفائح)، وهو تجنيس المضارعة بزيادة حروف أو نقصها.

هو الفعل، وهذا الفعل قد لا يكون مطابقاً للحقيقة؛ فالمحاكاة: تخيل المعنى، وهذا التخيل موجه إلى نفس المتلقي لا إلى عقله^(١٣٦)، والتخيل لا يحقق دوره تجاه المتلقي إلا من خلال الصورة الفنية، يقول حازم: "والتخيل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانية أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها انفعالا من غير روية إلى جهة الانبساط أو الانقباض"^(١٣٧)، وطريقة وقوع هذا التخيل في النفس هي "أن يحاكي لها معنى بقول يخيئه لها"^(١٣٨).

وعند المقارنة بين السجلماسي وحازم القرطاجني نجد أنهما "يلتقيان في تحديد مفهوم الشعر، وهذا المفهوم الذي يجسد ملتقى الروافد الثقافية اليونانية والعربية، وأنهما يتفقان على أن الشعرية لا تقتصر على الوزن والقافية"^(١٣٩)، بالنسبة لوظيفة الشعر وبالتالي تأثيره في المتلقي، فإن ما وثقناه سابقاً من أقوال السجلماسي يؤكد أنه "يحصّر وظيفة الشعر في التأثير على المتلقي، إما بتحقيق المتعة من خلال الشكل، أو مجرد إثارة انفعال ما كالانبساط أو الانقباض عن طريق التخيل، الذي يحدث لدى المتلقي استجابة نفسية غير واعية، لا دخل للعقل بها، ومنشؤها الالتذاذ الناتج من إدراك العلاقات المتفاعلة في النص"^(١٤٠)، وهذا الانفعال غير مرتبط بسلوك ما، مما يعني أن السجلماسي من أصحاب مقولة "خير الشعر أكذبه" ومدرسة الفن للفن، دون أن يكون له علاقة بالبعد الأخلاقي أو الاجتماعي^(١٤١).

في اتصالها بمفهوم الشعر عند السجلماسي، ونرى أنها أركان داعمة لتثبيت البناء الشعري، وترسيخ صفة الشعرية وما في الشعر من سحر وتحول وإبداع.

٦. مقارنة قصيرة بين السجلماسي وحازم القرطاجني: عاش الشاعر الأديب حازم القرطاجني بعصر السجلماسي وتوفي قبله (٦٨٤م)، وهو من الأوائل في عصره الذين أفادوا البلاغة والنقد العربيين من خلال تفتحهم على التفكير الأرسطي واليوناني، وعني بالخطابة والمنطق والشعر ومصنفات الفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا، وله كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء^(١٣١)، ونحن هنا نقوم بعمل مقارنة ما بين السجلماسي وحازم فيما يخص الرؤية للشعر، والنظرة للمتلقي، وما شابه ذلك من قضايا. يقول حازم في حقيقة الشعر: "إذ المعتبر في حقيقة الشعر إنما هو التخيل والمحاكاة"^(١٣٢)؛ فالتخيل عنده أساس المعاني الشعرية، يقول: "إن التخيل هو قوام المعاني الشعرية، والإقناع هو قوام المعاني الخطيبية"^(١٣٣)، وقد قصد حازم بالمحاكاة التشبيه المرئي، وهي (المحاكاة) أساس الشعر وجوهره، وقد تكون ظاهرة أو متضمنة، ويعرف حازم الشعر بقوله: "هو كلام مخيل موزون مقفى"^(١٣٤)، أو أنه كلام مخيل مختص في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك، أو أنه هو التخيل"^(١٣٥)، وغاية الشعر عند حازم هي "إحداث الأثر المرغوب في نفس المتلقي بواسطة التخيل، الذي هو وسيلة إلى غرض معين

ما كان أكذب، لتحقيق اللذة والمتعة للنفس والمتلقي فقط.

الخاتمة

ربما مع الصفحة الأخيرة من النوع الأخير من أنواع البيان عند السجلماسي، نكون قد وصلنا إلى نهاية دراستنا هذه، ومرورنا على ذكر عالم مبدع من علماء العرب، من خلال تحفته الفلسفية والبلاغية والأدبية التي أطلق عليها اسم (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع)، حيث تبين من خلال هذا البحث الموجز أن السجلماسي رائد في مجال النقد والبلاغة والتنظير الأدبي، الناتج عن فكر وتعمق بالغين بالثقافة العربية واليونانية على السواء، كما لاحظنا تقدمه في رؤيته للشعر ومكونات الشعرية، وأهمية توفير التخيل قبل أي شيء آخر، لكي يكون الشعر كائنا حيا مكتملا ونابضا بالحركة.

كما نستنتج من دراستنا لأنواع البيان عند السجلماسي، أنه رصد الكثير من الأركان الهامة التي تحي القول والجملة والنظم وتبث دماء الشعرية فيه، وبالتالي تخلق عند المتلقي اللذة والانفعال والاستغراق.

وإن كان الوقت المحدد لإعداد هذه الدراسة واقتصار بحثنا على جنس واحد من الأجناس التي بينها وهو التخيل بصفته الركيزة الأساسية للصناعة الشعرية، لم يسمح بإيفاء الموضوع حقه من الدراسة والتعقيب والتعليق كما يجب، إلا أننا نظن أن ما قلناه سواء في التخيل أو في باقي الأنواع البيانية، يعطينا

وهذا ما يختلف فيه السجلماسي عن حازم القرطاجني، وهو وظيفة الشعر والنظرة إلى المتلقي؛ فبينما رأينا رأي السجلماسي في هذه القضية، نلاحظ أن حازما قد أضاف إلى تعريفه للشعر دلالة واضحة على اهتمامه بصدق الشعر وتأثيره في سلوك المتلقي، بالإضافة إلى تأثير الانفعال واللذة، يقول حازم: "الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحجب إلى النفس ما قصد تحببه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخيل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة صدقة، أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك، وأفضل الشعر ما حسنت محاكاته وهيئته، وقويت شهرته أو صدقه، أو خفي كذبه، وقامت غرابته" (١٤٢).

وعن علاقة التخيل بالشعر وموقعه من نظرية المحاكاة، يقول حازم: "الشعر كلام مخيل موزون، لا يشترط فيها -بما هي شعر- غير التخيل، والتخيل في الشعر على أربعة أنحاء: من جهة المعنى، ومن جهة الأسلوب، ومن جهة اللفظ، ومن جهة النظم والوزن" (١٤٣).

يتضح لنا من أقوال حازم السابقة، أنه من مؤيدي الفن للمتعة، والتأثير والفعل بوساطة التخيل، الذي يكون دافعا لغرض معين هو الفعل، وبالتالي التغيير في سلوك المتلقي بالمحاكاة الصادقة والشعر الأصدق، بينما كان السجلماسي يفضل من الشعر

- بعض الملامح الكافية لتكوين فكرة أو موقف من الكتاب ومؤلفه، ويسمح لنا بمحاولة إجراء المقارنة بين السجلماسي الموسوعي، وبين الذين سبقوه من علماء الأدب والنقد والبلاغة، ثم نكتشف إنه قد أبدع وأثرى الثقافة العربية بتلقيحها بنظيرتها اليونانية، من خلال استيعابه وتمكنه من علماء تلك الثقافة وفلاسفتها، وإسقاطه روحه الخلاقة والجديدة وبأسلوبه المتفرد على علوم اللغة العربية وآدابها .
- الهوامش**
١. انظر: السجلماسي، أبو محمد القاسم، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ١٩٨٠، ص ١٢ .
 ٢. الروبي، ألفت، مفهوم الشعر عند السجلماسي، مجلة فصول، مج٦، ع٢، ١٩٨٦، ص ٣٤ .
 ٣. الروبي : مفهوم الشعر عند السجلماسي، ص٣٥.
 ٤. انظر: السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٣٧-٤٤ .
 ٥. انظر: المصدر نفسه، ص ٤٩ .
 ٦. انظر: المصدر نفسه، ص ٥٠-٥٢ .
 ٧. انظر: المصدر نفسه، ص ٥٢ .
 ٨. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٥٩، ٦٠ .
 ٩. المصدر نفسه : ص ٦١ .
 ١٠. انظر: المصدر نفسه، ص ٦٥ .
 ١١. انظر: المصدر نفسه، ص ٦٧ .
١٢. المصدر نفسه، ص ١٠٣، ١٠٢ .
 ١٣. انظر: المصدر نفسه، ص ١٠٦، ١٠٥ .
 ١٤. المصدر نفسه، ص ١٠٨ .
 ١٥. المصدر نفسه، ص ١١٠، ١٠٩ .
 ١٦. انظر: المصدر نفسه، ص ١١٢ .
 ١٧. المصدر نفسه، ص ١١٢، ١١١ .
 ١٨. المصدر نفسه، ص ١١٣-١١٥ .
 ١٩. المصدر نفسه، ص ١٢٢ .
 ٢٠. المصدر نفسه، ص ١٢٣، ١٢٢ .
 ٢١. المصدر نفسه، ص ١٢٣-١٢٥ .
 ٢٢. المصدر نفسه، ص ١٢٧، ١٢٦ .
 ٢٣. انظر: المصدر نفسه، ص ١٢٩، ١٢٨ .
 ٢٤. القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية ٢١ .
 ٢٥. انظر: السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ١١٦،
 ٢٦. انظر: المصدر نفسه، ص ١١٨ .
 ٢٧. انظر: المصدر نفسه، ص ١٣٢، ١٣١ .
 ٢٨. انظر: المصدر نفسه، ص ١٢٠ .
 ٢٩. المصدر نفسه، ص ١٣٦ .
 ٣٠. المصدر نفسه، ص ١٣٦، ١٣٥ .
 ٣١. المصدر نفسه، ص ١٣٦ .
 ٣٢. المصدر نفسه، ص ١٣٦ .
 ٣٣. المصدر نفسه، ص ١٨٠ .
 ٣٤. المصدر نفسه، ص ١٦٩ (المعجم الفلسفي).
 ٣٥. المصدر نفسه، ص ١٨٠ .
 ٣٦. المصدر نفسه، ص ٢١٨ .

٣٧. المصدر نفسه، ص ٤٠٧.
٣٨. درابسة، محمود، الشعرية عند السجلماسي في كتابه المنزع البديع، أبحاث اليرموك، مج ١٧، ع ٢، ١٩٩٩، ص ١٧٨.
٣٩. الغازي، علال، تطور مصطلح التخيل في نظرية النقد الأدبي عند السجلماسي، مجلة كلية الآداب في جامعة فاس، عدد خاص رقم ٤، ١٩٨٨، ص ٢٨٨.
٤٠. الغازي، علال، تطور مصطلح التخيل في نظرية النقد الأدبي عند السجلماسي، مرجع سابق، ص ٢٩٠.
٤١. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٢١٨.
٤٢. المصدر نفسه، ص ٢١٨.
٤٣. المصدر نفسه، ص ٢١٨.
٤٤. المصدر نفسه، ص ٢١٩.
٤٥. الروبي، ألفت، مفهوم الشعر عند السجلماسي، مرجع سابق، ص ٣٦.
٤٦. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٢١٩.
٤٧. المصدر نفسه، ص ١٢٣.
٤٨. المصدر نفسه، ص ١٢٣.
٤٩. المصدر نفسه، ص ٢٢٠.
٥٠. المصدر نفسه، ص ٢٥٢.
٥١. درابسة، الشعرية عند السجلماسي، مرجع سابق، ص ١٨٨.
٥٢. الروبي، مفهوم الشعر عند السجلماسي، مرجع سابق، ص ٣٧.
٥٣. الروبي، مفهوم الشعر عند السجلماسي، مرجع سابق، ص ٣٧.
٥٤. درابسة، الشعرية عند السجلماسي، مرجع سابق، ص ١٨٦.
٥٥. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٢١٩.
٥٦. المصدر نفسه، ص ٤٠٧، ٤٠٦.
٥٧. المصدر نفسه، ص ٤٠٨.
٥٨. المصدر نفسه، ص ٢٥٢.
٥٩. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٢٢٠.
٦٠. المصدر نفسه، ص ٢٢٠.
٦١. المصدر نفسه، ص ٢٢١.
٦٢. المصدر نفسه، ص ٢٢١.
٦٣. المصدر نفسه، ص ٢٢١.
٦٤. المصدر نفسه، ص ٢٢٢.
٦٥. القرآن الكريم، سورة الرحمن، آية ٢٤.
٦٦. القرآن الكريم، سورة الرحمن، آية ٢٤.
٦٧. المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
٦٨. المصدر نفسه، ص ٢٢٧.
٦٩. المصدر نفسه، ص ٢٢٨.
٧٠. المصدر نفسه، ص ٢٢٨.
٧١. المصدر نفسه، ص ٢٢٩، ٢٣٠.
٧٢. المصدر نفسه، ص ٢٣٠.

٧٣. درابسة، محمود، الشعرية عند السجلماسي في كتابه المنزع البديع، مرجع سابق، ص ١٩٢.
٧٤. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٢٣٥.
٧٥. المصدر نفسه، ص ٢٣٥، ٢٣٦.
٧٦. المتنبى، أبو الطيب: الديوان، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ج ١، ١٩٨٠، ص ٢٨٨.
٧٧. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٣٢٧، ٣٢٨.
٧٨. الروبي، مفهوم الشعر عند السجلماسي، مرجع سابق، ص ٤٠.
٧٩. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٢٤٤.
٨٠. درابسة، محمود، الشعرية عند السجلماسي في كتابه المنزع البديع، مرجع سابق، ص ١٩٣.
٨١. المرجع نفسه، ص ١٩٣.
٨٢. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٢٤٤.
٨٣. القرآن الكريم، سورة المدثر، آية ٤.
٨٤. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٢٤٦.
٨٥. المصدر نفسه، ص ٢٥٢.
٨٦. المانع، سعاد، مفهوم مصطلح (المجاز) عند السجلماسي في علاقته بمصطلح (التخييل)، أبحاث اليرموك، مج ١٧، ع ١، ١٩٩٩، ص ٩٣.
٨٧. المرجع نفسه، ص ٩٤.
٨٨. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٢٥٤.
٨٩. درابسة، محمود، الشعرية عند السجلماسي في كتابه المنزع البديع، مرجع سابق، ص ١٩١.
٩٠. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ١٩٠.
٩١. المصدر نفسه، ص ١٨٨.
٩٢. القرآن الكريم، سورة التكاثر، آية ٥، ٦.
٩٣. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ١٨٩.
٩٤. المصدر نفسه، ص ٢٦٢، ٢٦٣.
٩٥. المصدر نفسه، ص ٢٦٣.
٩٦. المصدر نفسه، ص ٢٦٣-٢٦٦.
٩٧. المصدر نفسه، ص ٢٦٤.
٩٨. القرآن الكريم، سورة فصلت، آية ٢١.
٩٩. انظر: السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٢٦٥.
١٠٠. القرآن الكريم، سورة هود، آية ٨٧.
١٠١. انظر: السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٢٦٦.
١٠٢. المصدر نفسه، ص ٢٦٦.
١٠٣. درابسة، محمود، الشعرية عند السجلماسي في كتابه المنزع البديع، مرجع سابق، ص ١٩٧.
١٠٤. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٢٧٣.

١٠٥. انظر: السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٢٧٥.
١٠٦. المصدر نفسه، ص ٣٧٠.
١٠٧. المصدر نفسه، ص ٣٧٥.
١٠٨. المصدر نفسه، ص ٣٧٩.
١٠٩. انظر: المصدر نفسه، ص ٣٧٩.
١١٠. المصدر نفسه، ص ٤٢٩.
١١١. المصدر نفسه، ص ٤٣١.
١١٢. المصدر نفسه، ص ٤٣١.
١١٣. المصدر نفسه، ص ٤٤٣.
١١٤. القرآن الكريم، سورة فاطر، آية ٩.
١١٥. درابسة، محمود، الشعرية عند السجلماسي في كتابه المنزع البديع، مرجع سابق، ص ١٩٨.
١١٦. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٤٩٩.
- وانظر للنوسع: الجرجاني، الرماني الخطابي، النكت في إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، ط ٣، ١٩٧٦.
١١٧. المصدر نفسه، ص ٥٠٠.
١١٨. درابسة، محمود، الشعرية عند السجلماسي في كتابه المنزع البديع، مرجع سابق، ص ١٩٩.
١١٩. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٥٠١، ٥٠٠.
١٢٠. انظر: المصدر نفسه، ص ٥٠٤.
١٢١. المصدر نفسه، ص ٤٨٢.
١٢٢. انظر: المصدر نفسه، ص ٤٨٣.
١٢٣. المصدر نفسه، ص ٤٨٥.
١٢٤. القرآن الكريم، سورة الأنعام، آية ٢٦.
١٢٥. انظر: السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٤٨٦.
١٢٦. انظر: المصدر نفسه، ص ٤٨٨.
١٢٧. المصدر نفسه، ص ٤٨٨.
١٢٨. انظر: المصدر نفسه، ص ٤٨٨.
- القرآن الكريم، سورة الكهف، آية ١٠٤. ٢٩. 1.
١٣٠. السجلماسي، المنزع البديع، مصدر سابق، ص ٤٨٩.
١٣١. المصدر نفسه، ص ١٣.
١٣٢. القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٦، ص ٢١.
١٣٣. المرجع نفسه، ص ٣٦١.
١٣٤. المرجع نفسه، ص ٧١.
١٣٥. المرجع نفسه، ص ٨٩، وانظر: الروبي، مفهوم الشعر عند السجلماسي، مرجع سابق، ص ٣٧.
١٣٦. درابسة، محمود، الشعرية عند السجلماسي في كتابه المنزع البديع، مرجع سابق، ص ١٨٠.
١٣٧. القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء، مرجع سابق، ص ٨٩.
١٣٨. المرجع نفسه، ص ٨٩ - ٩٠.
١٣٩. درابسة، محمود، الشعرية عند السجلماسي في كتابه المنزع البديع، مرجع سابق، ص ١٨٧.

٥. السجلماسي، أبو محمد القاسم: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علاء الغازي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٠.

٦. الغازي، علال: تطور مصطلح التخيل في نظرية النقد الأدبي عند السجلماسي، مجلة كلية الآداب في جامعة فاس، عدد خاص، رقم ٤، ١٩٨٨.

٧. القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدياء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٦.

٨. المانع، سعاد: مفهوم مصطلح (المجاز) عند السجلماسي في علاقته بمصطلح (التخييل)، أبحاث اليرموك، مج١٧، ع١، ١٩٩٩.

٩. المنتبي، أبو الطيب: الديوان، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ج١، ١٩٨٠.

١٤٠. الروبي، مفهوم الشعر عند السجلماسي، مرجع سابق، ص٣٩.

١٤١. درابسة، محمود، الشعرية عند السجلماسي في كتابه المنزع البديع، ص١٨٧.

١٤٢. القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء، مرجع سابق، ص٧١.

١٤٣. المرجع نفسه، ص٨٩.

المراجع

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. الجرجاني، الرماني الخطابي، النكت في إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦.
٣. درابسة، محمود: الشعرية عند السجلماسي في كتابه (المنزع البديع)، أبحاث اليرموك، مج١٧، ع٢، ١٩٩٩.
٤. الروبي، ألفت: مفهوم الشعر عند السجلماسي، مجلة فصول، مج٦، ع٢، ١٩٨٦.

The location of the visualization at the Diamond Record

Dr. Enas Mahmoud Abdullah Abu Salem
Professor of Literature and Assistant Modern Criticism
Department of Arabic Language - College of Humanities
King Khalid University

Abstract. abu Muhammad al-Sijlmasi, who lived in Morocco in the late seventh Hijri century (7 AH), considered as one of the greatest pioneers Moroccan rhetorical school ,he was creative as he wrote his book tagged (The adorable Inclination in gendering methods of prose) In AH 704 / AD 1304.

(The adorable Inclination) 'is an innovative and serious book in criticism and rhetoric from a philosophical and logical point of view, in which Al Sijlmasi employed the mind, taste and culture between Arabic and Greek in the critical and rhetorical lesson, and came up with a new approach that is more understanding of Aristotelian theories in criticism and rhetoric.

The aim of this study was to show the distinctive features of the book of the Inclination through a review of the most important of the topics classified by Al Sijlmasi under the science of the rhetoric - especially mentioning those related to poetry and capillarity and the main elements that Al Sijlmasi sees are the real components the capillarity of poetry and art and it's beauty, where this was a reality In a type of (imagination) more than all other types, and therefore our study came to the gender of imagination more detailed and broaden than the rest of the genders of the book; because imagination is the subject of poetic formation, and this is field of our study.

We did not forget to also observe any other species that may be a catalyst in the formation of poetry, occurred in a section other than the section of imagination, so the methodology of this study began with a quick view of the era of Al Sijlmasi and a brief on his biography, and his thought about the development of rhetoric in his time.

Then we presented in the second section some of the features of the book and the new of Al Sijlmasi, which distinguish him, before we get to the third section, as soon as we enter it we get in his world and we begin our tour in it and what he inundates about the subject of imagination, which is our main subject of this study.

It was found through the brief research that Al Sijlmasi is a pioneer in the field of criticism, rhetoric and literary theorem, resulted from the deep thought and deepening of the culture of both Arabic and Greek, as we have seen his progress in his vision of poetry and capillarity components, and the importance of providing imagination before anything else, so that poetry to be a Complete and vibrant living being.

As we conclude from our study of the types of rhetoric Al Sijlmasi has, he monitored a lot of important pillars that revives the words and sentences and versification and transmit poetic blood in it, and thus create to the recipient pleasure, emotion and provocation.

Finally, we hope that we have succeeded as much as our humble effort in going through a giant book!

أطماع البرتغاليين في بعض موانئ وجزر البحر الأحمر من خلال رحلة البرتغالي (دوّارتي بَاربوزا عام ٩٧٢هـ / ١٥٦٥م)

د. سماح سعيد باحويرث

أستاذ مساعد - تاريخ إسلامي واستشراق

جامعة طيبة - قسم الاستشراق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مستخلص. يعتبر مطلع القرن ١٥م/ بداية لحركة الكشف الجغرافية، وهي البداية الفعلية لحركة الاستعمار لمدن العالم الإسلامي، والتي تزعمتها البرتغال ومن خلفها البابوية. ورغم أن دولة المماليك كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة، إلا أنها حاولت حماية الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة بمنع دخول السفن البرتغالية إلى البحر الأحمر، لكن السفن البرتغالية كانت تمخر عباب البحر الأحمر؛ لما له من أهمية اقتصادية، إضافة إلى تحقيق ماريهم المنشود في الانتقام من المسلمين وغزو مدنهم المقدسة.

وسوف يسلط البحث الضوء على مخاطر الغزو البرتغالي في تلك الفترة على سواحل البحر الأحمر، والهدف من رحلة (دوّارتي بَاربوزا عام ٩٧٢هـ / ١٥٦٥م)، والتقرير الذي كتبه عن بعض مدن وسواحل البحر الأحمر المهمة بالنسبة للبرتغاليين وأهمية هذه المدن لهم، حيث أرسلت جميع هذه التقارير إلى المكتبة الملكية في لشبونة، وكانت تمثل مركز رئاسة الإمبراطورية البحرية والتجارية.

وأصل هذه الرحلة مخطوط باللغة البرتغالية كان مفقوداً وحصل عليه الدكتور سلطان محمد القاسمي عام ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، وقام بترجمته واخراجه، وهو مخطوط ضخم كتب باللغة البرتغالية، ويعتبر أقدم مخطوط حوى على الكثير من المعلومات عن الجزيرة العربية والسواحل الإسلامية. وهو يمثل بداية الاستعمار البرتغالي على الممالك الإسلامية.

الكلمات المفتاحية الدالة على البحث: رحالة، البرتغاليين، البحر الأحمر، داورتي بَاربوزا، موانئ البحر الأحمر، الاستعمار.

المقدمة

تعدّ البحار -دومًا- مصدرًا من مصادر التطور الحضاري عبر العصور المختلفة، فلم يقتصر دور البحر على التأثير في الحركة التجارية، وتنشيط الجانب الاقتصادي للدولة، بل أسهم كذلك في نقل الثقافات والحضارات من دولة إلى أخرى، ومن شعب إلى آخر، كما كان له الدور البارز في الحروب، والهجمات العسكرية^(١)، ويشير أحد المؤرخين الفرنسيين إلى الدور المهم الذي تحلته الدولة المطلّة على البحار بقوله: (المتحكم في البحر يكون دومًا هو المتحكم في الثروة، والبحر لا يقبل إلا سيّدًا واحدًا)^(٢).

وقد احتلّ البحر الأحمر مكانة مرموقة، وموقعًا مميزًا؛ لكونه الممرّ المائي الذي يربط الدول الإسلامية بالأماكن المقدسة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، إضافة إلى المكانة الاقتصادية الهامة التي تبوأها البحر الأحمر؛ فهو حلقة الوصل بين تجارة الهند وأوروبا، مرورًا بموانئ البحر الأحمر، ومصر.

وقد حرصت الدول الإسلامية التي فرضت هيمنتها على بلاد الحجاز ومصر، على تأمين موانئ البحر الأحمر، والعناية بها. فنكر ابن خلدون ابتداء البحر الأحمر وانتهاؤه، وموانئه المطلّة عليه؛ على ساحل

الجزيرة العربية، أو على سواحل إفريقيا.

فقال: (ويسمى بحر القلزم، وبحر السويس، وبينه وبين فسطاط مصر من هُنالك ثلاث مراحل، وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن، ثم الحجاز، وجدة، ثم مدين، وأيلة، وفاران عند نهايته، ومن جهة الغرب سواحل الصعيد، وعيذاب، وسواكن، وزيلع، ثم بلاد الحبشة عند مبدئه، وآخره عند القلزم يُسامتُ البحر الرومي عند العريش)^(٣).

شخصية دوارتي باربوزا:

هو "دوارتي باربوزا بن ديوغو باربوزا" أو "دوارتي باربوسا Duarte Barbosa" برتغالي، ولد في لشبونة عام ١٤٨٣هـ / ١٤٨٠م، وهو كاتب، وضابط عمل في شركة الهند البرتغالية في الفترة من ٩٠٥ إلى ٩٢٣هـ، الموافق ١٥٠٠م إلى ١٥١٧م، شغل منصب كاتب عمومي في كانور، وعمل مترجمًا للغات المحلية مليالم^(٤)، وقد عمل عند الطبيب "ألفارو من براغانسا Alvaro do Braganca"، ثم رافقه في رحلته إلى الهند عام ٩٠٦هـ / ١٥٠١م، كما رافق عمه "غونزالو جيل باربوزا Gonzalo Gil Barboza" في سفره مع أسطول كبير إلى الهند عام ٩٠٧هـ / ١٥٠٢م، حيث نقل باربوزا إلى مدينة كانور^(٥)، وفي عام ٩٠٨هـ / ١٥٠٣م عُيّن مترجمًا

(٣) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، (بيروت، دار الكتاب العلمية، ١٩٨١م)، ص ٥١.

(٤) مليالم: لهجة محلية منتشرة في جنوب الهند.

(٥) مدينة هندية بولاية كيرالا، من المراكز التجارية المهمة في العصور الوسطى. ويكيبيديا، ar.m.wikipedia.org، تاريخ الدخول

١٥/٩/١٤٤١هـ.

(١) أشرف سمير توفيق محمد: المحارس المغربية الإسلامية (من ق ٢: ٨/١٤م) "دراسة تاريخية"، مجلة اتحاد المؤرخين العرب (العرب والبحار عبر عصور التاريخ)، (حصاد ٢٣)، ١٩-٢٠ صفر ١٤٣٧هـ / ٢-٣ ديسمبر ٢٠١٥م، ص ١٥.

(٢) بروديل (فرنان): البحر المتوسط، (تونس، ١٩٩٠م)، ص ١٢٣.

١٥١٩م خرج دوارتي في رحلة حول العالم مع صهره زوج اخته فرناندو ماجلان، وتوفي ماجلان أثناء هذه الرحلة في معركة ماكتان في الفلبين عام ٩٢٧هـ / ١٥٢١م^(٥)، ونجا باربوزا من هذه المعركة؛ لكنه لم يلبث أن قتل نتيجة مؤامرة حصلت بين أتباعه^(٦).

وتلاحظ الباحثة اختفاء اسم داورتي باربوزا من كثير من المراجع والمصادر التي تيسر الاطلاع عليها، و اعتمد عليه البحث، والظاهر أن هذا الرحالة كان موظفًا بسيطًا في البحرية البرتغالية، وكاتبًا - كما أشار المرجع السابق - ولم يكن جاسوسًا مرسلًا من قبل حكومة البرتغال، كما هو الحال مع الرحالة البرتغالي "بيدرو دا كوفيلهام Pedro do Covelham" عام ٨٩٢هـ / ١٤٨٧م^(٧)، الذي كان

(٥) ماكتان: هي ولاية مسلمة يحكمها حاكم مسلم هو (لابو لابو)، في فترة غزو الإسبان، وفي عام ٩٢٧هـ / ١٥٢١م، توقف ماجلان في سواحل الفلبين، وهاجم هذه الولاية المسلمة (الماكتان) وتصدى له قائدها المسلم (لابولابو) وقتل ماجلان في هذه المعركة. تاريخ الفلبين، مجلة الجامعة الإسلامية، (ط٥)، المدينة المنورة، العدد ٣، محرم ١٣٩٣هـ/فبراير ١٩٧٣م). إسماعيل أحمد باغي و محمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، (دار المريخ، ١٩٩٥م)، ج١، ص٤٣٥.

(٦) لم تستطع الباحثة الحصول على معلومات شخصية عن داورتي باربوزا، سوى من موقع ويكيبيديا، ar.wikipedia.org، ١١/٩/١٤٤١م، وحاولت التواصل مع السفارة البرتغالية؛ فحالت الأوضاع الراهنة، وتقشي وباء كورونا دون ذلك؛ إذ أغلقت السفارات أبوابها، ولا مجيب على مواقعهم.

(٧) لمزيد من المعلومات انظر: محمد حميد السلطان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي، والخليج في الفترة ما بين ١٥٠٧-١٥٢٥م، (العين، مركز زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ص٣٥-٣٧. أما بيدرو داكوفيلهام: فهو مستكشف ورحالة، ودبلوماسي برتغالي، ولد عام ٨٩٢هـ / ١٤٨٧م، عمل في بداية حياته عند الملك ألفونسو في مدينة قشتالة، كان يتقن عددًا من اللغات؛ منها العبرية، والعربية، أرسله الملك ألفونسو في رحلة تجسسية استكشافية إلى الشرق، وزار بلاد الهند، واستطاع جمع معلومات مفصلة عن طريق التجارة في المحيط الهندي، وأرسله إلى ملك البرتغال، وزار الحبشة وتعرف على حاكمها الذي رفض خروجه من الحبشة، وزوجه أمراه حبشية مسيحية، وأعطاه أرضًا ومنزلًا، توفي في الحبشة عام ٩٣١هـ / ١٥٢٥م. محمد موسى: الهجوم البرتغالي على عدن، ص١٢٢.

"للفرانسيسكو دي البوكيرك Francisco de Albuquerque"^(١).

و بسبب اتصالاته براجح من كانور، ساهم في معترك الحياة السياسية في الهند، فعمل في شركة الهند البرتغالية^(٢) مترجمًا، وأشرف عام ٩٢١هـ / ١٥١٥م على بناء سفينتين؛ كان مؤملاً أن يبحر بهما لاكتشاف البحر الأحمر، ثم عاد دوارتي باربوزا إلى البرتغال (إشبيلية)، وأنهى كتابه المعروف (كتاب دوارتي باربوزا) عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م.

وبعد عودته إلى أشبيلية^(٣) توطدت علاقته مع "فرناندو ماجلان Fernao de Magalhaes"^(٤)، وتزوج ماجلان من أخت باربوزا، وفي عام ٩٢٥هـ /

(١) قائد عسكري بحري، وسياسي، برتغالي (٨٥٧-٩٢١هـ / ١٤٥٣-١٥١٥م)، اعتبره البرتغاليون من أعظم قوادهم، لقب بجنرال البرتغال، والغازي العظيم، وباني الإمبراطورية، طور المخطط البرتغالي الذي يرمي إلى نشر المسيحية، وهدم الإسلام، وتأمين تجارة التوابل، وهو أول أوربي يغزو الخليج العربي في عصر النهضة، كما قاد أول حملة برتغالية في البحر الأحمر، له العديد من الأعمال التي ساهمت في تأسيس الإمبراطورية البرتغالية، موقع موسوعة اللغة العربية "Mimir"، mimirbook.com، تاريخ الدخول ١٢/٩/١٤٤١هـ. كان من أشد القواد على المسلمين في الممالك الإسلامية التي غزاها، لمزيد من المعلومات انظر: محمد علي موسى: الهجوم البرتغالي على عدن "قراءة من خلال مذكرات الفونسو البوكيرك"، مجلة (اليمن)، (العدد ٢٣، صنعاء، جامعة اليمن، مايو ٢٠٠٦م)، ص٧ وما بعدها.

(٢) حوالي عام ١٦١٤م، ظهرت فكرة إنشاء شركة مساهمة تحمي مصالح البرتغال التجارية في الهند، تقوم بمهمة جمع المزيد من الأموال، وتنشع التجارة، بالذات بعد دخول هولندا، والإنجليز منافسين للتجار البرتغاليين، وذلك على غرار شركة الهند الهولندية، والإنجليزية. موقع المعرفة، M.marefa.org، تاريخ الدخول ١٢/٩/١٤٤١هـ.

(٣) إشبيلية: مدينة عظيمة من مدن الأندلس، تقع قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف، فيها ملك بنى عباد ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، (ط٢)، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م، ج١، ص١٩٥.

(٤) يعتبر من أهم القواد والمستكشفين البرتغاليين الذين تزعموا حركة الكشوف البرتغالية، حصل على الجنسية الإسبانية بعد خدمته لملك إسبانيا كارلوس السادس، قاد أول حملة عسكرية عبر المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادئ، وأول رحلة دارت حول الكرة الأرضية، وهو أول نائب حاكم للهند البرتغالية. قتل في معركة كانور ضد مسلمي الفلبين عام ٩٢٧هـ / ١٥٢١م، ويكيبيديا،

ar.m.wikipedia.org، تاريخ الدخول ١١/٩/١٤٤١هـ.

جزر الهند الشرقية، حيث قتل ماجلان في هذه الرحلة، ونجا داورتي باربوزا من القتل. وبالجملة فرغم أهمية هذه الرحلة، إلا أنها لم تمنح الاهتمام الذي تستحق، فحتى ترجمة الدكتور الشيخ سلطان بن محمد القاسمي للرحلة، فهي مع أهميتها كانت ترجمة حرفية، خلت من أي تعليقٍ أو توضيح، أو ذكر السيرة الشخصية للرحالة. **أهمية الرحلة:**

تعد التقارير التي كتبها باربوزا بعد رحلة طويلة في العالم، من أهم الرحلات التي دُونت ذلك القرن (١٠هـ/ ١٦م)، وهي تمثل بداية حركة الكشوف الجغرافية، واستعمار الدول الإسلامية، واستغلال خيراتها، والسيطرة على تجارة الهند واحتكارها، وصولاً إلى ضرب الاقتصاد الإسلامي في مقتلٍ، وقد حوت هذه الرحلة الكثير من التفاصيل التاريخية المهمة، مثل طريقة الاستيلاء على هرمز، وتأسيس الحصن البرتغالي في كاليكوت^(٢)، ووقوف البرتغاليين في وجه التجارة الهندية في السويس.

خط سير الرحلة:

في مطلع القرن ١٠هـ/ ١٦م، خرج الرحالة دورتي باربوزا من شمال أوروبا (البرتغال)، وأبحر في المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي، عبر طريق رأس الرجاء الصالح^(٣)، وقد سارت رحلته مقابل

مرسلاً من قبل ملك البرتغال، حيث قام بجمع معلومات وافية ومفصلة عن المشرق الإسلامي، والدليل على ذلك أن باربوزا يميل في بعض المواضع إلى السطحية في سرد المعلومات التي يكتبها، و يبتعد في كثير من الأحيان عن التفصيل والدقة في الشرح، ونقل المعلومة، وذلك لا يقلل من أهمية هذا الكتاب؛ الذي وثق فترة مهمة من تاريخ الكشوف الجغرافية، والممالك الإسلامية، سواء في إفريقيا، أو بلاد الهند.

والظاهر أن باربوزا كان مرافقاً للأسطول الذي خرج من البرتغال إلى الهند عام ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م، بقيادة "بدر الفاريز Pedro Álvares Cabral"^(١)، لأن المرجع الوحيد - حسب علم الباحثة - الذي تحدث عن سيرة باربوزا، ذكر أنه عمل في شركة الهند الشرقية من عام ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م، وكانت مهمة هذا الأسطول الحصول -بأي وسيلة- على قاعدة للسفن البرتغالية في الشرق، حتى لو اضطرت الحملة لاستخدام العنف، وهذا بالتحديد ما كان يكتبه باربوزا في يومياته؛ العنف، والقتل، والنهب؛ الذي انتهجته الجيوش البرتغالية في مواجهة الممالك الإسلامية، ثم أعقب هذه الحملة حملة ماجلان عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م، حيث يذكر المرجع السابق أن باربوزا خرج في حملة ماجلان، وكان مرافقاً له في رحلته إلى

(٢) أو مدينة كوزيكود، أو مدينة التوابل كما كانت تعرف في العصور الوسطى، تقع جنوب الهند في ولاية كيرالا على ساحل مالابار، من المدن النشطة تجارياً. ويكيبيديا، ar.m.wikipedia.org، تاريخ الدخول ١٥/٩/١٤٤١هـ.

(٣) كان يعرف باسم "رأس العواصف" لكثرة ما به من عواصف، وبعد أن نجح البرتغاليون في الالتفاف حول أفريقيا عبر رأس العواصف هذا،

(١) مستكشف برتغالي، أول من اكتشف البرازيل، عينه الملك مانويل الأول قائداً للأسطول البرتغالي، وكانت له معارك ورحلات إلى بلاد الهند، اعتزل العمل عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م، وتوفي منسياً عام ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م. ويكيبيديا، ar.m.wikipedia.org، تاريخ الدخول ١٣/٩/١٤٤١هـ.

ذكرها المؤرخ الضليح الباهي بقوله :

" جهل تلك العناصر المحلية التام بعالم الرحالة، وغاياتهم المتنوعة، وتحولات عالمهم الاستراتيجية؛ التي دفعت بالقوى الأوروبية الرسمية منها وغير الرسمية، إلى اكتشاف فضاءات جديدة خارج عالمها. جهل تلك العناصر بمدخرات إقليمهم الطبيعية، فيما عدا المستغل منها في الرعي مثلاً، وعلاقة ذلك بهواجس الرحالة.

. فشل الثقافة الحاضنة "الرثة" لجماعات البحر الأحمر، في استلهاً عناصر تجدها، وتجاوز إعادة إنتاجها"^(١).

وعلى الرغم من ذلك كله، نجد ذلك الأعرابي البسيط الذي امتاز بالكرم، وحسن الضيافة، والأنس بالغريب، يقدم كل دعم ومساعدة لهؤلاء الغرباء، بل ويسهل لهم مهمتهم في الحصول على المعلومات، والمخطوطات، والشواهد التاريخية كثيرة في ذلك^(٢).

دوافع الكشوف الجغرافية البرتغالية وأهدافها:

عرفت الكشوف الجغرافية في مطلع القرن ٩هـ / ١٥م، وهي رحلات قام بها الأوروبيون لاكتشاف أراضي جديدة، واستغلال ثرواتها، وكان لهذه الرحلات أثر بالغ الأهمية في الحياة الاقتصادية،

الساحل الشرقي لقارة إفريقيا، والبحر الأحمر، وعبر رحلة بحرية دار حول جزيرة العرب، من السويس والساحل الغربي للجزيرة، ثم اجتاز باب المنذب إلى سواحل اليمن الجنوبية وحضرموت، وظفار، وعمان، حتى وصل إلى الخليج العربي، ومن هناك تابع الإبحار عبر المحيط الهندي باتجاه الهند.

نظرة العرب للرحالة:

يتعجب العربي المسلم من أمر الرحالة الأجنبي، الذي وفد إليه من بيئة متحضرة راقية، وتحمل مشقة العيش شهوياً -وربما سنوات- في بيئة قاسية، قليلة الماء، شديدة الحرارة، في مناطق صحراوية، أو جبلية وعرة، أو ساحلية قليلة الموارد، كثيرة الخوف، قليلة الأمن؛ فيتعجب من ارتياد هؤلاء الأجانب لتلك المناطق البدائية، مقارنة بما في بلادهم من التطور والرفاهية، يعيش مع جماعة من العرب الفقراء الغرباء، ويتساءل: ما الدافع الكامن وراء نضال هؤلاء الرحالة لتحمل تلك المشاق؟ وما الذي صبرهم على هذا الواقع المرّ، والعيش الشديد؟ لم يغيب يوماً من الأيام عن مخيلة الأعرابي البسيط -بعضهم وليس الكل- الشك في دوافع أو أهداف الأوروبيين من زيارة العالم الإسلامي، وأن أهم دوافعهم هو: التجسس، أو البحث عن الكنوز القديمة المدفونة في ممالك الإسلام، وحال أكثرهم يدور في فلك ثلاث نقاط

(١) المبروك محمد الباهي: عالم البحر الأحمر، تاريخ عالم أكثر من بحر، من الحضور العثماني ١٥١٧م إلى بداية حفر قناة السويس - ١٨٥٩، (ط١، جدة، مطابع جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٩هـ)، ص ١٨٣. (٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر رحلة: جون فراير كين: ستة أشهر في الحجاز، ترجمة إنعام إبيش، مراجعة وتحريراً أحمد إبيش، (ط١، أبوظبي، إصدارات دار الكتب الوطنية، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م)؛ كارستن نيور: وصف أقاليم شبه الجزيرة العربية، ترجمة مازن صلاح، (ط١، بيروت، الانتشار العربي (د.ت.))، ٢٠١٣م.

أطلق عليه عمانوئيل الأول ملك البرتغال اسم "رأس الرجاء الصالح"؛ لأنه فتح أمامهم باب الأمل والرجاء في الوصول إلى جزر الهند الشرقية، والسيطرة على تجارتها، والتخلص من احتكار المسلمين لها. يحيى بن الحسين بن القاسم: غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، تحقيق تقديم سعيد عبدالفتاح عاشور، مراجعة محمد مصطفى زيادة، (ط١، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م)، القسم الثاني، ص ٦٣٠، هامش ٤.

شديد التعصب على الإسلام والمسلمين، كما أعطت له البابوية حق امتلاك جميع الأراضي التي يكتشفها. يقول البابا نقولا الخامس Niccolo V " (٢): (إن سرورنا العظيم إذ نعلم أن ولدنا هنري أمير البرتغال، إذ يترسم خُطى والده العظيم الملك يوحنا، وإذ تلهمه الغيرة التي تملك الأنفس كجندي باسل من جنود المسيح، وقد دفع باسم الله إلى أقاصي البلاد وأباعدها عن مجال علمنا، كما دخل بين أحضان الكاثوليكية الغادرين؛ من أعداء الله، وأعداء المسيح؛ مثل العرب، والكفرة...) (٣). وهذا الخطاب بلاشك مباركة صريحة من البابا لكل ما أقدم عليه هنري الملاح من استيلاء، وسفك لدماء المسلمين، ولم تخف خطبهم وكلماتهم هذا الحقد ضد الإسلام والمسلمين، فها هو "البابا نيقولا الخامس" يصرح في إحدى خطباته : (مع مراعاة أنه منذ أن سمحنا للملك ألفونس في خطابات سابقة ومنحناه ضمن أشياء أخرى الحق الكامل والتام للهجوم، وغزو وأسر وهزم وسحق وإخضاع كل المسلمين، والوثنيين، وأي أعداء أخرى للمسيح أينما كانوا، و الاستيلاء على ممالكهم، وضيعاتهم، ومقاطعاتهم، ومناطق نفوذهم، وملكياتهم؛ من عتاد، وبيوت، وكل ما يمتلكون، أو

والاجتماعية الأوروبية، واعتبرها البعض تغييراً لوجه التاريخ، وبداية للعصور الحديثة، وعصر النهضة الأوروبية، وحركة كشفية عظيمة للعالم الجديد، فتحت من خلالها آفاقاً واسعة أمام العلماء لمزيد من البحث العلمي، مما ترتب عليه تعديل لكثير من النظريات التي سادت أوروبا في العصور الوسطى، وظهرت نظريات جديدة تدعو إلى حرية البحث، واستخدام المنهج العلمي القائم على التجربة، فكانت الكشوف الجغرافية بالفعل ولادةً جديدة لعصور جديدة في أوروبا، ولكن لو أمعنا النظر في حقيقة الكشوف الجغرافيا، نجدها حروباً صليبية في ثوب جديد، خرجت لهدم اقتصاد العالم الإسلامي، ونشر المسيحية، والتعاون مع القوة المسيحية في الحيشة لضرب المسلمين في عقر دارهم، لكن هذه الحقيقة لهذه الكشوف ظلت سنوات طويلة مبطنة وطي الكتمان، وسوف نتناول اليوم أهداف هذه الكشوف التي تعكس حقيقتها.

وقد تبلورت أهداف البرتغاليين في حروبهم وحملاتهم على السواحل الإسلامية في عدد من الدوافع:

الدافع الديني:

يعتبر الدافع الديني أهم دافع لحركة الكشوف الجغرافية البرتغالية، فقد كان الدافع الصليبي هو المحرك لهذه الكشوف، وباركت البابوية جهود "هنري الملاح Henrique,o Navegador" (١)؛ الذي كان

أفريقيا ولم يكن يخرج في هذه الرحلات، توفي عام ١٤٦٠م، قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح. وكيبديا، ar.m.wikipedia.org ، تاريخ الدخول ١٤٤١/٩/١٣هـ.

(١) إيطالي، اسمه (توماسو بارينتوتشيلي Tommaso Parentucelli) ولد عام ١٣٩٧م. وعين في منصب البابوية في ١٩ ذي الحجة ٨٥٠هـ الموافق ٦ مارس ١٤٤٧م وظل بها حتى وفاته عام ٨٤٨هـ/ ١٤٥٥م. وكيبديا، ar.m.wikipedia.org ، تاريخ الدخول ١٤٤١/٩/١٣هـ.

(٢) يوسف الثقفي: دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور، (ط٢، دار الثقة، د.ت)، ص ٥٨.

(١) هنري الملاح : أمير برتغالي، وابن الملك جون الأول ملك البرتغال ، كان مولعا بالعلم والدراسة خاصة الرياضيات والجغرافيا، ساهم في تطوير الملاحة البرتغالية وتقدمها، وتطوير علم الجغرافيا و اكتشاف السواحل الغربية لا فريقيا. أرسل أكثر من ٥٠ حملة لاكتشاف سواحل

أهداف الكشف الجغرافية؛ حيث يقول: (الغرض من اكتشاف الطريق البحري إلى الهند، هو نشر النصرانية، والحصول على ثروات الشرق)^(٥).

وبعد العرض السريع لهذه المقولات الصليبية الحاقدة من أعلى سلطات دينية، وسياسية، يمكن القول: إن الروح الصليبية كانت هي المحرك الأول لحركة الكشف الجغرافية، لذلك كان الهدف المعلن التي باركته الكنيسة هو نشر النصرانية في بلاد ما وراء البحار، وفي أراضي المسلمين، وكان شعارهم (الإنجيل، المجد، الذهب)، والانتقام من المسلمين بغزو مدنهم المقدسة، والرغبة في شن حملات صليبية جديدة على المسلمين؛ حتى لا يحاول المسلمون العودة مجددًا إلى الأندلس. لكن ظل هذا الدافع متجلبًا بمسمى الكشف الجغرافية، واستطاع الأوروبيون بفضل هذه الكشف استعمار معظم أنحاء العالم مدة قرنين من الزمان، واستغلال بل وامتصاص خيراتها^(٦).

وعلى الرغم من ذلك؛ لا نستطيع أن ننكر تداخل الدافع الديني مع الدافع الاقتصادي في هذه الحركة، فيقول صاحب كتاب "تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين": (إن البرتغاليين ولعوا ولعًا عجيبيًا بالاكشافات الجغرافية، يدفعهم في ذلك حرصهم

حصلوا عليه، وإخضاع شخصهم إلى العبودية الدائمة، وحق الاستيلاء لنفسه - أي للملك ألفونس- ولمن يرثه، الممالك، و الضيعات، والإمارات، وكل ملكياتهم وأموالهم، وتتصيرهم، واستخدامهم لمصلحته)^(١).

ويتحدث البوكيرك مع جنوده بكل صراحة، وينفت سموم كرهه في حديثه الحماسي لهم، فيقول :

(الخدمة الجليلة التي سنقدمها لله بطردنا العرب من هذه البلاد، وبإطفائنا شعلة شيعة محمد؛ بحيث لا يندفع لها هنا بعد ذلك لهيب، وذلك لأنني على يقين أننا لو انتزعنا تجارة "ملقا" هذه من أيديهم، "يقصد المسلمين" لأصبحت كلُّ من القاهرة، ومكة، أثرًا بعد عين، ولا تمتعت عن البندقية كل تجارة التوابل، مالم يذهب تجارها إلى البرتغال لشرائها من هناك)^(٢). ولم تخلُ يوميات البوكيرك من نفث هذه السموم الحاقدة؛ حيث كتب فيها: (كان هدفنا الوصول إلى الأماكن المقدسة للمسلمين، واقتحام المسجد النبوي، وأخذ رفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم رهينة؛ لنساوم عليها العرب من أجل استرداد القدس)^(٣).

ولملك البرتغال "عمانوئيل الأول، أو مانويل الأول" Manuel 1^(٤)، تصريحات صارخة عن

(١) زينب عبدالعزيز : الفاتيكان كيان إجرامي دولي، الجنور والخلفيات الإجرامية في المسيحية، مقال منشور في موقع صيد الفوائد، saaid.net تاريخ الدخول ١٤٤١/٩/٨هـ.

(٢) النقي: دراسات متميزة، ص ٥٩.

(٣) عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، (مكتبة الأنجلو المصرية، مطابع جامعة القاهرة، عام ١٩٨٠م)، ج ٢، ص ٦٩٨.

(٤) الملك الرابع عشر للبرتغال، تولى الملك عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م بعد أخيه ألفونسو الخامس، اهتم بالنشاط البحري، ودعم الرحلات لاكتشاف طريق التوابل إلى الهند، تم في عصره اكتشاف طريق الهند، واكتشاف البرازيل،

تمت السيطرة في عهده على طرق التجارة في المحيط الهندي، وبحر العرب، وخليج عمان، توفي عام ١٥٢١م .وكيبديا، ar.m.wikipedia.org، تاريخ الدخول ١٤٤١/٩/١٣هـ.

(٥) عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار: التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، (بيروت، دار النهضة العربية(د.ت))، ص ٤٦؛ الباهي: عالم البحر الأحمر، ص ١٨١.

غزوههم واستعمارهم^(٤).

هذه هي حقيقة الكشف الجغرافية التي اعتبرها البعض مرحلة جديدة من مراحل التاريخ، واكتشافاً عظيماً قدمه البرتغاليون للعالم، فنلاحظ مدى الحقد والكراهية التي حملتها هذه الخطابات للمسلمين، على الرغم من حسن تعامل المسلمين مع الأوروبيين إبان فتوحاتهم في الأندلس، إلا أن روح الكراهية مازالت كامنة في نفوسهم، وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم كتابه: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) سورة البقرة، آية ١٢٠.

الدافع الاقتصادي:

وهو الدافع الأهم في حركة الكشف الجغرافية، وكان الغرض من هذه الحملات السيطرة على طرق التجارة البحرية إلى الهند، والوصول إلى منتجاتها، ومنع عبورها من البحر الأحمر ومصر، وضرب الاقتصاد الإسلامي، وصولاً إلى إضعاف قوة المسلمين التي كان لها أبلغ الأثر في زعزعة أوروبا خلال عدّة قرون، فضلاً عن الرُّكود الاقتصادي الذي مُنيت به الدّولة المملوكيّة بسبب هذا التحوُّل المفاجئ^(٥)، والرغبة في التخلص من الرسوم الجمركية الباهظة التي فرضتها دولة المماليك، ومن بعدها البنادقة على تجارة التوابل والبهارات، وبضائع الهند والشرق

على نشر النصرانية في الأراضي الإسلامية^(١)، فحينما كان هدف البرتغال البحث عن أراضي جديدة؛ للبحث عن الذهب، ارتبط بهذا الهدف بغية نشر المسيحية الكاثوليكية في هذه الأراضي، وحينما كان هدفهم الوصول إلى الهند، والسيطرة على تجارة الشرق؛ من أجل إنفاق تلك الأموال في غزو المسلمين، وضربهم اقتصادياً وعسكرياً، وارتبط هدفهم للوصول إلى الممالك المسيحية في إفريقيا "مملكة القديس يوحنا Prester John"^(٢)، وتعاون معهم لضرب المسلمين، واستخلاص بيت المقدس من حكم المسلمين^(٣)، وتحقق حلمهم المنشود بالوصول إلى أرض الحبشة المسيحية التي كانت تعيش وسط ممالك إسلامية، وسنحت لهم الفرصة للتخلص من المسلمين بالتحالف مع البرتغاليين لتحقيق مآرب كلا الطرفين، واستطاع البرتغاليون تحقيق حلمهم؛ بتطويق المسلمين بالقوات المسيحية، ومن ثم تحويل مسار الرحلات التجارية، وضرب الاقتصاد الإسلامي؛ لتدمير المسلمين، وسهولة

(١) زين الدين المليباري: تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، تحقيق محمد سعيد الطريحي، (بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، ص ١٥٢.

(٢) الكاهن يوحنا، أو القديس يوحنا، وهو ملك أسطوري مسيحي، يعتقد أنه كان يحكم أواسط آسيا أو إثيوبيا، دارت حولها الكثير من القصص والخرافات، كانت الحروب الصليبية بداية ظهور هذه الخرافة، حيث زعم الأوروبيون المقيمون في الشرق أن حاكمًا مسيحيًا سوف يأتي لنجدتهم من أواسط آسيا، وهي المناطق المجهولة بالنسبة لهم، غيثان بن علي جريس: جدة في مواجهة الخطر البرتغالي، خلال الثلث الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، مجلة اتحاد المؤرخين العرب (الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوربي الأول)، حصاد ٢، (القاهرة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)، ص ٢٣٠، هامش ٥، وكيبيدا، Wikizer، Wikizer.com، تاريخ الدخول ١٤٤٤/٩/١٣هـ. وهذا كعادة المسيحيين في نسج الخرافات والأساطير حول الخلاص والنجدة.

(٣) البطريق: التاريخ الأوربي الحديث، ص ٤٦-٤٨.

(٤) شوقي عطا الله الجمل: الكشف الجغرافية البرتغالية والإسبانية وأثرها على الصراع بين العرب والاستعمار الأوربي، مجلة اتحاد المؤرخين العرب (الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوربي الأول)، حصاد (٢)، (القاهرة، ١٩٩٤م)، ص ١٠٦.

(٥) علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط، ج ١، ص ٢٠٧-٢٠٨.

الظروف الطبيعية الجغرافية:

تقع البرتغال في موقع متميز على المحيط الأطلسي، وهذا الموقع حقق لها أهمية استراتيجية، وجعلها في مصاف الدول المتفوقة بحرياً، فهي تقع مواجهة للسواحل الأفريقية، على الطرف الجنوبي الغربي من أوروبا، بحيث تمتلك سواحل طويلة على المحيط الأطلسي، إضافة إلى اكتسابها خبرة واسعة في التجارة البحرية، حيث إن مدينة لشبونة "Lisboa"^(٦) أصبحت منذ القرن ٩هـ / ١٤م، مستودعاً للذهب، والعبيد، وللبضائع المجلوبة من إفريقيا^(٧)، وكان هذا الموقع يشكل عائقاً بالنسبة لها قبل اكتشاف المسلمين للمحيط الأطلسي، وتسجيل ملاحظاتهم عليها؛ إذا شكل هذه البحر مصدراً للكثير من القصص والخرافات والأساطير التي نسجها الغرب عنه، إضافة إلى أن الإبحار عبر السواحل الإفريقية كان شبه مستحيل بالنسبة للغرب الأوربي^(٨).

وأضاف بعض المؤرخين عددًا من العوامل، منها على سبيل المثال لا الحصر: نشر حضارة الدول المستعمرة، العثور على أوطان جديدة، الدافع العسكري الاستراتيجي، الرغبة في زيادة المعلومات الجغرافية، نمو الروح القومية^(٩). لكن الباحثة ترى أن

عموماً^(١)، إضافة إلى الأزمات الاقتصادية التي كانت تعيشها أوروبا في القرن ٩هـ / ١٤م، سواء الأزمة النقدية، أو أزمة نفسي وباء الطاعون، وكان للبحار "فاسكو دي جاما" Vasco de Gamal^(٢) فضل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح عام ٩٧٠هـ / ١٤٩٧م، ما ساهم في نقل حركة التجارة من البحر الأحمر، والبحر المتوسط، إلى المحيط الأطلسي، حتى لا تمر التجارة عبر الأراضي المصرية، كما ساهم الجوايس في تسجيل الكثير من المعلومات عن الأراضي الإسلامية، فقد ورد خبر تسلل جوايس برتغاليين إلى مكة المكرمة في سلطنة السلطان قنصوة الغوري^(٣)، وتم القبض عليهم، وإرسالهم إلى مصر^(٤).

ونجح البرتغاليون في خطتهم، وتمكّنوا من السيطرة على معابر التجارة في السّاحل الأفريقي، وبحر العرب، والخليج العربي، وتوصلوا إلى منع عبور المنتجات الشّرقيّة إلى أوروبا عن طريقها^(٥).

(١) محمد حميد السلطان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين ١٥٠٧-١٥٢٥م، (العين، مركز زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ص ٢٩.

(٢) مستكشف ورحالة برتغالي، ولد في البرتغال عام ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م، عمل تحت حكم الملك مانويل الأول، وساهم في إكمال مسيرة هنري الملاح ودياز، حتى تمكن من اكتشاف رأس الرجاء الصالح، توفي في كاليفورنيا بالهند عام ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م. وكيبدا، ar.m.wikipedia.org، تاريخ الدخول ١٣/٩/١٤٤١هـ.

(٣) قنصوة الغوري : الملك الأشرف أبو النصر قانصوه بن عبدالله الجركسي، المشهور بالغوري، نسبة إلى إحدى الطبقات التي تعلم فيها، اتصف بالرأي السديد، والفتنة، والدهاء، قتل في مرج دابق ببلاد الشام سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م؛ ابن العماد، أبو فلاح عبدالحى: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت.)، ج ٨، ص ١١٣-١١٥.

(٤) ابن إياس، محمد بن احمد الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، (ط٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م)، ج ٤، ص ١٩١.

(٥) الصلابي : المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٨.

(٦) مدينة من مدن الأندلس قريبة من البحر، تقع غربي قرطبة. ياقوت الحموي: مرجع سابق، ج ٥، ص ١٦.

(٧) السلطان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، ص ٢٩.

(٨) عبدالعزيز الشناوي : أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ج ١، ص ١١٧.

(٩) زينب عصمت راشد: تاريخ أوروبا الحديث، من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، ص ٤١-٤٧.

جميع ما سبق يصب فيما مجمل ما ذكرته هنا، وأن هذا لا يعدو أن يكون تفصيلاً لأفراد ما أجمل.

التأثير والتأثر:

ورث البرتغاليون علوم البحار وتطورها من المسلمين المجاورين لهم في الأندلس، فاستقادوا من علوم المسلمين الفلكية، والبحرية، والخرائط، والأدوات الملاحية، ولم يستقد البرتغاليون من مسلمي الأندلس فقط، بل استقادوا أيضاً من المسلمين في شمال إفريقيا، وتثبت المراجع العربية والأوروبية فضل مسلمي الأندلس وشمال إفريقيا على تطور البحرية البرتغالية وتقدمها في مجال الكشف الجغرافية^(١)، بل إن البرتغاليين لم تكن لهم خبرة في خوض غمار البحار، وأخذوا هذه الخبرة من البحارة المسلمين، فتذكر لنا المصادر التاريخية قصصاً عن محاولات المسلمين لخوض غمار المحيط الأطلسي، والمحيط الهندي؛ فقد خرجت من مدينة لشبونة البرتغالية عدد من المحاولات لاستكشاف هذه البحار، وكانت منها رحلة لعدد من الشبان خرجوا عام (١٠٤٣٣هـ/١٠٤٢٠م) لاكتشاف الأراضي الجديدة في المحيط الأطلسي، أو بحر الظلمات كما كان يطلق عليه في العصور الوسطى، ولا تذكر المصادر معلومات وافية عن هذه الرحلة، بيد أن الإدريسي يذكر قصة (الفتية المغرر بهم)، وقصة وصولهم إلى جزر في المحيط الأطلسي^(٢)، وذكر

ابن سعيد ملاحاً مسلماً يدعى "ابن فاطمة المغربي" قام برحلة استكشافية حول سواحل إفريقيا، ووصفها وصفاً دقيقاً، من غربها إلى شرقها، ووصل إلى جزر القمر^(٣) قبل البرتغاليين بثلاثة قرون^(٤)، بل إن المصادر البرتغالية تذكر معرفة المسلمين برأس الرجاء الصالح، ووصولهم إليه، فقد ذكر ذلك الجاسوس البرتغالي (كوفيلهام) في تقريره المكتوب، لكنه كان يقول: لا توجد وثائق مكتوبة تثبت ذلك^(٥)، أما عالم الخرائط الإيطالي (١٨٨٠-١٨٧٥م)، (فرامورو Fra Mauro) فقد أشار على استحيا في مصوره الجغرافي لنشاط المسلمين البحري في المحيطات، وذكر محاولات البحارة المسلمين الإبحار حول سواحل إفريقيا الغربية، وقال إن ملاحاً عربياً استطاع الدوران حول القارة الإفريقية عبر المحيط الهندي، فظهر له المحيط الأطلسي، وذلك عام (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)^(٦)، ولا يفوتنا أن في ثنايا مؤلفات أبي الفداء صاحب حماه، والمسعودي، وأحمد بن ماجد، ما يلحظ منه معرفتهم التامة

(٣) دولة عربية إسلامية، تقع في المحيط الهندي على مقربة من الساحل الشرقي لإفريقيا، تتكون من عدد من الجزر، عاصمتها موروني. الموسوعة العربية العالمية، (ط١)، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٨، ص٣٢١.

(٤) إبراهيم خوري: أحمد بن ماجد، إصدار مركز الدراسات أو الوثائق، رأس الخيمة، ٢٠٠١م، ص٧٢؛ ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته إسماعيل العربي، (بيروت)، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، ١٩٧٠م، ص١١١؛ خوان بيرنيت: هل هناك أصل عربي إسباني لفن الخرائط البحرية، (تعريب) مختار العبادي، (مدريد)، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، العدد الأول، السنة الأولى، مطبعة المعهد المصري، ١٩٥٣م، ص٨٥.

(٥) ابن سعيد: المصدر السابق، ص٧٢.

(٦) اغناطيوس كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العرب، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة ابغور بلبايف، (القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣م)، ص٥٦٢.

(١) السلطان: المرجع السابق، ص٨.

(٢) أحمد علي إسماعيل: "الإدريسي وحديث الفتية المغررين"، بمجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد ٢٦، (مدريد، مطبعة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ١٩٩٤م)، ص١٠٠.

البضائع القادمة من الصين، أو بلاد الهند وشرق آسيا، تمر بعدد من الطرق التجارية المعروفة منذ أمد طويل، فحينما تصل السفن إلى ميناء عدن، تسير برًا عبر طريقيين إلى مكة المكرمة؛ طريق الجادة السلطانية على ساحل تهامة، والثاني: طريق جبلي يمر بمدينة صنعاء وصعدة^(٤)، وجرش^(٥)، ونجران. ثم تخرج هذه البضائع من مكة المكرمة إلى إيلة، ومن هناك تأخذ القوافل طريقيين أيضًا؛ طريق يتجه إلى بلاد الشام، وآخر يتجه إلى مصر، وتسير القوافل المصرية عبر صحراء سيناء، مرورًا بنخل ووادي سدر، وعيون موسى إلى السويس، ومنها إلى القاهرة، مرورًا بعدد من المحطات، أما الطريق البحري فكانت السفن تمخر عباب البحر الأحمر.

موانئ البحر الأحمر التي زارها الرحالة البرتغالي داوتي باربوزا :

❖ ميناء مايت:

من الموانئ والمدن التي زارها الرحالة باربوزا، وسجل ملاحظاته عنها، وهي أولى مدن البحر الأحمر بعد الالتفاف حول رأس (غارداقوي)، وهي من القرى المسلمة، التي يكثر فيها الثروة الحيوانية، وكانت من القرى الصغيرة الراكدة تجاريًا، بحسب وصف باربوزا لها، ولم أجد لها ذكرًا عند ياقوت.

❖ ميناء بربرة:

وهي مدينة من مدن الصومال الحالية، ذكر موقعها

بالمحيط، وجزره، وسواحله، وأن امتداد المحيط الأطلنطي واتصاله بالمحيط الهندي عبر السواحل الجنوبية لإفريقيا^(١)، ويذكر المؤرخون الأجانب مدى تأثير رحلات المسلمين الأولى على معرفة الغرب الأوربي بمياه المحيط الأطلنطي، وسواحل غرب إفريقيا، ومما لا شك فيه أن هذه الاكتشافات كان لها الأثر الكبير على البرتغاليين، خاصة وأن تلك الرحلات كانت تنطلق من عاصمتهم لشبونة، مما أثار فيهم الحماسة، والرغبة في الإبحار عبر المحيطات^(٢).

وحين نقلني نظرة على نوع المراكب البرتغالية (الكارافل caravelle)، نجد أن هيكل هذه المراكب مشابه لهيكل مراكب الصيد الإسلامية التي عرفت باسم (الداو dhow)، وقد استخدمها المسلمون في الإبحار عبر البحر الأحمر، والمحيط الهندي، منذ القرن ٦م، أي حتى قبل ظهور الإسلام، وتمتاز هذه السفن بأنها ذات أشعة مثلثة، تساعد على تغيير اتجاه السفن عند هبوب الرياح، وقد تم إدخال بعض التعديلات عليها، جعلت السفن البرتغالية ملائمة لخوض غمار المحيط الأطلنطي، وحمل كميات كبيرة من البضائع^(٣).

والجدير بالذكر أن الرحلة التجارية التي تقطعها

(١) ينظر: أبو الفداء: تقويم البلدان، (بيروت، دار صادر، ١٨٥٠م)، ص ٢٠؛ المسعودي: كتاب التنبيه والأشراف، (طبعة برلين، ليدن، ١٨٩٣م)، ص ٦٨.

(٢) إبراهيم محمد سليمان: إسهامات الملاحة العربية الإسلامية في اكتشاف البرتغاليين للطريق البحري إلى بلاد الهند، مجلة اتحاد المؤرخين العرب (العرب والبحر عبر عصور التاريخ)، ص ٢٣، (القاهرة، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٥م)، ص ٧٤.

(٣) إبراهيم سليمان: المرجع السابق، ص ٧٤-٧٥.

(٤) مدينة تقع في مخلاف اليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخًا، وهي مدينة تجارية. ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٠٦.

(٥) من مخاليف اليمن، وهي مدينة عظيمة من جهة مكة ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٦.

أثرت في رُقي وتقدم هذه البلدة، تم الاستيلاء عليها من قبل البرتغاليين بالقوة، وتم تدمير البلدة بالكامل. مميزاتا:

- أرضها خصبة.
- تشتهر بتربية الخيول.
- رجالها مقاتلون أقوياء.
- تمتاز بحركة اقتصادية وتجارية كبيرة.
- ميناء هام على البحر الأحمر، ترسو فيه العديد من السفن؛ لتحمل الكثير من بضائعها.
- مدينة متحضرة، وذات مبانٍ جميلة.
- سكانها من الأفارقة المسلمين.
- أهم منتجاتها: أنواع الماشية، الزيت، الحليب، اللحوم، القمح، الدخن، الشعير، الفواكه.
- تم تدميرها والاستيلاء عليها من قبل البرتغاليين عام ٩٢١هـ/ ١٥١٧م.

❖ جزر دهلك:

هي مجموعة جزر مقابلة للساحل اليمني، ذكرها يقوت بقوله: "جزيرة في بحر اليمن، وهي مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها"^(٤)، ذكر باربوزا أنها من أهم الموانئ البحرية لمملكة الحبشة (أرض الكاهن يوحنا)، تقد إليها الكثير من المنتجات؛ ومن أهمها: الذهب، ورغم أنها بلدة سكانها من المسلمين، إلا أنها أهم ميناء بحري لمملكة الحبشة (أرض الكاهن يوحنا)^(٥)، ويقول عنها باربوزا: (نُها بلدة

ياقوت فقال: "بلدة من بلاد الحبش والزنج، واليمن، على ساحل بحر اليمن، وبحر الزنج"^(١)، أما باربوزا فيقول عن هذه البلدة: إنها تقع على ساحل البحر الأحمر، وسُكَّانها من الزنوج المسلمين، تمتاز أرضها بخصوبتها، وكثرة خيراتها، وهي مدينة تجارية، تصل إليها السفن من مدينة عدن، وكامبالي^(٢)، ومن أهم السلع التي تصدرها المدينة الذهب والأفيون، والعاج، واللحوم، والعسل، وشمع العسل، وقد استطاع البرتغاليون السيطرة بالقوة على هذه المدينة عام ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م، بعد أن دمروا القرية، ومن المؤكد أن التدمير والسيطرة بالقوة نتج عنها قتل لسكان هذه البلدة.

❖ ميناء زيلع:

مدينة من مدن الصومال الحالية، تقع على ساحل البحر الأحمر، قريبة من بربرة، ذكرهم صاحب معجم البلدان بقوله: "هم جيل من السودان في طرف أرض الحبشة، وهم مسلمون وأرضهم تعرف بالزيلع، وهي قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش"^(٣)، وظاهر قول باربوزا أن البلدة متحضرة كثيرة البناء، ذات طابع متحضر، ومنازل جميلة، تشتهر بتربية الخيول، فمن المؤكد أن رجالها من الفرسان المقاتلين، كما تشتهر بتربية الماشية، وتصدر الكثير من الزبدة والحليب واللحوم، والقمح، والدخن، والشعير، والفواكه، وهذه الموارد الاقتصادية الكثيرة

(١) معجم البلدان، بيروت، دارصادر، ط١، ج١، ص٣٦٩-٣٧٠.

(٢) أو خمبات، أو كجراتي، مركز تجاري مهم في الهند في العصور الوسطى، المعرفة، m.marefa.org، تاريخ الدخول ١٥/٩/١٤٤١هـ.

(٣) ياقوت الحموي، ج٣، ص١٦٤-١٦٥.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٢.

(٥) رحلة بالغة الأهمية ١٥٦٥م، إعداد الدكتور سلطان بن محمد

الأعضاء التناسلية للبنات حديثات الولادة، وتظل على هذا الحال إلى أن تتزوج، وعندها يتم فتح هذا الجزء؛ حيث يكون ملحومًا، ويذكر داوتي أنه شاهد هذا المنظر بعينه، حينما سببت عدد من الفتيات في مدينة زيلع^(١)، وهو دليل واضح على اغتصاب النساء المسلمات من قبل البرتغاليين.

❖ ميناء السويس:

ذكرها ياقوت بقوله: "بلدة على ساحل بحر اليمن قرب أيلة، والطور، بينها وبين الفرما أربعة أيام ... وبينها وبين مصر ثلاثة أيام، وهي مدينة مبنية على شفير البحر، ينتهي هذا البحر إليها، ثم ينعطف إلى ناحية بلاد البجة^(٢)، وليس بها زرع، ولا شجر، ولا ماء وإنما يحمل إليها من ماء آبار بعيدة عنها، وهي تامة العمارة، وبها فرضة مصر، والشام، ومنها تحمل حمولات مصر، والشام إلى الحجاز، واليمن ... وهذا صفة القلزم قديمًا، فأما اليوم فهي خرابٌ يباب، وصارت الفرضة موضعًا قريبًا منها يقال لها: سويس، وهي أيضًا كالخراب ليس بها كثير أناس"^(٣)، وذكرها صاحب كتاب صبح الأعشى بقوله: (فرضة السُّويس) وهي مكان حط وإقلاع للديار المصرية أيضًا، وعنده ينتهي بر العرب ببحر القلزم، ويبتدئ بر العجم"^(٤)، وقيل إنها القلزم، لكن ظاهر قول ياقوت والقلقشندي يشير إلى أنهما بلدتان، لكن مع

رئيسة) يعني أنها مدينة كبيرة، ولم يذكر أنّ البرتغاليين احتلوها أو دمروها، والظاهر أن سبب ذلك تبعيتها للحاكم المسيحي (الكاهن يوحنا).

مميزاتها:

- بلدة مسلمة.
- ميناء مهم لأرض وملوك الحبشة.
- منطقة تجارية تغد إليها أنواع السلع من الحبشة، ومن أهمها: الذهب.

❖ ميناء مصوع:

هو ميناء يقع على الساحل الغربي للبحر الأحمر، في البر الحبشي، وهو الميناء الرئيس لدولة أرتيريا، يطلق عليه السكان اسم: (بارايام)، ويسميه البرتغاليون (فيليكس)، من أهم منتجاتها التي تصدرها: الذهب، وأنواع القماش، والعاج، والعسل، وشمع العسل، كما تشتهر بتجارة العبيد المسيحيين، ويذكر الرحالة بازبوزا أن هؤلاء العبيد أفضل من غيرهم في القدرة على القيام بالأعمال، وأنهم بمجرد بيعهم يسلمون، ويكونون شديدي التمسك بتعاليم الإسلام، كما يمتاز رجال هذه المدينة بأنهم مقاتلون بارعون، ويصف رجالهم بأنهم شبه عراة؛ لا يرتدون إلا ما يستر عورتهم من السرة إلى الركبة بقماش قطني، أما الرجال الذين لهم مكانة ومنزلة في المدينة فيرتدون ما يشبه العباءة المغربية، وتلف النساء أجسادهن بقماش طويل يدعى (شادر)، وهناك تقليد غريب لهذه القبائل، وهو خياطة

(١) رحلة بالغة الأهمية، ص ٣٤.

(٢) وتكتب باجة وهي بلدة في أفريقية وتعرف بباجة القمح، تشتهر بكثرة الأنهار. ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٤.

(٣) معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٨٧-٣٨٨.

(٤) القلقشندي، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.)، ج ٣، ص ٢٥١-٢٥٢.

القاسمي، (ط ١، الشارقة، منشورات القاسمي، ٢٠١٧م) ص ٣٣.

لحكم الأسرة القطبية، وهم من الأشراف السليمانية، يقول عنها باربوزا: "مرورًا بميناء جدة، بالتوجه نزولًا إلى ساحل البحر الأحمر، وباتجاه عرض البحر، يصل المرء إلى العديد من مدن المسلمين، التي لها ملوكها، تدعى إحداها جازان، وأخرى اللحية، وثالثة: الخور^(٣)، أما الخور فهي "قرية من أحياء مدينة الشَّحْر في الجانب الغربي من المدينة، سميت الخور لانخفاض أرضها عن المنطقة التي تقع إلى جانبها الجنوبي، بحيث تحجبها عن رؤية الناظر إليها من شاطئ البحر^(٤). ويتحدث باربوزا عن ثراء هذه المدن، وتوفر العديد من المؤن فيها، وأنها تشتهر بالخيول باهظة الثمن، يتم تصديرها إلى الهند^(٥).

❖ الحديدية، باب المنذب:

وهي من الموانئ الحديثة، فلم يذكرها ياقوت في معجمه، وذكرها المقحفي بقوله: "مركز إداري من مديرية الجبى في بلاد ريمة، وأعمال محافظة صنعاء"^(٦)، وهي ميناء مهم لليمن، يقع على ساحل البحر الأحمر، عند مصب المضيق، ومن خلال هذا المضيق تدخل وتخرج السفن من وإلى البحر الأحمر، ويذكر باربوزا أن هذه المدن تتبع في الحكم مملكة عدن، وتكمن أهمية هذه المدن للبرتغاليين في أنها تزودهم بالربابنة الماهرين في الإبحار عبر البحر الأحمر، والعالمين بطريقه^(٧)، وكذلك الحال

التوسع العمراني، والتطور السكاني اتصت مدينة القلزم بالسويس، وأصبح يطلق عليهما مدينة السويس.

أما باربوزا فيصف هذه المدينة بأنها مدينة تجارية عظيمة، تصل إليها بضائع الهند، وعدن، وجدة، وتتنقل هذه البضائع من جدة بزوارق صغيرة جدًا، ومن هناك تنقل على ظهور الجمال إلى القاهرة، ومن هناك تنقل إلى الإسكندرية، ثم تنقل بواسطة تجار البنادق إلى أوروبا، وقد انتهت هذه التجارة بوصول البرتغاليين إلى الهند، وأصبحت تهدد سفن التجار المسلمين، ويصف باربوزا كيف جهز السلطان المملوكي حملة لمحاربة البرتغاليين في سواحل ديو، ويصف الهزيمة التي لحقت بالمسلمين، وكيف آل حال هذا الميناء إلى مدينة قاحلة خالية من أنواع البهارات، والتجارة^(٨).

مميزاتها:

- ميناؤها مهم على البحر الأحمر.
- حلقة وصل بين موانئ البحر الأحمر (عدن، جدة) وأوروبا.

❖ جازان، اللحية والخور:

اللحية (بلدة من تهامة على ساحل البحر الأحمر، شمالي الحديدية، على مسيرة يومين، وهي فرضة وادي مور، ولها أعمال)^(٩).

كانت من ضمن بلاد المخلاف السليمانى، تخضع

(٣) رحلة بالغة الأهمية، ص ٣٧.

(٤) المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، القاهرة، دار الكلمة، ٢٠٠٢م،

ج ١، ص ٥٨٦.

(٥) رحلة بالغة الأهمية، ص ٣٧.

(٦) المقحفي: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٣٧.

(٧) رحلة بالغة الأهمية، ص ٣٧.

(٨) رحلة بالغة الأهمية، ص ٣٦.

(٩) محمد بن أحمد الحجري اليمني: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق وتصحيح أسماعيل الأكوع، (صنعاء، مكتبة الإرشاد، د.ت.)، ٢٠٠٢م، ص ٦٧٩.

الجزيرة لأهميتها.

❖ مدينة عدن:

احتلت عدن مكانة عالمية مرموقة في التجارة الخارجية، وامتازت بالنقدم الاقتصادي أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر الميلادي، وقد استوفقت هذه المدينة الكثير من الرحالة الذين بهرتهم بثرائها، وتقدمها، وتحضرها^(٥). ذكرها ياقوت بقوله: "مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، وقال الهمذاني اليمني: عدن جنوبية تهامية، وهي أقدم أسواق العرب، وهي ساحل يحيط به جبل"^(٦)، وقال باربوزا عنها: "بمغادرة المرء البحر الأحمر عبر مضيق باب المنذب، والتي هي أضيق نقطة يتوجب على جميع السفن المرور من خلالها، يدخل المرء إلى خليج عدن الواسع"^(٧)، ثم يصف المدينة بأنها مستقلة في حكمها، وتحت حكم الأسرة القطبية، وهم من الأشراف السلিমانية، ويضيف أنها مدينة متحضرة ذات مبانٍ رائعة، ومنازلها عالية، ونوافذها كبيرة، وشوارعها مرتبة، تزدهم بالسكان، وتحوي العديد من الحصون والأسوار، أما ميناؤها فيحوي أفخر أنواع السلع ذات الجودة العالية، والبضائع الجميلة^(٨)، ويصف ندرة المياه فيها، وكيف تجلب لها المياه من خارجها، والتجار فيها من اليهود والمسلمين، بشرتهم بيضاء، وبعضهم سود البشرة، ويرتدون ملابس قطنية، وملابس من وبر الجمل،

عند رغبة السفن في الإبحار إلى الهند، فهي مركز لتزويد السفن بالأدلاء والربابنة، ومن المؤكد أن هذه المدن تشحن بالبضائع المختلفة؛ القادمة من سواحل إفريقيا، أو الهند، أو منتجات اليمن السعيد ذاتها.

❖ جزيرة كمران:

قال عنها ياقوت: "قابلة زبيد باليمن، وكمران جزيرة، وهي حصن لمن ملك يمانى تهامة"^(١).

يصفها باربوزا بأنها جزيرة صغيرة، استولي عليها البرتغاليون بقيادة ألفونسو دي ألبوكيرك، وهي مرفأ جيد مقابل لسواحل اليمن، وتحتل هذه الجزيرة موقعاً ممتازاً بالنسبة للسفن المبحرة في البحر الأحمر، وعليها أن تكمل رحلتها إلى الهند؛ حيث تقف في هذه الجزيرة للتزود بالمؤن والمياه؛ لأن هذه الجزيرة يكثر فيها الآبار المليئة بالمياه الجيدة^(٢)، وقد بنى القائد حسين الكردي^(٣) قائد المماليك في معركة ديو^(٤) حصناً في هذه المدينة قبيل مغادرته شواطئها قبل معركة ديو؛ لأن موقعها استراتيجي مهم؛ فهي تقابل الداخل من باب المنذب مباشرة، لذلك حرص ألبوكيرك على هدم هذا الحصن قبل رحيله من هذه الجزيرة، كما حرص على بسط سيطرته على هذه

(١) معجم البلدان، ج٢، ص١٣٩.

(٢) رحلة بالغة الأهمية، ص٣٨.

(٣) الأمير حسن الكردي، أمير جدة في عصر السلطان قنصوة الغوري، كلفه السلطان بطرد البرتغاليين من البحر الأحمر، والمحيط الهندي. لمزيد من المعلومات أنظر النهرواني: البرق اليماني في الفتح العثماني، (منشورات دار اليمامة، الرياض، د.ت)، ص١٩.

(٤) معركة فاصلة في تاريخ دولة المماليك عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م، أنهت عهد السيطرة المصرية على طريق التجارة البحري إلى الهند، وقد تضاءلت بعد معركة ديو البحرية الأهمية التجارية للبحر الأحمر إلى حد بعيد. فائق بكر الصواف، ومصطفى محمد رمضان: أهمية ثغر جدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري (١٦م)، (مجلة دار الملك عبدالعزيز، العدد الثاني، ١٤٠١هـ)، ص٢٠٤.

(٥) محمد موسى: مرجع سابق، ص١٣.

(٦) معجم البلدان، ج٤، ص٨٩.

(٧) رحلة بالغة الأهمية، ص٣٨.

(٨) رحلة بالغة الأهمية، ص٣٨.

الرحلات التي وصفت الغزو البرتغالي للأراضي الإسلامية، والدويلات المسلمة.

٢. الرحلة عبارة عن سجل اقتصادي يحوي منتجات البلاد التي مر بها الرحالة؛ سواء في الجزيرة العربية، أو السواحل الإفريقية، والهند.

٣. بيّنت الرحلة مدى الثراء التي تمتعت به الدول الإسلامية في فترة تعتبر فترة ركود تجاري واقتصادي عالمي.

٤. رغم القوة الاقتصادية التي تمتعت بها معظم البلاد الإسلامية، إلا أن التناحر، والفرقة، وحب الذات، والخوف على السلطة؛ جرههم إلى السقوط في يد العدو المشترك البرتغاليين.

٥. تناولت هذه الرحلة فترة حرجة مرَّ بها العالم الإسلامي في جميع حقبه التاريخية (تفكك، انهيار اقتصادي، تحول طرق التجارة، ضعف دولة المماليك، تخاذل ملوك اليمن في مساعدتهم).

٦. أثبتت الحقائق التاريخية أن إرادة الشعوب لا تهزم، فحينما هاجم البرتغاليون عدن، وتخاذل حاكمها في الدفاع عنها، تصدى لهم سكان المدينة حتى دحروهم.

٧. المكانة السياسية، والاقتصادية، والدينية التي يحتلها البحر الأحمر؛ لذلك حرص البرتغاليون على إرسال الجواسيس لجمع المعلومات عن موانئ البحر الأحمر.

٨. جميع هذه الموانئ تشترك في أهمية واحده تقريباً؛ وهي كونها ميناءً مهمًا لنقل بضائع الهند، واليمن،

والقماش القرمزي، إضافة إلى لبس العباءات الطويلة، والقبعات على رؤوسهم، كما ينتعلون نوعًا من الأحذية يطلق عليه الرحالة اسم (مشاية)، وطعامهم يعتمد على أنواع اللحوم الجيدة، وخبز القمح، والأرز، وتتوفر في عدن جميع أنواع الفواكه، وبها أنواع جيدة من الخيول والجمال، ثم يتحدث عن محاولة البرتغاليين فرض سيطرتهم عليها، ويتوقف عند الصراع الذي دار بين سكان المدينة والجنود البرتغاليين، ويسكت عن النتيجة، وبالرجوع إلى المراجع الأصلية اتضح أن سكان المدينة استطاعوا بكل بسالة مقاومة الجنود البرتغاليين ودحروهم، في حين تخاذل والي المدينة من قبل بني طاهر في الدفاع عنها، ولكن تجددت محاولة البرتغاليين في السيطرة على المدينة، وهذه المرة كانت بمهادنة الوالي الذي قبل بكل تخاذل الانصياع لمطامع البرتغاليين، مقابل مساعدتهم له ضد المماليك^(١).

وهذا ليس بمستغرب على مدينة تجارية ذات اقتصاد ممتاز، وحكم مستقل يضمن السلام والأمان لها، والتطور والرقي، وتكمن أهمية هذه المملكة للبرتغاليين في توقيع معاهدة مع هذه المملكة؛ لضمان المرور من باب المنذب، وحتى تضمن لها موانئ جيدة للرسو، والتزود بالمؤن.

نتائج البحث:

١. تكمن أهمية هذه الرحلة في كونها من أوائل

(١) محمد عبدالعال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، (الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د.ت.))، ١٩٨٠م، ص ٢٢-٢٤.

- أبو الفداء، المؤيد عماد الدين إسماعيل، (ت) ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، (١٨٥٠م)، كتاب **تقويم البلدان**، صححه رينود والبارون ماك كوين ديسلان، بيروت، دار صادر.

- باريوزا، دَوَارْتِي، (٢٠١٧م)، **رحلة بالغة الأهمية ١٥٦٥م**، إعداد الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، الشارقة، منشورات القاسمي.

- الحجري اليماني، القاضي محمد بن أحمد، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، تحقيق وتصحيح ومراجعة إسماعيل الأكوع، صنعاء، مكتبة الإرشاد.

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت ٣٤٦هـ)، (١٨٩٣م)، **كتاب التنبيه والأشراف**، ليدن، طبعة بريلن.

- القلقشندي: (أحمد بن علي، (ت ٨٢١هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، بيروت، دار الكتب العلمية، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين. _النهرواني: (قطب الدين محمد بن أحمد المكي، ت ٩٩٠هـ)، **البرق اليماني في الفتح العثماني**، أشرف على طبعة حمد الجاسر، الرياض، منشورات دار اليمامة.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله

الحموي الرومي

البغدادي، (ت ٦٢٦هـ)، (١٩٩٦م)، **معجم البلدان**، ط١، بيروت، دار صادر.

٢. **المراجع:**

- أحمد، محمد عبدالعال، (١٩٨٠م)، **بنو رسول**

وأفريقيا، وجدة، إلى مصر، ومنها إلى أوروبا، ومن سواحل البحر الأحمر إلى الهند، إضافة إلى الثراء الذي تتمتع به.

المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

١. **المصادر:**

- ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م) (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي، (ت ٨٨٠هـ)، (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م)، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق درويش الجويدي، بيروت، المكتبة العصرية.

- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، (ت ٦٨٥هـ)، (١٩٧٠م)، **كتاب الجغرافيا**، حققه ووضع مقدمته إسماعيل العربي، بيروت، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر.

- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحى (ت ١٠٨٩هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- ابن القاسم، يحيى بن الحسن (ت ١١٠٠هـ)، (١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م)، **غاية الأمان في أخبار قطر اليماني**، تحقيق تقديم سعيد عبدالفتاح عاشور، مراجعة محمد مصطفى زيادة، ط١، القاهرة، دار الكتاب العربي.

منشور في موقع صيد الفوائد، saaid.net تاريخ الدخول ١٤٤١/٩/٨هـ.

- جريس، غيثان بن علي، (١٤١٥هـ-
١٩٩٥م)، "جدة في مواجهة الخطر البرتغالي، خلال
الثالث الأول من القرن العاشر الهجري السادس
عشر الميلادي"، مجلة اتحاد المؤرخين العرب
(الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع
الأوروبي الأول)، حصاد ٢، القاهرة.

- الجمل، شوقي عبدالله، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)،
"الكشوف الجغرافية البرتغالية والإسبانية"، مجلة
اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، كتاب الصراع بين
العرب والاستعمار. حصاد ٢.

- الخوري، إبراهيم، (٢٠٠١م)، أحمد بن ماجد، رأس
الخيمة، إصدار مركز الدراسات أو الوثائق.

- راشد، زينب عصمت، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، تاريخ
أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى
نهاية القرن الثامن عشر، القاهرة، دار الفكر
العربي.

- سليمان، إبراهيم محمد، (١٤٣٧هـ-٢٠١٥م)،
"إسهامات الملاحة العربية الإسلامية في اكتشاف
البرتغاليين للطريق البحري إلى بلاد الهند"، مجلة
اتحاد المؤرخين العرب (العرب والبحر عبر عصور
التاريخ)، حصاد ٢٣.

- السلطان، محمد حميد، (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، الغزو
البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين
١٥٠٧-١٥٢٥م، ط١، العين، مركز زايد للتراث

وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدها،
الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- إسماعيل، أحمد علي إسماعيل، (١٩٩٤م)
"الإدريسي وحديث الفتية المغربين"، مجلة المعهد
المصري للدراسات الإسلامية بمديرد،
المجلد ٢٦، مديرد، مطبعة المعهد المصري للدراسات
الإسلامية.

- الباهي: المبروك محمد، عالم البحر الأحمر،
تاريخ عالم أكثر من بحر، من الحضور العثماني
١٥١٧م إلى بداية حفر قناة السويس - ١٨٥٩م،
مطابع جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط١،
١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م.

- بروديل (فرنان)، البحر المتوسط، نقلة إلى
العربية، عمر بن سالم، تونس، ١٩٩٠م.

- بيرنيط. خوان، هل هناك أصل عربي إسباني لفن
الخرائط البحرية، (تعريب) مختار العبادي، مقال
بمجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمديرد،
العدد الأول، السنة الأولى، مطبعة المعهد المصري،
مديرد، ١٩٥٣م .

- الثقفي، يوسف علي، (١٤١٧هـ)، موقف أوربة من
الدولة العثمانية، ط١.

- الثقفي، يوسف علي، دراسات متميزة في العلاقات
بين الشرق والغرب على مر العصور، ط٢، دار
الثقة.

- عبدالعزيز، زينب، الفاتيكان كيان إجرامي دولي،
الجنور والخلفيات الإجرامية في المسيحية، مقال

والتاريخ.

- الشناوي، عبد العزيز، (١٩٨٠م)، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، مطابع جامعة القاهرة.

- الصوف، فائق بكر، ومصطفى محمد رمضان، (١٤٠١هـ)، "أهمية ثغر جدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري (١٦م)"، مجلة دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، العدد الثاني.

- الصلابي، علي محمد، (١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، صيدا- لبنان، المكتبة العصرية.

- كراتشكوفسكي، اغناطيوس، (١٩٦٣م)، تاريخ الأدب الجغرافي العرب، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة ايغور بلياييف، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- كين، جون فراير، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، ستة أشهر في الحجاز، ترجمة إنعام إبيش، مراجعة وتحريراًحمد إبيش، ط١، أبوظبي، إصدارات دار الكتب الوطنية، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة.

- محمد، أشرف سمير توفيق محمد، (١٤٣٧هـ-٢٠١٥م)، "المحارس المغربية الإسلامية (من ق ٢: ٨/٥٨: ١٤م)" دراسة تاريخية، مجلة اتحاد المؤرخين العرب (العرب والبحار عبر عصور التاريخ)، حصاد ٢٣.

- المقحفي، إبراهيم أحمد، (٢٠٠٢م)، معجم البلدان والقبائل اليمنية، القاهرة، دار الكلمة للطباعة

والنشر، القاهرة.

- موسى، محمد علي، (٢٠٠٦م)، "الهجوم البرتغالي على عدن" قراءة من خلال مذكرات الفونسو البوكرك"، مجلة (اليمن) تصدر عن جامعة اليمن، العدد ٢٣، صنعاء، رقم المجلد ٢.

- المليباري، زين الدين أحمد، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، تحقيق محمد سعيد الطريحي، بيروت، مؤسسة الوفاء.

- نوار، عبد العزيز سليمان، وعبد الحميد بطريق، (١٩٩٧م)، التاريخ الأوربي الحديث في عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.

- نيور، كارستن، (٢٠١٣م)، وصف أقاليم شبه الجزيرة العربية، ترجمة مازن صلاح، ط١، بيروت، الانتشار العربي.

- ياغي، إسماعيل أحمد، ومحمود شاكر شاكر، (١٩٩٥م)، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، الرياض، دار المريخ.

٣. الموسوعات:

الموسوعة العربية العالمية، ط١، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٤. المواقع على الشبكة العنكبوتية:

- موقع موسوعة اللغة العربية "Mimir"، mimirbook.com، تاريخ الدخول ١٢/٩/١٤٤١هـ.

- موقع المعرفة، M.marefa.org، تاريخ الدخول

- ١٢٠٩/٩/١٤٤١هـ.م - موقع ويكيبيديا، ar.wikipedia.org، ١١/٩/١٤٤١هـ.م
- ١٣٠٩/٩/١٤٤١هـ.م - موقع صيد الفوائد، saaid.net تاريخ الدخول
- ١٤٠٩/٩/١٤٤١هـ.م - موقع، Wikizer، wikizer.com، تاريخ الدخول

**The importance of some Red Sea ports and cities for the Portuguese
through the journey of the Portuguese man Duarte Barbosa
in 972 A.H./ 1565 A.D.**

Dr. samah Saeed Bahowyriith
Assistant Professor
Islamic History and Orientalism
Taibah University
Orientalism Department
Faculty of Arts and Humanities

The beginning of the 15th century A.D. is regarded as the start of geographical discoveries movement , the actual beginning of the colonial movement of the cities of the Islamic world which was led by Portugal , and then by the papacy.

Although the Mamluk State was entering its final throes, it tried to protect the holy places in Makkah Al-Mukarramah and Al-Madinah Al-Munawwarah by preventing the Portuguese ships from entering the Red Sea, but the Portuguese ships were navigating in the Red Sea for their economic interests, and their pursuit of their desired purpose, which was the revenge on Muslims and invading their holy cities.

The research will highlight the dangers of the Portuguese invasion during this period on the Red Sea coasts , the purpose of Duarte Barbosa journey in 972 A.H./1565 A.D. , and the report that Duarte Barbosa wrote about some important cities and coasts of the Red Sea for the Portuguese, and the importance of these cities for them. All of these reports were sent to the Royal Library in Lisboa, which was the headquarters of the Maritime and Commercial Empire.

This journey text was written in the Portuguese language, and it was lost for a long time until it was obtained by Dr. Sultan Mohammed Al-Qassimi in 1433 A.H./ 2012 A.D. , and it was translated and directed by him in a huge manuscript, which is considered as the oldest manuscript containing much information about the Arabian Peninsula and the Islamic coasts. Moreover, this manuscript represents the beginning of Portuguese colonization over Islamic monarchies.

The researcher.

أثر المعنى والأداء على مسافة الصوت اللغوي الزمنية الرد على الدكتور أحمد كشك في بحثه الموسوم من وظائف الصوت اللغوي أنموذجا دراسة صوتية نقدية دلالية

د. زمزم أحمد علي تقي

الأستاذ المشارك بجامعة الملك عبد العزيز فرع السليمانية

كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها

مستخلص. للمسافة الزمنية التي يستغرقها النطق بالصوت اللغوي داخل سياقه ضوابط تحدها عدة أمور منها مكان الصوت وطريقة الأداء الذي يعتمد على الأسلوب والغرض والمعنى، فالمعنى ينصب مع اللفظ والصوت اللغوي؛ ليشكل بذلك نظما ذا مسافات زمنية في الأداء، وهو مناط البحث الذي نحن بصدده الآن، وهذه المسافات هي التي تتحكم في المقاطع الصوتية وبالتالي تتحكم في النبر، فهي تؤدي بناء على المعنى واخترت لإثبات أثر المعنى والأداء على مسافة الصوت اللغوي الزمنية دراسة للباحث الدكتور أحمد كشك بعنوان من وظائف الصوت اللغوي؛ محاولة منه لفهم صرفي وصوتي، فقد ناقش فيها الجنس التام واختلف مع البلاغيين حوله، وحاول إثبات عدم وجوده ولكنه حلل الكثير من الأبيات التي تحتوي عليه تحليلا مقطوعيا للصوت اللغوي فحسب دون مراعاة المعنى وفن الأداء وما نتج عنهما من مسافات زمنية للصوت وهذا ما سوف تشتمل عليه هذه الدراسة.

المقدمة

أسباب اختيار الموضوع:

٢- العلاقة بين المعنى والسياق والأسلوب وتلك

المسافات الزمنية؛ فهو الذي يحددها.

٣- ارتباط هذا الموضوع بعلم الأصوات والبلاغة

مما له الأثر الفعال على المعنى والأداء.

٤- نقد الدكتور أحمد كشك؛ لإثبات أثر المعنى

والأداء على مسافات الصوت الزمنية.

١- أهمية المعنى والأداء وأثرهما على المسافات

الزمنية للمقاطع الصوتية وما يترتب على ذلك من

النبر والتنغيم.

الدراسات السابقة:

اعتمدت كتب الأصوات^١ في دراسة المقاطع الصوتية على النبر والتنغيم دراسة مقطعية لكل منهما، فالنبر يكون على مستوى المقطع الصوتي داخل الكلمة والتنغيم يكون على مستوى الكلمة داخل الجملة، كما تناولت كتب فن الإلقاء^٢ الأداء الصوتي لكل من النبر والتنغيم، كما تناولت كتب البلاغة^٣ الجنس التام كنوع من أنواع الثراء اللغوي الذي تضيفه اللغة على مفرداتها، فينعكس على معانيها فكل ذلك واضح ومعلوم، ولكن الذي تضيفه هذه الدراسة هو أثر المعنى والأداء والأسلوب والغرض على مسافات الصوت الزمنية، فكلها عوامل تؤثر على تلك المسافات وتغير مقاطعها الصوتية تبعاً لها كما سيتضح ذلك من خلال تلك الدراسة.

أهداف البحث:

- ١- إثبات أثر المعنى والغرض على المقاطع الصوتية من حيث كمية مسافاتهما
- ٢- إثبات اختلاف تلك المقاطع الصوتية تبعاً لاختلاف مسافات الزمنية التي تحدد أشكالها.
- ٣- اشتمال الدراسة الصوتية للصوت اللغوي على أثر المعنى والسياق على مسافة ذلك الصوت الزمنية.

أداة البحث أو عينة البحث:

طبقت هذه الفكرة على الدراسة التي أجراها الدكتور أحمد كشك في بحثه الموسوم من وظائف الصوت اللغوي وقد ذكرت محاولته الصوتية آنفاً وعدم اعتباره لتلك المسافة الزمنية للصوت اللغوي التي تتأثر بالمعنى والأداء؛ لذلك اعتمدت في دراستي التطبيقية على الأبيات التي اعتمد عليها، وسأبين فيها أثر المعنى والغرض والأداء على المسافة الزمنية للصوت اللغوي كما سيأتي.

وبناء على ما سبق فقد تلخصت هيكلية البحث، فيما يلي: المقدمة وفيها نبذة عن الموضوع، والخطة، والمنهج، والخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

خطة البحث: تتكون من تمهيد عن المقاطع الصوتية في العربية ومواقع النبر فيها، ومطلبين هما:

المطلب الأول: الجانب النظري: وهو الأسس التي يقوم عليها فن الإلقاء وأثره على الصوت اللغوي.

المطلب الثاني: الجانب التطبيقي: أثر المعنى والأداء على مسافة الصوت اللغوي الزمنية من خلال الرد على دراسة الدكتور أحمد كشك في بحثه الموسوم من وظائف الصوت اللغوي.

وسأتابع المنهج الوصفي التحليلي؛ إذ اخترت دراسة الدكتور أحمد كشك في بحثه الموسوم من وظائف الصوت اللغوي إذ تكشف الدراسة عن أثر المسافة الزمنية على تحديد الصوت اللغوي، ولا يمنع ذلك من استعمال مناهج أخرى حسبما تقتضيه طبيعة البحث.

^١ انظر: أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية، ١٩٧٥، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ١٥٩..

^٢ انظر: مقلد، أدب طه عبد الفتاح، فن الإلقاء، (بدون طبعة)، مكة المكرمة، مكتبة الفيصلية، (بدون تاريخ)، ص ٢٠٢.

^٣ انظر: عتيق، د. عبد العزيز، علم البديع، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية (بدون تاريخ) ص ١٩٥.

فَ تَ حَ إِذ يوازي ذلك ما يلي:

ص ح ص ح ص ح

ومثال المقطع الصوتي الساكن المصدر (نَصْرٌ)؛ إذ يتكون من مقطعين صوتيين ساكنين هما كالآتي:

نَ صَ رُنْ إِذ يوازي ذلك ما يلي:

ص ح ص ح ص ح

وتميل اللغة العربية إلى الأصوات الساكنة؛ فيستحيل أن يجتمع أربع متحركات في كلمة واحدة، وكراهية ذلك في ما هو كالكلمة، على العكس من الأصوات الساكنة؛ إذ يصح أن تلتقي أربعة سواكن في كلمة واحدة، ومن الممكن أن تلتقي أربعة سواكن في ما هو كالكلمة، كقولهم: اسْتَبَشَّرْتُمْ.

وللنسخ في المقاطع الصوتية في العربية أنواع

تكون كالآتي:

النوع الأول: يتكون من صوت ساكن وصوت لين قصير، ومثاله: كلمة (قَعْدٌ)؛ إذ تتكون من ثلاثة مقاطع صوتية تمثل هذا النوع ونسجها الصوتي كالآتي:

قَ عَ دَ وَيوازي ذلك ما يلي:

ص ح ص ح ص ح

النوع الثاني: يتكون من صوت ساكن وصوت لين طويل، كالمقطع الصوتي الأول من كلمة (بَاعٌ) ونسجه الصوتي كالآتي:

بَ وَيوازي ذلك ما يلي:

ص ح

الخاتمة وفيها رصدت أهم النتائج والتوصيات، قفيتها بقائمة المصادر والمراجع.

وختاماً من لا يشكر الناس لا يشكر الله؛ لذا أود شكر سعادة الدكتورة الفاضلة ليلي عبدالله علي باوزير التي أوحى لي بفكرة البحث من خلال نقاشنا لمسافة الزمنية للصوت اللغوي وما يترتب على الأداء وفن الإلقاء من تأثير عليها، وذكرت متفضلة بأني شاعرة وعروضية؛ لذلك سأكون جديرة بمعالجة تلك الفكرة كما ينبغي، فشكرتها على تلك الثقة وعزمت جاهدة على السير قدماً في إثبات تلك الفكرة التي أثبتتها الدراسات اللغوية الحديثة للصوت اللغوي إذا احتيج إلى إطالة بحسب ما يطرأ عليه من معنى كما سنرى.

التمهيد^(٤)

المقاطع الصوتية في العربية ومواقع النبر فيها المقطع الصوتي هو "حرف مع حركة أو حرفان ثانيهما ساكن"، ويتكون المقطع الصوتي في العربية من نوعين هما:

متحرك (open)، وساكن (closed)، فالمتحرك ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، بينما الساكن ينتهي بصوت ساكن، ومثال ذلك لو قلنا: جَلَسَ هذه الكلمة تتكون من ثلاثة مقاطع صوتية متحركة؛ إذ تنتهي جميعها بصوت لين قصير وعند التقطيع يكون الأمر كالآتي:

^٤ انظر: أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ١٥٩.
^٥ نظر التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١٩٩٦ م مطبعة الثانية، بيروت، مكتبة بيروت، ١٦٣١/٢.

في وقت واحد كنشاط عضلات الرئتين وقوة حركات الوترين الصوتيين؛ إذ يقتربان من بعضهما حال النطق بالأصوات المجهورة، فيتولد عن ذلك إنتاج عدد أكبر من الذبذبات الصوتية التي تنتج وضوحا في السمع لذلك المقطع الصوتي المنبور دون غيره من المقاطع الصوتية داخل الكلمة الواحدة، بينما يبتعدان عن بعضهما حال النطق بالأصوات المهموسة؛ فيتولد عن ذلك تسرب مقدار أكبر من الهواء بما يؤدي إلى وضوح ذلك المقطع الصوتي أيضا دون غيره في الكلمة العربية.

ولتحديد النبر في الكلمة العربية ننظر إلى المقطع الأخير فإن كان من النوع الرابع أو الخامس فإن النبر يكون عليه كما مر على بيان تلك الأنواع، وإن كان من النوع الأول يُنظر إلى ما قبله فإن كان من النوع الأول أيضا كان النبر عليه وذلك بحسب عدنا لتلك المقاطع من الأخير، ويكون النبر على المقطع الرابع إذا عدنا من الأخير أيضا في حالة واحدة وذلك إذا كانت المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول ككلمة: (شَجَرَةٌ). أمثلة، وإن لم يكن كذلك نُظر إلى المقطع قبل الأخير فإن كان من النوع الثاني أو الثالث كان النبر على المقطع الذي قبله، هذا بالنسبة للنبر الإفرادي كما أوضحنا وهو يختلف عن النبر السياقي الذي يكون على مستوى الجملة، والتتغيم يشملهما معا^٦، فمثال النبر السياقي أو كما يسميه الدكتور إبراهيم أنيس بنبر الجمل: هو إبراز

النوع الثالث: يتكون من صوت ساكن وصوت لين قصير فصوت ساكن، كالمقطع الصوتي الأول من مثل القول: كُنْتُمْ، ونسجه الصوتي كآلآتي:
ك _ ن ويوازي ذلك ما يلي:

ص ح ص

النوع الرابع: يتكون من صوت ساكن وصوت لين طويل فصوت ساكن، كالمقطع الأخير من مثل القول: نستبينُ حال الوقف عليه، ونسجه الصوتي كآلآتي:

ب _ ن ويوازي ذلك ما يلي:

ص ح ص

النوع الخامس: يتكون من صوت ساكن وصوت لين قصير فصوتين ساكنين، كالمقطع الأخير من كلمة: مستقرّ حال الوقف عليها، ونسجها الصوتي كآلآتي:
ق _ ر ر ويوازي ذلك ما يلي:

ص ح ص

وتعد الأنواع الثلاثة الأولى هي الأكثر شيوعا في اللغة العربية، أما النوعان الأخيران الرابع والخامس فيقل فيهما الشيع واليكونان إلا في أواخر الكلمات حال الوقف عليها كما مثلنا على ذلك سابقا، ومن الجدير بالذكر أن الكلمة في اللغة العربية مهما التصق بها من سوابق أو لواحق فإنها لا تزيد عن سبعة مقاطع صوتية كقوله تعالى: "أَنْزَلْنَاهَا"^٦

وإذا انتقلنا إلى النبر^٧ فإننا نجد أن جميع أعضاء النطق تنشط عند النطق بالمقطع الصوتي المنبور

^٦ سورة هود آية ٢٨.

^٧ انظر: أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ١٦٩.

^٨ انظر: المرجع نفسه ص ١٧٤.

والبيان من أهم الأمور التي يقوم عليها فن الإلقاء؛ فبهذا العنصر يتمكن المتلقي من معرفة ما يلقي إليه من معان وبيان دون لبس أو غموض.

ومن الجدير بالذكر هنا التكلم عن مخارج الحروف وأبرز صفاتها الصوتية التي تمكن الملقى إذا أتقنها من جودة إلقائه وسهولة تواصله مع المتلقين؛ فلا بد من الاهتمام بمخارج الحروف وصفاتها الصوتية التي تميزها من همس وجهر ورقة وتقويم وإطباق وانفتاح وشدة ورخاوة^{١٠}... إلخ، مع مراعاة التجاور الصوتي بين تلك الحروف داخل الكلمات والجمل التي تؤثر على صفات تلك الحروف ومن ثم طريقة أداء نطقها، فكل ذلك يصب في جودة الأداء إن أحسن الملقى جميع تلك الأمور وذلك يحتاج إلى تدريب ومران.

ويختلف نطق الحروف بحسب مخارجها كما قلنا ومن تلك المخارج سنذكر أبرزها إجمالاً مع التوضيح ببعض الأمثلة وهي كالاتي: مخارج حروف الحلق؛ وهي التي تخرج من الحلق، كالهزمة والهاء تخرجان من أقصى الحلق، والعين والحاء تخرجان من وسط الحلق، والغين والحاء تخرجان من أدنى الحلق، ومما يخرج من أقصى الحنك مع أقصى اللسان القاف والكاف إلا أن القاف أدخل مخرجا من الكاف؛ فهو الأقرب للأصوات الحلقية، ومما يخرج من وسط الحنك الأعلى مع وسط اللسان الجيم والشين والياء

كلمة معينة في الجملة دون سواه بصورة سمعية واضحة مما يجعله يتناسب مع غرض المتكلم، كقولنا: هل سافر أخوك أمس؛ فلو كان الضغط على (سافر) لكان المتكلم شاكا في حدث السفر، ولو كان الضغط على كلمة (أخوك) لكان المتكلم شاكا في فاعل السفر، ولو كان الضغط على كلمة (أمس) لكان المتكلم شاكا في تاريخ السفر وهكذا يختلف المراد من الجملة باختلاف النبر الجملي فيها.

المطلب الأول: الجانب النظري: وهو الأسس التي

يقوم عليها فن الإلقاء وأثره على الصوت اللغوي يعرف الدكتور طه فن الإلقاء بقوله: "هو فن إيضاح المعاني بالنطق والصوت؛ لكي تتوثق حلقة الاتصال بين المتكلم والمخاطب دون أن يشوبها اضطراب أو لبس حتى تأتي الصورة السمعية دقيقة في تفاصيلها"^٩ تفاصيلها"^٩

ومن خلال التعريف تبين لنا ثلاثة أمور يقوم عليها فن الإلقاء وهي: الاتصال، والوضوح، والمعاني والبيان؛ فالإتصال يعتمد على الملقى والمتلقي فإذا لم يتم الإتصال بينهما بوضوح سواء أكان اتصالاً مباشراً أم غير مباشر فقد فقد الإلقاء عنصراً هاماً بينهما وهو التلقي، كما يعتمد الوضوح على خلو الملقى من الغموض واللبس الناتج عن اختلاف في اللهجة أو عيب في النطق، فلا بد من وضوح مخارج الأصوات داخل الكلمات والجمل، كما تعد المعاني

^{١٠} ينظر: ابن عصفور، أبا الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف، تحقيق الدكتور: فخر الدين قباوة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، الطبعة الثامنة، مكتبة لبنان، ص ٤٢٤ .

^٩ انظر: مقلد طه عبد الفتاح، فن الإلقاء، ١٨ / ١

الهمس من سكون وعدم تذبذب لتلك الحروف أثناء نطقها، وكل ذلك يؤثر على الأداء سلباً أو إيجاباً بحسب صحة ودقة نطقها، ومن تلك الصفات أيضاً الشدة والرخاوة والتوسط بينهما؛ فمن المعلوم أن الأصوات التي تمتاز بالشدة تعد أقوى من التي تمتاز بالرخاوة، أما التي تتوسط بينهما فيتساوى فيها مقياس القوة والضعف، فلا هي بالقوية ولا هي بالضعيفة، وسر قوة الأصوات الشديدة أو كما يقال عنها الانفجارية ما تحبسه من هواء يظل منحسباً خلف المخرج قبيل النطق بالصوت، فلما ينطق بالصوت دفعة واحدة يندفع هذا الهواء بقوة؛ مما ينتج عنه ذلك الانفجار، وذلك عكس الأصوات الرخوة أو المتوسطة بين الشدة والرخاوة فكل منهما يسمح بمرور الهواء أثناء النطق بالصوت مما يجعلها أكثر احتكاكاً بالمخرج؛ فلذلك تسمى أصواتاً احتكاكية، وذلك على اختلاف درجة رخاوتها الذي يؤثر أيضاً على أصواتها من حيث القوة والضعف كما قلنا سابقاً، ومن تلك الصفات أيضاً الاستعلاء والاستفال فالحروف المستعلية أو المطبقة أكثر قوة من الحروف المستقلة المنفتحة، وكل تلك الصفات مع مخرجها تؤثر على الأداء والإلقاء سلباً أو إيجاباً كما قلنا بحسب مهارة الملقى في نطقه تلك الحروف نطقاً سليماً لمخارجه وصفاتها داخل كلماتها وجملها كم أوضحنا ذلك آنفاً.

ويختلف أداء الملقى من فن لآخر على حسب نوع الفن المعنى بإلقائه كفن النثر وما يحويه من أنواع

، ونقصد بالجيم تلك الجيم العربية الفصيحة وليست الجيم التي تنطق بالعامية أو الجيم القاهرية التي يكون مخرجها هو نفسه مخرج (J) التي تخرج من مخرج غير عربي؛ إذ يقع ما بين مخرجي القاف والكاف، ومما يخرج من حافة اللسان وما يحاذيه من الأضراس الضاد العربية القديمة التي تختلف مخرجها عن الصفات عن الضاد العربية الحديثة التي نطقها اليوم فتلك الضاد الحديثة تخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، ومما لا يخرج من طرف اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى اللام والنون والراء إلا أن الراء تبعد قليلاً عن الحنك الأعلى، ومما يخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا الطاء والذال والتاء والضاد العربية الحديثة كما قلنا سابقاً مع اختلاف صفاتها الصوتية في جميع ما ذكر وما سيذكر من تلك الحروف، ومما يخرج من أطراف اللسان مع أطراف الثنايا العليا التاء والطاء والذال، ومن الأصوات الشفوية التي تخرج من الشفه الفاء والباء والميم، ويختلف الجهر عن الهمس إذ الجهر يعطي القوة لتلك الحروف وبالتالي الكلمات التي تحتوي عليها تلك الحروف؛ بما ينتجه ذلك الجهر من ذبذبات صوتية ناتجة عن تحرك الوتيرين الصوتيين داخل الحنجرة، فيعطي ذلك التحرك ترددات صوتية تنتقل عبر الهواء حتى تصل إلى السامع، بينما يخلو الهمس من تلك الذبذبات؛ إذ لا يتحرك الوتران الصوتيان في تلك الحروف التي تمتاز به فتكون في حالة ضعف بما يحويه ذلك

يكفي لكي يكون ملقيا جيدا؛ إذ لا بد من الدربة والمران فأى مهارة لا تكتسب إلا بدربة تمكن مريدها من الوصول لهدفه المنشود.

ومن الجدير بالذكر التكلم عن موسيقى البحر الشعرية؛ ولأسيما أنه سيكون التطبيق على المادة الشعرية في المطلب الثاني، وتختلف موسيقى الشعر تبعا لنوع التفعيلات داخل البحر، ونوع البحر، وكذلك التغييرات التي تطرأ عليه، فكل ذلك يؤثر في قوة البحر أو ضعفه بما ينعكس ذلك على الإلقاء، فتفصيل ذلك ما يلي:

تختلف موسيقى الشعر حسب نوع التفعيلات التي تكون ذلك البحر فالتفعيلات الخماسية أكثر انسيابا ورقة من السباعية بما تحويه من تكرار لها دون تنوع، فهذا التماثل يجعلها أكثر رقة من سواها وهي تتوفر في فعولن في بحر المتقارب وفاعلن في المتدارك، وقد تكون أكثر قوة إذا تتابعت معها التفعيلات السباعية كما في بحر الطويل الذي تتزوج فيه تفعيلتا فعولن ومفاعيلن، وكذلك يتحكم نوع البحر في رفته وأوقوته فالبحور المجزوءة أكثر رقة وانسيابا من البحور التامة، ومما يزيد من جمال تلك البحور وانسيابيتها وموسيقاها ما تحويه من علل الزيادة التي لا تتوفر في البحور الطويلة كبحر الكامل الذي يشتمل مجزوءه على علل الزيادة كالترفيل والتذييل والتسبيح بما لا يشتمل عليها تامه فينتج عن ذلك نوع من الجمال والاتزان الموسيقي في القصيدة العربية، كما تعطي التغييرات التي تقع في تلك التفعيلات

وفن الشعر، وما يهمنها هو فن الشعر؛ فملقي الشعر ينبغي أن يلم بجملته من الأمور تمكنه من إيصال ما يحسه الشاعر إلى المتلقي بسهولة ويسر، وهي معنى القصيدة وما تحويه من أوزان وقواف تحمل ألحانا وأحاسيسا تمثل تلك المعاني وتحفرها في ذهن المتلقي فتتناسب إليه عذبة تنقل أحاسيس الشاعر إلى المتلقي بمنتهى اليسر والسهولة، وذلك يحتاج كما قلنا إلى فهم معنى القصيدة ومناسبتها، كما يعتمد على الأسلوب الذي صيغت عليه؛ فأسلوب الرثاء يختلف في الأداء عن أسلوب المدح أو الفخر، وكذلك الغزل، فنجد الرثاء مثلا يحتاج إلى التأمل مع ما يشوبه من أحاسيس الحزن والشجن إثر فراق ذلك الشخص المرثي،^{١١} وكذلك أسلوب الفخر يعتمد على جهازة الصوت ووضوحه مع تنوع التنغيم فيه؛ حتى يجذب السامع ويدفع الملل، وكذلك يؤدي إلى التشويق، وكل ذلك يبرز أجمل الصفات للممدوح، وكذلك الأمر لكافة الأساليب التي تقوم عليها القصائد بما تحويه من معان وأغراض، وكل اختيار فيها من وزن وجرس وصوت يخدم تلك المعاني، ومما لا شك فيه أن فن الإلقاء هو من يبرز تلك المعاني بما يملكه الملقى من وسائل تجعله يتقن هذا الفن، بما ذلك الموهبة الفطرية التي تمكنه من نطق مخارج الحروف وصفاتها داخل كلماتها وجملها بسهولة ويسر، هذا مع استعداده الشخصي ورغبته الصادقة في نبيل تلك المهارة المنشودة، وكل هذا لا

^{١١} ينظر: الدكتور أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، ١٩٥٢م، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٩٠، ٩١.

وبالتالي تختلف مواضع النبر فيهما؛ فلا يتحقق
الجناس التام، وتكون المقاطع الصوتية عنده كالآتي:
لقائط واش

ص ح _ ص ح ح ح _ ص ح ^{١٤} _ ص ح
ص ح ح _ ص ح ص

وذلك يختلف من حيث نوعية المقاطع المكونة له
وبالتالي يختلف موقع النبر في قوله: لقاء طواشي؛ إذ
تكون المقاطع الصوتية على النحو الآتي:

ص ح _ ص ح ح _ ص ح _ ص ح _ ص ح
ح ح _ ص ح ح وهذا يؤدي إلى اختلاف عدد
المقاطع الصوتية ونوعها بين الكلمتين كما مر

وعند النظر في تحليله نجد أنه راعى الناحية
المقطعية الصوتية فحسب ولم يراع المسافة الزمنية
الناجمة عن المعنى والسياق وذلك كما في الكلمتين
الأخيرتين؛ إذ يختلف معناهما تبعاً لاختلاف
مقاطعهما الصوتية من حيث النوعية كما سنرى تبعاً
للأداء وفن الإلقاء فيهما كالآتي:

لقاء طواشي

ص ح _ ص ح ح ح _ ص ح _ ص ح _
ص ح ح _ ص ح ح

نجد أن العدد متساوٍ ولكن النوع في المقطع
الصوتي الثاني يختلف بحسب المعنى؛ فالشاعر يريد
أن يطمئن الحبيب بأن لا يخف من الوشاة؛ فهذا
اللقاء لا يلتفت فيه أحد لأحد فمعنى الطوش ^{١٥} خفة

مزيدا من الرقة والانسياوية والموسيقى ما لا تعطيه
التفعيلات التي تخلو منها، وجميع ما سبق يؤثر في
فن الإلقاء؛ إذ لا بد للملقي من التمكن واكتساب
المهارة والنظر في كل تلك العوامل التي تؤثر على
إلقائه.

**المطلب الثاني: الجانب التطبيقي: أثر المعنى
والأداء على مسافة الصوت اللغوي الزمنية من
خلال الرد على دراسة الدكتور أحمد كشك في بحثه
الموسوم من وظائف الصوت اللغوي**

سأتكلم في هذا الجانب عن أثر المعنى والأداء على
مسافة الصوت اللغوي الزمنية من خلال الأبيات
التي تناولها الدكتور أحمد كشك بالدراسة، حيث ذكر
كشك أن الجناس ليس تاماً كما صوره
البلاغيون ^{١٢}، ولكنه عمد إلى تحليله من جانب
مقطعي صوتي فحسب، ولم يراع السياق والدلالة
، والأداء الصوتي، والمسافة الزمنية للصوت اللغوي
المرتبة على جميع ما سبق، وكل ذلك سوف نناقشه
من خلال الأبيات التي عرضها كشك مجال الدراسة
ونقوم بتحليلها على النحو الآتي:

البيت الأول:

ونم في أمان بالحبيب ولا تخف لقائط واش في
لقاء طواشي ^{١٣}

حيث ذكر كشك أن المماثلة بين لقائط واش ولقاء
طواشي غير حاصلة؛ إذ تختلف مقاطعهما الصوتية،

^{١٢} انظر: عتيق، د. عبدالعزيز، علم البديع، ص ١٩٥.

^{١٣} ينظر البيت: الحموي ابن حجة، خزائن الأدب وغاية
الأرب، ٢٠٠٤، الطبعة الأخيرة، دار مكتبة الهلال، بيروت، الجزء
الأول، صفحة ٥٦.

^{١٤} الخط الذي تحت المقطع الصوتي يرمز لنبره.

^{١٥} ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (دون تاريخ) دار
صادر، بيروت، مادة (ط.وش) ٣١٢/٦.

ص ح _ ص ح ح _ ص ح ح
وهذا يؤدي إلى اختلاف عدد المقاطع الصوتية؛ فالتحليل الأول أثبت وجود أربعة مقاطع صوتية في كلمة واحدة، بينما التحليل الثاني أثبت وجود مقطعين صوتيين في كلمتين كما مر.

وعند النظر إلى تحليله نجد أنه راعى الناحية المقطعية الصوتية فحسب، ولم يراع المسافة الزمنية للصوت اللغوي المتأثرة بالمعنى والسياق وذلك كما في الكلمتين الأخيرتين؛ إذ يختلف معناهما، وتبع ذلك اختلاف مقاطعهما الصوتية من حيث عدد المقاطع والكلمات، فكل ذلك لا يتم إلا عن طريق المعنى والأداء وفن الإلقاء؛ إذ يختلف نوع المقطع الصوتي تبعاً لطوله الذي يوجبه المعنى؛ فالمقام مقام حزن على ما آلا إليه من ذل وهوان فتحاوره سائلة عن سبب ذلك، ويجيبها بأن الله هو من صير أمورنا، وفي ذلك تأمل يتوجبه المعنى من تصبر ورضا بأقدار الله فلا بد حينئذ من طول المقطع الصوتي في كلمة (إلهنا)؛ حتى يتواءم مع ذلك المعنى كالاتي:

إلهنا

ص ح - ص ح ح ح - ص ح ح - ص ح ح

البيت الثالث

وكم ساق في الظلماء والليل شاهد رواحٍ وإطٍ في رواحٍ لواطٍ^{١٨}

العقل والذي يناسب المعنى هنا هو كثرة الزحام بما لا يجعل أحدا يلتفت لأحد، وهذا المعنى يتوجب زيادة حركة لين قصيرة على المقطع الثاني كما مر وكما يتوجب أن يؤديه الإلقاء بحسب ذلك المعنى، وهذا تبعاً لإمكانية استطالة الصوت بحسب ما أثبتته الدراسات الفيزيائية؛ إذ يستطيل ذلك الصوت من موضعه الأصلي إلى الموضع المفرغ حيث يسد مسده في ذلك الحيز الزمني^{١٦}.

البيت الثاني

قال لقد هُنَّا هنا مولاي أين جاهنا

قلت لها إلهنا صيرنا إلى هنا^{١٧}

حيث ذكر كشك أن المماثلة الصوتية بين (إلهنا) و (إلى هنا) غير حاصلة؛ إذ تختلف مقاطعهما الصوتية، وبالتالي تختلف مواضع النبر فيهما؛ فلا يتحقق الجناس التام، وتكون المقاطع الصوتية عنده كالاتي:

إلهنا

ص ح - ص ح ح ح - ص ح ح - ص ح ح

وذلك يختلف من حيث عدد المقاطع الصوتية ونوعيتها مقارنة بما سيمثلها من جناس تام كما صوره العروضيون، ونتيجة لذلك يختلف النبر عنها في قوله: إلى هنا؛ إذ تكون المقاطع الصوتية على النحو الآتي:

^{١٦} ينظر: د. باوزير ليلي عبدالله علي، التضام المقطعي إجراءاته وسياقاته، ٢٠١٦، كلية الآداب بجامعة المنصورة، مصر، ص ٥٤.
^{١٧} ينظر البيت في: الجندي علي، فن الجناس، دار الفكر العربي، مصر، ص ٧٩.

^{١٨} ينظر خزانة الأدب ١/٥٦.

والتأمل؛ فالليل بظلامه يشتمل على أمور كثيرة تحصل فيه، كمرور الرواحل التي تطأ فيه في رواحه^{١٩} وما يلزق فيه من المشاعر التي يكون مناطها القلب في ذلك الليل الحالك على من يستشعر الآهات فيه، وعلى هذا المعنى يتوجب أن يكون طول المقطع الصوتي في كلمة (رواح)؛ حتى يتواءم مع ذلك المعنى كالاتي:

رواح

ص ح - ص ح ح ح - ص ح

البيت الرابع

وأين إذا كان الفراق معاندي مطالعُ ناء في مطالعِ
عناء^{٢٠}

حيث ذكر كشك أن المماثلة الصوتية بين (مطالعُ ناء) و(مطالِعِ ناء) غير حاصلة؛ إذ تختلف المقاطع الصوتية لكلا التركيبين، وبالتالي تختلف مواضع النبر فيهما فبذلك لا يتحقق الجنس التام، وتكون المقاطع الصوتية عنده كالاتي:

مطالعُ ناء

ص ح - ص ح ح ح - ص ح

ح ح - ص ح ص

وذلك يختلف من حيث عدد المقاطع الصوتية ونوعيتها بترتيبها في موقعها الجديد المكون للكلمتين داخل ذلك التركيب مقارنة بسابقتها وهذا يختلف طبعا عما صوره العروضيون من التماثل التام

حيث ذكر كشك أن المماثلة الصوتية بين (رواحل واط) و (رواح لواط) غير حاصلة؛ إذ تختلف مقاطعهما الصوتية، وبالتالي تختلف مواضع النبر فيهما فلا يتحقق الجنس التام، وتكون المقاطع الصوتية عنده كالاتي:

رواحل واط

ص ح - ص ح ح ح - ص ح

ح - ص ح ص

وذلك يختلف من حيث نوعية المقاطع الصوتية وكميتها من حيث وضعها الذي تكون عليه من كلمة أو كلمتين مقارنة بما سيمثلها من جناس تام كما صوره العروضيون، ونتيجة لذلك يختلف النبر عنها في قوله: رواح لواط؛ إذ تكون المقاطع الصوتية على النحو الآتي:

ص ح - ص ح ح ح - ص ح

ح - ص ح ح

وعند النظر إلى تحليله نجد أنه راعى الناحية المقطعية الصوتية فحسب، ولم يراع المسافة الزمنية للصوت اللغوي المتأثرة بالمعنى والسياق وذلك كما في الكلمتين الأخيرتين (رواح لواط)؛ إذ يختلف معناهما، وتبع ذلك اختلاف مقاطعهما الصوتية من حيث نوعية المقطع الصوتي كما سنرى، فكل ذلك لا يتم إلا عن طريق المعنى والأداء وفن الإلقاء؛ إذ يختلف نوع المقطع الصوتي تبعا لطوله الذي يوجبه المعنى؛ فالمقام مقام حكمة وتأمل؛ لذلك استهل الشاعر بيته ب(كم) الخبرية التي تدل على الكثرة

^{١٩} ينظر: لسان العرب، معنى الرواح: من لدن زوال الشمس إلى الليل، مادة (ر.و.ح) ٤٦٤/٢، ومعنى اللواط: الشيء اللازق: مادة (ل.و.ط) ٣٩٤/٧.

^{٢٠} ينظر: خزانة الأدب ٥٦/١، وفن الجنس ٢٣.

لكلا الكلمتين، وبالتالي تختلف مواضع النبر فيهما
فبذلك لا يتحقق الجنس التام، وتكون المقاطع
الصوتية عنده كالاتي:

ساكنًا

ص ح ح _ ص ح _ ص ح ص

وذلك يختلف من حيث عدد المقاطع الصوتية
ونوعيتها بترتيبها في موقعها الجديد المكون لكلا
الكلمتين المتجانستين، وهذا يختلف طبعاً عما صوره
العروضيون من التماثل التام للجنس التام، وتكون
المقاطع الصوتية للكلمة الثانية على النحو الآتي:

ص ح ح _ ص ح ص

وعند النظر إلى تحليله نجد أنه راعى الناحية
المقطعية الصوتية فحسب، ولم يراع المسافة الزمنية
للصوت اللغوي المتأثرة بالمعنى والسياق وذلك كما
في الكلمة الأخيرة (ساكنٌ)؛ إذ إنك لو تأملت
المعنى لوجدت استطالة على المقطع لصوتي الأول
بزيادة صوت لين قصير ناتج عن المعنى، والأداء
؛ فالمقام مقام غزل ومحبة عارمة لذلك المحبوب
الساكن اللامبالي بالقلب الذي يضطرب من شدة
الوله بذلك المحبوب؛ لذلك كان الأخرى هنا زيادة
صوت اللين على هذا المقطع والذي أيده هنا وزاد
من جماله الموسيقي وأضفى دعماً وتأملاً لهذا
المعنى وجود الترفيل بزيادة سبب خفيف على نهاية
التفعيل وهو من علل الزيادة المعروفة في بحر
الكامل، فهذه الزيادة دعمت من زيادة ذلك المقطع

للجناس التام، وتكون المقاطع الصوتية للتركيب
الثاني على النحو الآتي:

ص ح _ ص ح ح _ ص ح _
ص ح ح _ ص ح ح

وعند النظر إلى تحليله نجد أنه راعى الناحية
المقطعية الصوتية فحسب، ولم يراع المسافة الزمنية
للصوت اللغوي المتأثرة بالمعنى والسياق وذلك كما
في الكلمتين الأخيرتين (مطالٍ عناءٍ)؛ إذ يختلف
معناها، وتبع ذلك اختلاف مقاطعها الصوتية من
حيث نوعية المقطع الصوتي كما سنرى، فكل ذلك لا
يتم إلا عن طريق المعنى والأداء وفن الإلقاء؛ إذ
يختلف نوع المقطع الصوتي تبعاً لطوله الذي يوجبه
المعنى؛ فالمقام مقام ألم وذكرى؛ إذ يتساءل الشاعر
عن لقيا المحبوب كيف تكون والبعد يعانده مع
المماثلة التي ينتج عنها عناء من ذلك البعد، وبما
فيها من ألم لعدم التمكن من لقاء ذلك المحبوب،
وعلى هذا المعنى يتوجب أن يكون طول المقطع
الصوتي في كلمة (مطالٍ)؛ حتى يتواءم مع ذلك
المعنى كالاتي:

مطالٍ^{٢١}

ص ح - ص ح ح ح - ص ح

البيت الخامس:

وسكنت قلباً خافقاً يا ساكنًا في غير ساكن

حيث ذكر كشك أن المماثلة الصوتية بين (ساكنًا)
(وساكنٌ) غير حاصلة؛ إذ تختلف المقاطع الصوتية

^{٢١} ينظر لسان العرب معنى مطال من المماثلة مادة (م.ط.ل) (١١/٦٢٤).

في الكلمة الأولى (ذِمَامٌ) ^{٢٣}؛ إذ إنك لو تأملت
المعنى لوجدت استطالة على المقطع الصوتي الثاني
بزيادة صوت لين قصير ناتج عن المعنى، والأداء
؛ فالمقام مقام حكمة وتامل؛ حيث استهل الشاعر
بيته بالواو التي بمعنى رب حيث يرى أن صاحب
الذمة وفي بعده؛ فذمته تقوده للوفاء بالعهد حتى
وإن كان لا يملك شيئاً؛ لذلك كان الأحرى هنا زيادة
صوت اللين على هذا المقطع، فزادت على أثره
المسافة الصوتية لذلك المقطع على النحو الآتي:

ذِمَامٌ

ص ح - ص ح ح ح - ص ح ص

البيت السابع:

قلْتُ إذا قَبَلتَ وهما فمَةٌ قد تعدَّيتَ وأسرفْتَ فمَةٌ
^{٢٤}

حيث ذكر كشك أن المماثلة الصوتية بين
(فمَةٌ) الأولى بضم الهاء، و(فمَةٌ) الثانية بتسكينها غير
حاصلة؛ إذ تختلف المقاطع الصوتية لكلا الكلمتين
من حيث النوعية والكمية، وتختلف بالتالي مواقع
النبر فيهما فبذلك لا يتحقق الجنس التام، وتكون
المقاطع الصوتية عنده كالاتي:

فمَةٌ

ص ح - ص ح ح - ص ح ح

الصوتي كما ذكرنا بما خدم المعنى، فزادت على أثره
المسافة الصوتية لذلك المقطع على النحو الآتي:

ساكنٌ

ص ح ح ح - ص ح ص

البيت السادس:

وذي ذِمَامٍ وقت بالعهد ذمته ولا ذِمَامٌ له في مذهب
العرب ^{٢٢}

حيث ذكر كشك أن المماثلة الصوتية بين
(ذِمَامٌ) الأولى و(ذِمَامٌ) الثانية غير حاصلة؛ إذ تختلف
المقاطع الصوتية لكلا الكلمتين، وتختلف بالتالي
مواقع النبر فيهما فبذلك لا يتحقق الجنس التام
، وتكون المقاطع الصوتية عنده كالاتي:

ذِمَامٌ

ص ح - ص ح ح - ص ح ص

وذلك يختلف من حيث نوعية المقاطع الصوتية
بترتيبها في موقعها الجديد للكلمة الثانية التي كان
من المفترض أن تكون مجانسة لسابقتها، وهذا يختلف
طبعاً عما صوره العروضيون من التماثل التام
للجناس التام، وتكون المقاطع الصوتية للكلمة
الثانية (ذِمَامٌ) على النحو الآتي:

ص ح ح - ص ح ح - ص ح

وعند النظر إلى تحليله نجد أنه راعي الناحية
المقطعية الصوتية فحسب، ولم يراع المسافة الزمنية
للصوت اللغوي المتأثرة بالمعنى والسياق وذلك كما

^{٢٣} معنى ذِمَامٌ الأولى: الحرمة، والثانية جمع ذِمَامٌ بفتح الـ ذال: البئر ذات

الماء القليل أو الغزير انظر لسان العرب مادة (ذ.م.م) ١٢/٢٢٠.

^{٢٤} ينظر: الأبيهي، أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد

منصور، المستطرف من كل فن مستظرف، ١٤١٩، ط١، عالم الكتب بيروت
٤١٩/١.

^{٢٢} ينظر: فن الجنس ص ٦٦.

التام ،حتى لو لم تختلف المقاطع الصوتية هنا ،وذلك كالاتي:

حلالي و حلالي

ص ح _ ص ح ح _ ص ح ح

فقد اختلف النبر عن الكلمة الثانية حتى لو اتفقتا من حيث عدد ونوعية المقاطع الصوتية ،إذ تكون مقاطع الكلمة الثانية الصوتية(حلا لي) على النحو الآتي:

ص ح _ ص ح ح _ ص ح ح

وعند النظر إلى تحليله نجد أنه راعى الناحية المقطعية الصوتية فحسب ،ولم يراع المسافة الزمنية للصوت اللغوي المتأثرة بالمعنى والسياق وذلك كما في الكلمة الثانية(حلا لي) ؛ إذ إنك لو تأملت المعنى لوجدت استطالة على المقطع الصوتي الثاني من الكلمة الأولى منه بزيادة صوت لين قصير ناتج عن المعنى ،والأداء ؛فالمقام مقام حكمة وعظة، فالحلال هو من يستحق أن يحلو في عين صاحبه وعلى هذا الأساس فقد حلا في عين الشاعر دون الحرام ،وإن كان الحرام يحلو في أعين الكثير دون الحلال - والعياذ بالله- ؛فعلى هذا المعنى كان الأخرى هنا زيادة صوت اللين على هذا المقطع الصوتي،فتزيد على أثره المسافة الصوتية لذلك المقطع على النحو الآتي:

حلا لي

ص ح - ص ح ح ح - ص ح ح

البيت التاسع:

وذلك يختلف من حيث نوعية المقاطع الصوتية بترتيبها في موقعها الجديد وكميتها للكلمة الثانية التي كان من المفترض أن تكون مجانسة لسابقتها، وهذا يختلف طبعا عما صوره العروضيون من التماثل التام للجناس التام ،وتكون المقاطع الصوتية للكلمة الثانية (فمّة)على النحو الآتي:

ص ح _ ص ح ص

وعند النظر إلى تحليله نجد أنه راعى الناحية المقطعية الصوتية فحسب ،إن كان ما ذكره أتفق معه فيه من حيث مناسبه المعنى والأداء أيضا ؛فقد وافقت المقاطع الصوتية التي ذكرها الدكتور كشك المعنى والأداء ؛فالمقام مقام غزل إذ إن الشاعر يتمنى لو يقبل محبوبته لو حتى وهما ،بينما يقصر المقطع الصوتي الثاني (فمّة) بحسب المعنى ؛إذ كأنه يلوم نفسه ويحاورها قائلا: فمّة ؟ إذ يقول لنفسه اكفني ؛فأمر النفس بالتوقف عن فعل التقبيل ولو وهما يستوجب عدم الإطالة الصوتية وذلك حقه السكون الحاصل في في الكلمة الثانية كما رأينا.

البيت الثامن:

فمن يك يحلو له ما يصيب حراما فإن حلالي حلا لي^{٢٥}

حيث ذكر كشك أن المماثلة الصوتية بين (حلالي)الأولى و(حلا لي)الثانية غير حاصلة ؛إذ تختلف المقاطع الصوتية لكلا الكلمتين ،وتختلف بالتالي مواقع النبر فيهما فبذلك لا يتحقق الجناس

^{٢٥} ينظر:فن الجناس ص٧٢.

صوت لين على هذا المقطع الصوتي، فتزيد على أثره المسافة الصوتية لذلك المقطع على النحو الآتي:

فلاَح

ص ح - ص ح ح ح - ص ح

البيت العاشر:

إذا جرح العشاق قالوا قمت في مدار جراحٍ في مدارجٍ راحٍ^{٢٧}

حيث ذكر الدكتور كشك أن المماثلة الصوتية بين (مدار جراح) و (مدارج راح) غير حاصلة؛ إذ تختلف مقاطعهما الصوتية، وبالتالي تختلف مواضع النبر فيهما؛ فلا يتحقق الجناس التام، وتكون المقاطع الصوتية عنده كالاتي:

مدار جراحٍ

ص ح - ص ح ح ح - ص ح - ص ح ح ح - ص ح ح

- ص ح ح ص

وذلك يختلف من حيث عدد المقاطع الصوتية ونوعيتها مقارنة بما سيمثلها من جناس تام كما صوره العروضيون، ونتيجة لذلك يختلف النبر عنها في قوله: (مدارج راح)؛ إذ تكون المقاطع الصوتية على النحو الآتي:

ص ح - ص ح ح ح - ص ح - ص ح - ص ح

ح ح - ص ح ح ح وهذا يؤدي إلى اختلاف عدد

المقاطع الصوتية ونوعيتها في كلا التركيبين بحسب تكوين المقاطع الصوتية المكونة لكليهما.

أَمَلْتُهُمُ ثم تأملتُهم فلاح لي أن ليس فيهم فلاح^{٢٦} حيث ذكر كشك أن المماثلة الصوتية بين (فلاح) الأولى بفتح الحاء، و(فلاح) الثانية بضمها غير حاصلة؛ إذ تختلف نوعية المقاطع الصوتية لكلا الكلمتين، وتختلف بالتالي مواقع النبر فيهما فبذلك لا يتحقق الجناس التام، وتكون المقاطع الصوتية عنده كالاتي:

فلاَح

ص ح - ص ح ح ح - ص ح

وذلك يختلف من حيث نوعية المقاطع الصوتية بترتيبها في موقعها الجديد للكلمة الثانية التي كان من المفترض أن تكون مجانسة لسابقتها، وهذا يختلف طبعا عما صوره العروضيون من التماثل التام للجناس التام، وتكون المقاطع الصوتية للكلمة الثانية (فلاح) على النحو الآتي:

ص ح - ص ح ح ح - ص ح ح

وعند النظر إلى تحليله نجد أنه راعى الناحية المقطعية الصوتية فحسب، ولم يراع المسافة الزمنية للصوت اللغوي المتأثرة بالمعنى والسياق وذلك كما في الكلمة الأولى (فلاح)؛ إذ إنك لو تأملت المعنى لوجدت استطالة على المقطع الصوتي الثاني من الكلمة الأولى منه بزيادة صوت لين قصير ناتج عن المعنى، والأداء؛ فالشاعر قد تأملهم ملياً ثم ظهر ولاح له أن ليس فلاح فيهم فهذا الاستنتاج يستوجب زيادة

^{٢٧} ينظر البيت في: خزانة الأدب ٥٦/١.

^{٢٦} ينظر: المستطرف من كل فن مستظرف ٤١٩/١.

ص ح - ص ح ح - ص ح ص

ويختلف النبر عنها في قوله: (بنا به)؛ إذ تكون المقاطع الصوتية على النحو الآتي:

ص ح - ص ح ح - ص ح ص

وعند النظر إلى تحليله نجد أنه راعى الناحية المقطعية الصوتية فحسب، ولم يراع المسافة الزمنية للصوت اللغوي المتأثرة بالمعنى والسياق وذلك كما في الكلمتين الأخيرتين؛ إذ يختلف معناهما، وتبع ذلك اختلاف مقاطعهما الصوتية من حيث عدد المقاطع ونوعيتهما المكونة للكلمات، فكل ذلك لا يتم إلا عن طريق المعنى والأداء وفن الإلقاء؛ إذ يختلف نوع المقطع الصوتي تبعاً لطوله الذي يوجبه المعنى؛ فالمقام مقام تألم من جرح عاشق وله، فلما يجرح العاشق يدخل في مدار اي: مسار عميق من الجراح التي تصب في مسالك من الراح والخمر التي تجعله يهذي بها فلا بد حينئذ من طول المقطع الصوتي في كلمة (بنابه) الأولى من التركيب الأول؛ حتى يتواءم مع ذلك المعنى كالاتي:

بنابه

ص ح - ص ح ح ح - ص ح ص

البيت الثاني عشر:

يا من إذا ما أتاه أهل المودة أولم^{٢٩}

أنا محبك حقاً إن كنت في القوم أو لم

حيث ذكر الدكتور كشك أن المماثلة الصوتية بين (أولم) و (أو لم) حاصلة في المقاطع الصوتية

وعند النظر إلى تحليله نجد أنه راعى الناحية المقطعية الصوتية فحسب، ولم يراع المسافة الزمنية للصوت اللغوي المتأثرة بالمعنى والسياق وذلك كما في الكلمتين الأخيرتين؛ إذ يختلف معناهما، وتبع ذلك اختلاف مقاطعهما الصوتية من حيث عدد المقاطع ونوعيتهما المكونة للكلمات، فكل ذلك لا يتم إلا عن طريق المعنى والأداء وفن الإلقاء؛ إذ يختلف نوع المقطع الصوتي تبعاً لطوله الذي يوجبه المعنى؛ فالمقام مقام تألم من جرح عاشق وله، فلما يجرح العاشق يدخل في مدار اي مسار عميق من الجراح التي تصب في مسالك من الراح والخمر التي تجعله يهذي بها فلا بد حينئذ من طول المقطع الصوتي في كلمة (مدار) الأولى من التركيب الأول؛ حتى يتواءم مع ذلك المعنى كالاتي:

مدار

ص ح - ص ح ح ح - ص ح

البيت الحادي عشر:

عضنا الدهر بنابه ليت ما حل بنا به^{٢٨}

حيث ذكر الدكتور كشك أن المماثلة الصوتية بين (بنابه) و (بنا به) غير حاصلة وإن لم تختلف المقاطع الصوتية بينهما كمية ونوعاً؛ وذلك لاختلاف مواقع النبر فيهما؛ لاختلاف التركيب النحوي بينهما كما هو واضح، وتكون المقاطع الصوتية عنده كالاتي:

بنابه

^{٢٩} ينظر البيتان في: فن الجناس ص ٧٧.

^{٢٨} ينظر البيت في: خزانة الأدب ٥٨/١، وفن الجناس ص ٧٧.

البيت الثالث عشر:

أسرع وسر طالب المعالي بكل وإد وكل مهمة^{٣٠}
 وإن لحا عاذلٌ جهولٌ فقل له يا عاذلٌ مه مه
 حيث ذكر الدكتور كشك أن المماثلة الصوتية غير
 حاصلة بين (مهمه) التي بمعنى: المفازة البعيدة
 الأطراف^{٣١} و (مه مه) اسم فعل أمر بمعنى اكفف
 مكررة ، وإن لم تختلف المقاطع الصوتية بينهما كمية
 ونوعاً؛ وذلك لاختلاف مواقع النبر فيهما؛ لاختلاف
 التركيب اللغوي بينهما كما هو واضح ، وتكون
 المقاطع الصوتية عنده كالاتي:

بنابة

ص ح ص _ ص ح ص

ويختلف النبر عنها في قوله: (مه مه)؛ إذ يكون
 على النحو الآتي:

ص ح ص _ ص ح ص

وعند النظر إلى تحليله نجد أنه راعى الناحية
 المقطعية الصوتية وإن تنبه هنا إلى سكتة قبل مه مه
 وعند النظر إلى المعنى نجد أن المسافة الزمنية
 متساوية بين المقطعين الصوتيين السابقين
 (مهمه) و(مه مه)؛ وذلك لتوجب السكتة التي
 يقتضيتها المقام بعد كلمة مه الأولى؛ فالشاعر يعذل
 من يعذله بقوله اكفف فنيل المعالي يتوجب الإسراع
 في الإجراءات التي تيسر الخوض فيه فلا مجال
 للعدل هنا وبسبب تلك السكتة تساوت المسافة الزمنية
 وإن اختلف النبر كما ذكر الدكتور كشك آنفاً.

بينهما كمية ونوعاً؛ مع اختلاف مواقع النبر فيهما
 ؛ لاختلاف التركيب اللغوي بينهما كما هو واضح
 فالأولى تتكون من فعل والثانية من حرفين أولهما
 حرف عطف والثاني جزم ، وتكون المقاطع الصوتية
 عنده كالاتي في الكلمة الأولى:
 (أولم)

ص ح ص _ ص ح ص

ويختلف النبر عنها في قوله: (أو لم)؛ إذ يكون على
 النحو الآتي:

ص ح ص _ ص ح ص

وعند النظر إلى تحليله نجد أنه راعى الناحية
 المقطعية الصوتية فحسب ، وإن تساوت المسافة
 الزمنية للصوت اللغوي هنا؛ والذي أدى إلى هذا
 التساوي وجود تلك السكتات التي يقتضيتها المعنى
 والسياق أيضاً فالممدوح محبوب سواء وُجد بين القوم
 أو لم يوجد بسبب كرمه وطيب خلقه، فتساوي محبته
 وجوداً وعدمًا ساوت في التغني بمدحه وفي المسافة
 الزمنية التي تنتج عن الإلقاء والمعنى فجاءت
 المقاطع كما مثلها الدكتور أحمد كشك بسبب تلك
 السكتات التي يتطلبها المعنى كما ذكرت آنفاً، فتلك
 السكتات جاءت مناغمة لذلك المعنى في حلة بحر
 المجتث الذي زاد من نغمها وتساوي مقاطعها على
 الرغم من أن أولم الأولى فعل ماض وكان حقه الفتح
 ولكنه سُكن هنا لما يحتاجه نغم هذا البحر وما
 يقتضيه المعنى كما ذكرت.

^{٣٠} ينظر البيت في: خزنة الأدب ٦٠/١، وفن الجناس ص ٧٦.

^{٣١} ينظر مادة (م . ه . هـ) في: لسان العرب ٥٤٢/١٣.

البيت الرابع عشر:

إن الذي منزله من سحب دمعي أمرعا^{٣٢}
لم أدر من بعدي هل ضيع عهدي أم رعى
حيث ذكر الدكتور كشك أن المماثلة الصوتية بين
(أمرعا) و (أم رعى) غير حاصلة وإن لم تختلف
المقاطع الصوتية بينهما كمية ونوعاً؛ وذلك لاختلاف
مواقع النبر فيهما؛ لاختلاف التركيب اللغوي بينهما
كما هو واضح، وتكون المقاطع الصوتية عنده
كالآتي:

بنابة

ص ح ص _ ص ح _ ص ح ح

ويختلف النبر عنها في قوله: (أمرعا)؛ إذ يكون في
الكلمة الأولى على النحو الآتي:

ص ح ص _ ص ح _ ص ح ص

ويكون في التركيب الثاني على النحو الآتي:

ص ح ص _ ص ح _ ص ح ح

وعند النظر إلى تحليله نجد أنه راعى الناحية
المقطعية الصوتية فحسب، ولم يراع المسافة الزمنية
لصوت اللغوي المتأثرة بالمعنى والسياق وذلك كما
في الكلمتين الأخيرتين؛ إذ يختلف معناهما، وتبع
ذلك اختلاف مقاطعهما الصوتية من حيث عدد
المقاطع ونوعيتهما المكونة للكلمات، فكل ذلك لا
يتم إلا عن طريق المعنى والأداء وفن الإلقاء؛ إذ
يختلف نوع المقطع الصوتي تبعاً لطوله الذي يوجبه
المعنى؛ فالمقام مقام تساؤل وحنين للمحبوب من

أثر البعد لدرجة أن الشاعر رسم صورة بديعة ناتجة
عن أثر ذلك الحنين من نمو تلك المروج إثر هطول
سحب دموع عينيه، فهل بعد هذا الحنين والألم ينسى
ذلك المحبوب عهده أم يراعه فعلى ذلك لا بد من
طول المقطع الصوتي في كلمة (رعى) الثانية من
التركيب الثاني؛ حتى يتواءم مع ذلك المعنى كالآتي:

بنابة

ص ح - ص ح ح ح

البيت الخامس عشر:

كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهي حتى تعود
إلى الحياة وأنت هي^{٣٣}

حيث ذكر الدكتور كشك أن المماثلة الصوتية بين
(أنتهي) و (أنت هي) غير حاصلة وإن لم تختلف
المقاطع الصوتية بينهما كمية ونوعاً؛ وذلك لاختلاف
مواقع النبر فيهما؛ لاختلاف التركيب اللغوي بينهما
كما هو واضح، ويكون للنبر في الكلمة الأولى
عنده كالآتي:

(أنتهي)

ص ح ص _ ص ح _ ص ح ح

ويختلف النبر عنها في قوله: (أنت هي)؛ إذ تكون
المقاطع الصوتية على النحو الآتي:

ص ح ص _ ص ح ح

ص ح ح

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور كشك ذكر أثر
السكرتة بعد كلمة (أنت) على المعنى والأداء والإنشاد

^{٣٣} ينظر البيت في: خزنة الأدب ٦٠/١.

^{٣٢} ينظر البيت في: خزنة الأدب ٦٠/١، وفن الجناس ص ٧٨.

٣- يعد المعنى هو المعيار في تحديد الأداء النغمي والإلقاء المنشود، بما يجعله يؤثر على المسافة الزمنية للصوت اللغوي الناتجة عنه، وهذا بدوره يجعل تلك المقاطع الصوتية تتغير من حيث النوعية أو الكمية أي العدد داخل تراكيب الكلمات تبعاً لاختلاف عددها داخل تلك التراكيب كما رأينا، وأثر المعنى والأداء على طول المقاطع فيها.

٤- أغلب المقاطع الصوتية التي احتاجت إلى زيادة صوت لين قصير كانت في الكلمة الأولى من التركيب الثاني مقارنة بسابقه، وقد بلغ عددها كذا كما أوضحه البحث في البيت الأول والثاني والثالث والرابع والسادس والتاسع، وبعضها جاءت بزيادة صوت لين قصير في الكلمة الأولى من التركيب الأول كما في البيت العاشر.

٥- جاءت بعض المقاطع الصوتية مزيدة بصوت لين قصير على الكلمة الأخيرة مقارنة بسابقتها، وقد كان ذلك في الشاهد الخامس والثامن والرابع عشر كما أوضحه البحث.

٦- جاءت بعض المقاطع الصوتية مزيدة بصوت لين قصير على الكلمة الأولى، وهي الوحيدة المكونة للتركيب الأول مقارنة بنظيرتها المكونة للتركيب الثاني التي تتكون من كلمتين كما في البيت الحادي عشر.

٧- اتفقت معه في البيت السابع والثاني عشرة الثالث عشر من حيث عدد المقاطع الصوتية لكلا

الذي نحن بهذا البحث بصده وهذا مما لاشك فيه له بالغ الأثر على المعنى؛ فالشاعر كأنه يخاطب عاذله عن الهوى ذاكرًا بأنه ماضٍ فيه حتى تعود إليه الحياة حين يتحد مع محبوبته روحًا وذاتًا، وعلى الرغم من أن الدكتور كشك ذكر أثر السكتة على المعنى إلا أنه لم يراع المسافة الزمنية للمقطع الصوتي الناتجة عن المعنى، التي كانت في هذه المرة خارجة عن الكلمتين اللتين تعبران عن الجناس في البيت عند العروضيين، فلا بد حينئذٍ من طول المقطع الصوتي في كلمة (لا) التي قبل كلمة (أنتهي) الأولى؛ حتى يتواءم مع ذلك المعنى كالآتي:

لا

ص ح ح ح

الخاتمة

١- ذكر الدكتور أحمد كشك أن الجناس التام لم يكن كذلك وطبق عليه الأبيات الشعرية السالفة الذكر حيث أنكر أن يكون الجناس تامًا كما صوره العروضيون، وقد وافقه البحث في ذلك، وذلك من خلال التطبيق في المطلب الثاني كما مر.

٢- اعتمد الدكتور كشك في تحليله على الجانب المقطعي الصوتي فحسب، ولم يراع المسافة الزمنية للصوت اللغوي التي نتجت عن المعنى والأداء الصوتي؛ إذ نتج عن ذلك اختلاف في عدد ونوعية المقاطع الصوتية.

نوعية المقاطع وخروجها عن الجنس التام، وقد تعرض الدكتور كشك لأثر السكتات على المعنى في البيت الخامس عشر.

١٣- وجود علاقة وطيدة بين موسيقى الشعر العروضية والمعنى والأداء وأثر ذلك كله على المسافة الصوتية لتلك المقاطع كما في البيت الثاني عشر، وكذلك مع جميع الأبيات لو تأملنا ذلك.

١٤- جاءت زيادة صوت لين قصير على أغلب المقاطع التي ناقشها البحث مما أخرجها عن الجنس التام وما حلله الدكتور كشك للمقطع الصوتي، واختلف الأمر في الشاهد الأخير الخامس عشر؛ إذ جاءت الزيادة خارجة عن الكلمتين اللتين عدتهما العروضيون جناسا تاما.

١٥- جاءت المسافة الزمنية للصوت اللغوي ثابتة المقطع كما رأينا على اختلاف تنوع الخروف؛ حيث جاء مقطعا ص ح ح ح وقد بينت سابقا أن المقاطع الصوتية العربية كانت ثابتة على خمس مقاطع لم تراخ الأداء كما مر.

التوصيات

١- إعادة النظر في تحديد نوعية المقاطع الصوتية، ومسافاتهما الزمنية تبعا للمعنى والأداء الناجم عن ذلك المعنى، وذلك يتوجب على من يعنى بعلم الأصوات أن يربطه في تحليله بالمعنى والأداء؛ حتى يكون أقرب إلى الواقع الصوتي بعيدا عن الاهتمام بالمقطع الصوتي فحسب وهذا ما أثبتته

الكلمتين، ولكنه ذكرها من ناحية مقطعية صوتية فحسب، وقد قمت بتحليلها من حيث المعنى والأداء.

٨- أحيانا تتفق المقاطع الصوتية عند الدكتور كشك نوعية وكمية، ولكنه لا يعدها جناسا تاما كما صورها البلاغيون مراعاة لاختلاف النبر بين تلك المقاطع الصوتية؛ وذلك مقارنة بنظيرتها من تلك المقاطع عنده كما مر في البيت الثامن، والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر.

٩- بعض المقاطع الصوتية عنده تختلف من حيث العدد فقط مثل البيت الثاني، وبعضها تختلف من حيث النوع فقط مثل البيت الأول والسادس والتاسع، وبعضها الاختلاف يكون في الاثني معا مثل البيت الثالث والرابع والخامس والسابع والعاشر.

١٠- سبب الاختلاف في كمية المقاطع الصوتية يكون وجود إحداها في كلمة واحدة والأخرى في كلمتين كما مر ومن أمثله البيت الثامن، والثالث عشر والخامس عشر.

١١- يُحكم بطول المقطع أو قصره وبالتالي خروجه عن الجنس التام عدة أمور منها وجوده في كلمتين، أو بحسب المعنى أو السكتات التي يوجبها ذلك المعنى كما رأينا ذلك في تحليل جميع الأبيات.

١٢- أحيانا تتساوى المقاطع الصوتية عند كشك ولكن يختلف النبر عنده باختلاف نوعيهما لغويا، وقد أثبت البحث أثر السكتات على المعنى وهذا لم يتعرض له كشك في البيت الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر وإن اتفق البحث مع كشك في

*التضام المقطعي إجراءاته وسياقاته، ٢٠١٦، كلية الآداب بجامعة المنصورة ،مصر .

٤- التهانوي، محمد علي .

*كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١٩٩٦م، مطبعة الثانية، بيروت، مكتبة بيروت

٥- الحموي ابن حجة

×خزانة الأدب وغاية الأرب، ٢٠٠٤، الطبعة الأخيرة، دار مكتبة الهلال، بيروت.

٦- الجندي علي .

*فن الجنس، دار الفكر العربي ،مصر .

٧- عتيق، د. عبدالعزیز .

*علم البديع، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية (بدون تاريخ).

٨- ابن عصفور، أبا الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي .

*الممتع الكبير في التصريف، تحقيق الدكتور: فخر الدين قباوة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، الطبعة الثامنة، مكتبة لبنان،

٩- مقلد، أ.د. طه عبد الفتاح .

*فن الإلقاء، (بدون طبعة)، مكة المكرمة، مكتبة الفيصلية، (بدون تاريخ).

١٠- ابن منظور، محمد بن مكرم

*لسان العرب ، (دون تاريخ) دار صادر، بيروت.

الدراسات اللغوية الحديثة كما مرت الإشارة إليه في بحث الدتورة ليلي باوزير .

٢- أن يعتمد تدريس الأبيات الشعرية على الإيقاع النغمي القائم على المعنى والأداء الذي يحدد المسافات الزمنية للصوت اللغوي تبعاً لذلك بطرق تطبيقية كما مر شرحها في المطلب الثاني.

٣- الاستعانة بالمعامل الصوتية التي توضح بطريقة عملية الفرق بين المقاطع الصوتية التي لا تعتمد على المعنى والأداء النغمي عن تلك التي تعتمد عليهما، بما يؤثر على المسافات الزمنية لتلك المقاطع الصوتية؛ وذلك سيكون أجدي فتيلاً في تعلم فن الإلقاء في أي فن من الفنون الأدبية.

المراجع

فهرس المصادر والمراجع

١_ الأبشيهي، أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد منصور .

*المستطرف من كل فن مستظرف، ١٤١٩، ط١، عالم الكتب بيروت

٢- أنيس إبراهيم .

*الأصوات اللغوية، ١٩٧٥، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية.

* موسيقى الشعر، ١٩٥٢م، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية.

٣- د. باوزير ليلي عبدالله علي

**The effect of meaning and performance on the linguistic sound distance of time
The response to Dr. Ahmed Keshk in his research tagged of linguistic voice
functions as a model Semantic Critical Voice Study**

Dr. Zamzam Ahmed Ali Taqi

*Associate Professor, King Abdulaziz University, Sulaymaniyah
Branch Faculty of Arts, Department of Arabic Language and Literature*

Abstract. the distance of time it takes to pronounce the linguistic sound within its context is determined by a number of things, including the location of the sound and the method of performance that depends on the style, purpose and meaning, the meaning focuses with the pronunciation and linguistic sound; To form systems with time distances in performance, which is the focus of the research that we are blocking now, and these distances are those that control the syllables and thus control the tone, they are performed based on the meaning and were chosen to establish the effect of the meaning and performance on the distance of the linguistic sound time a study by the researcher Dr. Ahmed Keshk Title of Linguistic Voice Jobs; An Attempt to Understanding Morphological and Phonetic In it, he discussed the complete anagrams and disagreed with the rhetoric about it, and tried to prove his absence, but he analyzed many verses that contain a cross-sectional analysis of linguistic sound only without taking into account the meaning and art of performance and the resulting time distances for sound and this is what this study will include

الصوفية المعتدلون

د. محمد بن أحمد الجوير

الأستاذ المساعد بكلية الحقوق

جامعة دار العلوم- الرياض

مستخلص. يهدف هذا البحث، لبيان مواقف بعض أئمة ومشايخ ومصنفي الصوفية، الذين أنكروا سلوكيات و بدعيات المتصوفة في قضيتين مهمتين هما (السماع) و (إسقاط الأحكام الشرعية) ومن باب العدل والإنصاف، رأيت في هذا البحث، أن أسلط الضوء على مواقف هؤلاء المتصوفة، الذين نظنهم معتدلين، وقد رفضوا دعاوى غلاتهم، وأنكروها، وذلك من خلال نقل كلامهم من كتبهم، وأقوال مشايخهم، وأئمتهم، التي أنكرت على قومهم، ممارساتهم، وسلوكياتهم، في دعاوى السماع ومتو لداته من (الرقص، والنط، والصيحاح، والزعق، واللطم، وشق الثياب، إلخ) وإسقاط الأحكام الشرعية، حتى تقوم الحجة عليهم، ورصد ردود، وإنكار، هؤلاء المشايخ والأئمة الصوفية، ربما يكون، أبلغ في هداية أقوامهم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،،،
فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
ولقد جاء الإسلام أمراً بالاعتدال والاقتصاد والوسطية

في كل أمر، وفي كل مناحي الحياة، حتى ميزت هذه الأمة وخصت بذلك، قال سبحانه في محكم التنزيل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى أمراً بالاستقامة والاعتدال، ناهياً عن الغلو والطغيان ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ

والمتمأل في أحداث التاريخ الإسلامي، بعد انتقال صفوة الخلق محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وانقضاء عهد الخلفاء الراشدين؛ يجد الخلافات والاضطرابات، فما تلبث أن تتطفئ فتنة، إلا وتطل أخرى برأسها، وما أن تندثر طائفة أو فرقة، إلا وتبرز أخرى متدثرة بالإسلام، كلها تكيد للإسلام وأهله المكائد والمصائب.

فُعرفت الجهمية والجبرية والمرجئة، وعُرف أهل الكلام من المعتزلة والماترودية والأشاعرة، كما عُرفت الباطنية من الإسماعيلية والدروز والنصيرية، وكل هذه الفرق من غلاة الشيعة، كما عُرفت الصوفية، وكل هذه الفرق والطوائف، تصدى لها علماء السلف ومعهم الخلف، وأنكروا عليهم بدعهم، وسلوكياتهم، ومناهجهم، حتى صاروا بذلك أعلاماً، بارزين، تحفظ المراجع وأمّهات الكتب، جهودهم، وتتناقلها الأجيال بعدهم.

ولعل أبرز تلك الفرق والطوائف، التي نالت نقداً وردوداً ظاهرة هي فرقة (الصوفية)، التي تدهرت بالزهد والعبادة والنسك في بدء ظهورها في القرن الثاني الهجري تقريباً، ولم تلبث أن تطورت مراحل نشأتها حتى آل الأمر بغلاتها إلى الاعتقاد بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، المفضية إلى الكفر والإلحاد، نتيجة تأثرها بالديانات الوثنية، والمذاهب الفلسفية.

هذه الفرقة، تُعد من الفرق التي ابتدعت سلوكيات ومعتقدات مصادمة لشعائر الدين المعروفة من الدين بالضرورة، حتى أصبحت من أشهر الفرق والطوائف

وَلَا تَطْعَمُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ [هود: ١١٢].

ومن نعم الله علينا، أن بعث إلينا محمد ﷺ، وختم به الرسالة، وأقام به الحجة، فحذّر من البدعة، تاركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال ﷺ: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »^(١).

ومن أصول الإسلام، ومعتقد أهل السنة والجماعة، ومناهجهم المعروفة؛ تقرير العقيدة، وامتنال وسطية هذا الدين العظيم.

وقد نهى المصطفى الكريم عن الغلو في الدين بقوله ﷺ: « أيها الناس إياكم والغلو فإنما أهلك من قبلكم الغلو في الدين »^(٢).

وقد سار صحابة رسول الله ﷺ على منهج الشرع القويم الذي بينه لهم الرسول الكريم، وتبعهم من جاء بعدهم من التابعين وسلف الأمة إلى يومنا هذا، متمثلين وسطية الدين، متبعين المنهج الصحيح في ذلك على ضوء منهج القرآن والسنة المطهرة، من حيث الأصول والمناهج.

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، استانبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، فالصلح مردود، ٢٦٧/٢، حديث رقم (٢٦٩٧).

(٢) مسند الإمام أحمد: بيروت، دار صادر (٢١٥/١).

في البدعة، التي سارت عبر القرون، ومازالت حتى هذا العصر، تتنامى بشكل بين، ولن يتأتى كشف حقيقتهم، إلا من خلال رصد ردود وإنكار ونقد علماء الأمة عليهم، بشكل عام، وإنكار وردود أئمتهم ومشايخهم، عليهم، في كل عصر ومصر، وفي هذا البحث، سأكتفي ببعض من هؤلاء الأئمة والمشايخ الصوفية، الذين نظن أنهم معتدلون، ممن تميز بغزارة علمه، وقوة حجته، وحضوره بين الأتباع. وقد رأيتُ أن يكون عنوان هذا البحث: «**الصوفية المعتدلون**».

وكان منهجي في إعداده قائمٌ على الآتي:

- ١- الاستقراء؛ وذلك بتتبع بدع الصوفية، حول دعاوى (السماع وإسقاط التكاليف) وتتبع موقف الصوفية المعتدلين منها ومن غيرها من الدعاوى التي لا تقرها أحكام الشريعة السمحة.
 - ٢- أذكر تاريخ وفاة العالم لأول مرة يرد اسمه، وذلك في ثنايا البحث.
 - ٣- أترجم للأعلام، أحياناً.
 - ٤- أذكر اسم السورة ورقم الآية، بعد الآية مباشرة.
 - ٥- أدون معلومات المرجع لأول مرة.
 - ٦- اكتفيت بفهرس للموضوعات، وفهرس آخر للمصادر والمراجع.
- أرجو الله أن أوفق في إنصاف المعتدلين من الصوفية، الذين رفضوا بدع وضلالات أقوامهم، لعل العوام والجهلة منهم، يعرفوا قيمتهم، ويسمعوا لأقوالهم، ويسيروا على منهجهم المعتدل، ويتجنبوا

المنتسبة للإسلام ابتداءً؛ بل هي رأس المبتدعة. ولما كانت الحكمة ضالة المؤمن أنا وجدها فهو أحق بها، فالذي لفت نظري وجود طائفة من أئمة ومشايخ الصوفية، لا يقرون ما يمارسه المتصوفة منهم، من مبتدعات في الدين وغلو، لا تقره العقيدة وأحكام الشريعة المنصوص عليها في الكتاب والسنة، وقد أنكروا على صوفيتهم، سلوكياتهم ومبتدعاتهم والمسائل التي غالوا فيها، في كثير من قضايا السلوك والعبادات التشريعية، مثل ما يعرف عندهم بالسماع وما يتولد عنه من وجد ورقص وغناء وشق ثياب ورقص... إلخ، وما عرف عندهم من إسقاط للتكاليف الشرعية، بدعوى وصولهم لدرجة اليقين، بمفهومهم الخاطئ له.

ومن باب العدل والإنصاف، رأيت في هذا البحث، أن أسلط الضوء على بعض المتصوفة المعتدلين، الذين رفضوا دعاوى غلاتهم من خلال نقل كلامهم من كتبهم، وأقواله مشايخهم وأئمتهم، التي أنكرت على قومهم ممارساتهم وسلوكياتهم، في قضيتين رئيسيتين عرفتا عن الصوفية على مر القرون وحتى اليوم، دعوى (السماع) ودعوى (إسقاط التكاليف الشرعية) هما -بحسب ما وقفت عليه- من أشهر الدعاوى البدعية، التي اشتهر بها المتصوفة، بدعوى التقرب إلى الله من خلال طقوسهم، التي يمارسونها فيهما.

ومن هنا أردت قصر الحديث عنهما في هذا البحث. والغاية من هذا البحث؛ كشف عوار وخفايا الصوفية

وتعددت الأقوال حول نسبة الصوفية، واختلف الباحثون حولها. كما اختلف الصوفية أنفسهم في ذلك، فمن هذه الأقوال:

النسبة إلى الصفة^(٢):

وممن نقل هذا السهروردي^(٣)(٤)، والهجويري^(٥)(٦)، والكلاباذي^(٧)(٨).

النسبة إلى الصفاء^(٩):

قال الكلاباذي: قالت طائفة إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها^(١٠).

البدع في مسائل العقيدة، وأحكام الشريعة، وكل الضلالات.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

المؤلف

د/ محمد بن أحمد الجوير

عضو هيئة التدريس-كلية الحقوق-جامعة دار العلوم-الرياض

تعريف التصوف توطئة:

لعل من نافلة الحديث، عندما أريد أن أتناول شأنًا، يتعلق في الصوفية؛ أن أعرج -ولو باختصار- على تعريف الصوفية، في اللغة، والأقوال حول نسبتها، وتعريفه في الاصطلاح عند الصوفية، وعند غيرهم من علماء الأمة.

تعريف التصوف في اللغة:

قال ابن فارس "الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح، وهو الصوف المعروف. والباب كله يرجع إليه. يقال: كبش أصوف وصوفٌ وصائفٌ وصافٌ، كل هذا أن يكون كثير الصوف. ويقولون: أخذ بصوفة قفاه، إذا أخذ بالشعر السائل في نفرته... وأما قوله: صاف عن الشر، إذا عدل، فهو من باب الإبدال يقال: صاف إذا مال^(١)."

(٢) أهل الصفة: كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ﷺ، وليس لهم أهل ومال، فبنيت لهم صفة في شمالي مسجد رسول الله ﷺ، ينزل بها الغريب الذين ليس لهم أهل وأصحاب ينزلون عندهم، وهم معروفون بالعبادة.

انظر: تلبس إبليس عبدالرحمن بن الجوزي. تحقيق د. السيد الجميلي. ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي - ١٤١٣ هـ) ص ٢٠١، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (مطبعة معارف لاهور - ١٣٩٧ هـ) ص ١٢.

(٣) هو عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد شهاب الدين أبو حفص السهروردي، شيخ الصوفية ببغداد، صاحب كتاب "عوارف المعارف" توفي سنة ٦٣٠ هـ (انظر: البداية والنهاية (بيروت: دار الفكر) بدون طبعة وسنة نشره) ١٣/١٣٨.

(٤) انظر عوارف المعارف. عمر بن محمد السهروردي (القاهرة: مكتبة القاهرة - ١٣٩٣ هـ) ص ٦٢، رقم الطبعة بدون.

(٥) هو أبو الحسن علي بن عثمان بن علي الغزنوي الحلبي الهجويري، صاحب كتاب "كشف المحجوب، توفي بين سنتي ٤٦٥ هـ و ٤٦٩ هـ في لاهور. (انظر: الموسوعة الصوفية. د. عبدالمنعم الحنفي ط١ (القاهرة: دار الرشاد - ١٤١٢ هـ) ص ٤٠١.

(٦) انظر: كشف المحجوب. علي بن عثمان الهجويري. دراسة وتعليق د. إسعاد عبدالهادي قنديل مراجعة د. أمين عبد المجيد بدوي (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر - ١٩٨٠) ص ٢٢٧.

(٧) هو أبو بكر محمد بن إسحاق الحنفي الكلاباذي، من علماء الصوفية، من أشهر مؤلفاته "التعرف لمذهب أهل التصوف" توفي سنة ٣٨٠ هـ (انظر: الموسوعة الصوفية ص ٣٣٨).

(٨) انظر التعرف لمذهب أهل التصوف. أبي بكر محمد الكلاباذي ط٣ (المكتبة الأزهرية للتراث - ١٤١٢ هـ) ص ٢٢٧.

(٩) الصفاء: نقيض الكدر، وهو صفاء القلوب، وانشرح الصدور، ومصافاة المودة والإخاء.

(انظر: المعجم الصافي في اللغة العربية. صالح أبي الصالح وأمينه الشيخ سليمان الأحمد ط١ (١٤٠٩ هـ) ص ٣٣٩ حرف الصاد.

(١٠) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٢٦.

(١) معجم مقاييس اللغة: أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبدالسلام هارون، ط٢ (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٠ هـ) ٣/٣٢٢.

قال ابن منظور: "الصوفة كل من ولي شيئاً من عمل البيت الحرام وهم الصوفانة"^(٩).

وقال ابن فارس

صوفة: قوم في الجاهلية كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج، وحكي أنهم أفنت القبائل تجمعوا مع بعضهم حتى أصبحوا متشابكين كالصوف^(١٠).

وبمثل ذلك قال ابن الجوزي^(١١): "... أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفه.

فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية"^(١٢).

وقال بشر بن الحارث: "الصوفي من صفا قلبه لله"^(١).

وقال أبو نعيم "اشتقاقه عند أهل الإشارات والمنبئين عنه بالعبادات من الصفاء والوفاء"^(٢).

وقد ردّ هذه التسمية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: "من قال: نسبة إلى الصفاء قيل له: كان حقّه أن يقال صفائية ولو كان مقصورا لقيل صفوية"^(٣).

وقد ردّها أيضاً ابن خلدون لأن قياس اللغة يأباه^(٤).

النسبة إلى الصّفّ^(٥):

قيل: "إنما سمّوا صوفية، لأنهم في الصف الأول بين يدي الله جل وعز بارتفاع همهم إليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه"^(٦).

كما ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية هذه النسبة بقوله: "... وهو أيضا غلط، فإنه لو كان كذلك لقيل: صَفِّي"^(٧).

النسبة إلى صوفه^(٨):

(١) التعرّف لمذهب أهل التصوّف ص ٢٦.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني. (بيروت: دار الفكر ١٤١٦هـ) ١٧/١.

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم. طبعة خادم الحرمين الشريفين. إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين. ٣٦٩/١.

(٤) انظر: مقدّم ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ط٦، بيروت، دار القلم، ١٤٠٦هـ، ص ٤٦٧.

(٥) يقصد الصوفية بهذه النسبة أنهم في الصف الأوّل المقدم بين يدي الله تعالى في عباداتهم، وسلوكهم، وأحوالهم.

(٦) التعرّف لمذهب أهل التصوّف، أبي بكر، محمد الكلاباذي، ضبطه وعلّق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ، ص ٢٦-٢٧.

(٧) الصوفية والفقراء، ابن تيمية، تقديم د. محمد جميل غازي، جدة، مكتبة المدني ومطبعها ص ١١.

(٨) صوفه بن بشر: هو صوفه أبو يحيى من مضر، وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس من مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج أي يفيضون بهم، كانوا يجاورون مكة من

الزمن القديم وهم قبيلة من العرب.
(انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٧/١، ولسان العرب لابن منظور ٢٠٠/٩ مادة "صوف").
(٩) لسان العرب ٢٠٠/٩.
(١٠) انظر: معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس، حققه شهاب الدين أبو عمرو، (بيروت، دار الفكر ١٤١٨هـ) ص ٥٨١، باب (الصاد).

(١١) ابن الجوزي: هو عبدالرحمن بن علي بن محمد، الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، الإمام الواعظ المفسر، ولد ببغداد سنة ٥٠٨هـ له مؤلفات كثيرة، منها: زاد المسير في علم التفسير، والمنظم في تاريخ الملوك والأمم، وتلخيص إبلّيس وغيرها كثير جداً، توفي ببغداد سنة ٥٩٧هـ.
انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، تخريج أحاديث أبو حازم أسامة بن حسن، وأبو الزهراء علي بهجت ط١ (بيروت): دار الكتب العلمية-١٤٠٧هـ) ٣٣٦/٣، وشذرات الذهب لأبي الفلاح عبدالحق بن العماد الحنبلي ط٢ (بيروت: دار المسيرة، ١٣٩٩هـ) ٣٢٩/٤، وسير أعلام النبلاء ٣٧٤/٢١، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٦٩م) ١٤٠/٣، والبداية والنهاية ٢٨/١٣، ومراة الجنان تأليف عبدالله الياغعي ط٢ (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ) ٤٨٩/٣، والأعلام خير الدين الزركلي ط٥ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م) ٣١٦/٣. وعن غزارة علمه - رحمه الله- انظر: قراءة في مؤلفات ابن الجوزي، د: ناجية عبدالله إبراهيم (بغداد: منشورات وتوزيع المكتبة العالمية-١٩٨٧م)، ومؤلفات ابن الجوزي، عبدالحميد العلوجي ط١ (الكويت، مركز المخطوطات-١٤١٢هـ).

(١٢) تلبّيس إبليس، ص ١٩٩.

"السوفية" الحكماء القائلون بالوحدة، وأن الصوفية أول من أدخل ذلك في الإسلام فسمّوا باسمهم^(٧).
ومن خلال ما سبق فالراجح -والله أعلم- هو النسبة إلى الصوف؛ لأسباب منها:
- لأن في ذلك علامة على الزهد، لما فيه من الخشونة المعروفة.
- موافقته للغة.
- ولأن هذا القول، قد رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

تعريف التصوّف اصطلاحاً:

تعدّدت الأقوال حول التعريف الاصطلاحي للتصوف عند الصوفية وغيرهم فتعريفه عند الصوفية: يقول معروف الكرخي^(٨): "التصوّف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق"^(٩).
ويقول الجنيد^(١٠) وقد سئل عن التصوّف: "أن تكون مع الله بلا علاقة"^(١١).

ويقول أيضا هو: "أن يمتك الحق عنك ويحييك

وقد ردّ هذه التسمية شيخ الإسلام بن تيمية بقوله ".. فإنه ضعيف أيضا، لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك، ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى، ولأن غالب من تكلم باسم الصوف لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية، ولا وجود لها في الإسلام"^(١).

ومنهم من قال بأن النسبة إلى الصوف:

قال بذلك السهروردي، بقوله: "كان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا"^(٢).
وممن قال بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "والنسبة في "الصوفية" إلى الصوف لأنه غالب لباس الزهاد"^(٣).

واختار هذا القول ابن خلدون بقوله: قلت: والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس "الصوف"^(٤).

ومن الأقوال من قال بأن النسبة إلى سوفيا اليونانية^(٥):

قال بذلك البيروني^(٦) بقوله: "أنهم منسوبون إلى

(٧) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة. أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - ١٣٧٧هـ) ص ٢٤، ٢٥.
(٨) أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، ويقال معروف الفيرزان يلقب بالزاهد، معروف بالورخ، توفي سنة ٢٠٠هـ، وقبره ظاهر في بغداد. (انظر ترجمته في صفة الصفوة لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري. تخريج أحاديثه د. محمد رواس قلنجي. ط٢ (بيروت: دار المعرفة - ١٣٩٩هـ) ص ٣١٨/٣، وطبقات الصوفية. أبي عبد الرحمن السلمي. ترتيب أحمد الشرباصي (مطابع الشعب - ١٣٨٠هـ) ص ٢١.
(٩) عوارف المعارف ص ٥٤.
(١٠) الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي، توفي سنة ٢٦٧هـ (انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء ١٤/٦٦٤).
(١١) عوارف المعارف ص ٥٤.

(١) الصوفية والفقراء ص ١٢.
(٢) عوارف المعارف ص ٦٠.
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/٣٦٩.
(٤) مقدّمة ابن خلدون ص ٤٦٧.
(٥) سوفيا: معناها باليونانية: الحكمة.
(٦) هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، ولد سنة ٣٦٢هـ فيلسوف رياضي، مؤرّخ من أهل خوارزم، توفي سنة ٤٤٠هـ (انظر ترجمته في الأعلام ٦/٢٠٥).

ويقول عمر فروخ "الصوفية حركة بدأت زهدا وورعا، ثم تطورت فأصبحت نظاما شديدا في العبادة، ثم استقرت اتجاها نفسيا وعقليا بعيدا عن مجراها الأول، وعن الإسلام في كثير من أوجهها المتطرفة"^(٦).

لكن ابن تيمية له رأي حول ذلك، يقول فيه "أن الناس تتازعوا في طريقتهم -أي الصوفية- فطائفة نمت التصوف والصوفية وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، وطائفة غلت فيهم وادّعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، ويرى ابن تيمية رحمه الله أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، ومنهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ويرى ابن تيمية أن من المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاصٍ لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة"^(٧).

ويتضح من هذا النص أن ابن تيمية رحمه الله لم يتجنّ على الصوفية، وإنما حكم بأنهم مجتهدون في طاعة الله والمجتهد عرضة للخطأ، وذلك لابتداعهم وخروجهم عن اتباع السنة، كما أنه رحمه الله أوضح صراحة أنه قد انتسب إلى هؤلاء طوائف من أهل البدع والخرافات والزندقة، وفي هذا البحث سنقصر الحديث عن المعتدلين منهم، من أئمتهم ومشايخهم،

به"^(١).

والملاحظ أن تعريف التصوف عند الصوفية يختلف من عصر إلى آخر، نتيجة لعدم استطاعة القوم، تعريفه تعريفاً جامعاً مانعاً، حتى أخذ ينحو منحى خطيراً كلما تقدّم به الزمن.

يقول في ذلك، الواسطي^(٢): "كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق إلا حسرات"^(٣).

أما تعريف التصوّف عند غير الصوفية:

فابن الجوزي يذهب إلى أن التصوف هو "طريقة كان ابتدأها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من الزهد. ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب"^(٤).

وابن خلدون: يقول: " وأصلها - أي طريقة التصوّف - العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق للعبادة. وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبولون على العبادة باسم الصوفية والمتصوّفة"^(٥).

(١) ن.م ص ٥٧.

(٢) أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، أصله من فرغانة، من أصحاب الجنيد والنوري، من علماء مشايخ الصوفية، توفي بمرور بعد العشرين وثلاثمائة من الهجرة. انظر طبقات الصوفية ص ٧٢.

(٣) الطبقات الكبرى ١/١٠٠.

(٤) تلبيس إبليس ص ١٩.

(٥) مقدّمة ابن خلدون ص ٤٦٧.

(٦) تاريخ الفكر العربي د. عمر فروخ (بيروت: دار العلم للملايين -

١٣٩٢هـ) ص ٤٧٠.

(٧) انظر: الفتاوي ١١/١٧، ١٨.

مثل الحارث المحاسبي.. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوّف، وأفرده بصفات ميّزه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق، وتميّزوا بزيادة النظافة والطهارة... ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق... ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق، فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد.... وجاء أبو عبدالرحمن السلمي وصنّف لهم كتاب "السنن" وجمع لهم حقائق التفسير، فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن... وصنّف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه "لمع الصوفية" ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المردول... وصنّف لهم أبو طالب المكي "قوت القلوب" فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل... وجاء أبو نعيم الأصفهاني فصنّف لهم كتاب "الحلية" وذكر في حدود التصوّف أشياء منكرة قبيحة... وصنّف لهم عبدالكريم بن هوزان القشيري كتاب "الرسالة" فذكر فيها العجائب عن الكلام في الغناء والبقاء... وجاء محمد طاهر المقدسي^(١) فصنّف لهم "صفوة التصوّف" فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها... وجاء أبو حامد الغزالي فصنّف لهم كتاب "الإحياء" على طريقة القوم وملاؤه بالأحاديث الباطلة، وهو لا يعلم بطلانها، وتكلّم

الذين أنكروا على المغالين منهم والمتجاوزون لحدود ثوابت العقيدة وأحكام الشريعة ولو أرنا الوقوف على تاريخ التصوف ونشأته.

فعل الصورة تكون أكثر وضوحاً، فيما أفرده ابن الجوزي رحمه الله عن تاريخ التصوّف من حيث بدأ حتى اكتمل، وبلغ ذروة الانحراف، مما كان يمثّله من رسوم وإشارات وبدع وضلالات وخرافات.

يقول ابن الجوزي: "والتصوّف طريقة كان ابتدأها الزهد الكلي، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب".

ثم قال رحمه الله: وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارة كبيرة وحاصلها أن التصوّف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الآخرة.. وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعهم، فكلموا مضي قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم، إلى أن تمكّن من المتأخّرين غاية التمكّن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدّهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات.. ثم جاء أقوام فتكلّموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنّفوا في ذلك

(١) محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، أبو الفضل ابن القيسراني الطاهري، الصوفي، ولد بببيت المقدس سنة ٤٤٨ هـ وتوفي سنة ٥٠٧ هـ ببغداد من مصنّفاته "صفوة التصوّف".

(انظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ، ٣٦١/١٩، والأعلام، خير الدين الزركلي ط١، لبنان، دار العلم للملايين، ١٩٩٢ م، ١٧١/٦).

في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه...^(١).

وتشير بعض المصادر، أن التصوف، نشأ في البيئة الإسلامية، نتيجة مؤثرات خارجية، جراء احتكاك المسلمين مع الثقافات الأجنبية الأخرى، إبان الفتوحات الإسلامية، وترجمة كتب اليونان الفلسفية، وجلبها للديار الإسلامية، ومن أهم هذه المؤثرات: اليهودية، والنصرانية، والهندية واليونانية والفارسية^(٢).

الصوفية المعتدلون

لعلنا هنا نعرض بعضاً من البدع والسلوكيات الخاطئة عند المتصوفة، حول دعاوى السماع، وإسقاط التكاليف، ثم نعقبها، بموقف المعتدلين من الصوفية.

أولاً: السماع.

تعريف السماع لغة واصطلاحاً:

السماع لغة:

قال ابن منظور: هو الغناء، وقيل الذكر المسموع الحسن الجميل، وكل ما التذذت به الأذن من صوت حسن سماع^(٣).

وقال الجوهري: السماع مصدر قوله سمعت الشيء سمعا وسماعاً^(٤).

السماع في اصطلاح الصوفية:

عرّفه الصوفية بأنه "وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق"^(٥).

وحكى القشيري عن بعض الصوفية قوله في تعريف السماع: "بروق تلمع ثم تخدم، وأنوار تبدو ثم تخفى"^(٦).

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه "الحديث والكلام الذي هو سنة الله ﷻ مع العلماء والخواص من الأولياء والأبدال والأعيان الذين وقفوا مع القول والأبيات والأشعار التي تثير انطباع وتهيج العشاق بالطباع لا بالقلوب والأرواح"^(٧).

الشبه في السماع عند الصوفية:

يُعدّ السماع من الظواهر التي تلفت النظر في التصوّف، ولا يخلو مصنف من مصنفات القوم من ذكره والتشفي به، فكثرت فيه أقوال شيوخ الصوفية وإباحته، وقد عدّه بعضهم سمة من سمات الصوفي.

فقد سئل أبو الحسن النوري عن الصوفي، فقال: "من سمع السماع، وآثر الأسباب"^(٨).

والمتملّ في أحوال بعض المشايخ الصوفية، يتضح

(١) تلييس إبليس ص ٢٠١-٢٠٥.

(٢) انظر: مجلة الهلال، يونيه ١٩٨٥م، ١٢ رمضان ١٤٠٥هـ، ص ١٠٦، وظهر الإسلام، أحمد أمين، ط٣، بيروت، الكتاب العربي، ٥٨/٢، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية، صادق سليم صادق، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ، ص ٦٣-٩٣.

(٣) انظر: لسان العرب، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٤١٨هـ، ٣٦٥/٦.

(٤) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري تحقيق أحمد عبدالغفار عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٨٦هـ، ص ٣١٤.

(٥) للمع ص ٣٤٢، الرسالة القشيرية ص ٥٠٣، الإحياء ٢/٢٩٢.

(٦) الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبدالكريم القشيري، تحقيق ودراسة هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، ص ٥٢٥.

(٧) الغنية لطالبي طريق الحق، عبدالقادر الجيلاني، المكتبة الشعبية، ١٨٠/٢.

(٨) للمع في التصوف، لأبي نصر عبدالله الطوسي، تحقيق عبدالحميد محمود، مصر، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٠هـ، ص ٣٤٣.

ونقل السهروردي عن بعض المشايخ الصوفية قوله: رأينا جماعة ممن يمشي على الماء والهواء يستمعون السماع ويجدون به ويتولهن عنده. وقال بعضهم: كنا على الساحل فسمع بعض إخواننا فجعل ينقلب على الماء يمر ويجيء حتى رجع إلى مكانه، ونقل أن بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع، فأخذ شمعه فجعلها في عينه، قال الناقل: قربت من عينه أنظر فرأيت نارا أو نورا يخرج من عينه يرد نار الشمعة، وحكى عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض في الهواء أذرا يمر ويجيء منه^(٣).

ومن متولدات السماع وآثاره على الصوفية، أن يلجأ أحدهم عند السماع إلى تقطيع وتمزيق ثيابه، ويرون في ذلك جوازا ويحتجون بذلك بقوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالْسُوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣].

ومن تلك المتولدات تواجدهم، محتجين بقصة رووها عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه عندما سمع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣] صاح صيحة، ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام^(٤).

واحتج الصوفية على جواز التواجد والحركة أثناء السماع مما روى عن أنس رضي الله عنه قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزل جبريل، فقال يا رسول الله: « إن

له أن السماع دخل التصوف في وقت مبكر، إذ هيئت حلقات الذكر بيئة مناسبة لنشوء هذا السماع، ولئن كان الذكر الصوفي في بداية الأمر يمارس بشكل فردي، فإنه لم يلبث أن أصبح يمارس بشكل جماعي تردد فيه الأناشيد الدينية ترديدا موزونا أشبه ما يكون بترنمات النصرى داخل الكنيسة، ومع مرور الزمن استبدلت هذه الأبيات بالأشعار الغزلية التي أخذ القوالون ينشدونها في حلقات السماع ويحضرها المشايخ حتى تشكّل السماع بمفهومه المقيّد الذي كان من إفرازاته الصياح والبكاء والصعق والزقّ والتصفيق والرقص وتمزيق الثياب.

ولئن أطلق السماع عند الصوفية، فإن المقصود به السماع المقيّد بالنغم لا مطلق السماع. يقول ابن عربي:

"السماع المقيّد بالنغمات المستحسنات التي يتحرك لها الطبع بحسب قبوله: وهو الذي يريدونه غالبا بالسماع المطلق"^(١).

والسماع عند الصوفية قسمان:

أحدهما: سماع القرآن.

الثاني: سماع الأشعار والقصائد "الغناء".

يقول القشيري: "السماع فيه نصيب لكل عضو، فما يقع في العين يبكي، وما يقع إلى اللسان يصيح، وما يقع إلى اليد تمرّق الثياب، وتلطم، وما يقع إلى الرجل ترقص"^(٢).

(٣) عوارف المعارف ص ١٧٠-١٧١.

(٤) انظر: اللع ص ١٨٥.

(١) الفتوحات المكية لابن عربي ٣٦٧/٢.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٥٢٥.

منكم من ينشدنا؟ فقال بدوي: نعم يا رسول الله، فقال: هات «، فأنشد الأعرابي:

العبادات التي يتقربون بها عند الله.

فهذا الجنيد يقول: "تنزل الرحمة على الفقراء - الصوفية- في ثلاث مواطن، وعدّ منها السماع لأن القوم -بزعمه- لا يسمعون إلا عن حق"^(٣).

وهذا محدث الصوفية محمد بن طاهر المقدسي يقول: "... فهذا رسول الله ﷺ وأصحابه والأولياء، قد اجتمعوا للسمع، وتواجدوا ورقصوا في اليقظة والنوم، فكيف ينكره أحد اليوم، وما كان كذلك فهو دين معروف"^(٤).

ومن هنا جعل الصوفية السماع من العلوم الخاصة التي استأثر الله بها. يقول التستري: "السمع علم استأثر الله تعالى به لا يعلمها إلا هو"^(٥).

كما حاول الصوفية تسخير بعض الآيات القرآنية وتطويعها للاحتجاج بها على جواز وإباحة الرقص والسمع.

ومنها على سبيل المثال:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]^(٦).

فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم: وهو خمسمائة عام، ففرح رسول الله ﷺ، فقال: هل

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طيب لها ولا راقى

إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقى

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الأصحاب معه حتى

سقط رداؤه عن منكبه، فلما فرغوا، أوى كل واحد

منهم إلى مكانه. قال معاوية بن أبي سفيان: ما

أحسن لعبكم يا رسول الله، فقال: مه يا معاوية، ليس

بكريم من لم يهتز عند سماع الحبيب، ثم قسم رداء

رسول الله ﷺ على من حضر بأربعمائة قطعة^(١).

وحكي عن ذي النون المصري، أنه لما دخل بغداد،

فدخل عليه جماعة معهم قوال، فاستأذنوا أن يقول

شيئا، فأذن لهم، فأنشد يقول:

صغير هواك عذبني فكيف به إذا احتنكا

أما تنظر لمكتب إذا ضحك الحلي بكى

وإن جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا

فطاب قلبه، وقام وتواجد وسقط على جبهته والدم يقطر

من جبينه ولا يقع على الأرض، ثم قام واحد منهم

فنظر إليه ذو النون فقال: أَلَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٣٨﴾

[الشعراء: ٢١٨]، فجلس الرجل^(٢).

والسمع عند الصوفية بلغ درجة قدسية رفيعة، فقد

عدّوا مجالس السماع من مجالس نزول الرحمة،

واعتقدوا أن السماع من الدين، وهو عبادة من

(٣) الرسالة القشيرية ص ٥٠٩، واللمع ص ٣٤٣، وإحياء علوم

الدين لأبي حامد الغزالي، بيروت، دار المعرفة، ٢٧٠/٢.

(٤) صفة التصوّف لابن طاهر المقدسي نقلا عن كشف القناع عن

حكم الوجد والسمع لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تقديم

وتحقيق وتخريج د. عبد الله الطريقي، ط ١ (١٤١١ هـ) ص

١٥٩، ولم أجد كلام ابن طاهر في صفة التصوّف.

(٥) الرسالة القشيرية ص ٥١٩.

(٦) انظر: الرهص والرقص لمستحل الرقص، إبراهيم محمد

الحلبي، دراسة وتحقيق وضبط وتعليق د. صالح السدلان

(١) عوارف المعارف ص ١٨٩، وانظر رد هذا الاحتجاج ص ٢٤١.

(٢) انظر: آداب المريدين للسهروردي ص ١٠٦-١٠٧، والرسالة

القشيرية ص ٥١٩، واللمع ص ٢٤٦، ٣٦٢، وإحياء

٢/٢٩٤، وعوارف المعارف ص ١٦٥.

بقوله: "إن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب، والجمل يقاسي تعب السير، ومشقة الحمولة، فيهون عليه بالهداء" (٤).

وروي أن بعض ملوك العجم مات وخلف ابنا صغيرا، فأرادوا أن يبايعوه، فقالوا: كيف نصل إلى عقله ونكائه؟ فتوافقوا على أن يأتوا بقول، فإن أحسن الإصغاء علموا كياسته. فلما اسمعوه القوال ضحك الرضيع، فقبلوا الأرض بين يديه وبايعوه! (٥).

ومن بالغ اهتمامهم بالسماع، أن قصره على الصوفية وحدهم، حيث رأوا فيه غذاء لأرواحهم!، فقد روي أن أبا علي الدقاق قال: "السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم، مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم" (٦).

ومن هنا، فلا عجب إن كانت منزلة السماع عند الصوفية تفوق منزلة القرآن، وأكبر تأثيرا على قلوبهم منه، ويبدو ذلك جليا في هذه الرواية.

فقد روي أن يوسف بن الحسين الرازي، كان يقرأ القرآن، فقصده أبو الحسين الدراج من بغداد لزيارته فوجده يقرأ في المصحف، فلما أنشده أبو الحسن:

رأيتك تبني دائما في	ولو كنت ذا حزم لهدمت
قطيعتي	ما تبني
كأني بكم والليت أفضل	ألا ليتنا كنا إذا الليت لا
قولكم	يغني

فأطبق يوسف بن الحسين المصحف، ولم يزل يبكي،

واحتجوا على جواز الطرب والرقص، بقوله تعالى:

﴿رُكِّضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: ٤٢].

واحتجوا على تقطيع الثياب وتحريقها وتمزيقها بقوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالْسُوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣] (١).

وأجاز لهم ذلك الهجويري، وعدّه أمراً اعتادت عليه هذه الطائفة، وذلك من أجل راحة قلب المؤمن وجلب الرضا له (٢).

وكذلك احتج بعض الصوفية على جواز هذا السماع ومتولداته ببعض الأحاديث النبوية التي زعموا أنها تعضد معتقدتهم في هذا الجانب ومنها على سبيل المثال:

ما روى عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (دخل علي أبو بكر الصديق وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعثت، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ، وذلك يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: « إن لكل قوم عيد وهذا عيدنا » (٣).

واحتج القشيري لهم على إباحة الغناء بالقياس وذلك

ط (الرياض: دار طيبة - ١٤١٠هـ) ص ٩٥.

(١) انظر: الحلية ٣٧٤/١٠.

(٢) انظر: كشف المحجوب ص ٥٠٣.

(٣) الإحياء ٢/٢٧٨، وانظر: كتاب السماع، محمد بن طاهر المقدسي، تحقيق أبو الوفاء المراغي (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي - ١٤١٥هـ) ص ٣٧، والرسالة القشيرية ص ٤٦٦، والإحياء ٢/٢٧٨، والحديث في صحيح البخاري كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد ٢/٢ بمعناه، وانظر رد هذا الاحتجاج بهذا الحديث ص ٥٢٧.

(٤) الرسالة القشيرية ص ٤٨٢-٤٨٤. والهداء: من الحدود: سوق الإبل والغناء لها، انظر: مختار الصحاح للرازي، ترتيب محمود خاطر، وتحقيق وضبط حمزة فتح الله، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ، ص ١٢٧.

(٥) انظر: كشف المحجوب ص ٤٨٦.

(٦) الرسالة القشيرية ص ٥٠٢.

رقص ونط ولطم وتمزيق ثياب وصياح حتى آل بهم الأمر أن فضلوه على كلام الله؛ القرآن الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

موقف الصوفية المعتدلين:

رد كبار أئمة ومشايخ الصوفية ما يعرف عندهم بالسماع، وما تولد منه من رقص، وصعق، وصياح، ونط، وتمزيق ثياب... إلخ، وأنكروا هذه السلوكيات على أهلها.

فهذا أبو علي الروذباري (ت ٣٢٢هـ) من كبار الصوفية، يقول في السماع: « ليتنا تخلصنا منه رأساً برأس »^(٦).

ويستنكر على من يستمع للملاهي من هؤلاء السذج، ويزعم أنه سقطت عنه التكاليف الشرعية، فسماعه لها حلال، لأنه قد وصل إلى درجة لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال، فقال عنه الروذباري: نعم قد وصل، ولكن إلى سقر^(٧).

والجنيد (ت ٢٦٧هـ) المسمى عندهم « سيد الطائفة » يستنكر هذه الرعونات التي تصدر من بعضهم، ذلك أن رجلاً كان يصحبه في سفره، وكان الرجل إذا سمع شيئاً من الذكر يزعم، فقال الجنيد: إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبنى^(٨).

وقال أبو حفص الحداد (ت ٢٦٠هـ): « إذا رأيت المريد

حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه، حتى رحمه أبو الحسين لكثرة بكائه.

ثم قال يوسف بن الحسين: يا بني تلوم أهل الري^(١) يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ المصحف، ولم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت القيامة عليّ بهذين البيتين^(٢).

ولقد وصفه الشعراي بقوله: " وكان.. إذا سمع القرآن لا تقطر له دمعة، وإذا سمع شعرا قامت قيامته"^(٣).

ويقيس السهروردي السماع على الغيث، فيقول: مثل السماع مثل الغيث، إذا وقع على الأرض تصبح مخضرة، كذلك القلوب الزكية، يظهر مكنون فوائدها عند السماع^(٤).

والصوفية عند ممارستهم لهذه المتولدات المثمرة عن السماع الذي يزعمون أنه قربة إلى الله، تحضرهم بذلك وتشاركهم الشياطين، وتأزهم على ذلك أزا، وهم يقولون بذلك، يقول الهجويري: "قال سمعت أبا العباس الشقاني يقول: كنت يوماً جالساً في مجلس سماع، فرأيت كثيراً من الشياطين عراة الأجسام، يرقصون بين الجماعة ينفثون عليهم لكي يزيدوا من حماسهم"^(٥).

هذا هو مفهوم السماع عند الصوفية، بما يتخلله من

(١) الري: مدينة مشهورة تقع بين جرجان وطبرستان شمال إيران.

انظر: معجم البلدان ١١٦/٣.

(٢) انظر: للمع ص ٣٦٤، الإحياء ٣٠١/٢، الرسالة القشيرية ص ٥٢٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٩١/١.

(٤) آداب المريدين، للسهروردي، تحقيق فهد شلتوت، القاهرة، دار الوطن العربي، ص ١٠٣.

(٥) كشف المحجوب ص ٤٩٧.

(٦) كشف المحجوب للهجويري ص (٤٨٩).

(٧) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ، (٣٥٦/١٠)، طبقات الصوفية ص (٨٧)، الطبقات الكبرى (١٠٦/١).

(٨) انظر: الرسالة القشيرية ص (١٠٦).

وجدنا شيئاً نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم إلا هنا، وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وفسخها أن لو صح -والله أعلم- ويخالج سري أنه غير صحيح، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه، وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا الحديث، ويأبى القلب قبوله، والله أعلم بذلك»^(٤).

ونقل عن الجريري الصوفي (ت ٣١١هـ) قوله: « رأيت الجنيد في المنام فقلت: « كيف حالك يا أبا القاسم؟ » فقال: « طاحت تلك الإشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا إلا تسيحات كنا نقولها بالغدوات»^(٥).

وهذا أبوالحارث الفيض الأولاسي (ت ٢٩٧هـ) يربط الرقص بإبليس وبفرحه مما حققه مع الصوفية المتعاطين له، يقول: « رأيت إبليس في المنام على بعض سطوح أولاس^(٦) على يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليه ثياب نظاف، فقال لطائفة منهم: قولوا! فقالوا وغنوا فاستقرني طيبه حتى هممت أن أطرخ نفسي من السطح ثم قال: ارقصوا فرقصوا بأطيب ما يكون، ثم قال لي: يا أبا الحارث ما أصيب شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا»^(٧).

يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة»^(١).
وعبدالقادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ) رحمه الله من كبار مشايخ الصوفية، رأى كراهية السماع وخالف رأيه ما عليه صوفية زمانه في السماع، فهو يقول: « وإن كنا لا نرى بالسماع والقول والقصب والرقص، وقد قدمنا كراهيته؛ إلا أننا قد ذكرنا ذلك على ما قد لهج أهل زماننا في أربطتهم ومجامعهم»^(٢).

والسهرودي (ت ٦٣٠هـ) وهو من أئمة الصوفية ومصنفهم في كتابه: « عوارف المعارف » يرفض هذه الظاهرة المقيتة، وما يصاحبها من سلوكيات شاذة، فهو يقول: « إن أنصف المنصف، وتفكر في اجتماع أهل الزمان وقعود المغني بدفه، والمشيب بشبابته، وتصوره في نفسه، هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة بحضرة النبي ﷺ، وهل استحضروا قولاً وقعدوا مجتمعين لاستماعه، لاشك بأنه ينكر ذلك من حال الرسول ﷺ وأصحابه، ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما أهملوها»^(٣).

وقد ردّ في مصنفه « عوارف المعارف » حديث أنس رضي الله عنه في تواجد النبي ﷺ وأصحابه لما أنشد الأعرابي: قد لسعت حية الهوى كبدي -والذي استدل به الصوفية واحتجوا به على التواجد أثناء السماع- بقوله: « فهذا الحديث أوردناه مسنداً كما سمعناه ووجدناه، وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث، وما

(٤) عوارف المعارف ص(١٨٩).

(٥) الرسالة القشيرية ص(٥٦٥).

(٦) أولاس: حصن على ساحل بحر الشام من نواحي طرسوس، فيه حصن يسمى حصن الزهاد. انظر معجم البلدان (٢٨٢/١).

(٧) تلبيس إبليس ص(٢٥٠).

(١) الرسالة القشيرية ص(٥١٩).

(٢) الغنية لطالبي طريق الحق، عبدالقادر الجيلاني (المكتبة الشعبية) (١٦٧/٢).

(٣) عوارف المعارف ص(١٧٥).

والجيف»^(٤).

هذه بعض أقوال أئمة ومشايخ الصوفية على أتباعهم فياليت صوفية هذا الزمان، يستجيبون لكلام هؤلاء الأئمة الكبار، ويتركون هذا السماع ومتولداته من الصعق، والرقص، والزعق، وتمزيق الثياب وغيرها، ويتركون الذكر المصاحب للطليل والمزمار والرقص والمعازف؛ بل ومصاحبة المردان، والاختلاط أحياناً بالنساء الأجنيات، نعوذ بالله من البدع والفتن.

ثانياً: التكاليف الشرعية:

يزعم الصوفية أن هنالك مرتبة إذا وصلها العابد الصوفي، سقطت عنه التكاليف الشرعية، وحلت له المحرمات.

ودعوى الوصول عند الصوفية، يتأولون بها قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] أي تصل إلى مقام المكاشفة، فعندئذ تسقط وترفع عنك التكاليف الشرعية، حتى قالوا: إن العبد إذا بلغ غاية المحبة وصفا قلبه من الغفلة، واختار الإيمان على الكفر، سقط عنه الأمر والنهي، ولا يدخله الله النار بارتكاب الكبائر، وتسقط عنه العبادات الظاهرة وتكون عبادته التفكير^(٥).

يقول القشيري في تفسير الآية: "الترم شرائط العبودية إلى أن ترقى بل تُكْفَى بصفات الحرية"^(٦).

وعدَّ الطوسي -صاحب «اللمع» وهو أحد أئمتهم الكبار- أن هذا السماع هو سماع أهل الباطل فهو يقول: «سماع الأوتار والمزامير والمعازف والكونة والطليل سماع أهل الباطل، وهو المحذور المنهي عنه بالأخبار الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ»^(١).

وقال أبو محمد الجريدي وهو من أكابر مشايخ الصوفية: «من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات محصوراً في سجون الهوى فحرم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلام الحق تعالى، ولا يستحليه، وإن كثر ترداده على لسانه»، وذكر عند بعض العارفين أصحاب القوائد فقال: هؤلاء الفرّارون من الله لو ناصحوا الله وصدقوا لأفادهم في سرائرهم ما يشغلهم عن كثرة التلاقي»^(٢).

وقد ردَّ القشيري أحد أئمة الصوفية على غلاتهم في مسألة جواز النظر إلى الأورد وقال قولاً عظيماً في الرد عليهم وكشف فضائهم قائلاً: «ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فهو عبد أهانه الله وخذله وكشف عورته، وأبدى سواته في العاجل وله عند الله سوء المنقلب في الآجل»^(٣).

وهذا الواسطي وهو من كبار الصوفية يقول: «إذا أراد الله تعالى هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان

(١) اللمع للطوسي ص(٣٤٨).

(٢) الرسالة القشيرية ص(٩٥-٩٦)، وانظر نزهة الأسماع في مسألة السماع، لابن رجب الحنبلي، تحقيق الوليد الفريان، ط١، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ، ص(١٠١).

(٣) الرسالة القشيرية ص(٥٧٧).

(٤) الرسالة القشيرية ص(٥٧٧).

(٥) انظر: إتحاف السادة المتقين ٢/٢٨٤. ولا شك أن ذلك - والعياذ بالله - كفر وزندقة وتفسير للآية على غير مرادها عند السلف الصالح وهو (الموت).

(٦) لطائف الإشارات للقشيري. قدم له وحققه وعلق عليه د. إبراهيم

هذا في شهر رمضان^(٥).

كما نقل عن رجل من المتصوفة، كان يحضر الملاهي، ويعمل عمل أهل البدع ويقول: هذا لا يؤثر ؛ لأنني وصلت إلى مقام لا يؤثر فيّ معه الاختلاف^(٦).

وقالوا بأن التكاليف الشرعية، من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، تسقط عن العبد وجوباً، أثناء خلوته واعتزاله الناس^(٧).

ونقل عن الشبلي قوله: "يا ويلاه إن صليت جددت، وإن لم أصل كفرت"^(٨). وتتضح دعوى إسقاط التكاليف ورفعها عنهم، من خلال هذه الأبيات الشعرية، لمحدثهم محمد بن طاهر المقدسي، الذي يقول فيها:

دع التصوف والزهد الذي اشتغلت به	جوارح أقوام من الناس
وعج على دير به الرهبان	ما بين قسيس وشماس
وأشرب معتقة من كف كافر	تسقيك خميرين بين لخط ومن
ثم استمع رنة الأوتار من رشأ	كأس
غني بشعر امرئ في البأس مشتهر	تسقيك طرفة أمضى من الماس
لولا نسيم بذكرامك يروحي	مدون عندهم في صدر قرطاس
	لكنت محترقاً من حر أنفاس ^(٩)

فالمقدسي هنا، يدعو إلى معايشة النصارى في أديرتهم، وتحليل شرب الخمر ونرى الصوفية، وهم يقللون من شأن العلوم الشرعية، ويغمزون العلماء،

ويقول أيضاً مؤكداً مزاعم الصوفية، رفع التكاليف الشرعية: " الكيس من كان يحكم وقته، إن كان وقته الصحو فقيامه بالشرعية وإن كان وقته المحو، فالغالب عليه أحكام الحقيقة^(١).

وعلى هذا القول، فإن العارف الصوفي في حالة المحو، ترفع عنه التكاليف الشرعية!!
لذا قال أحمد بن عطاء^(٢): "العارف لا تكليف عليه"^(٣).

وجعلت الصوفية التكاليف الشرعية من عبادات وغيرها، مقتصرة على علماء الشريعة -أهل السنة والجماعة- ويزعمون من وراء ذلك، عدم صلاحية قلوبهم لمعرفة الله!!
يقول أبو طالب المكي:

إنّ الله سبحانه أطلع على قلوب طائفة من عباده، فلم يرها تصلح لمعرفة، ولا موضعاً لمشاهدته، فرحمها، فوهب لها العبادات والأعمال الصالحة^(٤).
ومن صور خروجهم على الشريعة بحكم رفع التكاليف عنهم: ما نقل عن أبي يزيد البسطامي، أنه أخرج من كفه رغيفاً وأخذ في أكله في المدينة، وكان

بسيوني ط٢ (الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨١م) ٢٨٣/٢.

(١) الرسالة القشيرية ص ١١٨

(٢) أحمد بن عطاء: أبو العباس، أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء، من مشايخ الصوفية، توفي سنة تسع أو إحدى عشرة وثلثمائة من الهجرة. انظر: الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني، ١، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ، ٩٥/١.

(٣) الطبقات الكبرى ٩٦/١.

(٤) قوت القلوب، لأبي طالب، محمد المكي، القاهرة، مطبعة الأنوار المحمدية، ١٤٠٥هـ، ٦١/٢. يقصد بذلك أهل السنة والجماعة!!

(٥) انظر: كشف المحجوب ص ٧٨.

(٦) انظر: روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين. أحمد الوترى. ص ٥٣، والحلية ٣٥٦/١٠.

(٧) حياة القلوب بهامش قوت القلوب ١٠١/٢.

(٨) التعرف ص ١٦١.

(٩) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان أبي المظفر، يوسف بن الجوزي، تحقيق ودراسة د. مسفر الغامدي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ، ٥٨٥/٢.

وهكذا فالروايات والحكايات، حول زعم الصوفية رفع التكاليف الشرعية عنهم كثيرة، تنتسخ من خلال تراجم ساداتهم وكبرائهم، وهكذا تبين لنا كيف ادعى الصوفية، سقوط التكاليف من صلاة، وصيام، واستباحة للمحرّمات، بدعوى وصولهم إلى مقام اليقين المزعوم.

موقف الصوفية المعتدلين:

شطحات المتصوفية، لم تجد قبولاً حتى لدى بعض مشايخ وأئمة الصوفية، ومن باب الأمانة العلمية، ومن الأهمية بمكان بيان أقوالهم في هذا الشأن، من باب إجماع الخصم وإقامة الحجة عليه، بشهادات أهله.

لذا رأيت أن أفرد أقوال هؤلاء الأئمة والمشايخ والسادات الصوفية في هذا الجزء الخاص بهم في هذا البحث، لتكون شهادات موثقة للتاريخ من باب أن الحكمة ضالة المؤمن أنا وجدها فهو أحق بها.

يقول الغزالي - وهو أحد أئمتهم الكبار وهو المرجع المعتبر لديهم-: « ومن هؤلاء طائفة ظنت أن المقصود من العبادات المجاهدة، حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى، فإذا حصلت المعرفة فقد وصل، وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة، فتركوا السعي والعبادات، وزعموا أنه ارتفع محلهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف، وإنما

ويحاولون بوسائل شتى، صدّ المريدين عن طلب العلم الشرعي.

فقد نقل أبو طالب المكي، عن الحسن بن علي الدامغاني^(١) قوله: " كان رجل من أهل بسطام^(٢) لا ينقطع عن مجلس أبي يزيد البسطامي، ولا يفارقه، فقال له ذات يوم: يا أستاذ، منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر، وأقوم الليل لا أنام، ولا أجد في قلبي شيئاً من العلم الذي تذكر، وأنا أصدق به وأحبه، فقال له أبو يزيد: لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ليلتها ما وجدت من هذا ذرة. قال: ولم؟ قال: لأنك محجوب بنفسك، قال: أفلهذا دواء؟ قال: نعم قال: قل لي حتى أعلمه، قال: لا تقبل، قال فأذكره لي قال: اذهب الساعة إلى المزين واحلق رأسك ولحيتك!! وانزع هذا اللباس، واتزر بعباءة، وعلّق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً واجمع الصبيان حولك، وقل كل من صفعني صفقة أعطيته جوزة، وأدخل الأسواق كلها عند من يعرفك وأنت على ذلك، فقال الرجل: سبحان الله، تقول لي مثل هذا. فقال أبو يزيد: قولك سبحانه الله شرك، قال كيف؟ قال لأنك عظمت نفسك. فسبحتها، قال: هذا لا أفعله، ولكن دنني على غيره قال: ابتدئ بهذا قبل كل شيء، فقال: لا أطيقه، فقال: قد قلت لك أنك لا تقبل"^(٣).

(١) لم أقف له على ترجمة فيما لديّ من مراجع.

(٢) بسطام: بالكسر ثم السكون، بلدة كبيرة بقومس على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان، منها أبو يزيد البسطامي. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩ هـ، ٤٢١/١.

(٣) قوت القلوب ٨٦/٢، والنور من كلمات أبي طيفور، للسلاجي،

ضمن كتاب شطحيات الصوفية، عبدالرحمن بدوي، ط٢، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٦م، ص ٢١٢-١١٣.

التكاليف على عوام الخلق»^(١).

على سبيل الإنكار على الصوفية، يقول القشيري - وهو من كبار أئمتهم ومشايخهم: «وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدّوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ورفضوا التميز بين الحلال والحرام، ودانوا ترك الاحترام، وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا في ميدان الغفلات وركنوا إلى اتباع الشهوات. وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والإنفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان، وأصحاب السلطان، ثم لم يرضوا بما تعاطوا من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادّعوا أنهم تجرّدوا عن رق الأغلال، وتحققوا الوصال، وأنهم قائمون بالحق تجري عليهم أحكامه، وهم محو، وليس لله عليهم فيما يؤثرون به ويذرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحذية، واختطفوا عنهم باب الكلية، وزالت عنهم أحكام الشريعة»^(٢).

وقد رفض الجنيد - وهو سيد الطائفة عندهم - الفصل بين المعرفة والعبادة، فقد روى أنه ذكر رجل المعرفة وقال: أهل المعرفة بالله -يعني الصوفية- يصلون إلى ترك الحرمان، من باب البر والتقرب إلى الله تعالى.

فردّ الجنيد على ذلك بقوله: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهي عندي عظيمة، والذي يسرق

ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، فإن العارفين لله تعالى، أخذوا عن الله تعالى، وإليه رجعوا فيها^(٣). كما رد السهرودي في عوارفه -وهو من أئمتهم الكبار-، مزاعم الصوفية في إسقاط التكاليف عنهم بقوله: «فقوم من المفتونين سمّوا أنفسهم ملامتية، ولبسوا لبسة الصوفية لينتسبوا بها إلى الصوفية، وما هم من الصوفية بشيء، بل هم في غرور وغلط، يتسترون بلبسة الصوفية توقيتاً تارة، وينتهجون مناهج أهل الإباحة، ويزعمون أن ضمائرهم خلصت إلى الله تعالى، ويقولون: هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسيم الشريعة رتبة العوام، والقاصدين الأفهام المنحصرين في مضيق الاقتداء تقليداً، وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والأبعاد، فكل حقيقة ردتها الشريعة، فهي زندقة، وجهل هؤلاء المغرورون أن الشريعة حق العبودية، والحقيقة هي حقيقة العبودية، ومن صار من أهل الحقيقة تقيّد بحقوق العبودية، وصار مطالباً بأمور وزيادات بها من لم يصل إلى ذلك، لا أنه يخلع عن عنقه ربة التكليف ويخامر باطنه الزيغ والتحريف... ومنهم من يستبح النظر إلى المستحسّنات»^(٤).

ويقول الطوسي -وهو من كبار مشايخهم-: «زعمت الفرقة الضالة في الحظر والإباحة، أن الأشياء في الأصل مباحة، وإنما رفع الحظر

(٣) الرسالة القشيرية ص(٨٧). طبقات الصوفية ص(٣٦-٣٧)، وعوارف المعارف، عمر السهرودي، القاهرة، مكتبة القاهرة، ١٣٩٣هـ ص(٧٧-٧٨).

(٤) عوارف المعارف (٧٦-٧٧، ٧٨).

(١) الإحياء (٣/٢٣٠).

(٢) الرسالة القشيرية ص(٢٠-٢١).

والاغترار بالله، والخروج من الملة، وترك الحدود والأحكام والحلال والحرام»^(٢).

كما أنكر عليهم الجنيد -وهو سيد الطائفة عندهم-، عندما سئل عن قوم يقولون بإسقاط التكليف، ويزعمون أن التكليف، إنما كانت وسيلة إلى الوصول، وقد وصلنا، فقال: صدقوا في الوصول ولكن إلى سقر^(٣).

نستطيع الرد على القوم بكلام إمام ممتد يدعون أنه من أئمتهم، فقد أنكر عبدالقادر الجيلاني على معتقد غلاة الصوفية، وزعمهم أن التكليف الشرعية تسقط عن السالك في حال من الأحوال، ووصفهم رحمهم الله بالزندقة فقال: «ترك العبادات المفروضات زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال»^(٤).

كما وقف في وجه هذه الدعوى الباطلة، وذلك عندما زعم له الشيطان بأنه الله وأنه رفع عنه التكليف، فسارع -رحمه الله- إلى تكذيبه، ولسان حاله يقول: إن التكليف لم يرفع عن الرسول ﷺ فكيف يرفع عني؟!^(٥).

كما أنكر عليهم الغزالي -من كبار أئمتهم- اعتقادهم بإسقاط التكليف الشرعية قائلاً: «... وفرقة وقعت

للتعدي، فإذا لم يقع التعدي، تكون الأشياء على أصلها من الإباحة وتأولوا قول الله ﷻ: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَكْهَةً وَأَبَا ۝٣١ مَتَعًا لَكُمْ ۚ وَلَا نَعْمَكُمُ ۝٣٢﴾ [عبس: ٢٧، ٣٢] قالوا: هذا على الجملة غير مفصل، فاداهم ذلك بجهلهم إلى أن طمعت نفوسهم بأن المحظور الممنوع منه المسلمون: مباح لهم، إذا لم يتعد ما في تناوله؛ وإنما غلطوا في ذلك بدقيقة خفيت عليهم من جهلهم بالأصول، وقلة حظهم من علم الشريعة، ومتابعتهم شهوات النفس في ذلك ... فظنت هذه الطائفة الضالة بالإباحة لأن ذلك كان منهم على كل حال، جاز لهم ترك الحدود، أو أن يجاوزوا حد متابعة الأمر والنهي، فوقعوا من جهلهم في النية، وتاهوا وطلبوا ما مالت إليه نفوسهم من اتباع الشهوات، وتناول المحظورات، تأويلًا وحيلاً، وكذباً وتمويهاً»^(١).

ويقول السهروردي -وهو من كبار مشايخهم- على سبيل الإنكار عليهم في اعتقادهم بسقوط التكليف: «ومن أولئك قوم يزعمون أنهم يغرقون في بحار التوحيد، ولا يثبتون، ويسقطون لنفوسهم حركة وفعلاً، ويزعمون أنهم مجبورون على الأشياء، وأن لا يقل لهم مع فعل الله، ويسترسلون في المعاصي، وكل ما تدعو النفس إليه، ويركنون إلى البطالة، ودوام الغفلة،

(٢) عوارف المعارف ص(٧٩).

(٣) انظر: البواقيت والجواهر، عبدالوهاب الشعراني، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٨هـ (١/٥١).

(٤) الفتح الرباني والفيض الرحماني، عبدالقادر الجيلاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ ص(٤٠).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى، عبدالوهاب الشعراني، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ (١/١٢٧).

(١) اللع في التصوف، لأبي السراج الطوسي، تحقيق د. عبدالحليم محمود، مصر، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٠هـ ص(٥٣٨-٥٣٩).

اقتداء، وزال الورع وطوى بساطه، واشتد الطمع وقوي رباطه، وابتعدت عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، كما استخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة... وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال... وليس لله عليهم فيما يؤثره أو يذرونه عتب ولا لوم»^(٣).

ومن جمهور الصوفية من يقرر أن التكاليف الشرعية لا تسقط عن المكلف بأي حال من الأحوال، حتى ولو بلغ درجة الوصول كما يزعمون! بل أن الوقوف عند حدود الشريعة والتمسك بأحكامها، هو المقياس الذي يحكم به على صدق الصوفي الواصل مهما ظهرت عليه من كرامات وأحوال، وفي ذلك يقول أبويزيد البسطامي صاحب الشطحات المعروفة: «لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى ارتقى في الهواء فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة»^(٤).

ونجد البعض يشدد في هذا الأمر إلى درجة أنهم يعتبرون أن من أخلَّ بفريضة من الفرائض أو ضيعها، يوشك أن يضيع دينه، ويسقط في مهاوي البدعة، وفي هذا الشأن يقول أحدهم وهو أبو محمد عبدالله بن منازل: «لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله تعالى بتضييع السنن، ولم ييل أحد بتضييع السنن، إلا أوشك أن يبتلى بالبدع

في الإباحة وطووا بساط الشرع، ورفضوا الأحكام وسوّوا بين الحلال والحرام، فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي، فلم أتعب نفسي...، ويزعمون أنهم قد ترقّوا عن رتبة العوام، واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية، وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة... وذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها»^(١).

وحمل على هؤلاء المبتدعة وكفرهم وحثّ على قتلهم وتطهير المجتمع الإسلامي منهم قائلاً: «ومن جنس ذلك ما يدعيه بعض من يدعي التصوف أنه قد بلغ حاله بينه وبين الله أسقطت عنه الصلاة وحلّ له شرب الخمر والمعاصي وأكل مال السلطان، فهذا ممن لا شك في وجوب قتله، وإن كان في الحكم بخلوده في النار نظر وقتل مثل هذا أفضل من قتل مائة كافر إذ ضرره في الدين أعظم وينفتح باب من الإباحة لا ينسد»^(٢).

وقد بين القشيري حال هذه الطائفة فقال: «ثم اعلموا رحمكم الله، أن أكثر المحققين من هذه الطائفة، انقرض أكثرهم ولم يبق في زماننا هذا، من هذه الطائفة إلا أثرهم».

ثم قال: «... وقد حصل الضعف في هذه الطريقة، لا بل اندرست، وقد مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء، وقل الشباب الذين كان لهم بسيرهم وسنتهم

(١) الإحياء (٤٠٥/٣).

(٢) (فصل التفرقة بين الإسلام والزندقة). أبو حامد الغزالي. اعتناء بطبعه وتصحيحه وبعض التعليقات عليه. مصطفى القباني الدمشقي

ط (مصر: مطبعة الترقى-١٣١٩هـ) ص (٦٠).

(٣) القشيرية ص (٣٦، ٣٧).

(٤) الرسائل القشيرية ص (١٤).

«(١).

الخاتمة

الحمد لله الذي يستر، ووفق، وأعان على إتمام هذا البحث، بهذه الصورة التي أرجو أن أكون قد وفقت في بيان المطلوب على وجه الحق.

وبعد فهذه أهم النتائج والتوصيات، التي توصلت لها بهذا البحث؛ فقد وقفت على تعريف الصوفية في اللغة، وفي الاصطلاح عند الصوفية، وعند غيرهم من العلماء، والمؤرخين المهتمين في دراسة الفرق والطوائف في تاريخ المسلمين، وقد تبين، لي اختلاف الصوفية وأهل العلم في تحديد معنى التصوف، إلى أقوال متعددة ومتباينة، إلا أن نسبتهم إلى الصوف هو الأقرب، كما سبق بيانه، ومع ذلك لا يمكن ترجيح أي من التعاريف الاصطلاحية للتصوف، لأن تعاريف الصوفية للتصوف، يكتنفها الغموض، وتطغى عليها الإشارات والعبارات العامة.

وعرّفت السماع، وعرضت بعض الأقوال والبدع فيه، من خلال أقوال الصوفية أنفسهم ومن كتبهم المعتبرة، ثم أعقبته ذلك بموقف الصوفية المعتدلين، الناقد والمنكر لسلوكيات المتصوفة مع السماع ومع متولداته.

بعد ذلك عرضت أقوال المتصوفة ودعاواهم حول إسقاط التكاليف والأحكام الشرعية، بدعوى بلوغهم لدرجة اليقين، الذي فهموه على غير مراد الشارع

الحكيم له، وهو (الموت) ثم أعقبته ذلك بأقوال مشايخ وأئمة الصوفية المنكرة لدعاوى أتباعهم، حتى تقوم الحجة عليهم.

ولعلي في هذه الخاتمة أشير إلى أشهر هؤلاء المعتدلين من الصوفية، الذين أنكروا، وردوا على بدع أقوامهم في دعاوى السماع، وإسقاط التكاليف، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

الروذباري من كبار الصوفية.

الجنيد، المسمى عندهم بسيد الطائفة.

عبدالقادر الجيلاني، من كبار مشايخ الصوفية.

السهروردي، من كبار أئمة الصوفية ومصنفيهم.

الطوسي، أحد أئمة الصوفية ومصنفيهم.

القشيري، أحد كبار أئمة الصوفية ومصنفيهم.

الغزالي، من كبار أئمة الصوفية ومصنفيهم.

وفي الختام، أرجو من أتباع الصوفية، لاسيما في هذا العصر؛ الاقتداء بهؤلاء المعتدلين منهم، وهم

كبار، ومشايخ، وأئمة، ومصنفين، لهم اعتبارهم.

والله الهادي إلى سواء السبيل

وصلى الله على نبينا محمد

المراجع

فهرس المراجع والمصادر

١- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، بيروت، دار المعرفة.

٢- آداب المريدين، للسهروردي، تحقيق فهم شلتوت، القاهرة، دار الوطن العربي.

٣- الأعلام خير الدين الزركلي ط ١٠ (بيروت:

(١) الرسائل القشيرية ص (٢٦).

- دار العلم للملايين، ١٩٩٢م).
 ٤- البداية والنهاية (بيروت: دار الفكر) بدون طبعة وسنة نشره).
 ٥- تاريخ الفكر العربي د. عمر فرّوخ (بيروت: دار العلم للملايين - ١٣٩٢هـ).
 ٦- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - ١٣٧٧هـ).
 ٧- التعرف لمذهب أهل التصوّف. أبي بكر محمد الكلاباذي ط٣ (المكتبة الأزهرية للتراث - ١٤١٢هـ).
 ٨- التعرف لمذهب أهل التصوف، أبي بكر، محمد الكلاباذي، ضبطه وعلق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.
 ٩- تلبيس إبليس عبدالرحمن بن الجوزي. تحقيق د. السيد الجميلي. ط٦ (بيروت: دار الكتاب العربي - ١٤١٣هـ)
 ١٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني. (بيروت: دار الفكر ١٤١٦هـ).
 ١١- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، تخريج أحاديث أبوحازم أسامة بن حسن، وأبوالزهراء علي بهجت ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية-١٤٠٧هـ).
 ١٢- الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبدالكريم القشيري، تحقيق ودراسة هاني الحاج، المكتبة التوفيقية.
 ١٣- الرهص والرقص لمستحل الرقص، إبراهيم محمد الحلبي، دراسة وتحقيق وضبط وتعليق د. صالح السدلان ط١ (الرياض: دار طيبة - ١٤١٠هـ).
 ١٤- روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين. أحمد الوتري.
 ١٥- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة.
 ١٦- شذرات الذهب لأبي الفلاح عبدالحق بن العماد الحنبلي ط٢ (بيروت: دار المسيرة، ١٣٩٩هـ).
 ١٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري تحقيق أحمد عبدالغفار عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٨٦هـ.
 ١٨- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، استانبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.
 ١٩- صفة الصفوة لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري. تخريج أحاديثه د. محمد رواس قلجعي. ط٢ (بيروت: دار المعرفة - ١٣٩٩هـ) طبقات الصوفية. أبي عبدالرحمن السلمي. ترتيب أحمد الشرباصي (مطابع الشعب - ١٣٨٠هـ).
 ٢٠- صفوة التصوّف لابن طاهر المقدسي نقلا عن كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تقديم وتحقيق وتخريج د. عبد الله الطريقي، ط١ (١٤١١هـ).

- ٢١- الصوفية والفقراء، ابن تيمية، تقديم د. محمد جميل غازي، جدة، مكتبة المدني ومطبعتها.
- ٢٢- الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ.
- ٢٣- ظهر الإسلام، أحمد أمين، ط٣، بيروت.
- ٢٤- عوارف المعارف. عمر بن محمد السهروردي (القاهرة: مكتبة القاهرة - ١٣٩٣هـ) ص ٦٢، رقم الطبعة بدون.
- ٢٥- الغنية لطالبي طريق الحق، عبدالقادر الجيلاني (المكتبة الشعبية).
- ٢٦- الفتح الرباني والفيض الرحماني، عبدالقادر الجيلاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.
- ٢٧- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (مطبعة معارف لاهور - ١٣٩٧هـ).
- ٢٨- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة. أبو حامد الغزالي. اعتناء بطبعه وتصحيحه وبعض التعليقات عليه. مصطفى القباني الدمشقي ط١ (مصر: مطبعة الترقى-١٣١٩هـ).
- ٢٩- قراءة في مؤلفات ابن الجوزي، د: ناجية عبدالله إبراهيم (بغداد: منشورات وتوزيع المكتبة العالمية-١٩٨٧م).
- ٣٠- قوت القلوب، لأبي طالب، محمد المكي، القاهرة، مطبعة الأنوار المحمدية، ١٤٠٥هـ.
- ٣١- كتاب السماع، محمد بن طاهر المقدسي، تحقيق أبو الوفاء المراغي (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي - ١٤١٥هـ).
- ٣٢- كشف المحجوب. علي بن عثمان الهجويري. دراسة وتعليق د. إسعاد عبدالهادي قنديل مراجعة د. أمين عبدالمجيد بدوي (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر - ١٩٨٠).
- ٣٣- لسان العرب، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٤١٨هـ.
- ٣٤- لطائف الإشارات للقشيري. قدم له وحققه وعلق عليه د. إبراهيم بسيوني ط٢ (الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨١م).
- ٣٥- اللمع في التصوف، لأبي نصر عبدالله الطوسي، تحقيق عبدالحليم محمود، مصر، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٠هـ.
- ٣٦- مجلة الهلال، يونيه ١٩٨٥م، ١٢ رمضان ١٤٠٥هـ.
- ٣٧- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة خادم الحرمين الشريفين. إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين).
- ٣٨- مختار الصحاح للرازي، ترتيب محمود خاطر، وتحقيق وضبط حمزة فتح الله، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.
- ٣٩- مرآة الجنان تأليف عبدالله الياضي ط٢ (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ).
- ٤٠- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان أبي المظفر، يوسف بن الجوزي، تحقيق ودراسة د. مسفر الغامدي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ.

- ٤١- مسند الإمام أحمد: بيروت، دار صادر.
- ٤٢- المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، صادق سليم صادق، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ.
- ٤٣- معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ.
- ٤٤- المعجم الصافي في اللغة العربية. صالح أبي الصالح وأمينة الشيخ سليمان الأحمد ط١ (١٤٠٩هـ).
- ٤٥- معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس، حققه شهاب الدين أبو عمرو، (بيروت، دار الفكر ١٤١٨هـ).
- ٤٦- معجم مقاييس اللغة: أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبدالسلام هارون، ط٢(مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٠هـ).
- ٤٧- مقدّمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ط٦، بيروت، دار القلم، ١٤٠٦هـ.
- ٤٨- الموسوعة الصوفية. د. عبدالمنعم الحنفي ط١ (القاهرة: دار الرشاد - ١٤١٢هـ).
- ٤٩- مؤلفات ابن الجوزي، عبدالحميد العلوجي ط١(الكويت، مركز المخطوطات-١٤١٢هـ).
- ٥٠- نزهة الأسماع في مسألة السماع، لابن رجب الحنبلي، تحقيق الوليد الفريان، ط١، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ.
- ٥١- النور من كلمات أبي طيفور، للسهلجي، ، ضمن كتاب شطحات الصوفية، عبدالرحمن بدوي، ط٢، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٦م.
- ٥٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٦٩م).
- ٥٣- اليواقيت والجواهر، عبدالوهاب الشعراني، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٨هـ.

Moderate Sufis

Dr. Mohammed bin Ahmed Aljwair
*Assistant professor in law school at Dar
Al Uloom University*

The aim of this research is to show the view of some of the Sufi imams, sheikhs and classifiers, who have denied the behaviors and heresies of Sufism in two important cases: (Alsmāa) and (dropping legal rulings)

In terms of justice and fairness, I evaluated that in this research, focus needs to be made on the views of these Sufis, who we think are moderate, and have rejected the claims of their yields, and denied them, by conveying their words from their books, the sayings of their sheikhs, and their imams, who denied their people, their practices, and their behaviors. In Alsmāa suits and their generators (dancing, skipping, screaming, shouting, slapping, tearing clothes, etc.). And to drop the legal rulings, until the argument is made against them,

And the monitoring of responses and denials of these Sufi sheikhs and imams, may have been informed through the guidance of their member

بُنْيَةُ اللُّغَةِ فِي الْخُطَابِ الْإِشْهَارِيِّ: مَقَارِبَةٌ لِسَانِيَّةٌ مَقَارِنَةٌ

أ.د. ناصر بن فرحان الحرّيص

أستاذ اللسانيات في قسم اللغة العربية وآدابها

بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية في جامعة القصيم*

مستخلص. تناقش الدراسة الحالية، في تأطير تطبيقي وتطبيقي، البنية اللغوية للخطاب الإشهاري في نسقه اللساني، شارحة أبرز معالمه في مستوياته اللغوية المتعددة التي تكشف عن قدرته على التكتيف اللغوي ودوره في توجيه دلالة النسق الإيقوني، المكون الثاني المهم من مكونات الخطاب الإشهاري. يكمن ذلك التوجيه الدلالي من خلال الوظيفتين المهمتين للنسق اللساني وهما: (أ) وظيفة الإرساء بعدم تجاوز حدود معينة في تأويل الصورة و(ب) وظيفة الدعم في انصهار المعنى اللغوي مع دلالة الصورة في شحنات دلالية متكاملة ومتفاعلة. وكلا الوظيفتين إرساءً وتدعيم لدور اللغة في كونها النسق الوحيد القادر على ضبط دلالات الصورة في النسق الأيقوني؛ لإنجاح البعد المقصدي للخطاب الإشهاري.

المقدمة

المنتج المشهّر (بوطيب ٢٠٠٣: ٣١٢)، بل أصبح وسيلة تواصلية منخرطة بشكل أعمق في تغيير المواقف وتشكيل القيم الاجتماعية والثقافية والسياسية وحتى النفسية (Dyer ١٩٩٥). وقد جعل اتساع

لم يعد الإشهار (Advertising)، في الوقت الحاضر، مجرد نمط تواصلية لترويج البضائع والسلع عبر إيصال معلومات نفعية إقناعية حول جدوى

* أنجزَ هذا البحث بدعم من عمادة البحث العلمي بجامعة القصيم تحت رقم (٣٧٢٦) خلال السنة الأكاديمية ١٤٣٩-١٤٤٠هـ. والباحث ينتهز الفرصة هنا؛ ليقدم للعمادة الشكر على دعمها وتفعيلها بيئة البحث العلمي في الجامعة.

This research was supported by a grant (n.3726) from Deanship of Scientific Research at Qassim University during the academic year 2019.

البريد الإلكتروني: nassser-alhorais@qu.edu.sa

الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية؛ إذ على الرغم من تعدد الدراسات اللسانية الغربية بالفرنسية والإنجليزية المقاربة للخطاب الإشهاري في بنيتها اللغوية المكونة لنسقه اللساني، إلا أن مثيلاتها في الدرس اللساني العربي الحديث قليلة جدًا، ولا تعطي تصورًا واضحًا عمليًا عن البنية اللغوية لهذا النسق؛ فجل ما كتب يغيب عنه التنظير والتأطير الملم بأبعاد النسق اللساني في بعده اللغوي مقارنة بما كتب بعمق عن الجانب الآخر له، أعني ما يخص خصائصه السيميائية والتداولية. يأتي في مقدمة تلك الدراسات الكتاب الذي ألفه سعيد بنكراد (٢٠٠٦) حول "سميائيات الصورة الإشهارية"، وكتابه الآخر (٢٠١٧): "بين اللفظ والصورة: تعددية الحقائق وفرجة الممكن". ومن بين الدراسات في هذا الحقل، أيضًا، ما نجده عند عبد الكريم مرتاض (٢٠٠٨) في دراسته حول "المقاربة السيميائية لتحليل الخطاب الإشهاري"، وكذلك عند يامن عيسى خضور (٢٠١١) في دراسته الموسومة: "الخطاب الإشهاري: دراسة سيميائية معمقة"، وعند فتحية العقاب (٢٠١٤) في بحثها حول "فنية فاعلية العلامات في الخطاب الإشهاري: دراسة سيميائية لتفكيك الخطاب الإشهاري". أما فيما يخص المقاربة التداولية للخطاب الإشهاري، فمن أبرز ما كتب حولها بعمق دراسة بشير إبرير (٢٠٠٥): "قوة التواصل في الخطاب الإشهاري: دراسة في ضوء

مفهوم الإشهار إلى هذا الحد بعض الباحثين يقترح تعريفًا أشمل له؛ ليكون، وفقًا لـ Qraw Walter، "فن إغراء الأفراد على السلوك بطريقة معينة" (نقلا عن دفة ٢٠١٤: ٥٠).^١

يمكن تقسيم الخطاب الإشهاري إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي (El-daly ٢٠١١: ٢٥): (أ) الإشهار الاستهلاكي الذي يوجه عادة للترويج لبعض المنتجات أو الخدمات للمستهلكين، و (ب) الإشهار التجاري الذي يستهدف التجار ورجال الأعمال ويستخدم المطبوعات الصحفية ووسائل الإعلام للوصول لهذه الفئة، وأخيرًا (ج) إشهار العلاقات العامة، والموجه نحو المجتمع بشتى أطيافه من مواطنين وجماعات حزبية وسياسية من أجل تعزيز قضايا المجتمع أو تدعيم أجندة سياسية معينة. وتقوم بنية اللغة في الخطاب الإشهاري بأنواعه الثلاثة السابقة على نسقين أساسيين هما (نوسي 1991، خضور ٢٠١١): (أ) النسق اللساني و (ب) النسق الأيقوني. يتمحور الأول حول دراسة المستويات الصوتية والصرفية والمعجمية والتركييبية والدلالات الناتجة عن هذه المستويات كلها، لكي تخدم بدورها النسق الأيقوني في توجيه القارئ نحو قراءة محددة وربط لمختلف مقاطعه وأبعاده، لاسيما عندما يتعلق الأمر بصورة ثابتة.

تندرج الدراسة الحالية في سياق تقديم دراسة عن البنية اللغوية في النسق اللساني في جميع مستوياتها:

كاتبته Elena Romanenko (٢٠١٤). في كلتا الدراستين مراجعة شاملة لتعريفات اقترحت في القديم والحديث حول مفهوم الخطاب الإشهاري (ينظر قائمة المراجع).

^١ كثيرة هي الدراسات التي حاولت تقديم تعريف للخطاب الإشهاري سواء كانت تلك الدراسات عربية أو غربية. ينظر في الأولى على سبيل المثال ما كتبه هامل شيخ في دراسته حول مفهوم الإشهار (٢٠١٥)، وفي الثانية ما

السانيات التداولية^٢.

ولكي تحقق الدراسة الحالية هدفها الرئيس في تقديم دراسة حول البنية اللغوية للنسق اللساني، فقد قُسمت مباحثها إلى خمسة مباحث رئيسة. يتناول المبحث الأول-باختصار- أهمية النسق الأيقوني وعلاقته بالنسق اللساني. ويناقش المبحث الثاني الإشهار بوصفه خطابًا منفردًا، عن غيره من أنواع الخطابات الأخرى، ببناء خاص تتضافر فيه مختلف مكوناته التعبيرية بقصد تبليغ رسالة محددة، بينما يلقي المبحث الثالث الضوء على عناصر الخطاب الإشهاري؛ ليبين البنية التكوينية للخطاب الإشهاري التي هي في الأصل بنية لسانية، أو بالأحرى نسق لساني يؤهل المتلقي أن يتعامل مع هذا النوع من الخطاب وفق ما يؤديه من معان وأبعاد. بعد التوطئة بهذه المباحث الثلاثة، يأتي المبحث الرابع، الذي عليه مدار البحث، ليناقد المستويات اللغوية لبنية النسق اللساني المكونة للخطاب الإشهاري في تأطير تنظيري وتطبيقي لأهم مفاصل تلك المستويات مع الإفادة من الآراء التي تناولت الخطاب الإشهاري في بنيته اللغوية في اللغات الأخرى، وتحديدًا اللغة الإنجليزية. وأخيرًا، تأتي خاتمة البحث، المبحث الخامس، لتلخص فكرة البحث وأهم نتائجه.

١. النسق الأيقوني وعلاقته بالنسق اللساني

مع أهمية النسق اللساني، فإنها تبقى أقل حضورًا أمام أهمية النسق الأيقوني؛ إذ لبلاغة الصورة التأثير الأكبر في نفس المتلقي^٣. ووفقًا لدفه بلقاسم (٢٠١٤: ٥٤)، وانظر بنكراد (٢٠٠٠: ١٠٥-١٠٦) يعود ذلك إلى تعدد وظائف النسق الأيقوني التي من أبرزها: أ. الوظيفة الإيحائية: تعد الصورة الإشهارية تعبيرًا يغازل الوجدان، ويغذي التخيلات والأحلام؛ لأن هذه الوظيفة عالم مفتوح على مصراعيه لكل التصورات والتأويلات، وهي تحاور المشاعر، وتوحي بمشاعر وأحاسيس تختلف في طبيعتها من متلقٍ إلى آخر. ب. الوظيفة الجمالية: تهدف إلى إثارة ذوق المتلقي بغية اقتراح انطباعه على المنتج. ج. الوظيفة التوجيهية: تعد الصورة في هذه الحالة فضاء مفتوحًا على كل الأصعدة والتأويلات؛ لذا تأتي في أغلب الأحيان مرفقة بتعليق لغوي، قد يطول أو يقصر بحسب الموضوع، وحال المتلقي. وفي هذا الجانب تحيلنا الصورة على قراءة النص الذي يبيث فيه الناص أو الداعي أفكاره وتعليقاته. د. الوظيفة التمثيلية: تقدم الأشياء والأشخاص في أبعادها وصورها بدقة متناهية، الأمر الذي تعجز عنه الألسنة في كثير من المواقف، أي: إنها تظل المرجع الأول والأخير الذي يصير فيه النص

منشورات الكلية نفسها، بينما صدر الجزء الآخر عن دار التوحيدي للنشر والتوزيع، عام ٢٠١١م، وكلا الجزأين بتنسيق وإعداد محمد الداوي.
^٣ وهذا -ربما- الذي يجعل المتلقين نادرا ما يفكرون في طبيعة الإشهار بوصفه شكلاً من أشكال الخطاب أو آلية من آليات استخدام اللغة (Romanenko ٢٠١٤).

^٢ من الدراسات الشاملة والمعقدة حول كثير من قضايا الإشهار، رغم غياب غياب دراسة البنية اللغوية تنظريًا-الدارسة التي ظهرت في جزأين حول: (آليات الخطاب الإشهاري ورهاناته)، والتي كانت في أصلها ثمرة ندوة دولية نظمت برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق-الدار البيضاء (المغرب) في ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ مارس ٢٠٠٩م. خرج الجزء الأول ضمن

الخطاب الإشهاري، مادامت الصورة، على غناها التواصلي تظل مجرد رسالة بصرية قاصرة عن أداء بعض المهام التعبيرية ما لم تستعن باللغة. وفي المقابل نجد الشيء نفسه عندما يلجأ النص أحياناً للصورة لإظهار ما يعجز عن تبليغه.

مما مضى، يتضح لنا أهمية النسق اللساني في تكوين الخطاب الإشهاري؛ إذ لقدراته التواصلية الخاصة دور كبير في "تحسين القراءة من كل انزلاق تأويلي محتمل من شأنه الإخلال بالهدف الأساسي للصورة" (بوطيب ٢٠٠٣: ٣٢٢).

2. الإشهار بوصفه خطاباً

يأتي اهتمام اللسانيات بالإشهار بوصفه خطاباً^٥ يندرج ضمن الممارسات الثقافية اليومية كالخطاب الأدبي والسينمائي والثقافي والنقدي... الخ؛ وذلك لأن الإشهار في طابعه الخطابي يتعدى تأثيره بنية اللغة ونمط أسلوب الحياة إلى التأثير على نمط التواصل لينقله من تواصل روتيني يومي إلى فعل تواصلي متبادل يقوم على المرسل والمتلقي والرسالة في تكوين معين ودلالة مخصوصة يمتاز فيهما عن سائر أنواع الخطاب الأخرى كالسردية و الوصفية و الطلبية والتفسيرية ، وإن تقاطع معها في بعض البنى والسمات (بوقرة ٢٠٠٨: ١٢١)^٦. كما يعد الخطاب الإشهاري

مجسداً، إذ إن المتلقي يروح ويغدو بين النص والصورة؛ ليبقى ذهنه معلقاً بهذه الأخيرة.

هـ. الوظيفة الدلالية: إن الوظائف الأربعة السالفة الذكر تتضافر جميعها لإنشاء عالم دلالي معين. وهذه الدلالة تأتي نتيجة التأمل الذي أثبتته الصورة لدى المتلقي^٤.

وعلى الرغم من أهمية النسق الأيقوني يبقى للنسق اللساني دوره المهم والمحوري في ضبط آليات اشتغال اللغة لموازرة النسق الأيقوني وذلك من خلال وظيفتين أساسيتين ذكرهما رولان بارت في دراسته الرائدة حول (بلاغة الصورة) (نقلا عن بوطيب ٢٠٠٣: ٣٢٣-٣٢٤):

(أ) وظيفة الإرساء أو الشرح، وتتمثل في العمل على توقيف مسيرة تدفق معاني الصورة، والحد من تعددها الدلالي عن طريق ترجيح أو تعيين تأويل بعينه، كما يحدث عادة في الإشهار الصحافي مثلاً، حيث ترتهن وظيفة الرسالة اللغوية بتوضيح الصورة وحصر كثافتها الإيحائية: (ففي هذا المستوى، إذن، تقوم اللغة بوظيفة تحديد المعنى الأيقوني الصريح؛ لنقادي أخطاء التعيين).

(ب) وظيفة تكميلية، وتتجلى أساساً في المهام التعبيرية التكميلية العديدة الموكولة للرسالة اللغوية في

^٥ من أبرز التعريفات التي عرف بها الخطاب التعريف الذي عرفه به ميشال فوكو (ت ١٩٨١): "شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والمخاطرة في الوقت نفسه" (نقلا عن الرويلي والباز عي ٢٠٠٠: ٨٩، وانظر كذلك بغورة (٢٠٠٠: ٩٤-٩٥). وللفرق بين مصطلحي (الخطاب) و (النص) ينظر لكحل (٢٠١٣).

^٦ حول عذ الإشهار نوعاً من أنواع الخطاب، يُرجع Cook (١٩٩٦: ٢-٥) السبب إلى أن "الخطاب الإشهاري باستطاعته أن يخبرنا الكثير عن

^٤ أضاف نعمان بوقرة (٢٠٠٨: ١٢٢) وظيفة مهمة للصورة عندما تحدث عن وظيفتها التشخيصية؛ إذ في "تجسيدها للفكرة تتحول الموجودات الذهنية إلى موجودات عينية ملامسة للوجود الإنساني فيكون أكثر قرباً منها واحتكاكاً، فتتولد لديه الرغبة في امتلاكها والانفتاح بها" ثم علق في الهامش على ذلك بتوضيح أن "البعد التشخيصي يهدف إلى إدماج الفرد في منظومة فكرية معينة هي منظومة العالم المادي الحسي الذي لا يعترف بالفكرة في حد ذاتها، وإنما بأثرها، وهو مبدأ ذرعي بحث كان محصلة الفلسفة النفعية الحديثة (البراغماتزم)".

وهو الذي ينتج الخطاب ويصمم مادته الإشهارية بما تحتاج إليه في نسقيها اللساني والأيقوني ثم يقوم بإرسالها نحو المتلقي المستهدف حسب طبيعة المادة المنتجة.

ب. المرسل إليه (المتلقي) Addressee:

وهو العنصر الثاني المهم في العملية الإشهارية وعليه ولأجله تقوم العملية الإشهارية. ومن هنا، يبذل المرسل قصارى جهده لدراسة الخلفية الاجتماعية والنفسية والثقافية للمتلقي، بغية تحقيق الهدف الأول للإشهار وهو الإقناع بجوى المنتج أو الفكرة حسب طبيعة الرسالة.

ج. الخطاب أو الرسالة Code meaning:

ويشتمل هذا العنصر على المعلومات التي يريد المرسل إرسالها نحو المتلقي في قالب معين يساعد الأخير على فهم أنساقها الدلالية المختلفة واللسانية والسميائية (الأيقونة البصرية) وتحليلها وتأويلها بعد ذلك. ويجب أن يراعي الخطاب الإشهاري القواسم المشتركة بين طرفيه من وحدة اللغة ووحدة الثقافة ووحدة البداية^٧، "لأن الخطاب شبكة من العلاقات المعهودة بين الأفراد" (الديوب ٢٠١٢)، وكما قال Wolfgang Iser إن كاتب النص وإن كان يمارس سيطرة على الطريقة التي يفهم بها القراء النص، إلا أن ذلك ينبغي أن يكون عبر استخدام تقاليد مفهومة على نحو متبادل (نقلا عن المرجع السابق). والرسالة

"صناعة ثقافية وإعلامية بما في الكلمة من معنى ذلك بما يتميز به من طاقة عالية في تشكيل الرأي وبلورة الرأي وفي التأثير على ذهنية المتلقي وتوجيه ثقافته في أبعادها المختلفة الدينية والأخلاقية والفلسفية والسياسية" (دفة ٢٠١٤: ٥٠-٥١). ومن هنا، تتجلى أهمية هذا الخطاب في تمكيننا من معرفة بنية الوعي الثقافي الاجتماعي لدى المتلقي وشرح العناصر المكونة له وتحليل الروابط المتبادلة ودراسة مظاهر تغيره وتأثره (أحمد ١٩٨٥: ٤٤). قبل الحديث عن البيئة اللسانية للخطاب الإشهاري المتمثلة، كما وضح في المقدمة، في مكوناته اللغوية المتعددة، يجدر بنا أن نقدم لذلك بالحديث عن عناصر الخطاب الإشهاري؛ لكي نتضح أبعاد البنية التكوينية للخطاب الإشهاري التي تشكل نسقا لسانيا خاصا منح المشهر هويته البصرية واللفظية، وأسس جودة وضمان تداوله وتذكره واستهلاكه (بنكراد ٢٠٠٠: ١٠٢).

٣. عناصر الخطاب الإشهاري

يعتمد الخطاب الإشهاري على جملة من العناصر المترابطة ببعضها والمشكلة للمقدرة التواصلية له والمكونة، أيضاً، لنسقيه: اللساني والأيقوني، وتتمثل هذه العناصر في (ينظر Vestergaard and Schroder ١٩٨٥: ١٦، Lapšanská ٢٠٠٦: ١٠٦ بوسته ٢٠١٤: ١٩، دفة ٢٠١٤: ٥٢):

أ. المرسل Addresser:

^٧ يراد بوحدة البداية هنا مجموع الأفكار والمعتقدات وأحكام القيمة التي يفرزها الوسط فيقبلها كأمر بديهية لا تحتمل التبرير أو الاستدلال وعن هذا العنصر تتولد الوظيفة الماوراء لسانية (ينظر خضور ٢٠١١، دفة ٢٠١٤).

مجتمعنا وعن أنفسنا]... [الخطاب هو النص والسياق معا". باستطاعتنا أن نحلل كل خطاب الإشهار بما يعنيه من "تفاعل جميع العناصر التي تشترك في الخطاب الإشهاري من مشاركين، ووظيفة، ومادة، وصور، وموسيقى، ومجتمع، وكلام ولغة ومقام".

النص فيها يصاحب الصورة الحركية المعبرة كما نجد في الإشهارات التلفزيونية. وتأتي الإشهارات السمعية بواسطة الراديو أو تلك المكتوبة في الجرائد والمطبوعات والملصقات أقل تأثيراً من الأولى، وإن كانت قوة التردد والتكرار المستمر تحدث قدرًا من التأثير لا يستهان به، إضافة إلى تكلفتها الاقتصادية الأقل مقارنة بالإشهارات التلفزيونية.

الإشهارية، وفقًا Kenneth Alan (نقلا عن رقيق ٢٠١٣: ٣٣٠-٣٣١)، تتكون من جانبين: - الجانب الإخباري ويتلقاه المتلقي بوعي ويتعامل معه ذهنيًا بغية فهمه. - الجانب الإيحائي ويتكون من التمثيلات والرموز ويحظى بأهمية المرسل؛ لأنه يخاطب لا شعور المتلقي ويثير مشاعره وأهواءه ويرضي حاجاته ودوافعه.

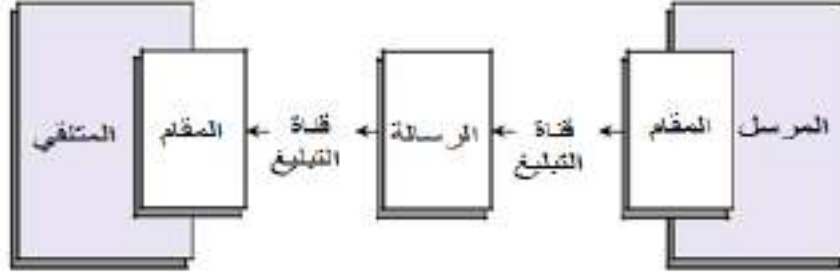
د. . المقام Situation:

الإشهار بوصفه خطابًا لا بد أن يراعي في العلاقة بين المرسل والمتلقي ما يقتضيه المقام الذي أنجز في بيئة الخطاب الإشهاري؛ لأن المقام هو "مكان القول ومناسبته وأطرافه وظروف إنشائه والعوامل المباشرة وغير المباشرة في إنجازه". وهذا يعني أن "المقام تأثيرًا في إنتاج الخطاب وتأويله (القاضي وآخرون ٢٠٠٠: ٤٠٣، ٤٠٥).

هـ. قناة التبليغ Communication channel:

وهي الوسيلة المستعملة الخطاب الإشهاري للمتلقين وفق ما يراه مرسل الإشهار مناسبًا لطبيعة المادة المشهورة والمقام الذي تستدعيه تلك الطبيعة. وقناة التبليغ في الخطاب الإشهاري يقوى تأثيرها عندما تستعمل الوسائل المرئية والمسموعة في آن واحد؛ لأن

(١)



4. طبيعة اللغة الإشهارية

يرى Leech (١٩٧٢: ٢٥) أن لغة الخطاب الإشهاري تنتمي إلى ما يسمى باللغة الانفعالية أو اللغة المحملة (Loaded language) التي تحاول التأثير على القارئ أو المستمع بمخاطبة مشاعره بدلاً من عقله بكلمات وعبارات عاطفية قوية محملة بدلالات تحاول أن تولد لديه رد فعل قوي إيجابي أو سلبي يزيد على المعنى الحقيقي الحرفي للعبارات^٨. وتهدف اللغة الانفعالية في نظر Leech إلى تغيير آراء ومواقف المخاطبين وحتى إرادتهم. وتختلف اللغة الانفعالية في الخطاب الإشهاري عنها في الخطابات الأخرى كالصحافة السياسية والخطب الدينية في كونها ذات هدف واضح ومحدد ينشد تغيير السلوك الفكري للوصول إلى سلوك مستهدف مرغوب يساعد بالوسائل الإقناعية على شراء منتج معين أو تغيير موقف ما. وفي هذا الصدد يرى Leech (١٩٦٦: ١٢٣) أن النص الإشهاري بلغته الانفعالية لا يكون ناجحاً في الوصول إلى مبتغاه إلا إذا حقق المعايير الأربع الآتية: (أ) جذب الانتباه وإثارة الفضول Attention value،

ويكون ذلك على المستوى اللغوي بتعمد الخطأ الإملائي مثلاً في لغة النص الإشهاري أو استخدام كلمات جديدة غير مألوفة ووضعها في سياقات غير تقليدية أو استخدام التورية وبعض الانحرافات النحوية والدلالية.

(ب) المقروئية Readability وسهولة لغة النص مما يمكّن المتلقي من الحصول على معلومات واضحة حول المنتج بلغة مفهومة تجعل من اللغة المكتوبة تحمل الكثير من خصائص اللغة المنطوقة (التي قد تطعم أحياناً ببعض الكلمات العامية).

(ج) التذكير باسم المنتج ومميزاته Memorability بصورة مألوفة من خلال استخدام (التكرار) لاسم المنتج غير أنه من المفضل التذكير باسم المنتج ومميزاته من خلال عدد من الوسائل اللغوية الأكثر نجاعة من مثل الجناس والإيقاع أو تكرار نفس البنى النحوية والدلالية أو حتى التكرار المعجمي لبعض الكلمات من الحقل نفسه أو التكرار الدلالي باستخدام خاصية الترادف مثلاً.

(د) قوة البيع Selling power وهذا، بالطبع، هو

^٨ مقتبس من موقع wikipedia.org بتاريخ ٢٠١٩/٨/٣ م.

بانتظام في لغة الإشهار"، أي أنه لا يمكن للغة الخطاب الإشهاري أن تخلو منها. فيما يلي تعريف موجز لتلك الظواهر الصوتية المستخدمة في لغة الخطاب الإشهاري:

٤، ١.١.١. القافية Rhyme

يمكن تعريف القافية في لغة الخطاب الإشهاري باستخدام الكلمات المتطابقة صوتيًا في أواخرها؛ لغرض وظيفي وهو جذب انتباه المتلقي وتحفيزه على تذكر المنتج المشهر. وتعد لغة الإشهار كثيرًا على توظيف القافية بشكل ملفت ويمكن ملاحظة ذلك في الإشهارات العربية في جانبين (El-daly 2011: 40-41):

(أ) المزج بين الصوت الصائت الطويل مع صوت صامت في نهاية كل جملة أو وصلة إشهارية على نحو ما نجد كثيرًا في الإشهار الصحافي كالإشهار أدناه في (٢) الذي يروج لبعض أجهزة شركة (بروان) المشهورة:

(٢) كل التقدير... في جودة التحضير! (المرجع

السابق 2011: 40)

(ب) استخدام (السجع) وهو اتفاق الفاصلتين في النثر على حرف واحد دون التقيد بالوزن، ويعد السجع "الظاهرة المحببة لدى أغلب كتاب النصوص الإشهارية؛ إذ يستعملونه في معظم تعابيرهم ولمختلف المنتوجات" (يحيوي 2006: 190). ومن أمثلة

هدف الإشهار الأول، وغالبًا ما يكون ذلك من خلال دفع المتلقين إلى اتخاذ القرار المناسب واقتناء المنتج من خلال تكثيف الجمل القصيرة المقنعة التي تكون فيها أفعال (الطلب) طاغية وبعض الصفات الإيجابية التي تساعد على الإقناع واتخاذ القرار. ومن أمثلة تلك الصفات التي ذكرها Leech (جيد، وجديد، وأفضل، ومؤكد، ولذيذ، وطازج ولطيف... الخ). في الوقت نفسه، ينصح Leech بتجنب أفعال النهي والنفي لآثارهما السلبية على لغة الإشهار - إلا إن قصد منهما جذب الانتباه وإثارة الفضول^٩.

٤، ١.١.٢. المستوى الصوتي

تتجاز لغة الخطاب الإشهاري نحو اللغة الشاعرية Poetic Language في أغلب نصوصها بغية تحقيق المعيارين الأولين المشار إليهما آنفًا، أعني معياري جذب الانتباه (إثارة الفضول)، ومعياري المقروئية. ومن هنا، نجد أن لغة الخطاب الإشهاري لا تقوت استعمال آليات اللغة الشاعرية من مثل القافية (السجع) والإيقاع والتوازي؛ وذلك لقدرتها على جعل المتلقي ينشد ذهنيًا وعاطفيًا نحو المشهر إضافة إلى أن جرسها الموسيقي يجعل المتلقي يذكر ويتذكر الإشهار في اللحظة المناسبة، بل وربما يردده لا شعوريًا فيكون بذلك مشهرًا للإشهار بنفسه. وعن أهمية هذه الآليات الثلاثة في لغة الخطاب الإشهاري يقول Leech (1972: 175) "إنها أنماط خاصة ترد

مشوقًا إلى حد جعلك تشتري المنتج".

^٩ عن أهمية هذا المعيار، يقول David Ogilvy (1985: 7): "أنا لا أعد الإشهار أداة ترفيه أو شكلًا من أشكال الفن، بل وسيلة معلومات. عندما أكتب إشهارًا لا أريد منك أن تخبرني بمدى إبداعيته بقدر ما أريدك أن تجده

والدور الدلالي، وهما أمران لا غنى للغة الخطاب الإشهاري عنهما إن أرادت أن تترك أثرًا عند المتلقي. ويعد التوازي سمة بارزة في لغة الإشهار المكتوب باللغة العربية لما له من أثر محوري على تماسك لغة النص الإشهاري في بنيته من جهة وأثر في تعزيز مميزات المنتج من خلال تكرار نفس النمط الإيقاعي من جهة أخرى (ينظر Leech 1972: ١٤٦، و- EI daly ٢٠١١: ٣٩). ومن أمثلة التوازي في لغة الخطاب الإشهاري، ما نجده في الإشهار في (٥) أدناه عن شامبو سباركل Sparkle:

(٥) للشعر الدهني للشعر العادي للشعر الجاف
(المرجع السابق، ص ٤٠)

٢، ٤. المستوى الصرفي والنحوي

١، ٢، ٤. الجمل القصيرة والأفعال المتصرفة

توصف لغة الخطاب الإشهاري في مستويها الصرفي والنحوي باللغة الكتلية block language ويعنى بها اللغة التي تتكثرت حول استخدام الكلمات الأساسية فقط لإيصال رسالة معينة (Leech ١٩٧٢: ٩٠-٩٣). وكذلك تفعل لغة الخطاب الإشهاري؛ إذ هي بصفة عامة تتميز بجمل بسيطة قصيرة موجزة مكثفة من حيث الدلالة تحمل فكرة رئيسية واحدة، وتجتنب الجمل الطويلة مخافة الوقوع في الالتباس الذي تحدته البنية الصرفية المعقدة والتراكيب النحوية المطولة، ومن هنا لن تجد في لغة الخطاب الإشهاري جملاً تفسيرية أو اعتراضية أو وصلية كثيرة (بن عتو ٢٠٠٢: ١١٢).

السجع ما نجده كثيرًا في الإشهارات الصحافية عن بعض منتجات الشامبو من مثل (٣) و (٤):

(٣) من العناية...حتى الحماية
(EI-daly ٢٠١١: ٤١)

(٤) شامبو هيداندشولدرز: شعرٌ جذاب بلا عذاب
(يحيوي ٢٠٠٦: ١٩٠)

٢، ١، ٤. الإيقاع Rhythm

لا شك أن أحد أولويات الخطاب الإشهاري أن يكون جذابًا وسهل التذكر لدى المتلقين. ومن أبرز الاستراتيجيات المستخدمة للوصول إلى ذلك هو الحرص على جودة الإيقاع وما يتعلق به من نبر وتنغيم بغية الوصول إلى أكبر قدر من التأثير العاطفي على المتلقي ورفع مقدرة تذكره لمفردات الإشهار. وتعد اللغة العربية من أبرز لغات العالم غنى في نظامها الموسيقي؛ لذلك يحرص كاتبو نصها الإشهاري على توظيفه بشكل ملحوظ، غير أنه ينبغي التنبيه على أن نجاعة ذلك التوظيف تتم عندما تدرك لا شعوريًا وعلى نحو غير مبالغ فيه، عندئذ فقط، نجد النص الإشهاري عالقًا في ذهن المتلقي وراقيًا في لغته.

٣، ١، ٤. التوازي Parallelism

يُعرف التوازي^{١٠} بأنه المجيء بـ"متواليتين متعاقبتين أو أكثر لنفس النظام الصرفي -النحوي المصاحب بتكرارات أو اختلافات إيقاعية وصوتية أو معجمية- دلالية" (كنوني ١٩٩٩: ٨٠). ويلحظ أن هذا التعريف يعكس وظيفة التوازي المزدوجة بين الإيقاع الموسيقي

للخطيب التبريزي تحقيق: الحساني حسن عبدالله ص ١٧٥، ٢٠٠.

^{١٠} في التراث الأدبي العربي مصطلحات مقارنة للتوازي كالموازنة والتكرار والمقابلة والمشكلة والنظم (ينظر الكافي في العروض والقوافي

التي تعطي معنى التقرير والاستمرارية لجودة المنتج أو سريان الفكرة، وفي الوقت نفسه تشبع رغبة المستهلك في تقرير ذلك وكأنه حقيقة لا نقاش فيها. تأمل الإشهار في (٦) الذي يحذر من أضرار ممارسة الآباء للتدخين أمام أطفالهم، وكيف استخدم الإشهار الزمن الحاضر المتمثل في الفعل المضارع (يقتل) الذي يدل على تقرير هذه الحقيقة واستمرارها متى وجد الفعل:

يتجلى الاستخدام المكثف للجمل البسيطة في لغة الخطاب الإشهاري في الإكثار من استخدام الأفعال المتصرفة finite verbs الغنية في خصائص المطابقة والزمن وضمير الشخص؛ مما يجعل من الإشهار أكثر إفادة وإيجازاً ومباشرة. والأفعال المتصرفة، التي يكثر دورانها في لغة الخطاب الإشهاري، يمكن حصرها فيما يلي (Lapšanská ٢٠٠٦):

(أ) صيغة المضارع (الحاضر) Simple Present



(٦) التدخين يقتل أطفالك^{١١}

^{١١} الإشهارات في ٦،٧،٨،٩،١٤ جميعها مستفادة من موقع: <http://www.ibda3world.com> بتاريخ ٢٠١٩/٧/١٧م.

^{١١} الإشهارات في ٦،٧،٨،٩،١٤ جميعها مستفادة من موقع:

الذي من أبرز خصائصه خفة وزنه معالجةً بذلك مشكلة طالما عانى منها المسافرون الذين يرغبون بحمل أجهزتهم معهم في تنقلاتهم ولكن يمنعهم أحياناً ثقل وزنها. نلاحظ في لغة الإشهار استخدام الجملة الاسمية الخالية من الفعل والدالة بطبيعتها النحوية على الزمن الحاضر وثبات استمرارية الحدوث.

من المهم أن ننبه هنا إلى أن لغة الإشهار لا تقتصر على التعبير عن الزمن الحاضر بالفعل بل قد تلجأ أحياناً إلى التعبير عنه باستخدام الجمل الاسمية (القصيرة) الخالية من الفعل والتي تدل بدورها أيضاً على الثبات والاستمرار. فالإشهار في (٧) أدناه، صمته شركة سوني لحاسبها الآلي المحمول الجديد



(٧) "لاب توب" خفيف كالورقة

enjoy، use استعمال، try حاول، have تملك، استمتع... الخ.

- أفعال فيها معنى الالتماس ولفت الانتباه للمنتج مثل: see انظر، watch شاهد، remember تذكر، make sure كن متأكداً، help ساعد... الخ.

ويلاحظ أن أفعال الأمر في الخطاب الإشهاري على شيوعتها إلا أن مهندس الخطاب الإشهاري يخفف - أحياناً - من سلطة الأمر فيها بمحاولة التبرير وذكر السبب لكي تكون إقناعية أكثر منها أمرية وطلبية على

(ب) صيغة الطلب أو الأمر Imperatives التي لا يراد منها الأمر حقيقة، وإنما يراد منها خلق جو من الحوار بين صانع الإشهار والمتلقي. وقد صنف Leech (١٩٧٢: ١١١) أفعال الأمر في اللغة الإنجليزية التي تستخدم كثيراً في لغة الخطاب الإشهاري وفق المجموعات التالية:

- أفعال خاصة بالحث على اقتناء المنتج من نحو: get اقتن، buy اشتر، ask for اطلب، choose اختر.
- أفعال خاصة باستهلاك أو استعمال المنتج مثل:

نحو ما نجد في في الإشهار (٨) الذي يحذر من
 ١٢٠٠ مليون فقير تأثرًا بالأزمة الاقتصادية التي
 اجتاحت العالم عام ٢٠٠٨م: تفشي ظاهرة الفقر؛ إذ وصل عدد الفقراء في العالم لـ



(٨) ساعد الفقراء لكي لا يحتاج أحد البحث عن طعامه في صناديق القمامة!

ومما يكثر استخدامه في لغة الخطاب الإشهاري
 أسلوب النهي Prohibitive بوصفه نوعًا من أنواع
 الأمر والطلب، وإن كان استخدامه -كما لاحظ
 Leech (١٩٧٢: ١١١) - قليلاً مقارنة بفعل الأمر.
 ويكثر استخدام النهي في الإشهارات الصحية وتلك
 التي تهتم بتوعية المجتمع وتقديم النصح له على نحو
 ما نجد في الإشهار الموالي في (٩):



(٩) لا تقتل نفسك بنفسك!

فالإشهار أعلاه يحذر من التدخين مستخدمًا أسلوب
 النهي في جملة موجزة زادتها تعبيرًا الصورة المصاحبة

إجابة مرادة يتضمنها السؤال وتروج للمنتج بطريق غير مباشر وفاعل. فتضمين (أطباء الأسنان) في الدعاية لمعجون الأسنان (سنسوداين) في (١٠) أدناه، وجعله معجون الأسنان رقم واحد، معناه أن المنتج في غاية الجودة، كيف لا! والأطباء المختصون في طب الأسنان ينصحون به، فضلا عن كونه المعجون الأول للأسنان الحساسة^{١٢}:

التي اختصرت أضرار التدخين وما يؤدي إليه، فما السجائر إلا مجموعة رصاصات في مسدس يعبأ على مدار حياة المدخن ؛ لينتهي به المطاف، بشكل غير مباشر، إلى الانتحار وقتل نفسه بنفسه!

(ج) الأفعال المنجزة التي فيها تحقيق وعد أو تأكيد ثقة. يكثر الأول في استخدام الأفعال المتصرفة ذات الزمن المستقبل المسبوقة بـ(السين) أو (سوف) والتي توحى بإنجاز الوعد فيما يخص جودة المنتج وأن المتلقي لن يندم في حالة اقتنائه. وأما الثاني فيكثر وروده في استخدام الفعل (يستطيع وتوليدياته المعجمية) لتأكيد ثقة المقدر لدى المتلقي عندما يسند الفعل له: (أنت تستطيع) بمعنى أن هذا المنتج المشهر سيمكنه من هذا الأمر أو ذلك، بينما لو أسند الفعل للمنتج المشهر لدل ذلك على جودة المنتج وخصائصه.

٤, ٢. 2. الجمل الاستفهامية

مما يميز لغة الخطاب الإشهاري في نظامها النحوي استخدامها (للجمل الاستفهامية) في ترويجها للمنتج أو بثها للفكرة؛ لما لها، كما الجمل الطلبية، من دور في تفعيل التواصل مع المتلقي الذي بدوره يتعاون مع النص الإشهاري من زاويته هو ويجيب، كما هو متوقع من مرسل الإشهار، على الأسئلة المثارة ضمناً وبشكل صامت. في الوقت نفسه، تساعد الجمل الاستفهامية في لغة خطاب الإشهاري على ترسيخ



(١٠) ما هو معجون الأسنان رقم

١ الذي يوصى به أطباء الأسنان

للأسنان الحساسة؟

ومن أغراض استخدام الجمل الاستفهامية في لغة الخطاب الإشهاري إثارة مشكلة ثم تقديم جواب لها، وهذا يكثر في الإشهارات الخدمية على نحو ما نجد في نموذج الإشهار في (١١) الذي يكثر دوران أمثاله في منتجات خدمية كثيرة:

(١١) هل تبحث عن تصميم موقع إلكتروني لك؟

تفضل بزيارة موقعنا على....

فالنص الإشهاري السابق يطرح، على شكل سؤال، إشكالية البحث عن مختص في تصميم مواقع على الإنترنت، ثم يطرح الحل لهذه الإشكالية في الدعاية لموقع مختص عنده الحل.

٤, ٣. الحذف

تعد ظاهرة الحذف من الظواهر الأكثر شيوعاً في لغة النص الإشهاري. والحذف الدال مطلب مهم من مطالب الإيجاز الذي هو مرتكز أساسي في اللغة الإشهارية؛ "لأن كاتب النص يسعى دائماً لإيجاد

صيغة يؤثر بها في المستهلك وتجذب انتباهه دون الإطالة فيها، إذ لو كانت الجمل طويلة لتجاهلها الناس نظراً لضيق وقتهم، أو لحالة نفسية يمررون بها كالقلق أو التعب مثلاً. كما أن الإيجاز يجنب الكاتب الوقوع في آفة الحشو التي تتمثل في زيادة العبارة عن الحاجة التبليغية وعن الكفاية الإفهامية" (يحيوي ٢٠٠٦: ١٨٨-١٨٩). وفي التنظير للغة الخطاب الإشهاري في النظريات اللسانية الحديثة، تم حصر مجموعة من الأسباب التي تجعل لغة النص الإشهاري تنجح إلى الإيجاز مستخدمة ظاهرة الحذف اللغوي، ومن بين تلك الأسباب:

(أ) أسباب اقتصادية؛ إذ كلما زادت كلمات النص الإشهاري أدى ذلك إلى زيادة في وقت بث الإشهار أو مساحة كتابته، وهذا كله يقود إلى مزيد من الأعباء المالية (Lapšanská ٢٠٠٦: ٤١).

(ب) تركيز الرسالة الإشهارية المراد إيصالها وحذف كل ما يصرف انتباه المتلقي من كلمات أو عبارات لا تخدم المنتج المشهر (Cook ١٩٩٦: ١٦٩).

(ج) خلق شعور من الأريحية وعدم الرسمية في

(د) خلق شعور من التقارب والحميمة مع المنتج. تأمل الإشهار الموالي المكتوب باللغة الإنجليزية في (١٢) الذي يروج فيه لنوع من القهوة (Nespresso) على لسان نادل في مقهى (Goddard ١٩٩٨ : ٤٢):

الخطاب؛ إذ الحذف عادة يستعمل كثيراً في اللغة المنطوقة وفي الاتصال العفوي المباشر، وبذلك يقرب المسافة بين النص والمتلقي، ويخلق كذلك جواً حوارياً وهو يستحث ذهن المتلقي ليفتش عن النص المحذوف (Lapšanská ٢٠٠٦ : ٤٢).



(12) Nespresso ، وماذا أيضاً؟

أعماق اللاشعور؛ ليوجه نوق المتلقي وسلوكه وردود أفعاله. لكن هذا التوجيه؛ لكي يكون فاعلاً، لا بد أن يخضع لسيطرة اللغة ونفوذها الذي به، لا بسواه، تُعالج الدلالة الهشة للصورة (العلامة الإيقونية) على حد تعبير Louis Procher (نقلا عن بوطيب ٢٠٠٣: ٣٢٣). وتكمن هشاشة دلالة الصورة في قصورها عن أداء بعض المهام التعبيرية الخاصة كنقل أفكار الشخصيات وأقوالهم، بل ربما يتعدى قصورها الدلالة التعبيرية على مقصد الإشهار؛ مما يتطلب تدخل (اللغة) لترسي إدراك المتلقي وترسخ دلالة الصورة قراءة؛ لكي لا تتجاوز حدوداً معينة في التأويل أو تقع في متاهاته اللامتناهية والمناقضة لدلالاتها المرادة (المرجع السابق). ولأهمية اللغة في مستواها الدلالي في توجيه دلالة الصورة، تأمل الإشهار في (13)

فمتلقي هذا الإشهار يعرف أن قائله هو نادل في مقهى (وماذا أيضاً) تنبئ عن حذف مفهوم يخص الاستفهام عن الرغبة في طلب أي مشروبات أخرى. المهم في هذا الإشهار، وبفضل استخدام خاصية الحذف، أنه أبرز اسم هذا النوع من القهوة في الإعلان بشكل لافت، وفي الوقت نفسه جعل من احتساء هذا من النوع شيئاً مفروغاً منه لكل مرتادٍ لهذا المقهى.

٣,٤. المستوى المعجمي والدلالي

يكن هدف الإشهار الأول، كما وضح في المقدمة، في إقناع المتلقي بالقيام بفعل الشراء والإقبال على المنتج أو الخدمة المعروضة أو الفكرة المروج لها- دون تردد. وهذا الأمر يتطلب أن يكون المعجم الإشهاري واضحاً ومحددًا وموحياً؛ لممارسة ذلك الإقناع القسري الذي ينفذ، في غفلة عن الوعي، إلى

تفصيلٍ عن التأثير الدلالي للكلمة والصورة في الخبر الإعلامي على وجه الخصوص، ينظر الدسمه (٢٠١٣).

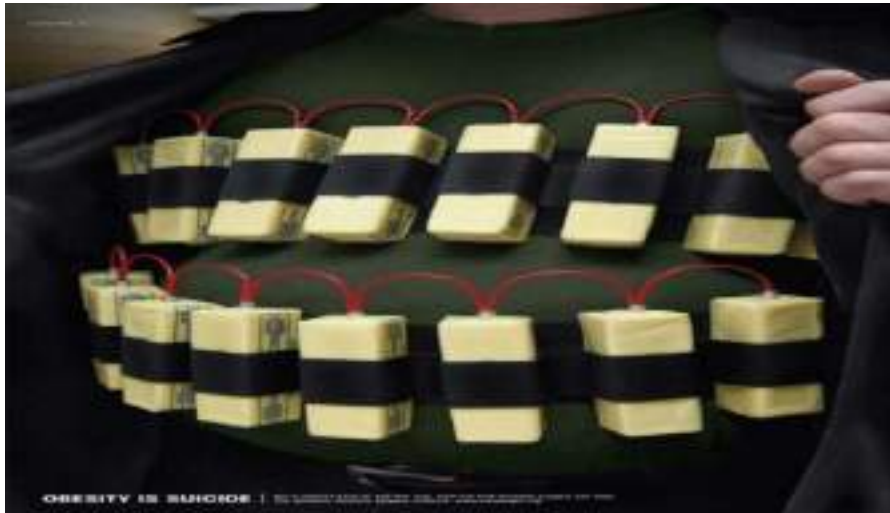
شعار خدمة أخبار الجزيرة على الهاتف النقال على شكل صورة (الرغيف الساخن) والذي يتبع بمقولة: (لأن الوقت لا ينتظر) التي، ربما، كان المتلقي، من دونها، عاجزًا عن فهم دلالة تلك الصورة. ولمزيد



(13) لأن الوقت لا ينتظر!

سبيل المثال، تسبدل لفظة (القتل) أو (الموت) بـ (الانتحار)؛ لإعطاء زخم عالٍ من التنفير على نحو ما نجد في الإشهار في (14) أدناه:

كذلك تحرص لغة الإشهار في مستواها المعجمي الدلالي على انتقاء الكلمات ذات المعنى الإيجابي؛ وفقًا لطبيعتها الانفعالية كما نوقش في مبحث ٣. على



(١٤) السمنة هي الانتحار

والسهولة والخفة اللغوية".

"ومن الظواهر اللافتة للانتباه على مستوى المعجم الذي يوظفه النص الإشهاري هو استخدام الوحدات المعجمية (Lexèmes) النادرة التي تلفت إلى ذاتها بندرتها، وكذلك يتميز بعدم الترحُّج من الاقتراض اللغوي، وقد وصل الأمر إلى حدِّ تشكيل ملفوظات بالجمع بين وحدتين معجميتين أو أكثر من لغتين مختلفتين، مع الجرأة على مخالفة القواعد المعمول بها في عملية توليد وحدات جديدة، فكلُّ ما يحقُّ الإثارة، ويوصل إلى مقصدية صاحب الرسالة مباح في عرف الإشهاريين"^{١٣} (المرجع السابق، ص ١٠١-١٠٢).

ومما تفضله اللغة الدلالية للخطاب الإشهاري- الاستخدام الكثيف للصفات (Leech ١٩٧٢: ١٥١). ولا غرو في ذلك فالصفات، وخاصة تلك التي تحمل دلالات إيحائية، تساعد المشهريين على إبراز الجودة والفخامة لمنتجاتهم، وتؤسس لدى المتلقين موقفاً إيجابياً من تلك المنتجات. ومن أكثر الصفات شيوعاً في الاستخدام في لغة الإشهار: فخم، حصري، أفضل، استثنائي، أجود... الخ.

الخاتمة

لقد حاولت هذه الدراسة أن تقدم نقاشاً للبنية اللغوية للنسق اللساني أحد المكونين الرئيسيين للخطاب الإشهاري، موضحة أبرز معالمه في مستوياته اللغوية

فالإشهار في (١٤) يصور السمنة وكأنها قوالب زبدة على شكل ديناميت يفجر بها الذي يعاني منها نفسه. وقد ساعدت الصورة الإشهارية هنا على إعطاء الدلالة بعداً أعمق عندما صورت الإنسان الذي يسرف على نفسه بالأكل غير المنضبط بصورة الإنسان الانتحاري الذي يفجر نفسه!

وفي سبيل الإقناع، تفضل لغة الإشهار الابتعاد عن الكلمات المباشرة في معناها والتي -ربما- تنفر المتلقي بدل أن تجذبه نحو تحقيق هدف الإشهار. في هذا الصدد، لاحظ Vestergaard و Schroder (١٩٨٥) أن لغة الإشهار تفضل استعمال كلمات (احصل، اقتن، تملك) بدل استخدام كلمة (اشتر)، لما للشراء من معنى إيجابي غير محبذ؛ لارتباطه بالمال وإنفاقه.

ولأن الإشهار حقل معرفي يتمتع مثل بقية الحقول بجهازه المفاهيمي، ومعجمه القطاعي، ولغته الواصفة، وخاصيته التطورية التي لا تتوقف عند حدِّ معلوم، فإنه، كما يرى محمد خاين (٢٠١٣: ١٠١)، يتطلب التجديد المستمر "في المفردات الموظفة، وذلك بالرجوع إلى المعجم العام للغة، وكذا الاعتماد على الآليات اللسانية التي توقرها قواعدها، كالتقياس، والنحت، والتوليد، والاشتقاق، والحذف والاختصار، بمراعاة مجموعة من المعايير مثل الاقتصاد اللغوي،

عليها الصبغة المصطلحية في أحيان كثيرة. وهو ما يطرح إشكالية البحث عن المعادل الدقيق الذي يحيل على مفهوم مطابق لذاك الذي في لغة المصدر، ويزداد عمق الإشكال إذا كانت تلك اللغة تعاني فقراً معجمياً في هذه الميادين" (خاين ٢٠١٣: ١٠٦).

^{١٣} تمتاز لغة الإشهار، بفضل الترجمة من اللغات الأخرى، "بالنمو المتسارع للوحدات المعجمية مما يطرح جملة من التحديات في وجه العاملين في حقل الإشهار العربي، إذ عليهم أن يوجدوا لها الحلول الناجعة، مساندة لتوتيرة التوليد التي تعرفها بعض اللغات، وخاصة إذا علمنا أن هذه الوحدات المولدة هي مسميات لمنتجات حضارية وتكنولوجية، مما يضي

مايو، ص: 40 55 - .
 بغورة، الزواوي. (٢٠٠٠). مفهوم الخطاب في فلسفة
 ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
 بن عتوه، عبد الله أحمد. (٢٠٠٢). الإشهار بنية
 خطاب وطبيعة سلوك، مجلة العلامات، ع ١٨، ص
 ١١٦ - ١١٠.
 بنكراد، سعيد. (٢٠٠٠). الصورة الأشهارية المرجعية
 والجمالية، والمدلول الاجتماعي، مجلة الفكر العربي
 المعاصر، ع ١١٢، ١١٣، ص: ١٠١-١١٠.
 بنكراد، سعيد. (٢٠٠٦). حول سمائيات الصورة
 الإشهارية. دار أفريقيا الشرق-المغرب.
 بنكراد، سعيد. (٢٠١٧). بين اللفظ والصورة، تعددية
 الحقائق وفرجة الممكن. بيروت: المركز الثقافي
 العربي.
 بوستة، حليلة (٢٠١٤). المستوى اللساني للخطاب
 الإشهاري: تداخل المستويات اللغوية. رسالة
 ماجستير. جامعة محمد خيضر-بسكرة، الجزائر.
 بوطيب، عبدالعالي. (٢٠٠٣). آليات الخطاب
 الإشهاري. مجلة علامات في النقد الأدبي - النادي
 الأدبي الثقافي

بجدة - السعودية، مج ١٣، ج ٤٩، ص: ٣١١-٣٢٨.
 بوقرة، نعمان (٢٠٠٨) النص الإشهاري بين أدبية
 الصورة وحجاجية الغرض. مجلة الخطاب الثقافي، ع
 ٣، عن الجمعية السعودية للهجات والتراث الشعبي في
 جامعة الملك سعود، الرياض، ص: ١١١-١٣٠.
 التبريزي، الخطيب. (١٩٩٤). الكافي في العروض

المتعددة التي تكشف عن قدرته على التكتيف اللغوي
 والاختزال والوضوح والمباشرة والابتعاد عن الحشو،
 وتؤكد حضوره الفاعل في مؤازرة الصورة في وظيفتيه:
 (أ) وظيفة الإرساء بعدم تجاوز حدود معينة في تأويل
 الصورة و(ب) وظيفة الدعم في انصهار المعنى
 اللغوي مع دلالة الصورة في شحنات دلالية متكاملة
 ومتفاعلة. وكلا الوظيفتين إرساءً وتدعيم لدور اللغة
 في كونها النسق الوحيد القادر على ضبط الدلالات
 وتوجيه الصورة إلى المسار الدلالي المحدد؛ وبذلك
 تتضح أهميتها في مؤازرة النسق الأيقوني لإنجاح البعد
 المقصدي للخطاب الإشهاري. وبتعبير آخر، إن
 النسق اللساني/النظامي والنسق الأيقوني/العلاماتي
 يسهمان، معاً، في إعطاء الخطاب الإشهاري بعده
 التواصل/الإبلاغي من خلال إقناع المتلقي بمحمول
 الخطاب. يسهم الأول بنظامه البنيوي ومستوياته
 اللغوية التي تسير وفق نسق تحكمه مجموعة من
 الخصائص الصوتية والصرفية والتركييبية والدلالية،
 ويسهم الثاني فيما يوفره من وظائف متعددة (إيحائية،
 وجمالية، وتمثيلية ودلالية...الخ).

المراجع

-المراجع العربية

إبرير، بشير. (٢٠٠٥): قوة التواصل في الخطاب
 الإشهاري: دراسة في ضوء اللسانيات التداولية. مجلة
 اللغة العربية، الجزائر، ع ١٣، ص: ١٨٥-201.
 أحمد، سراج. (١٩٨٥). دور الصحافة في تشكيل
 الوعي الاجتماعي، مجلة دراسات عربية، عدد ٧،

مجلة الموقف الأدبي، مج ٤٣، ع ٥١٧، ص ٤٧-٦٤.

الديوب، سمر. (٢٠١٢). مضمرات الخطاب في النص الإشهاري. متاح على موقع مجلة طنجة الأدبية على الرابط:

http://www.aladabia.net/article-10263-11_1

بتاريخ ٢٠١٩/٨/١م.

رقيق، أمينة. (٢٠١٣). في بلاغة الصورة الإشهارية تفصل المحلي من الكوكبي، مجلة عالم التربية - مصر، س ١٤، ع ٤٢٤، ص: ٣١٧-٣٥١.

الرويلي، هميجان؛ البازعي، سعد. (٢٠٠٠). دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

العقاب، فتحية. (٢٠١٤). فنية وفاعلية العلامات في الخطاب الإشهاري: دراسة سيميائية لتفكيك الخطاب الإشهاري. مجلة الدراسات الأدبية والفكرية، ع ٢، ص: ٩٥-١١٤.

القاضي، محمد؛ الخيو، محمد؛ النصري، فتحي؛ ميهوب، محمد ايت؛ السماوي، أحمد؛ العمامي، محمد نجيب؛ عبيد، علي؛ بنخوه، نور الدين. (٢٠١٠). معجم السرديات. دار العين للنشر، القاهرة.

كنوني، محمد. (١٩٩٩) التوازي ولغة الشعر، مجلة فكر ونقد، ع ١٨، ص: ٧٩-٨٨.

لكحل، نصيرة. (٢٠١٣). النص والخطاب بين المفهوم والاستعمال، مجلة مقاليد، ع ٥، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة - الجزائر، ص: ١٤٧-١٥٣.

مرتاض، عبدالكريم. (٢٠٠٨). المقاربة السيميائية لتحليل الخطاب الإشهاري. مجلة الأثر - جامعة

والقوافي، تحقيق: الحساني حسن عبدالله، دار الخانجي، القاهرة.

الحديدي، منى. (١٩٩٩). الإعلان؟!، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

خاين، محمد. (٢٠١٣). الممارسات اللغوية في الخطاب الإشهاري الجزائري مجلة التواصل، ع ٣٣ - جامعة باجي مختار بعنابة - الجزائر، ص: ٩٩-١١٢.

خضور، يامن عيسى. (٢٠١١). الخطاب الإشهاري: دراسة سيميائية معمقة. متاح على الرابط:

<http://dr-cheikha.blogspot.com/2011/07/blog-post.html>

بتاريخ ٢٠١٩/٧/٢م.

الداهي، محمد (محرر). (٢٠٠٩). الجزء الأول من أعمال ندوة آليات الخطاب الإشهاري ورهاناته، عقدت الندوة في ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ مارس ٢٠٠٩م في كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق - الدار البيضاء (المغرب). أخرجته نفس الكلية.

الداهي، محمد (محرر). (٢٠١١). الجزء الثاني من أعمال ندوة آليات الخطاب الإشهاري ورهاناته، دار التوحيد للنشر والتوزيع، المغرب.

الدمه، مبارك حمد. (٢٠١٣). التأثير الدلالي للكلمة والصورة في الخبر الإعلامي: دراسة نظرية في الإعلام الكويتي. رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، الأردن.

دفة، بلقاسم (٢٠١٤). اللغة العربية والخطاب الإشهاري بين النظرية والتطبيق: دراسة سيميائية.

- قاصدي مرباح- ورقلة - الجزائر، ٧٤، ص: ١-١٤. **نوسي**، عبدالمجيد. (١٩٩١). الخطاب الإشهاري: مكوناته وآليات استقباله. *مجلة الفكر العربي المعاصر*، عدد ٨٤ و٨٥، مركز الإنماء القومي، ص: ٨٧-٩٦.
- يحياوي**، حفيظة. (٢٠٠٦). لغة الإشهار في وسائل الإعلام وتأثيرها في اللغة العربية الفصحى. *مجلة المجمع الجزائري للغة العربية - الجزائر*، مج ١، ع ٤، ص: ١٦٥ - ٢٠٠.

المراجع الأجنبية

- Cook**, Guy. (1996). *The Discourse of Advertising*. London: Routledge
- Dyer**, Gillian. (1995). *Advertising as communications*. London: Routledge.
- El-daly**, Hosney. (2011). Towards an Understanding of the Discourse of Advertising: Review of Research with Special Reference to the Egyptian Media. *African Nebula*, Issue 3, pp. 25-47.
- Goddard**, Angela. 1998. *The Language of Advertising. Written texts*. London: Routledge
- Romanenko** , Elena. (2014). *Linguistic Analysis of On-line Advertising in English*. Ph.D Thesis, Charles University in Prague.
- Ogilvy**, David. (1985). *Ogilvy on Advertising*. Vancouver: Vintage
- Lapšanská**, J. (2006). *The Language Of Advertising With The Concentration On The Linguistic Means And The Analysis Of Advertising Slogans*. (Unpublished Diploma Thesis, Univerzita Komenského V Bratislave, Slovakia).
- Leech**, Geoffrey, N. 1972 [1966]. *English in Avertising: A Linguistic Study of Advertising in Great Britain (English Language Series)*. London: Longman.
- Vestergaard**, Torben, Schroder, Kim. 1985. *The Language of Advertising*. New York: Basil Blackwell Inc.

A Linguistic Comparative Approach to the Internal Language Structure of Advertising Discourse

By: Nasser F. ALhorais

*Professor of Linguistics in Arabic Language Department in the
Faculty of Arabic Language & Social Studies at Qassim University*

Abstract. within a theoretical and applied framework, the current study discusses the linguistic structure of advertising discourse in its linguistic pattern, explaining its most significant features in all its linguistic levels that reveal its ability to intensify linguistic intensity and its role in controlling the semantics of the iconic pattern, the second important component of advertising discourse. This controlling can be seen in two possible functions. (i) Anchorage – images are prone to multiple meanings and interpretations. Anchorage occurs when text is used to focus on one of these meanings, or at least to direct the viewer through the maze of possible meanings in some way. (ii) Relay – the text adds meaning and both text and image work together to convey intended meaning. Both functions pay attention to the role of linguistic pattern in identifying the semantic dimensions of image in the iconic pattern so that the message of advertising discourse is being successful.

ملاحح الهوية الوطنية في الشعر السعودي ديوان "وطني عشقتك" للشاعر مُسلم فريح العطوي نموذجًا دراسة أسلوبية

ياسر أحمد حامد مرزوق

أستاذ مساعد - أدب ونقد

قسم اللغة العربية- كلية التربية والآداب

جامعة تبوك

مستخلص. تبرز الهوية الوطنية بوصفها أحد أهم مكونات النسيج الاجتماعي، ومحل فخر واعتزاز الكثيرين وعلى الأخص الشعراء. والشاعر مُسلم بن فريح العطوي، واحد من شعراء منطقة تبوك في المملكة العربية السعودية، وله ديوان مطبوع بعنوان "وطني عشقتك" ركّز فيه على الوطن وحبّه، وعلى الوطنية وجوهرها. ويهدف هذا البحث إلى تناول أبرز الملاحح الأدبية والظواهر والأساليب الفنية في القصائد الوطنية الواردة في هذا الديوان، معتمدًا على المنهج الأسلوبي. وخلص البحث إلى التأكيد على استعمال الشاعر الأسلوب التقريري والمباشر الذي امتاز به الشعر العمودي بعموم والذي اتسمت به جُلّ قصائد هذا الديوان، مع ملاحظة أن استعمال هذا الأسلوب لم يمنع من ظهور الشعرية الرائعة فيها، والتصوير والخيال البديع.

الكلمات المفتاحية: ملاحح - الهوية - الوطنية - الشعر السعودي

المقدمة

فنونّه ومذاهبه ومدارسه؛ إلا أن الشعراء على اختلاف مشاربهم وأفكارهم وأطروحاتهم لم يجمعوا على شيء إجماعهم على حب الوطن. وشعرنا العربي عامة، والسعودي خاصة حفل بالقصائد التي تتغنى بالوطن وحب الوطن، وعشق الوطن، وفداء الوطن.

تبرز الهوية الوطنية بوصفها أحد أهم مكونات النسيج الاجتماعي، ومحل فخر واعتزاز الكثيرين وعلى الأخص الشعراء الذين تغنّوا بها في قصائدهم، وزينوا بها دواوينهم. ومهما اختلفت أغراض الشعر، وتعددت

شعرائها. ثم مبحث أول بعنوان: (عنوان الديوان). ثم مبحث ثانٍ بعنوان: (ظواهر فنية في الديوان) تناول عنصري الزمان والمكان. ثم مبحث ثالث جاء بعنوان: (أساليب فنية في الديوان) تناول أسلوب التكرار والنداء. ثم خاتمة جاءت لتؤكد على تميز هذا الديوان بحضور العاطفة الوطنية الأصيلة فيه، الأمر الذي أدى إلى وفرة في عدد قصائده الوطنية. كما ظهر المكان متعدداً في صورته وأسننته وهو ما قصر عنه عنصر الزمن في هذا الديوان. ومما قد يؤخذ على الشاعر هو ميله إلى اللغة الخطابية، واستعماله الأسلوب التقريري والمباشر الذي اتسمت به جُلّ قصائد الشاعر مسلّم بن فريج العطوي في ديوانه الذي بين يدي هذا البحث، مع ملاحظة أن استعمال مثل هذا الأسلوب في تلك القصائد لم يمنع من ظهور الشعرية الرائعة فيها، والتصوير والخيال البديع. أما بخصوص الدراسات السابقة فيمكن التأكيد على أن هذا البحث لم يُسبق بدراسة أو بحث تناولاً تحديداً ملامح الهوية الوطنية لدى الشاعر مسلّم العطوي موضوع البحث، على حدّ علم الباحث حتى إعداد هذا البحث؛ إلا ما كان من مشروع بحث بعنوان: "ديوان وطني عشقتك - دراسة موضوعية وفنية" للطالب نايف سالم العمراني، استكمالاً لمتطلبات الحصول على الماجستير بقسم اللغة العربية بجامعة تبوك/١٤٤٠هـ، تناول من خلاله كامل قصائد الديوان بالدراسة والتحليل، محاولاً تبيان أهم موضوعاته، وأهم الظواهر

والشاعر مسلّم بن فريج العطوي^(١)، واحد من شعراء منطقة تبوك في المملكة العربية السعودية، وله ديوان بعنوان "وطني عشقتك" وهو من أواخر شعراء المنطقة طباعة لديوانه الذي ركز فيه على الوطن وحبه، وعلى الوطنية وجوهرها، ودبّجه بالعديد من القصائد الوطنية الملهمة، ويأتي عنوان الديوان تأكيداً على هذه المعاني.

وبالرجوع إلى هذا الديوان ألفاه الباحث خليفاً بالدراسة، وتبسيط الضوء، بهدف تناول أبرز الملامح الأدبية والفنية في القصائد التي تناولت الوطن في ديوان هذا الشاعر، مقدمة قراءة موضوعية فنية، متكنة على المنهج الأسلوبى ابتداءً بالعنوان وتجلياته، وما تخلل الديوان من قصائد المدح لشخصيات وطنية بارزة من الملوك والأمراء، وذكر أماكن ومدن وفُرى على ثراه. وكذلك ناقشت عددًا من الظواهر الفنية التي تكررت في القصائد الوطنية في هذا الديوان، وكانت لافتة كعنصري الزمان والمكان، وعددًا من الأساليب كالتكرار، والنداء. وتأتي أهمية هذا البحث معززة لمعاني الهوية الوطنية وملاحمها وعاطفتها لدى الشعراء السعوديين بعامّة، والشاعر مسلّم العطوي بخاصة، وكيف عبّر الشاعر عنها؟

وقد جاء هذا البحث في مقدمة عرضت الهدف منه، وأهميته، والمنهج المتبع في دراسته، وسؤال الكيفية، وعدم السبق إليه. ثم تمهيد تناول فيه الباحث لمحة موجزة عن طبيعة الحركة الشعرية في تبوك، وأبرز

حتى سنة تقاعده عام ١٤٣٠هـ. شارك بشعره في العديد من المناسبات الوطنية والأمسيات الشعرية في منطقة تبوك وخارجها. (يُنظر: مسلم فريج العطوي، ديوان وطني عشقتك، النادي الأدبي الثقافي: تبوك، ١٤٣١هـ، صفحة الغلاف الخارجي).

(١) شاعر سعودي من مواليد بادية اللوز إحدى ضواحي منطقة تبوك. بكالوريوس اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٣٩٥هـ. عمل مدرساً في معهد الرياض العلمي ثم معهد تبوك العلمي حتى عام ١٤٠٢هـ، ثم نقل عمله برغبته إلى إمارة منطقة تبوك

الله-، والشاعر مسلم بن فريج العطوي، وغرامة خلوفة العمري، وهيام حماد العطوي، ونايف الجهني، وعبدالرحمن الشعبان -رحمه الله-، وهم باستثناء الشاعر مُسلم العطوي كانوا من أوائل الشعراء طباعة لدواوينهم.

وكان لافتًا تقدم الحركة الشعرية في المنطقة منذ عام ١٤١٥هـ، وهي السنة التي افتتح فيها النادي الأدبي في تبوك، فكثرت إقامة الأمسيات الشعرية في تبوك المدينة، وفي المحافظات التابعة لها، وشارك في إحيائها شعراء المنطقة، وبرزت أسماء جديدة مثل الشاعر محمد فرج العطوي، وعلي آدم هوساوي، وعبدالرحمن الشقي العمري، وزاهر البارقي (رحمه الله)، وصالح العمري، وعبدالرحمن الحربي، وغيرهم. وقد تنوّعت القوالب الشعرية التي نظم فيها هؤلاء الشعراء حيث نظم بعضهم على أسلوب الشعر العمودي، ومن هؤلاء: مُسلم فريج العطوي، وعبدالرحمن الشعبان، وزاهر البارقي. وبعضهم زواج بين شعر التفعيلة والشعر العمودي، أمثال: نايف الجهني، ومحمد فرج العطوي، وعلي هوساوي...، وغيرهم. ولم يخلُ الأمر من نظم قصيدة النثر والتجريب في مثل هذا الأسلوب الشعري، ومن هؤلاء: علي عمر با راجي، ومنصور الجهني، وهذان الشاعران نتاجهما مطبوع ومتداول. وقد نظم شعراء المنطقة شعرهم في موضوعات الشعر المعروفة

الفنية التي اعتمد عليها الشاعر في إبراز إحساسه، وإيصال المعنى الذي يريد، وقد جاء حديثه عن الوطن منحصراً في قصائد قيلت في مدح عدد من الشخصيات الوطنية، وقصائد ركّزت على صورة الوطن بين الماضي والحاضر، وهو ما اختلف مع هذا البحث على ما جرى الإشارة إليه آنفًا.

تمهيد:

تعدّ منطقة تبوك إحدى مناطق المملكة العربية السعودية التي ظهر فيها عدد من الشعراء الذين كان وما زال لهم أثر في حراكها الأدبي والشعري تحديداً. وإسهام شعراء هذه المنطقة كثير ووافر خلال الأربعين عامًا الماضية؛ فقد طبع سليمان المطلق ديوانه الأول (قبضة من أثر جميل) عام ١٤٠١هـ، وغرامة العمري لديوانه (زمن من حجر) عام ١٤١٤هـ، وهيام حماد طبعت ديوانها (لحن من أعماق البحر) عام ١٤٠١هـ، وديوانها (قارب بلا شراع) عام ١٤٠٧هـ، ونايف الجهني طبع ديوانه (سريعًا كمن لا يمر) عام ١٤١٧هـ، وعبدالرحمن الشعبان طبع ديوانه (بلا ألوان) عام ١٤١٤هـ، وديوانه الثاني (ألوان) عام ١٤١٥هـ. ثم توالى طبع عدد من دواوين شعراء المنطقة مثل ديوان (بوح الروح) وديوان (وطني غنيت لك) للشاعر محمد فرج العطوي. وديوان (تفاصيل ما حدث)، وديوان (ثلاثون جرحًا) للشاعر غرامه العمري، وديوان (نغم الأرض) للشاعر صالح العمري، وديوان (وطني عشقتك) للشاعر مسلم فريج العطوي، وديوان (احتقال) للشاعرة فاطمة القرني. وديوان (أحاسيس شاعر) للشاعر زاهر البارقي -رحمه الله-. وبرزت أسماء في هذا الاتجاه من مثل: الشاعر سليمان المطلق -رحمه

وتفرّق الأهلون هم والمعشّر
ودنا إليها الطامعون ليثثروا^(٣)

والشاعر هنا يجمل عددًا من الصور لما كانت عليه حياة الجزيرة العربية قبل ظهور الملك عبدالعزيز، فكان من تلك الصور الجهل والغفلة، والخوف وانعدام الأمن، والتقاطع والتناحر، وانتشار الخرافات والأباطيل. وفي كل مناسبة نجده يؤكد على تلك الحقائق التاريخية، ويعمد إلى تكرارها تذكيرًا بها، ففي قصيدته التي بعنوان: "جاءت تلاقي بكل الحب سلطانًا" يقول:

بالأمس كانت ظروف العيش تقهرنا
والناس إما عدو شامت أبدًا

كنا من الجهل والتفريق قُطعانا
أو صاحب كان في الحاجات ينسانا^(٤)

وهو هنا يضيف ملمحًا آخر للحياة الماضية يتمثل في حالة الناس المحيطين بأرض الجزيرة حيث يقسمهم إلى قسمين؛ فهم إما عدو شامت متربص، وإما صاحب لا يُعرف إلا إن كانت له حاجة، وينسانا إن كانت لنا عنده حاجة، فلم يكن لأهل هذه البلاد من ظهير ولا نصير في ساعات الشدة، وزمن المحن والخوف.

كالوجدانيات، والوطنيات، والمشاكل الاجتماعية، والقضايا القومية والإسلامية.^(١)

وفي ديوان "وطني عشقتك" الذي بين أيدينا للشاعر مسلم بن فريج العطوي، يمثّل الشعر الوطني فيه أغلب قصائده، وقد خصّه الشاعر بقسم أسماه "وطنيات"، وكثيرًا ما تضمنت هذه القصائد صورًا من الماضي الذي عاشته بلاد الجزيرة العربية قبل توحيدها على يد مؤسسها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - طيب الله ثراه - حيث نقلت لمحات مما كان يعانيه سكان هذه الجزيرة من أحوال معيشية ضنكة، وحياة تنقل وترحال دائمتين، وشظف وخوف. وفي هذا المعنى يقول في قصيدة له بعنوان "مصمك التاريخ"، مصورًا حياة الناس قبل توحيد البلاد:

أرض الجزيرة يوم طال سباتها
كان التخلف والظلام يلقها

جال الردى فيها وصال المنكر
والخوف فيها والتناحر يُنشر^(٢)

ويصوّر كذلك تأزم الأوضاع المعيشية بين السكان حتى وصل الأمر إلى تتكّر الأقرباء لبعضهم: وتتكّر البعض القريب لبعضه قُرب العداة وكثّروا عن نابهم

(١) مسلم فريج العطوي، ديوان وطني عشقتك، النادي الأدبي الثقافي: تبوك، ١٤٣١هـ، ص ٥٣
(٢) الديوان، ص ٥٣
(٣) الديوان، ص ٥٢

(١) يُنظر: موسى العبيدان، متاح على الرابط الإلكتروني التالي:
<http://www.arabicmagazine.com/arabic/articleDetails.aspx?Id=5582#>

فكان حتمًا أن يندفع الشاعر في تعبيره عن فخره لوطنه، وينظم فيه قصائد حبه له، واعتزازه به، عادًا إياه ذرة الأوطان، وتاج العلا، ومنبع الأمجاد دونًا عن

يا ذرّة الأوطان يا تاج العلا
خفقت إليك جوانحي يا ملهمي
يا منبع الأمجاد يا طهر الثرى
ونذرتُ فيك يراعتي والدفتر^(٤)

المبحث الأول: عنوان الديوان

يشكّل العنوان أهمية كبرى في الأعمال الإبداعية وغير الإبداعية، إذ هو العتبة الأولى التي يطؤها القارئ قبل ولوجه النص، وهو غالبًا أول ما تقع العين عليه فيكون همزة الوصل بين مبدع /مُرسل النص، وبين قارئ/مُستقبل النص. والعنوان واحد من أهم العتبات التي تؤثر في عملية التلقي مقارنة بالعتبات الأخرى بوصفها نصوصًا موازية كالغلاف الخارجي، والإهداءات، واسم المؤلف، والملاحق التوضيحية، والغلاف الخارجي، وغير ذلك مما يُطلق على مجموعها "النصوص الموازية"؛ فهذه العتبات هي إشارات سيميائية تبعث رسائل في فضاء العلاقة بين النص والمتلقي^(٥). ومن هذا المنطلق يدخل العنوان والنص/ الشعر في علاقة تكاملية وترابطية الأول بوصفه أولى العتبات يُعلن، والثاني يفسّر

ثم نجده يقابل ذلك بصور أخرى حيث تفتقت في الحاضر الزاهر قيم حياتية جديدة، خالفت سلبيات المرحلة السابقة؛ فتحدث الشاعر عن قيم العدل، والوحدة، والتآخي، ولم الشتات، والأمن، والبناء... حيث يقول في إحدى قصائده:

فتلاحمت أركانها بتآلف

وتناغم بكَرّ الزمان ويندُر^(١)

حيث يبدي الشاعر حالتين متداخلتين وضعنا القارئ أمام استغراب، وأوضاع متحولة سببها صقر الجزيرة، وجامع شتاتها، وموحدها بعد فرقة وشتات، فيذكر "الوحدة" ثم يعقبها بذكر "الشر" الذي كان يحتدم، في مقابلة تجربنا على ملاحظة الفرق، والإحساس بقيمة المنجز الذي تحقق لهذه الجزيرة، وأهميته:

صقرُ الجزيرة أبلَى في جزيرتنا
أسدى لها وحدة والشر يحتدم^(٢)

وفي موضع آخر من القصيدة ذاتها تبرز حالتان مختلفتان بالاعتماد على أسلوب المقابلة ذاته، حيث يتحدث الشاعر عن العدل في مقابل انهزام فلول الظلم أمامه على يد عبدالعزيز الهمام:

عبدُ العزيز كتاب الله شرعته

بالعدل أمست فلول الظلم تنهزم^(٣)

(٤) الديوان، ص ٦١

(٥) حسن النعمي، بعض التأويل، مقاربات في خطاب السرد، النادي الأدبي: الرياض؛ المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء، ٢٠١٣م، ص ٣٩

(١) الديوان، ص ١٤

(٢) الديوان، ص ١٩

(٣) الديوان، ص ١٩

مهمان في الكشف عن جوهر الرؤية الشعرية، ومحركاتها ضمن القصيدة، ولا يتحقق الأثر الجمالي التام إلا بتلاحم الرؤية المكانية والزمانية في الشبكة النصية للقصيدة، وهكذا "يستحيل الزمن بموجب محتوى النص إلى سلسلة من الحركات المتموجة المختلطة التي تتلاعب في إدراك المشاعر، بحيث تتشكل اللحظة الحاضرة في الإدراك المركب للماضي، وإن بصورة مشوشة عند بعض الشعراء. فالحظات الماضي التي تعول على لحظات الماضي، تبعث في النص الشعري طاقة قوية لها صفة الإشعاع الحي في الحاضر كما في الماضي أو في المستقبل، وتتيح للقارئ أن يجد فيها أبعاداً جديدة ومتعددة"^(١)، وفي المقابل فالمكان هو تلك المساحة التي تنعكس عليها الأحداث الزمنية، بوصفها نقطة تحفيز المكان وتحولاته، وفيوضاته العاطفية فإن خصوصية المكان تكمن في المؤثر الزمني وخصوصية الزمان تكمن في المؤثر المكاني في ثنائية متناغمة، وتبعاً لعلاقة الألفة التي تجمع بينهما، لذا فإن "علاقتنا بالمكان تتطوي- إداً على جوانب شتى ومعقدة تجعل من معاشتنا له عملية تجاوز قدرتنا الواعية لتتوغل في لا شعورنا. فهناك أماكن جاذبة تساعدنا على الاستقرار، وأماكن طاردة تلفظنا. فالإنسان لا يحتاج إلى مساحة فيزيقية يعيش فيها، ولكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره، وتتأصل فيها هويته، ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان والهوية شكل الفعل على المكان لتحويله إلى

ويفصل ملفوظاً مبرمجاً الى درجة إعادة إنتاج أحياناً.^(١) "وطني عشقتك" هو عنوان هذا الديوان الذي بين يدي البحث، وهو عنوان لقصيدة فيه، وذلك من باب تسمية الكل بالجزء. وإنه لمن الملاحظ هذه الصيغة النحوية التركيبية حيث أضاف الشاعر "الوطن" إلى ياء المتكلم، عن طريق الإضافة المعنوية بحرف اللام بمعنى "وطن لي"، وكيف أن الوطن هنا قد اكتسب التعريف، والإضافة فيها من معاني الالتصاق والقرب والاندماج، وكأن الشاعر ابتداء يقول: الوطن أنا، وأنا الوطن في ثنائية تختزل كل معاني الاندماج. ثم يغلف كل ذلك بغلاف العشق، وليس أي عشق؛ إنه عشق قديم ليس وليد اللحظة، أو وليد موقف ما، استعمل له الفعل الماضي "عَشِقَ" تأكيداً على تلك الأقدمية والأسبقية في العشق في صيغة خطابية ماهرة بـ "الكاف" هذا الحرف المهموس الذي يجري معه النفس جريان حب هذا الوطن في عروق أبنائه المخلصين له، الذائدين عن حياضه، المتفانين في الدفاع عنه. والعنوان هنا إنما يقدم نصّاً آخر في حب الأوطان، وجميل الانتماء إليها، والالتحام بها بما يشبه الجسد الواحد، والبناء القائم المتماسك.

المبحث الثاني: ظواهر فنية في الديوان

يلحظ المستقرئ لديوان "وطني عشقتك" لمسلم العطوي، اشتماله على عنصرين فنيين لافتين هما: عنصر الزمان، وعنصر المكان، وهما عنصران

(١) قصي الحسين، تشظي السكون في العمل الفني، مجلة الفكر العربي: بيروت، ص ٢٠٧.

(١) يُنظر: رشيد مالك، السيمائية بين النظرية والتطبيق، جامعة تلمسان: الجزائر، ١٩٩٤م، ص ١٦٢.

١/ الزمن: ثنائية الظلام والنور

حظيت قصائد الفخر الوطنية في ديوان "وطني عشقتك" بتقسيم بارز للزمن وفق دلالات الظلام والليل والخوف، ومفردات زمنية دالة على الأنا والامن. حيث قسّم الشاعر زمنه الشعري في هذا الديوان إلى قسمين: قسم صوّر فيها الفترة الزمنية التي سبقت حكم الملك عبدالعزيز آل سعود حتى دخوله الرياض. والقسم الآخر صوّر فيه الفترة الزمنية التي تلت فتح الرياض، وما أعقبها من مراحل التأسيس والتوحيد. لذا فقد ترددت مفردات الليل والظلام والجهل والخوف وما يرادفها في أبيات اختصت بتلك الفترة الماضية التي سبقت توحيد البلاد، وفي المقابل نجد دلالات النور والضياء، وانبثاق الفجر، وتبدد الظلام في أبيات اختصت بالفترة الزمنية التي أعقبت مرحلة الفتح. ولنا أن نلاحظ براعة الشاعر وهو يرسم صورة ابتداءً مرحلة التصميم على فتح الرياض وكيف أنها انطلقت في "الليل":

وسرى بها عبدالعزيز مسطرًا

في موكب التاريخ مجدًا يكبرُ^(٥)

وكيف أن أرض الجزيرة العربية كانت رازحة تحت وطأة الظلام المطبق، لكنها في الوقت نفسه كانت دائمة التلفت وانتظار فجر جديد يعم بنوره أرجاءها:

مرآة ترى فيها الأنا صورتها، فاختيار المكان، وتهيته يمثلان جزءًا من بناء الشخصية البشرية (قل لي أين تحيا أقل لك من أنت).^(١)

الزمن:

الزمن أو الزمان: "اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم: الزمن والزمان العصر، والجمع أزمان وأزمان وأزمنة...، وأزمن الشيء طال عليه الزمن...، وأزمن بالمكان أقام به زمانًا، وعامله مزامنة وزمانًا من الزمن".^(٢) وفي الأدب ارتبط الزمن "بالزمن الإنساني... كجزء من خلفية حياته الغامضة، كما أنه يدخل في نسيج الحياة الإنسانية، والبحث عن معناها. فطبيعته لا تحدد إلا ضمن نطاق الخبرة الذاتية، أو ضمن نطاق حياة إنسانية تعتبر حصيلة هذه الخبرات، وبذلك يصبح تعريف الزمن بأنه خاص، شخصي ذاتي. وكما يقال غالبًا نفسي، ونعني بذلك أننا نفكر بالزمن الذي نخبره بصورة حضورية مباشرة"^(٣). والاهتمام بالزمن ظاهر في كل فن، "وهو حاضر في بحث الشعراء عن إيقاعات أكثر حرية من الأنماط المقفلة نسبيًا للأوزان والمقاطع التقليدية"^(٤).

وفي ديوان "وطني عشقتك" الذي بين أيدينا أمكن أن نلاحظ الزمن في إطار عدد من الدلالات ومن ذلك:

(٣) نضال دكاش، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم، دار سائر المشرق:

بيروت، ٢٠١٧م، ص ٣٥

(٤) أ.أ. مندولا، الزمن والرواية، ترجمة: بكر عباس، دار صادر: بيروت،

١٩٩٧م، ص ١٧

(٥) الديوان، ص ١٤

(١) يُنظر: يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، ترجمة: سيزا قاسم، مجلة

ألف: الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ١٩٨٦م، ع/٦، ص ٨٣

(٢) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر: بيروت،

١٩٦٦م، مج/١٣، مادة: [زمن]، ص ١٩٢

وفي قصيدته "دوحة المجد" يؤكد الشاعر على تلك الدلالات الزمنية المرسخة لهذا الحدث العظيم الذي قلب الموازين، ولفت الأنظار، وحرك النفوس خصوصاً مع الساعات الأولى لذلك الفتح المظفر المبارك الذي انطلق معه الضياء تحفه رياح "صبا نجد" التي تهب مع بواكير الصباح معلنة عن انطلاق النور، وانقشاع الظلام، فأضحت "الرياض" بعدها دوحة أمن وأمان، ومصدر ضياء، يهتدي بها التائهون في الظلمات الحالكة، ويقصدها السائرون:

بزغ الضياء من المشارق يظهر
هبت صبا نجد فذي نفحاتها
والطير تهمس لحنها بل تجهر
نشر الخزامى بالعرار يعطر

إلى قوله:

للمجد يَغرَس دَوْحَةَ شَمَاخَةٍ
بثرى الجدود إليها يعيشو السائر^(٤)

٢ / الزمن: ثنائية الماضي والحاضر

اقتضى وصف المرحلة التي عاشتها الجزيرة العربية قبل العهد الزاهر وبعده أن يسيطر الزمن في صيغتي الماضي والحاضر على ملامح الصورة العامة لكل من يريد أن يتناول مظاهر النهضة والتقدم فيها، وما تعيشه بلادنا اليوم بحيث تبرز هذه الثنائية بشكل لافت تأكيداً على مرحلة (الما قبل) (والما بعد)، فعندما يقول

أرض الجزيرة يوم طال سباتها
كان التخلف والظلام يلقها
وتلفتت ترحو النجاة ودربها
جال الردى فيها وصال المنكر
والخوف فيها والتناحر يُنشر
ترنو إلى فجر جديد يظهر^(١)

ثم هو يتدرج من الظلام إلى انبثاق النور، وشروق الشمس الذي سيبدد تلك الصورة الظلامية، ويمزق ظلام الليل والوحشة والخوف، لتأتي مفردات من مثل: (الفجر - أشرقت - الإصباح - الشمس،...) مخيمة على أجواء القصيدة، باعثة فيها الأمل والإشراق؛ ليضيء الفجر من جديد، وتزول الظلماء على يد القائد عبدالعزيز الهمام الذي صحت معه الجزيرة على زمن جديد مختلف، ونهار مشرق مضيء:

فجر أضاء من البيداء وأتلقا
عبدالعزیز مع الإصباح أيقظها
فمرق الليل والظلماء والغسقا
كيما يُعيد لها من مجدها ألقا^(٢)

وإنه لمن الحتمي بعد كل هذا أن يظهر هذا الكيان، وهذه الدولة في صورة نورانية مزهرة انعكس نورها، وامتد ضياؤها ليشمل الحياة كلها:

هذا الكيان وذو مآثر وحدة

أضحت بها الدنيا تضيء وتزهو^(٣)

(٣) الديوان، ص ٥٥
(٤) الديوان، ص ٢٠، ٢١

(١) الديوان، ص ٥٣
(٢) الديوان، ص ٤٨

شدوثُ اليومَ في الدنيا جِهارا
فهذا وطني إلى الأمجاد يسمو
سعوديُّ أنا أزهو فخارا
وفوقَ الشهب شقَّ له مدارا^(٢)

ومن الممكن ملاحظة حركة الفعل هنا وكيف أنها جاءت متوازنة بين الفعل الماضي (شدوثُ)، والفعل المضارع (أزهو) في سياق زمنية الحدث (اليوم). ثم هو يقدّم المضارع (يسمو) على الماضي (شقَّ)؛ فعندما أراد الزهو بهذا الوطن العظيم قدّم له بالفعل الماضي لتعميق مثل هذا الشعور، وأنه شعور قديم راسخ في وجدانه مليء بالفخر، وعندما أراد السمو لوطنه قدم الفعل المضارع دليلاً على الحالية والاستمرارية والدوام.

وتكرّر "المضارع" بعد "الماضي" لدى الشاعر تتحقق معه معاني الانتصار، ودواعي الفخر، وبه يكون انبثاق الفجر الجديد بعد طول سبات، ويظهر شيء من ذلك في قصيدة للشاعر بعنوان: "مصمك التاريخ" إذ يعتمد إلى التذكير بالحالة التي كانت تعيشها الجزيرة العربية قبل الثورة المباركة للملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود، وبما يقتضيه المقام من تقديم الماضي، فنجدّه يقول:

أرض الجزيرة يوم طال سباتها
كان التخلف والظلام يلقها
وتتكرّر البعض القريب لبعضه
قرب العداة وكشروا عن نابهم
جال الردى فيها وصال المنكر
والخوف فيها والتناحر يُنشّر
وتفرّق الأهلون هم والمعشر
ودنا إليها الطامعون ليبتروا^(٣)

الشاعر مُسلم العطوي في قصيدته التي بعنوان "يوم تسامى على الأفلاك منزلة":

من كان يمشي وقرّ البرد يلفحه
يُمّتع اليوم في الخيرات مبتهجًا
على تراها وفي رمضائها احترقا
جادت عليه ومن نعمائها رزقا^(١)

فهو هنا إنما يستحضر الزمن الماضي ممزوجًا بالزمن المضارع (كان يمشي) في تركيبية أسلوبية ثنائية التركيب تعميقًا لحالة الضنك والشدة التي كان يعيشها أهل هذه الجزيرة، ثم هو في المقابل اليوم يعيش حياة أخرى مختلفة بل وعلى الضد تمامًا (يُمّتع اليوم)، ثم نلاحظه يردد عائدًا إلى الماضي (جادت عليه)؛ لكن ليس ذلك الماضي السالف ذكره عن حياة الشدة والضعف، إنما هو ماضٍ نابغٍ من حاضر أصبح حقيقة، فها هو اليوم يرفل في النعم ويتقلب.

وتتكرر لدى الشاعر مثل هذه الثنائية في العديد من قصائده خصوصًا الوطنية منها، ففي قصيدة له بعنوان: "أنشودة للوطن" قالها بمناسبة تحرير الكويت بعد حرب الخليج الثانية عام ١٤١١هـ، ومنها هذان البيتان:

(٢) الديوان، ص ٥٣

(١) الديوان، ص ٤٩

(٢) الديوان، ص ٤٣

أو يشكو منه.^(٤) ووفق هذا التصور كان من الملاحظ في ديوان "وطني عشقتك" لمسلم العطوي، أنه لجأ إليه في تعامله مع الزمن بحيث أضفى عليه عددًا من الصفات البشرية، في قالب إنساني حيّ الأمر الذي يعطي النص معه روحًا وحركة تكسبه الحياة والتفاعل في ذهن المتلقي. ففي نص "يوم تسامى على الأفلاك منزلة"، يقول الشاعر:

فجرٌ أضاء من البيداء وأتلقا
وسجّل الكون والتاريخ ملحمةً
يوم أنار لنا في دربنا سُبلاً
يوم تسامى على الأفلاك منزلةً
فمزّق الليلَ والظلماء والغسقا
كلّ الدُنا رشفت من عطرها عبقا
كضوء صبح بدا بين الدجى انقلقا
أما المكان فذا بالقلب قد لصقا^(٥)

بحيث يظهر الزمن في صورة إنسانية مليئة بالحركة المستمدة من عدد من الأفعال التي خلعتها عليه الشاعر وهي من فعل البشر طبيعة، فتغدو صورًا متفاعلة: (فجر أضاء - يوم أنار لنا - يوم تسامى - مزّق).

ويرسم الشاعر الصورة في نص "مصمك التاريخ" مضميناً على الزمان صورة إنسانية متعددة الخصائص، فنجد الزمان وقد تحول إلى إنسان يتحرك، بل ويشهد براعه ويقوم بفعل الكتابة، ثم يخاطبه مخاطبة إنسان

ثم بعد عدد من الأفعال الماضية (طال - جال - صال - كان - تتكرّر - تفرّق - قُرب - كثرُوا - دنا)، وبعد طلب النجاة من هكذا حال بئس، وأوضاع مهلكة، يُطلّ الفعل "المضارع" كما أسلفنا مبشراً بالنجاة وأسبابها:

وتلفتتْ ترجو النجاةَ ودرّبها

ترنو إلى فجر جديد يظهر^(١)

ولعلنا هنا نلاحظ الأفعال المضارعة (ترجو - ترنو - يظهر) على قلتها مقارنة بالأفعال الماضية المتقدمة تأتي متسقة مع حالة الانفراجة تلك التي تحققت على يد الملك عبدالعزيز المتمثلة في استيلائه على الرياض ومن ثم فتحها، وبداية الانطلاقة نحو باقي أرجاء الجزيرة لينطلق بذلك فجر جديد، وأمل جديد.

٣/ الزمن والمجاز

يُعرّف المجاز بأنه: "استعمال اللفظ في غير معناه الأصلي"^(٢)، ومنه المجاز اللغوي؛ "ويكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معانٍ أخرى بينها صلة ومناسبة"^(٣). ومن ذلك كأن يظهر الزمن بصفات من صفات البشر؛ فالزمن يأتي ويمضي، يبسط ويقتل، ويعطي ويمنع. وللزمن رأس ووجه ويد وقدم. نجده يأكل ويشرب، يغضب ويرضى، يبدو حليماً في تصرفاته، سريع الفتك في بعضها الآخر...، والليل يغير كالجيش ليخفي ضوء الصباح. وقد يدور كذلك حوار بين الزمن والإنسان، يبته همومه، ويشتكى إليه،

(٤) يُنظر: جنان التميمي، الزمن في العربية من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني، دراسة لسانية إدراكية، دار جامعة الملك سعود: الرياض، ١٤٣٤هـ، ص ٩٣

(٥) الديوان، ص ٤٨

(١) الديوان، ص ٥٣

(٢) عبدالعزيز الحربي، البلاغة الميسرة، الدار العلمية للنشر والتوزيع: القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٤٠

(٣) عبدالعزيز عتيق، علم المعاني-البيان-البدیع، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر: بيروت، د.ت، ص ٣٣٧

الزمن، ومنح النص من خلاله روحًا وحركة أكسبته التفاعل والحياة.

المكان:

ورد في القاموس المحيط: الجذر اللغوي: "(ك. و. ن.)، وهو على وزن (مَفْعَل): (مَكُون)، صيغة اسم مكان، بمعنى (موضع الشيء) أي المحل الذي يحلّ فيه، ويشغله. و"المكانُ: الموضعُ كالمكانة، (ج) أمكنة وأماكن،..."^(٢). و"المكانُ): المنزلة، يقال: هو رفيع المكان. والموضع"^(٣). وغالبًا ما يمثل المكان أهمية خاصة للإنسان تربطه به علائق ممتدة، وروابط متأصلة. "فالمكان هو الأرض والوطن والمأوى والانتماء ومسرح الأحداث"^(٤). يقول عنه غاستون باشلار: "إنه البيت، هو كل شيء، إذ يعجز الزمن عن تسريع الذاكرة، هو مكان الألفة"^(٥). والشاعر واحد ممن يعيشون في المكان، يؤثر في تشكيله وحياته، بل في أدق تفاصيلها، "وأهم تشعباتها، فلا جرم أن نجد انعكاسات كثيرة، ودلالات مختلفة لهذا التأثير والتأثر بين الإنسان الشاعر ومكانه"^(٦). وعلى المستوى الفني يتشكل المكان في النص الشعري تحديدًا من خلال اللغة، والصورة الشعرية، والخيال، والبنية القصصية، أو السرد القصصي للنص. وفي ديوان "وطني عشقتك" تماهى الشاعر أكثر ما تماهى مع دلالة الصور الشعرية للمكان، وحركية المكان واستنطاقه، وذلك على النحو الآتي:

لإنسان بأن ينظر ليرى مفاخر هذه البلاد سطورَ مجد بها يفخر:

فاشحذُ يراعك يا زمان مُفاخرًا

واكتب بماء التبر كل سطورها

وانظرُ إلى ما امتدَّ فيها يزخرُ

إن كنت تسمع يا زمان وتبصرُ^(١)

وظّف الشاعر العطوي الزمن في قصائده بشكل متنوع، بحيث ظهرت مفرداته بصور مختلفة بحسب الموضوع، ففي قصائده الوطنية قسم الشاعر الزمن فيها إلى قسمين: الأول؛ حمل دلالات توحى بالظلمة الوحشة، لتكثر معها مفردات ارتبطت بالظلام والليل ربطها بالفترة الزمنية الماضية التي سبقت توحيد المملكة مستعملًا لها الفعل في صيفته الماضية. والقسم الثاني؛ ظهرت فيه دلالات توحى بالأنس والنور، وانزياح الظلمة، وصف بها الشاعر الزمن بعد توحيد البلاد على يد الملك المؤسس طيب الله ثراه. وعند حديثه عن الزمن الحاضر ربط مظاهر التقدم والحضارة في البلاد بمفردة (اليوم) التي تكررت في مواضع الفخر بمنجزات الوطن، وما تحقق له من تقدم وازدهار في شتى المجالات حرصًا على تأكيد منجزات الوطن في عقل المتلقي بربط الواقع الحضاري بالحظة الزمنية الراهنة. وكذلك تعدد ظهور المفردة الزمنية في قالب إنساني تشخيصي حيّ، شخّص فيه الشاعر

(١) الديوان، ص ٥٥

(٢) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار المعرفة: بيروت، (د.ت)، مج/٤، مادة [الكون]، ص ٢٦٤

(٣) إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبدالقادر، ومحمد علي النجار، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، (د.ت)، مادة [كان]، ص ٨٠٦

(٤) سلمى باحشوان، المكان في شعر طاهر زمخشري، دار جامعة الملك سعود: الرياض ١٤٣٧هـ، ص ٩

(٥) غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، ط ٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر: لبنان، ١٩٨٤م، ص ٣٩

(٦) محمد الطربولي، المكان في شعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، دار الصادق الثقافية: الأردن، ١٤٣٣هـ، ص ٢٦، ٢٧

١/ صورة المكان

تتاول الشاعر العديد من صور المكان في ديوانه، حيث ذكر عددًا من المدن السعودية والحديث عن المدن أو الأماكن السعودية بعامّة هو حديث عن هوية وطنية- مثل: تبوك، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والرياض، وأبها، ومدنًا من منطقة تبوك كمدينة الوجه، وهي الاسم الذي "يُطلق على واد من أودية تهامة، ينزله الحجاج القادمون بطريق الساحل من مصر أو الشام... كما كان يُطلق على ميناء تقع في مصبّ ذلك الوادي في البحر"^(١)، وأملج، وهي "بلدة على ساحل البحر الأحمر، من أشهر الموانئ بين ينبع والوجه، فيها إمارة تابعة لإمارة تبوك، ويتبعها قرى ومناهل للبادية"^(٢)، وحقل، وهي قرية وميناء فيها إمارة تابعة لإمارة القريات"^(٣). كما وجدناه يتناول أماكن ذات بعد تاريخي مثل: قصر المصمك، وقرية الدرعية بالرياض. وأماكن أخرى لها خصوصية دينية مثل: المسجد الحرام، والمسجد النبوي. ولم يخل الديوان من ذكر لبعض المواقع الجغرافية ذات الدلالة في حياة الشاعر التي تقع في محيطه في منطقة تبوك مثل: جبل اللوز، وصحراء جسمى، وقلعة الأزمن، وقلاع المويلح، وغابات الديسة، وغيرها.^(٤)

هذا وقد حمل المكان لديه ذكريات ولحظات تاريخية مرت بعمره أو بتاريخه العاطفي، ذات أهميتها فـ كما أنها تحمل مواقف وعواطف وانفعالات خاصة وعامة.

صوّر الشاعر عددًا من مدن المملكة في صورة فتاة حسناء، ومعشوقة يهيم بها العاشق، كما في وصفه لطيبة الطيبة:

أطيبة فيكِ يدوم هيامي
ثراكِ يضمُّ رسولُ الأنام^(٥)

وتتكرر لدى الشاعر مثل هذه الصورة عندما راح يتغزل بمدينة الوجه حيث كانت عشقًا جعله يهيم بها، يماثل عشق المحب لمحبوبته:

أنا ما هاجني وجد بليلي
ولكنّي هويثُ اليوم أخرى

ولا عشقٌ بقاتة لعوبٍ

تُسمّى "الوجه" في الأصل العريب^(٦)

ثم يضيف عليها صفة إنسانية معنوية أخرى، هي صفة الكرم والعطاء:

يظلّ الجود يُكسبها ربيعًا

ولو أصبحت في الزمن الجديب^(٧)

ويصوّر بعد ذلك قسّمات وجهها التي تجبر الشعراء على التغني بها:

إذا ما دبّج الشعراءُ نظمًا

وهاموا بالفاتن مفردات

(٤) يُنظر: المرجع السابق، ج ٣، الصفحات: ٤٣٣، ٥٤٩، ٧٣٤، ٧٥٠، ١٢٩٢.

(٥) الديوان، ص ٧٥

(٦) الديوان، ص ٨٢

(٧) الديوان، الصفحة السابقة نفسها.

(١) حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، دط، ج ٣، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، دبت، ص ١٣٤٩

(٢) الجاسر، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٣٤

(٣) المرجع السابق، الجزء نفسه، ص ٤٦٢.

لوصف الخود والغصن الرطيب

فإن "الوجه" أوفر في النصيب^(١)

وفي السياق ذاته يتغزل الشاعر بمدينة "أمّج" مبررًا جانبًا من قسماتها ومفاتيحها؛ فأملج حسناء يبدو في وجهها وشوم، وحبّات خال، وحوّر في عينيها زاد من جمالها:

وفي وجناتها "حسان" تبدو

وذي الحوراء من حورٍ جلاها

كوشم زان أو حبّات خال

وهذا مطلب في العين غال^(٢)

وفي وصفه لمدينة "حقل" يمنحها صفة إنسانية معنوية تمثلت في طلبها العلا والرقي وصولًا إلى المجد:

يا حقلُ نلتِ من الأمجاد ذروتها

حُثّي خطاك لدرب المجد بالهمم^(٣)

ثم إن الشاعر لينوع في إضفاء الصفات الإنسانية عند تصويره للأماكن التي اختارها في ديوانه، أو مثلت له بعضًا من الذكريات والمواقف؛ فهي هو يُكسب جبل "اللوز" تشخيصًا يحمل في طياته صورة الأنثى الحانية التي يرتمي في أحضانها طلبًا للدفع والحنان، في صورة أنثوية يعززها ذلك الوشم في خد الحسناء:

دلغْتُ لحضنها فنعمتُ دفنًا

وتبدو الثغرة البيضاء وشمًا

كدفء الطفل في صدر الحنان

كوشم زان في وجه الحصان^(٤)

وتظهر الصفات الأنثوية بتفصيل أكثر في حديث الشاعر عن صحراء "جسمى"، فمعشوقته هذه ذات قامة شامخة، ووجه جميل، وخذّ رقيق، وجسم حريري، أما عيناها فتحملان سهامًا قاتلة لكل العشاق:

لها قامة تشرب شموخًا

وخذّ رقيق تلاً تَبْرًا

إذا ما مررت بلطفٍ ولينٍ

لمست الحرير دقيق الحواشي

وأما نتوءاتها فاستدارت

وفي مقلتها يذوبُ المعنى

وكلُّ يهيمُ بليلاه وجدًا

ووجهٌ صبيح يزيل الحزن

كأن جنى الورد فيه اندفن

رقيق الأنامل فوق البدن

تمايل دُلاً بجسم مرن

كأسفنجة تحتها تحنقن

ففيها السهام وفيها الكفن

وليلاي "جسمى" وتلك الدمى^(٥)

وتمكن الشاعر أن يضيف على المكان صفات توحى بالجمال والشموخ، كما في حديثه عن الرياض، وعن قرية الدرعية التاريخية فيها، فعن الرياض التي يبدو أن حبّها قد ملك عليه إحساسه وقلبه يقول:

هذي الرياض تلالأت أنوارها

غراء تشمخ في الرقي مكانة

(٤) الديوان، ص ٩٠، ٩١

(٥) الديوان، ص ٩٣

(١) الديوان، ص ٨٢، ٨٣

(٢) الديوان، ص ٨٥

(٣) الديوان، ص ٨٧

وعندما تغزّل بمدينة "أملج" أظهرها بصورة حركية جميلة، أظهرها كامرأة تزهو في اختيال، وتنتشي وتزهو في دلال:

ترى الحوراء تزهو في اختيالاً
تثنت أملج الغنّاء زهواً
عروساً زانها حُسن الجمال
كساها الوشي مع فرط الدلال^(٥)

وفي وصفه لمدينة "حقل" وجدناها عنده تتيه اختيالاً بثوب الحسن والجمال:
يا حقلُ تيهي بثوب الحُسن فانتةً
مُزدانة في جبين البحر كالخلم^(٦)

ثم يعيد الشاعر مثل تلكم الصور الحركية أثناء حديثه عن فرحة تبوك قاطبة بمقدم زيارة الملك خالد -رحمه الله- لها ذات عام؛ فيضفي عليها حركية تفاعلية، تمثلت في الزهو، والافتخار، ولبس أجمل الثياب، والعلم يرفرف في سمائها:

تزهو تبوك على البلدان وافتخرت
ثوب قشيب ترامى في خمائلها
أضحى يرفرف في أجوائها العلم
رياً يداعب حيناً ثوبها النسم^(٧)

ويقول أيضاً في موضع آخر:

مثل الكواكب في السماء مدارها
ويشقّ درباً في الطموح مسارها^(١)
وعند حديثه عن الدرعية نجده قد أكسبها صفة إنسانية واحدة تمثلت في وقوفها شاهدة تطالع أفعال الملك المؤسس عبدالعزيز البطل في توحيدهِ للبلاد؛ فهي تحمل ذاكرة إنسانية تسجل تلك الأحداث الخالدة:
درعية الأمجاد تشهد فعله
وتُعيدُ فيها الماضيات وتذكر^(٢)

٢/ حركية المكان واستنطاقه

بدأت صورة بعض الأماكن لدى الشاعر مسلّم العطوي، مفعمة بالحركة والحياة؛ قادرة على شحن النص بالدلالات العاطفية، والانفعالات النفسية. ففي تناوله لصورة البيت الحرام، وجدناه وقد خلع على المكان صفة العلو والشموخ، كما في قوله:
والبيتُ يعلو شامخاً

للطائفين الراكعين^(٣)

وترددت مثل هذه الصورة مرة أخرى حاملة معها معاني الحركة، وذلك عندما أظهر مدينة الرياض في صورة امرأة حُرّة تتبسم فتُظهر جمال ثغرها الفتان:
يا حُرّة لمعت ببارق ثغرها
فبدت -لمن رام الهوى- أسرارها^(٤)

(٥) الديوان، ص ٨٤

(٦) الديوان، ص ٨٦

(٧) الديوان، ص ١٦

(١) الديوان، ص ٧٦

(٢) الديوان، ص ٥٤

(٣) الديوان، ص ٧٣

(٤) الديوان، ص ٧٦

اشتملت عليها قصائد الديوان. فالصحراء مثلًا تحتفل
فرحًا، وتترزين بأجمل الثياب:

القلبُ يخفقُ من أفراحه طربًا

والبيد قد لبست أثوابها القُشْبَا^(٤)

وهنا يعمد الشاعر إلى ما يعرف بأنسنة المكان حيث
يزيل معالم الوحشة النفسية، والجمود الحسي، لذلك
ومن المعروف عن الصحراء بأنها عنوان الوحشة، وما
تومئ إليه عادة تلك الوحشة إلى شعور نفسي مليء
بالحزن والوحدة والضياع والخوف، والشاعر إنما
يحاول أن يخرج من ذلك الإطار بإبراز الصحراء على
خلاف ذلك، بل ونقيض ذلك تمامًا، فهي عنده تلبس
أثوابًا نظيفة، كناية عن امتداد يد الحضارة والإنسانية
إليها خصوصًا بعد تأسيس هذا الكيان الشامخ، وتوحد
أرجائه تحت راية وحكم المملكة العربية السعودية.

وفي سياق الفرحه باللقاء تظهر لهفة الشوق على
"قصر المصمك" عند لقائه الملك عبدالعزيز في فتح
الرياض، فيستقبل هذا القصر التاريخي الفاتح بلهفة
واشتياق:

واجتاحها برجاله في خطةٍ

فتضعض الحصنُ المنيفُ أمامه

دهشتُ لها الدنيا وكم تتحيرُ

مستسلمًا متلهفًا يستبشرُ^(٥)

تلكم تبوك تثنّت في خمائلها

أضحى الأديم بثوب الوشي مُزدانًا^(١)

وقريب من تلك الصور أبيات أخرى قالها في تبوك
كذلك وقد ظهرت في صورة حركية مبتهجة بما وصلت
إليه من رقي وحضارة، فيصورها الشاعر كفتاة تتباهى
وتزهو بزينتها:

فانظر تبوكُ تُباهي اليوم منظرها

تزهو نبوكُ ففيها اليوم تنمية

كما تباهتْ بثوب الدل حسناء

والاسم يُعرفُ إن تخفأك أسماء^(٢)

وتتكرر مثل هذه الصورة الحركية مرة أخرى في قصيدة
"امد يدك" مبادلة تحية الضيف لها بتحية مثلها في
الحركة:

هبت تبوكُ لكم نشوى مرحبةً

امد يدك فقد مدت اياديها^(٣)

ولم تختلف صورة المكان الطبيعي عن صورة غيره من
الأماكن بل جعله الشاعر مكانًا حيًا متفاعلًا، فعند
حديثه عن الأماكن الطبيعية كالصحاري، والجبال،
والشطان...، التزم بنظرته للمكان بوصفه إنسانًا حيًا
يتحرك أحيانًا، ويتفاعل دائمًا مع ما حوله من أحداث.
وقد تجلى ذلك في تناوله لأماكن من الطبيعة في
مدائحه الوطنية، وغيرها من الموضوعات التي

(٤) الديوان، ص ٣٥

(٥) الديوان، ص ٥٤

(١) الديوان، ص ٢٤

(٢) الديوان، ص ٢٦

(٣) الديوان، ص ٣٣

فتلاحمت أركانها بتآلف
 إن كبر البيت العتيق وطيبة
 وتناغم بكر الزمان ويندُر
 فربي الرياض مع القصيم تُكَبِّرُ^(٢)

المبحث الثالث: أساليب فنية في الديوان

جاء في لسان العرب: "ويقال للسطر من النخيل أسلوب، وكلّ طريق ممتد فهو أسلوب. والأسلوب: الطريق، والوجه، والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويُجمع على أساليب. والأسلوب الطريق تأخذه فيه، والأسلوب بالضم الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه"^(٣)، وعرفه بعض النقاد بأنه: "الصورة اللفظية التي يُعبّر بها عن المعاني، أو هو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال، أو هو العبارات اللفظية المنسّقة لأداء المعاني"^(٤). ويرى صلاح فضل أن أدق تحديد للأسلوب يرجع إلى العلامة "ابن خلدون" الذي تناول الأسلوب في مقدمته وعرفه بأنه "عبارة عن المنوال الذي يُنسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض، وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب

وفي قصيدة "ظباء ضبا" التي تتحول فيها قلعة "الأززم" إلى رجل يختال محاكياً قلاع "المويلح"، وغابات "الديسة" في منطقة تبوك، وهي تعانق الهضاب والجبال العالية من حولها، وقرية "شواق" تشتاق لجارها "شغب"، فترفل في ثيابها للقيها:

وإن تبحت عن التاريخ تلقى
 فهذا "الأززم" المختال حاكي
 وغاب "الديسة" الفيحاء سحر
 "شواق" شاقها "شغب" فماسث
 صروحاً من عصور خاليات
 قلاعاً في "المويلح" باقيات
 تعانق في هضاب عاليات
 بوادي العين ترفل في ثبات^(١)

وضمن حضور المكان في نصوص الشاعر مسلّم العطوي، تظهر صورة المكان شخصية ناطقة معبرة عن العاطفة والأحداث، ومسجلة لأحداث التاريخ، كما ظهر ذلك في نص بعنوان "حبيب الشعب"، حيث يصور فيه الشاعر تلاحم البلاد بعد توحيد المملكة، كل مناطقها ومدنها فد تفاعلت مع هذا الحدث التاريخي الاستثنائي، لتتفاعل معه ربا الرياض والقصيم وصولاً إلى الحرمين الشريفين، فترد عليها التكبير بالتكبير، في تلاحم وطني وديني لاقت:

(٤) أحمد الشايب، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط٧، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، ١٩٧٦م، ص٦٤

(١) الديوان، ص ٨٠

(٢) الديوان، ص ١٤

(٣) ابن منظور، مرجع سابق، مج/١، مادة: [سَلَبَ]، ص٤٧٣.

الإنسانية المجدولة على غرائز الغفلة والنسيان،
والإنكار والجحود، وما إلى ذلك.^(٤)
ويبرز تكرار الألفاظ في شعر مسلم العطوي كثيرًا
خاصة الدالة منها على فكرة أو معنى معين، رغبة
في تقوية الدلالة، فتكرار اللفظة يشكل "مثيرًا أسلوبياً
يحض المتلقي على تلمس الدلالات التي تخفيها"^(٥).
ويعتمد اختيار الشاعر للمفردات على موضوع
القصيدة، فنجده يستعمل مفردات تحمل أوضح
الدلالات وأقربها في خدمة المعنى أو الفكرة التي يريد
التعبير عنها. فعند حديثه على سبيل المثال عن
الأمير نايف بن عبدالعزيز -رحمه الله- يستحضر
في مدحه مفردات ذات دلالة على الأمن في البلاد
من مثل: (الأمن - جند - أعين - عيون،...) وهي
المفردات المعبرة عن فكرة الأمن، وجهود الأمير
نايف في هذا الإطار:

إن كنت آتٍ لجند الأمن تكرمهم
عند الخطوب رجال كلهم صُبُرُ
يا نائف العز إن العز شاملنا
فأنت راجٍ وذا التكريم حَقُّهُمُ
شوسٌ تقانوا لنشر الأمن سعيهمُ
يا نائف الأمن إن الأمن منتظمٌ^(٦)

ومثل هذه الفكرة قد أكدها الشاعر في موضع آخر
وبتكرار دلالة زمنية تمثلت في كلمة (اليوم) التي

خاص^(١). وعلى ما هو ملاحظ بأن الأسلوب إنما
مُناط بعدد من التراكيب الخاصة الموصلة إلى
المعنى لأداء وظيفة معينة في النص، بهدف التعبير
عما يجول في نفس الكاتب من عواطف وانفعالات
بغية التأثير في جماعة المتلقين، وتحقيق المتعة
والفائدة في آنٍ معًا.

والديوان الذي بين أيدينا حفل بالعديد من الأساليب
انطلاقًا من هذا التصور، اعتنى بها الشاعر، وأكثر
من استعمالها، وجدنا من أهمها: التكرار، والنداء،
وذلك على النحو الآتي:

١/ التكرار

التكرار أو التكرير في اللغة: "الإعادة والترديد"^(٢).
واصطلاحًا بلاغيًا هو: أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده
بعينه، سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفًا، أو
يأتي بمعنى، ثم يعيده.^(٣) وهو على نوعين: معنوي،
وآخر لفظي. فالمعنوي: يكون بإعادة التعبير عن
المعنى الواحد بطرق مختلفة ليتضح ويقوى تأثيره. أما
اللفظي فهو: إعادة اللفظة الواحدة عددًا من المرات
في الموضع الواحد، أو المواضع المختلفة.

وللتكرار أثره في لفت الانتباه خصوصًا إذا ما
استعمله الخطيب أو الشاعر، وإذا استعمله الشاعر
بمهارة ودقة، جذب السامعين إلى رأيه، وأخذهم إلى
ناحيته. وهو في الوقت نفسه مناسب للطبيعة

(١) صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق: القاهرة،
١٤١٩هـ، ص ٩٤

(٢) ابن منظور، مرجع سابق، مج/٥، مادة: [كرر]، ص ١٣٥

(٣) يُنظر: ضياء الدين نصر الله ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب
والشاعر، د.ط، دار الكتب العلمية: بيروت ٢٠٠٢م، مج/٢، ص ١١٠،
وما بعدها

(٤) يُنظر: بدر الدين محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط ٣، تحقيق:
محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية: القاهرة: د.ت،
مج/٣، ص ٩

(٥) يمني العيد، في معرفة النص، ط ٣، دار الأفاق الحديثة: بيروت،
١٩٨٥م، ص ٩٨

(٦) الديوان، ص ٣٧

تكررت في نص من النصوص ثلاث مرات منها
اثنتان معرفة بـ (الـ)، وموضع واحد جاءت نكرة
(يوم).

في كل (يوم) كتاب المجد نفتح
طاب اللقاء إذا ما حلّ مريعنا
الفهد يمسه هذا (اليوم) دفتها
تلكم تيوك تعيش (اليوم) نهضتها
كيما يدون فيه الفعل والكلم
ليث تتوف به الأمجاد والشيم
يعطي ففاضت بها الخيرات والنعم
سعى الرجال أتاب الله سعيهم^(١)

واليوم هنا الذي ينفرد بالحاضر الآني فيه تأكيد على
دلالة حاضر مجيد مزدهر في عهد زاخر بالأمن
والأمان والرقي والازدهار، والفخر بمنجزات هذا
الوطن، وحق له.

وتكرر كذلك في الديوان استعمال عدد من الأفعال
الماضية التي دارت حول الارتباط العميق بالوطن
تعبيراً عن حب وولاء عميقين قديمين مترسخين في
وجدان الشاعر من مثل: (عشقتك - سكنت - ملكت -
نقشت - حفظت - سكبت - نظمت - رعت - لقيت -
طعمت - شربت - جريت - شممت - قطفت...):

وطني عشقتك فاستكنت متيمًا
وملكت وجداني فجتتك خاضعًا
ونقشت رسمك كالسوار بمعصمي
وسكبت فيك قلاندي وجواهري

ورضعت حبك في مهاد طفولتي
وطعمت زادك بالسعادة هائنا
وجريت في حقل السنابل لاهيًا
وشممت عطر الشيخ نداءً فائحا
وسكنت مني في الفؤاد منعما
مستسلما ولذا دعت "مسلما"
وحفظت وسمك في الشغاف منمنما
ونظمت فيك قصائدي مترنما
فلقيت دفئا ما أبر ولا أرحما
وشربت من صافي نميرك بلسما
خلف الفراشات الحيارى حائما
وقطفت زهر الروض صبًا هائما^(٢)

ولنا أن نلتقط ملمحًا آخر في تكرار مثل هذه الأفعال
يقضي بتكثيف حواسه معها؛ فحب الوطن قد تمكن
من نفس الشاعر، ومن كل جوارحه، فقد ملك جوارحه
"ملك وجداني"، وصان هذا الحب بالحفظ "وحفظت
وسمك"، واستعمل يده لنقش حبه لوطنه "نقشت
رسمك"، وعبر عن الرضاة تعميقًا لهذا الحب
"رضعت حبك في مهاد طفولتي، واسمع عريه
الأكل "طعمت زادك"، وغريزة الشراب "شربت من
صافي نميرك"، وآلة الجري "وجريت في حقل السنابل
لاهيًا"، وحاسة الشم في استنشاق عبير الوطن
"وشممت عطر الشيخ نداءً فائحا".

ولا نكاد نغادر هذه الأبيات من دون الإشارة كذلك إلى
تكرار الحرف/الضمير في نهاية الأفعال في النص

(٢) الديوان، ص ٧١

(١) الديوان، ص ٣٧، ٣٨

وليس بخاف ما يتركه مثل هذا التكرار لهذه الجملة خصوصًا إن كان في مقام المدح والتذكير بمنجزات وطنية من أثر إيجابي لدى المتلقي. ويبرع الشاعر في استعمال "كم الخبرية" هنا التي هي ليست بحاجة إلى إجابة وإنما تأتي للدلالة على الكثرة.

وفي موضع آخر كذلك يكرر الشاعر من الجملة ذاتها "كم من"، وهذه المرة في مدح شخصية وطنية أثرية حفية، إنه الأمير سلطان بن عبدالعزيز -رحمه الله- سلطان الخير كما يُطلق عليه، وبما عرف عنه من مواقفه الإنسانية، وأياديه البيضاء التي لا ترد طالبًا أو محتاجًا، وفي هذا الإطار يقول الشاعر:

كم من سقيم غدثٌ يملك بلسمه
كم من يتيم وكانت منك بسمته
واقاه نقدٌ من "الإخلاء" سُرعانا
كم من معاقٍ عدا بالبرء جدلانا^(٣)

٢/ النداء

يمثل النداء أحد الأساليب الفنية البارزة في النصوص الأدبية والشعرية على وجه الخصوص، وهو الأسلوب الذي يتكون من حرف النداء والمنادى، ويكون بعضها لنداء القريب، وبعضها للبعيد على النحو الذي تفضله كتب النحو، وعلى ما هو معروف مشهور في العربية.^(٤) ولصيغ النداء أغراض منها: التحسّر، والتوجع، والتعجب، والاختصاص، والندبة، والإغراء والتحذير، والزجر والملامة، والاستغاثة.^(٥)

وقد استعمل الشاعر في هذا الديوان أسلوب النداء في عدد من المواضع، وفي أكثر من صورة، فكثر عنده خطاب الإنسان والمكان، وتنوعت أغراضه في ذلك

ذاته، وهو ضمير المخاطب في "سكنت، ملكت" تأكيدًا على انتهاء الأمر، ورسوخه. وكذلك تكرر الحرف/الضمير وهو تاء الفاعل في كلمات: (عشقتك- نقشت- حفظت- سكبث- نظمت- رضعث- لقيث- طعمث- شربث- جريث- شممت- قطفث). ولا شك بأن مثل هذا التكرار من هذا الضمير فيه من معاني البذل والعطاء اللامحدود التي يستحقها وطن بحجم وقيمة وطننا كوطننا الكبير والشامخ.

ومن التكرار كثر الشاعر (الجملة) في عدد من قصائده، ومن ذلك تكريره لجملة "كم من"؛ ففي نص له بعنوان "لقاء ووداع" قاله بمناسبة وداع منطقة تبوك لأحد أمرائها^(١) الذين توالوا على إمارتها حيث كرر الجملة لست مرات:

كم من أيادٍ لكم بيضاء نسطرها
كم من حدائق سرّ العين منظرها
كم من مزارع في صحرائنا ظهرت
كم من مشاريع في أركانها برزت
كم من مشافٍ لدرء السقم أنشأها
كم من مسالكٍ للماشين عبّدها
في صفحة المجد والأيام تبقية
فيها الجمال وكل الحسن تبديه
طابت ثمارًا فمنها الخير نجنيه
في كل صقع زمام المجد ترسيه
طاب العليل بإذن الله تشفيه
أضحى البعيد قريبًا من مساعيه^(٢)

(٤) يُنظر: عبده الراجحي، التطبيق النحوي، دار النهضة العربية: بيروت، ١٩٧١م، ص ٢٧٨.

(٥) يُنظر: فضل عباس، البلاغة فنونها وأفانها، دار النفائس: عمان، ١٤٢٩هـ، ص ١٧١، وما بعدها

(١) هو الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز -رحمه الله- بمناسبة تعيينه أميرًا لمنطقة المدينة المنورة عام ١٤٠٦هـ.

(٢) الديوان، ص ٣١

(٣) الديوان، ص ٥١

في سياقات المدح، وفي سياقات الفخر، والحض، والتحفيز على فعل المكرمات، ومخاطبة أبناء الأمة، وأفراد المجتمع.

وما يهمنا هنا وفقاً لأهداف البحث هو الإطار الوطني لنجد ذلك في مدحه للملك فهد بن عبدالعزيز، والملك عبدالله بن عبدالعزيز -رحمهما الله- إذ ناداهما بـ (يا النداء) مستحضراً إياهما، مؤكداً على مكانتهما وعظيم حجم حبهما في نفسه وفي نفوس شعبهما، الذين يكون لهما كل المودة والتقدير والولاء والوفاء، فهما الملكان الأشمآن. فنجدته ينادي الملك فهد نداء البعيد رغم قربه منه في المحفل وذلك دليلاً على حفظ المسافة بين ملك ومملوك، وراع ورعية قائمة على الاحترام والتقدير، يقول وقد مهد لندائه بقوله:

تمضي السفينُ يقود الفهدُ دفتها

يا خادم الحرمين الطاهرين حمى

والشعب فيها لمرسى مجدهم ركبوا

مهوى العباد إليها القلب منجذب^(١)

وفي ندائه للملك عبدالله، كذلك يستعمل الأسلوب ذاته، وبدلالة تعلقه وحببه الشديد لهذا الملك الإنسان، تعبيراً عن شوقه، وتعلقه بالمنادى بأن النداء إنما يعبر عن صرخة تدوي في أسماع الآخر البعيد والعزير:

يا خادم الحرمين إن محابري

يا سيدي لن يضيرك حاسدٌ

ودفاتري عن وصف حبك تقصُرُ

أو حاقدٌ أو جاهلٌ ومُعزَّرُ^(٢)

وكذلك وجدنا الشاعر يستعمل النداء في مخاطبته الملك خالد بن عبدالعزيز -رحمه الله- إبان زيارته لمنطقة تبوك، وكيف أن القبائل جاءت مرحبة من كل حذب وصوب، والجموع قد توافدت من كل اتجاه، وبشتى أطيافهم. فكان لمثل أسلوب النداء هنا تأثيره في لفت الانتباه، ورسم الصورة:

يا خالد الخير إن الشعب مغتبطٌ
تحرك الجمع من بدوٍ وحاضرة
كل القبائل جاءت من مضاربها
جاؤوا لكم خدماً أدوا لكم قسماً
مفروشة درب ممشاكم بأفئدة
جاؤوا سراعاً ليفشوا اليوم حُبهم
ركبان عيس ومن تسعى به القدمُ
من كل فجٍ وصوب ضمهم قدموا
وما ترون من الترحيب ذا القسمُ
جدلى ونشوى وبالإخلاص تتسم^(٣)

ثم راح الشاعر ينادي هذا الوطن الأشمّ، دوحة العز، فخر الأوطان، خالغاً عليه صفة الأمة:

يا دوحة العزّ للعلياء شامخة

صقر الجزيرة أرسى نهجها قيمًا

عبدالعزيز كتاب الله شرعته

يا أمة الفخر للأمجاد تنتسبُ

صرحٌ عظيمٌ تهاوى دونه الشهبُ

حبلٌ متينٌ ونعمَ الحبلُ والطُّنبُ^(٤)

ويأتي الشاعر بالنداء هنا تنبيهاً لجماعة المتلقين السامعين، وتمهيداً لسرد تاريخ من الفخر والشرف والسؤدد لصقر الجزيرة، وموحدها، وباني نهضتها المغفور له -بإذن الله - الملك عبدالعزيز آل سعود، إنه النداء المحقّر، والمستثير.

وقد كان ملاحظاً في أسلوب الشاعر أن يأتي بالتقصيل، وذكر تاريخ الوطن المجيد، وجهاد مؤسسه الملك عبدالعزيز -رحمه الله- في سبيل الوطن،

(٣) الديوان، ص ١٨، ١٩

(٤) الديوان، ص ١٦

(١) الديوان، ص ١٧

(٢) الديوان، ص ١٤، ١٥

ملاح الهوية الوطنية القائمة على أبرز مرتكزات الهوية: الدين، واللغة، والتاريخ، والجغرافيا. وتميز هذا الديوان بحضور العاطفة الوطنية الأصيلة فيه، الأمر الذي أدى إلى وفرة في عدد القصائد الوطنية. كما ظهر المكان فيه متعددًا في صورته وأسننته متفوقًا على عنصر الزمن. ومما قد يؤخذ على الشاعر مسلم بن فريج العطوي في مجمل هذه القصائد هو ميله إلى اللغة الخطابية، واستعماله الأسلوب التقريري والمباشر الذي اتسمت به جُلّ قصائده، مع ملاحظة أن استعمال مثل هذا الأسلوب لم يمنع من ظهور الشعرية الرائعة فيها، والتصوير والخيال البديع.

المراجع

- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (د.ط)، دار الكتب العلمية: بيروت ٢٠٠٢م.

- باحشوان، سلمى، المكان في شعر طاهر زمخشري، دار جامعة الملك سعود: الرياض، ١٤٣٧هـ.

- باشلار، غاستون، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر: لبنان، ١٩٨٤م.

- التميمي، جنان، الزمن في العربية من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني، دراسة لسانية إدراكية، دار جامعة الملك سعود: الرياض، ١٤٣٤هـ.

واستعادة ملك آباءه وأجداده، يأتي بذلك خصوصًا بعد نداء الوطن:

يا موئل المجد إن المجد مرتبطٌ
قبل الرياض من الدرعية انطلقت
صقر الجزيرة أبلى في جزيرتنا
الناس بالأمن سارت في مسالكها
عبدالعزیز كتاب الله شرعته
أشبال ليث الوغى أرسوا مناهجه
في حبلكم من قرون حازها القدمُ
أسراب جنّد كموج البحر يلتطمُ
أسدى لها وحدة والشر يحتدمُ
في ظلّه أمنت من ذبيها الغنمُ
بالعدل أمسب تنون الصم بنهرم
حمل الأمانة يُعلي شأنه العظمُ^(١)

الخاتمة

مثل الشعر الوطني في ديوان "وطني عشقتك" للشاعر مسلم بن فريج العطوي، أغلب قصائد الديوان، وقد خصّه الشاعر بقسم مستقل أسماه "وطنيات"، حيث جمع فيه قصائد قيلت في فخره بالوطن -المملكة العربية السعودية- ومدح ملوكه، وعدد من الأمراء، ورجالات الوطن، ألقاها في المناسبات العامة والخاصة، وشارك بالعديد منها في الاحتفالات الوطنية، والمهرجانات الشعبية. كما خصص جزءًا منها لذكر عدد من مدن وقرى ومواقع خاصة من المملكة العربية السعودية، مرّ بها، أو مثّلت له قيمة وطنية، أو حدثًا تاريخيًا ملهمًا. لتتجلى من خلال ذلك

(١) الديوان، ص ١٩

- الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، (د.ط)، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، (د.ت).
- الحربي، عبدالعزيز، البلاغة الميسرة، الدار العلمية للنشر والتوزيع: القاهرة، ٢٠٠٥م.
- الحسين، قصي، تشظي السكون في العمل الفني، مجلة الفكر العربي: بيروت.
- دكاش، نضال، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم، دار سائر المشرق: بيروت، ٢٠١٧م.
- الراجحي، عبده، التطبيق النحوي، دار النهضة العربية: بيروت، ١٩٧١م.
- الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، ٣ط، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية: القاهرة، (د.ت).
- الشايب، أحمد، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ٧ط، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، ١٩٧٦م.
- الطربولي، محمد، المكان في شعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، دار الصادق الثقافية: الأردن، ١٤٣٣هـ.
- عباس، فضل، البلاغة فنونها وأفنانها، دار النفائس: عمان، ١٤٢٩هـ.
- العبيدان، موسى، متاح على الرابط الإلكتروني التالي:
http://www.arabicmagazine.com/arabic/article_Details.aspx?Id=5582#
- عتيق، عبدالعزيز، علم المعاني-البيان- البديع، (د.ط)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر: بيروت، (د.ت).
- العطوي، مسلم فريج، ديوان وطني عشقتك، النادي الأدبي الثقافي: تبوك، ١٤٣١هـ.
- العيد، يمنى، في معرفة النص، ٣ط، دار الآفاق الحديثة: بيروت، ١٩٨٥م.
- فضل، صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق: القاهرة، ١٤١٩هـ.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار المعرفة: بيروت، (د.ت).
- لوتمان، يوري، مشكلة المكان الفني، ترجمة: سيزا قاسم، مجلة ألف: الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ١٩٨٦م.
- مالك، رشيد، السيميائية بين النظرية والتطبيق، جامعة تلمسان: الجزائر، ١٩٩٤م.
- مصطفى، إبراهيم، والزيات، أحمد حسن، وعبدالقادر، حامد، والنجار، محمد علي، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، (د.ت).
- مندولا، أ.أ، الزمن والرواية، ترجمة: بكر عباس، دار صادر: بيروت، ١٩٩٧م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر: بيروت، ١٩٦٦م.
- النعيمي، حسن، بعض التأويل، مقاربات في خطاب السرد: النادي الأدبي: الرياض؛ المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء، ٢٠١٣م.

**Features of national identity in Saudi poetry
"Watani Ashiqtuka": Poet Musallam Fraij Al-Atawi as a model
A stylistic study**

Ysser Ahmed Hamed Marzouq

*Assistant Professor - Literature and criticism
the department of Arabic language
College of Education and Arts
Tabouk university*

Abstract. the national identity emerges as one of the most important components of the social fabric, and it is a source of pride and pride for many, especially poets. The poet, Musallam bin Fraij Al-Atawi, is one of the poets of the Tabuk region in the Kingdom of Saudi Arabia, and he has a printed office entitled "My Homeland, I Love You", in which he focused on the homeland and his love, and on patriotism and its essence. This research aims to address the most prominent literary features, phenomena and artistic methods in the national poems contained in this book, Depending on the stylistic approach. The research concluded with an emphasis on the poet's use of the reporting and direct method that characterized vertical poetry in general and that characterized most of the poems of this diwan, noting that the use of this method did not prevent the emergence of the wonderful poetry in it, and the amazing imagination and imagination.

Keywords: features – Identity – National - Saudi poetry.

دلالة البركة في السنّة النبويّة من خلال الكتب الستة ومسند الإمام أحمد رحمه الله قسم الكتاب والسنة

د. هناء علي جمال الزمزمي

أستاذ مساعد بقسم الكتاب والسنة

كلية الدعوة وأصول الدين - قسم الكتاب والسنة

جامعة أم القرى

مستخلص. إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الا الله، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فالبركة منة الله على عباده، ونعمة من نعم الوهاب سبحانه وتعالى، وقد أنزل الله من البركات ما لا يحصى، وتنوعت البركات لتشمل ثلة من العباد، وبعضها من البقاع والأزمنة والنباتات وغيرها، فالحمد لله على فضله. قال ابن القيم رحمه الله: الحمد لله الذي بارك في بعض العباد والبقاع والأزمنة، فالبركة كلها منه. (١) وأشارت السنة النبوية المباركة إلى كثير من البركات، وجاء ذلك متناثرا في مواضع كثيرة من كتب السنة، فأحببت أن أجمع هذا العقد المبارك في موضع واحد، وفتشت في شروح السنة عن دلالات الخير التي حوتها أحاديث البركة فوجدت أنها معان واسعة وشاملة لكثير من الخيرات، فمنها ما اختص بأمور الدنيا كمضاعفة الخير ودوامه، أو صحة في البدن، أو مصلحة للمسلمين، إلى غير ذلك، ومنها ما اختص بأمور الآخرة كالإيمان، والعمل الصالح، والثواب، ومنها ما كان الخير فيه دنويا يحقق خيرا أخرويا، ومنها ما كان خيرا دنويا يترتب عليه خير أخروي، لذا أحببت

(١) الداء والدواء، ص٢٠٢.

أن أجمع تلك المعاني وأرتبها في تقسيمات متناسبة، فجمعت الأحاديث المتعلقة ببركات الدنيا على حدة، وقسمتها بحسب المعاني التي اشتملت عليها، و الأحاديث المتعلقة ببركات الآخرة وقسمتها بحسب المعاني التي اشتملت عليها، وكذا المعاني التي اشتملت على خيرى الدنيا والآخرة. وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة:

وتشمل ما يلي:

أسباب اختيار الموضوع.

أهداف الموضوع.

حدود البحث

مشكلة البحث

الدراسات السابقة

منهجي في البحث.

التمهيد: ويشتمل على:

تعريف البركة لغةً واصطلاحاً.

أسباب جلب البركة.

البركة في القرآن.

المبحث الأول: دلالة البركة في الدنيا وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دلالة المضاعفة.

المطلب الثاني: دلالة المنفعة.

المبحث الثاني: دلالة البركة في الآخرة وفيه

مطلبان:

المطلب الأول: دلالة العمل الصالح وزيادة الإيمان.

المطلب الثاني: دلالة الثواب.

المبحث الثالث: دلالة البركة في الدنيا والآخرة وفيه

مطلبان:

المطلب الأول: دلالة البركة في الدنيا المرتبطة

بالمنفعة الأخروية.

المطلب الثاني: دلالة البركة في الدنيا المترتبة عليها

المنفعة الأخروية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وألحقت البحث بفهرس للموضوعات وآخر للمصادر

والمراجع.

وبعد فهذا جهد متواضع حاولت به إبراز دلالة البركة

في السنة؛ لينال منها كل أحد على حسب ما أراد

النبي ﷺ فيها.

أسباب اختيار الموضوع:

١. الرغبة في الإسهام في خدمة السنة النبوية.

٢. البركة من الأمور المطلوبة والمحبوبة. لكن

بعضهم قد تجاوز الحد في طلبها وغلا في التماسها

جهلاً ومبالغة مما يتحتم معه توضيح دالاتها

الشرعية.

٣. الآثار المترتبة على فهم دلالة البركة.

أهداف الموضوع:

١. الوقوف على دلالة البركة الدينية والدنيوية

٢. جمع أحاديث البركة الصحيحة.

٣. تقسيم أحاديث البركة إلى ما يتعلق ببركة الدنيا

وما يتعلق ببركة الآخرة.

حدود البحث:

حصر أحاديث البركة في الكتب الستة ومسند الإمام

أحمد رحمه الله.

أسئلة البحث:

١. هل للبركة دلالات خاصة في كل حديث؟

٢. ما هي أقسام الدلالات التي اشتملت عليها أحاديث البركة؟

الدراسات السابقة:

١. (التبرك أنواعه وأحكامه) د. ناصر الجديع، رسالة دكتوراه تناول فيها الباحث التبرك المشروع والممنوع من خلال الأحاديث، لكن لم يتعرض لدلالة البركة المقصودة في الحديث.

٢. بحث (الخصال الجالبة للبركة في السنة النبوية دراسة حديثية تحليلية) د. لطيفة القرشي، جمعت الباحثة الخصال الجالبة للبركة وبينت وجوه تحصيل البركة.

منهجي في البحث:

١. اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي.

٢. جمعت الأحاديث الصحيحة في البركة من الكتب الستة ومسند الإمام أحمد رحمه.

٣. خرجت الأحاديث من مصادرها الأصلية، وذكرت حكم العلماء عليها إلا ما كان في الصحيحين، فاكتفيت فيه بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث.

٤. رجعت إلى شروح السنة لمعرفة دلالة البركة في كل حديث.

٥. قسمت أحاديث البركة إلى ثلاثة أقسام منها البركة التي تتعلق بالدنيا والبركة التي تتعلق بالآخرة والبركة التي تجمع بين الأمرين.

٦. الخاتمة وذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

٧. ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

وأسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل اليسير ويتجاوز عن الزلل والتقصير، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحثة: هناء الزمزمي ١٤٤١هـ

التمهيد

تعريف البركة لغةً واصطلاحاً:

معاني البركة لغةً:

- **الثبوت واللزوم:** كل شيء ثبت وأقام فقد برك، والبركة كالحوض، والجمع البرك، ويقال سميت بذلك لإقامة الماء فيها. والبركاء الثبات في الحرب والجد، وأصله من البروك^(١).

- **النماء والزيادة:** قال الخليل: "البركة من الزيادة والنماء"^(٢).

- **السعادة:** قال الفراء في قوله تعالى: ﴿رَحِمْتَ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود: ٧٣) قال: "البركات السعادة"^(٣). وقال أبو منصور الأزهري: "وكذلك قوله في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته؛ لأن من أسعده الله بما أسعد به النبي ﷺ، فقد نال السعادة المباركة الدائمة"^(٤).

(١) الصحاح (٤٠/١).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢٣٠/١).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢٣/٢).

(٤) تهذيب اللغة (١٣١/١٠).

وقيل: هي النماء المعنوي الذي يضعه الله في الشيء. التبرك مصدر تبرّك يتبرّك تبرُّكاً وهو طلب البركة والتبرك بالشيء طلب البركة بواسطته^(٨).

أسباب جلب البركة:

١. المداومة على تلاوة القرآن الكريم^(٩)، قال تعالى: ﴿وَهَذَا نِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ (الأنبياء: ٥٠) القرآن مبارك؛ لأنه يدل على الخير العظيم. فالبركة كائنة به، فكأن البركة جعلت في ألفاظه، ولأن الله أودع فيه بركة لقارئه المشتغل به بركة في الدنيا وفي الآخرة، ولأنه مشتمل على ما في العمل به كمال النفس وطهارتها بالمعارف النظرية، ثم العملية. فكانت البركة ملازمة لقراءته وفهمه^(١٠).

٢. الحرص على تقوى الله ﷻ ظاهراً وباطناً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦). البركات جمع البركة، والمقصود من الجمع تعددها باعتبار تعدد أصناف الأشياء المباركة. وجماع معناها الخير الصالح الذي لا تبعه عليه في الآخرة. فهو أحسن أحوال النعمة^(١١).

ومعنى السعادة: التوفيق للخير؛ وإذا قيل: أسعد الله العبد وسعده، فمعناه: وفقه لما يرضيه عنه، فيسعد بذلك سعادة^(١).

والتبرك هو الدعاء للإنسان وغيره بالبركة، يقال بركت عليه تبريكا: أي قلت له بارك الله عليك^(٢). وبارك الله الشيء وبارك فيه وعليه وضع فيه البركة، وطعام بريك كأنه مبارك^(٣). بارك الله تعالى فيه فهو مبارك^(٤).

واختلفت أقوال أهل اللغة في معنى (تبارك) سئل أبو العباس عن تفسير (تبارك الله) فقال: "ارتفع والمتبارك المرتفع"، وقال الأزهري: ومعنى بركة الله: علو على كل حال^(٥)، وقيل: تبارك أي تقدس أي تطهر والمقدس المطهر^(٦)، وقيل: تبارك الله أي يتبرك باسمه في كل أمر^(٧).

تعريف البركة اصطلاحاً:

النماء والزيادة، حسية كانت أو معنوية. وثبوت الخير الإلهي في الشيء ودوامه، ونسبته إلى الله تعالى على المعنى الثاني؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦) سمي بذلك لثبوت الماء في اليم.

(٨) التعريفات للرجزاني (١٢٥/١)، معجم لغة الفقهاء (١٠٦/١)، الكليات (٣٧٢/١)، وانظر رسالة: التبرك أنواعه وأحكامه ص ٣٠.
(٩) انظر بركات القرآن الكريم مفصلاً في كتاب لتبرك أنواعه وأحكامه (٤٥-٥٣).
(١٠) التحرير والتنوير (٢١٧/٦).
(١١) التحرير والتنوير (٢١٠/٨).

(١) لسان العرب (٢١٤/٣).
(٢) تهذيب اللغة (١٣١/١٠).
(٣) لسان العرب (٢١٤/٣).
(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢٧٥/١).
(٥) تهذيب اللغة (١٣١/١٣٠/١٠).
(٦) تهذيب اللغة (١٣٠/١٠).
(٧) المرجع السابق، نفس الصفحة.

٧. الاجتماع على الطعام. لقوله ﷺ: "اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه"^(٦). إلى غير ذلك من الأسباب التي تجلب البركة^(٧).

البركة في القرآن الكريم:

وردت كلمة بركة في القرآن الكريم بألفاظ متعددة للتدليل على اختصاص أشخاص معينين وأمكنة وأزمنة معينة بنوع من البركة التي جعلها الله فيها لأسباب اقتضتها حكمة الله. فمن الأشخاص الذين شملتهم لفظة البركة في القرآن:

١. إبراهيم ﷺ وابنه النبي إسحاق ﷺ، قال تعالى: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ (الصافات: ١١٣) أي: أنزلنا عليهما البركة التي هي النمو والزيادة في علمهما، وعملهما، وذريتهما، فنشر الله من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة: أمة العرب من ذرية إسماعيل، وأمة بني إسرائيل، وأمة الروم من ذرية إسحاق^(٨).

٢. أهل بيت إبراهيم ﷺ، قال تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (هود: ٧٣).

٣. نوح ﷺ ومن معه. قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ (هود: ٤٨) (بركات عليك) أي: نعم ثابتة من بروك الجمل، وهو ثبوته وإقامته. ومنه البركة لثبوت الماء فيها، وقال ابن عباس: نوح آدم الأصغر، فجميع

٣. الدعاء. لقد علمنا النبي ﷺ الدعاء بطلب البركة في أمور كثيرة منها: الدعاء للمتزوج "بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما بخير"^(١).

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أتوه بالباكورة من الثمرة دعا فيها بالبركة فقال: "اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة"^(٢).

٤. أخذ المال بطيب نفس. لقوله ﷺ: "يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه كالذي يأكل ولا يشبع"^(٣).

٥. الصدق في المعاملة من بيع وشراء وشراكة، لقوله ﷺ: "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا -أو قال حتى يتفرقا- فإن صدقا وبينا، بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما"^(٤).

٦. قضاء الأعمال في أول النهار. لقوله ﷺ: "بورك لأمتي في بكورها"^(٥).

(١) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، ما يقال للمتزوج، رقم (٢١٣٠). والترمذي في كتاب النكاح، باب ما جاء فيما يقال للمتزوج، رقم (١٠١٩). وقال الترمذي: حسن صحيح. والنسائي في كتاب النكاح، باب كيف يدعى للرجل إذا تزوج رقم (٣٢٧٣) مختصراً. وابن ماجه في كتاب النكاح، باب تهنئة النكاح، رقم (١٩٠٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، رقم (٣٣٣٤-٣٣٣٥). والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا رأى الباكورة من الثمر، رقم (٣٤٥٤). والنسائي في الكبرى كتاب الحج، باب منع الدجال من المدينة، رقم (٤٢٧٦) بزيادة في أوله. وكتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا دعي بأول الثمر فأخذه، رقم (١٠١٣٤).

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) سيأتي تخريجه.

(٥) سيأتي تخريجه.

(٦) سيأتي تخريجه.

(٧) سنأتي أسباب البركة مفصلة في البحث بإذن الله تعالى، وانظر: (كتاب البركة ما يجلب البركة وما يحقق البركة) د. أمين الشقاوي ص ٣٤-٥٦.

(٨) تفسير السعدي (٧٠٦).

١. **البيت الحرام**، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ (آل عمران: ٩٦) أي: فيه البركة الكثيرة في المنافع الدينية والدنيوية، كما قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: ٢٧) وجعله مباركاً يدوم بدوام الدنيا، والبركة لا تفارقه، فكل من يلتمسها بزيارته وحجه والطواف به يجدها ويحظى بها^(٤).

٢. **الأرض بصورة عامة**، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِوَادًا مِّنَ الْجِبَالِ يَجْرُوعُونَ فِيهَا مَاءً ذَاتًا لَّا يَضُرُّهُمُ السُّجُودُ فِيهَا وَلَا يَسَاءُونَ فِيهَا بِأَسْفَلَ مِنَّا وَلَا يُسَاءُونَ لَهَا فِيهَا نِسَاءٌ يُرْجَوْنَ مِنَ اللَّهِ بِرَحْمَةٍ لَّا يَبْغِيَنَّ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا سِوَىٰ ذَلِكَ وَلَٰكِن لِّيُذَكِّرَ الَّذِينَ خَلَقُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَنَّانُ﴾ (سورة الأعراف: ١٠) (وبارك فيها) أي: جعلها مباركة، قابلة للخير والبذر والغراس^(٥)، وفيها رزق الإنسان وماشيتته. والتراب والحجارة كلها بركات^(٦).

٣. **المسجد الأقصى وما حوله من أرض فلسطين**. قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (الإسراء: ١) (باركنا حوله) بالأندلس والأشجار والثمار، وقال مجاهد: سماه مباركاً؛ لأنه مقر الأنبياء، ومهبط الملائكة والوحي، ومنه يحشر الناس يوم القيامة^(٧)، وتفضيله على غيره من المساجد سوى المسجد الحرام والمسجد النبوي، وأن الله يطلب شد الرحال إليه للعبادة والصلاة فيه، وأن الله اختصه محلاً لكثير من أنبيائه وأصفيائه^(٨). وقال

الخلائق الآن من نسله، ولم يكن معه في السفينة من الرجال والنساء إلا ما كان من ذريته. (وعلى أمم ممن معك) قيل: دخل فيه كل مؤمن إلى يوم القيامة^(٩).

٤. **موسى عليه السلام**، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (النمل: ٨). معناه أي: بورك فيك يا موسى، وفي الملائكة الذين حول النار، وهذه تحية من عند الله عز وجل لموسى بالبركة. وهذا الكلام بشارة لموسى عليه السلام ببركة النبوة^(١٠).

٥. **عيسى عليه السلام**، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ (مريم: ٣١). أي كثير البركات، لأنه يعلم الخير، ويدعو إلى الله، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله. وأن الله أرسله برحمة لبني إسرائيل، ليحل لهم بعض الذي حرم عليهم، وليدعوهم إلى مكارم الأخلاق بعد أن قست قلوبهم، وغيروا من دينهم. فهذه أعظم بركة تقارنه. ومن بركته أن جعل الله حلوه في المكان سبب لخير أهل تلك البقعة، من خصبها، واهتداء أهلها، وتوفيقهم إلى الخير وبهذا يظهر أن كونه مباركا أعم من كونه نبيا عموما وجيها فلم يكن في قوله (وجعلني نبيا) غنية عن قوله (وجعلني مباركا)^(١١).

كما وردت لفظة البركة في القرآن الكريم بخصوص بعض الأماكن والأراضي والبقاع:

(٤) تفسير السعدي (١٣٨). أيسر التفاسير للجزائري (١٩١).

(٥) تفسير ابن كثير (١٦٦/٧).

(٦) التحرير والتنوير (١٨/٢٥).

(٧) تفسير البيهقي (٥٨/٥).

(٨) تفسير السعدي (٤٥٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٨/٩).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢٦/١٩). تفسير البيهقي (٣/٤٩٠).

(٣) أضواء البيان (٤١٦/٣). التحرير والتنوير (٩٩/١٦).

ليلة القدر خير من ألف شهر، وهي الليلة التي نزل فيها القرآن^(٢).

وينظر للتوسع رسالة (التبرك) د. ناصر الجديع^(٣).

المبحث الأول: دلالة البركة في الدنيا

المطلب الأول: دلالة المضاعفة:

بركة الصدق في البيع:

أخرج الإمام البخاري، عن سليمان بن حرب، حدثنا شعبة عن قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن عبد الله بن الحارث، رفعه إلى حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما"^(٤)، قوله ﷺ: "بورك لهما" أي كثر نفع المبيع والتمن^(٥) وقيل: تسهيل الأسباب المقترضية لزيادة الربح من كثرة الراغبين وحسن المعاملين، ومنع الخيانة في المبتاع والحسد والعداوة المقترضية للخسران^(٦) وقيل: أعطاهما الله الزيادة والنمو^(٧) وقيل: بورك في الثمن بالنماء وفي المثلون بدوام الانتفاع به^(٨).

تعالى: ﴿وَوَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ٧١).

كما وردت معاني البركة في القرآن صفة لكتابه العزيز، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (ص: ٢٩) المبارك المنبثة فيه البركة، وهي الخير الكثير. وكل آيات القرآن مبارك فيها؛ لأنها إما مرشدة إلى الخير، وإما صارفة عن شر وفساد، وذلك بسبب الخير في العاجل والآجل، ولا بركة أعظم من ذلك^(١).

ووردت معاني البركة للدلالة على بعض مخلوقات الله من النباتات وغيرها، قال تعالى: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ (النور: ٣٥) (كأنها كوكب دري) وصف الزيتون المباركة؛ لما فيها من كثرة النفع. فإنها ينتفع بحبها أكلاً، وبزيتها كذلك، ويستتار بزيتها، ويدخل في أدوية وإصلاح أمور كثيرة. وينتفع بحطبها، وهو أحسن حطب؛ لأن فيه المادة الدهنية، قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكْلِيِّينَ﴾ (المؤمنون: ٢٠)، وينتفع بجودة هواء غاباتها، وقد قيل: إن بركتها لأنها من شجر بلاد الشام، والشام بلد مبارك من عهد إبراهيم عليه السلام.

كما خص الله بعض الأزمنة بالبركة قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ (الدخان: ٣) (ليلة مباركة) أي: كثيرة البركات والخيرات. ولا شك أن

(٢) أضواء البيان (١٧٢/٧).

(٣) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه ٤٥-١٩٦.

(٤) كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، رقم (٢٠٧٩)، وفي باب ما يمحق الكذب والكتمان في البيع، رقم (٢٠٨٢)، وفي باب إذا كان البائع بالخيار هل يجوز البيع، رقم (٢١١٤)، وباب البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، رقم (٢١١٠). ومسلم: كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، رقم (١٥٣٢)، وأبو داود: كتاب البيوع، باب في خيار المتبايعين، رقم (٣٤٥٦). والترمذي: كتاب البيوع، باب ما جاء في البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، رقم (١٢٤٦). والنسائي: كتاب البيوع، باب ما يجب على التجار من التوفية في مبياعهم، رقم (٤٤٦٢)، وفي باب وجوب الخيار للمتبايعين قبل افتراقهما، رقم (٤٤٦٩).

(٥) عمدة القاري (١٩٥/١١).

(٦) دليل الفالحين (٢١٧/١).

(٧) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٤٤١).

(٨) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٨٥/٤).

(١) التحرير والتنوير (١٤٨/٢٣).

بركة الغنم:

وأخرج أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو معاوية قال: حدثنا الأعمش، عن عبد الله الرازي، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوضوء من لحوم الإبل، فقال: "توضؤوا منها"، وسئل عن لحوم الغنم، فقال: "لا توضؤوا منها".

وسئل عن الصلاة في مبارك الإبل، فقال: "لا تصلوا في مبارك الإبل، فإنها من الشياطين"، وسئل عن الصلاة في مرابض الغنم، فقال: "صلوا فيها فإنها بركة"^(١).

وأخرج أحمد عن أبي معاوية قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن أم هانئ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتخذوا الغنم فإن فيها بركة"^(٢)، قال المناوي: بركة أي خير ونماء، لسرعة نتاجها وكثرته، لأنها تنتج في العام مرتين، وتولد الواحد والاثنتين، ويؤكل منها ما شاء الله، ويمتلئ منها وجه الأرض^(٣). وقيل: إن الغنم ليس فيها تمرد ولا شراد بل هي ضعيفة وفيها سكينه فلا تؤذي المصلي، ولا تقطع صلاته^(٤) وهذا من دلالة المنفعة أيضًا.

بركة الاجتماع على الطعام:

أخرج الإمام البخاري عن عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، وحدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "طعام الاثنتين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة"^(٥).

قال ابن رجب: وفي هذا إشارة إلى أن البركة تتضاعف مع الكثرة والاجتماع على الطعام^(٦).

وأخرج أبو داود، عن إبراهيم بن موسى الرازي، حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثني وحشي بن حرب، عن أبيه، عن جده أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال: "فلعلكم تفترقون؟" قالوا: نعم. قال: "فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه"^(٧). قال المناوي: الاجتماع على الطعام وتكثير الأيدي عليه، ولو من الأهل والخدم. والتسمية سبب للبركة التي هي سبب للشبع والخير^(٨) وهذا من دلالة المنفعة أيضًا.

المطلب الثاني: دلالة المنفعة:**بركة النخلة:**

أخرج الإمام البخاري عن عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، قال: حدثني مجاهد، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم جلوس، إذ أتني بجمار نخلة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم"،

(٥) كتاب الأطعمة، باب طعام الواحد يكفي الاثنتين، رقم (٥٣٩٢). ومسلم: كتاب الأشربة، باب فضيلة المواساة في الطعام القليل وأن طعام الاثنتين يكفي الثلاثة ونحو ذلك، رقم (٥٣٦٧)، (٥٣٦٨)، (٥٣٦٩) (٥٣٧٠) (٥٣٧١)، . والترمذي: في الأطعمة، باب ما جاء في طعام الواحد يكفي الاثنتين، رقم (١٨٢٠). وابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب طعام الواحد يكفي الاثنتين، رقم (٣٢٥٥). وأحمد في مسنده: رقم (١٥١٠٤)، (١٤٣٨٩)، (٩٢٧٧).

(٦) فتح الباري لابن رجب (١٧٥/٤).

(٧) كتاب الأطعمة، باب في الاجتماع على الطعام، رقم (٣٧٦٤). وابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب الاجتماع على الطعام، رقم (٣٢٨٦). وأحمد في مسنده: رقم (١٦٠٧٨) وحسنه الألباني، صحيح سنن أبي داود (٢٦٤/٨).

(٨) فيض القدير (١٥٢/١).

(١) سنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب الوضوء من لحوم الإبل، رقم (١٨٤)، وفي كتاب الصلاة، باب النهي عن الصلاة في مبارك الإبل، رقم (٤٩٣). وصححه الألباني: انظر صحيح سنن أبي داود، ٥٨/١.

(٢) الحديث رقم (٢٧٣٨١). وصححه شعيب الأرنؤوط

(٣) فيض القدير (١١٢/١).

(٤) عون المعبود (٣١٨/١).

بن سواد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا عمر بن الحارث أن أبا يونس مولى أبي هريرة رضي الله عنه حدثه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا"^(٦).

وقد ورد في بعض الآيات المراد ببركة المطر قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ (ق:٩) قال الشوكاني: مباركاً أي: كثير البركة لانتفاع الناس به في غالب أمورهم^(٧). وقال الخازن: كثير الخير، وفيه حياة كل شيء^(٨).

وقال الأصبهاني: فبركة ماء السماء هي ما نبه الله عليه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَنَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (المؤمنون: ١٨) ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس، وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر، قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة: هو مبارك وفيه بركة^(٩).

بركة آل أبي بكر الصديق:

أخرج البخاري عن عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

فظننت أنه يعني النخلة، فأردت أن أقول: هي النخلة يا رسول الله، ثم التفت فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم فسكت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هي النخلة^(١).

قال ابن حجر: وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، من حين تطلع إلى أن تيبس. تؤكل أنواعاً، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها، حتى النوى في علف الدواب، والليّف^(٢) في الحبال، وغير ذلك مما لا يخفى^(٣).

البركة وسط الطعام:

أخرج الترمذي عن أبي رجاء، حدثنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أن البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه"^(٤). قال ابن العربي: البركة في الطعام تكون بمعان كثيرة، منها استمراء الطعام، ومنها صيانتها عن مرور الأيدي عليه شيئاً فشيئاً، وإذا أخذ أعلاه كان ما بقي بعده دونه في الطيب، ومنها ما يخلق الله من الأجزاء الزائدة فيه^(٥).

بركة ماء السماء:

أخرج مسلم عن محمد بن سلمة المرادي، حدثنا عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث وحدثني عمرو

(١) كتاب الأطعمة، باب أكل الجمار، رقم (٥٤٤٤).

(٢) الليّف: هو ما يخرج من أصول سعف النخل، وتحشى بها الوسائد وتقتل منها الحبال، فتح الباري (١٨٥/١).

(٣) فتح الباري (١٩٢/١).

(٤) كتاب الأطعمة، باب ما جاء في كراهية الأكل من وسط الطعام، رقم (١٨٠٥). ابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب النهي عن الأكل من ذروة الثريد، رقم (٣٢٧٥). أحمد في مسنده: رقم (٣٤٣٨). وصححه الألباني: انظر صحيح سنن الترمذي (٣٠١/٢).

(٥) فيض القدير (٣٢٤/٢).

(٦) كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، رقم (٢٢٣).

وأحمد في مسنده: رقم (٩٤٦٣).

(٧) فتح القدير (٧٢/٥).

(٨) تفسير الخازن باب التأويل في معاني التنزيل (١٨٧/٤).

(٩) المفردات في غريب القرآن (١١٩/١-١٢٠).

وفي تفسير إسحاق البستي من طريق ابن أبي مليكة عنها أن النبي ﷺ قال: "ما أعظم بركة قلاذتك". وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة: "قو الله ما نزل بك من أمر تكرهينه إلا جعل الله للمسلمين فيه خير"، وفي كتاب النكاح من هذا الوجه: "إلا جعل الله لك منه مخرجاً، وجعل للمسلمين فيه بركة"^(٤)، قال الباجي: يريد أن بركتكم كانت متوالية على الصحابة متكررة. وكانوا سبباً لكل ما لهم فيه رفق ومصلحة^(٥).

بركة أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها على قومها:

أخرج أبو داود عن عبد العزيز بن يحيى، عن أبي الأصبغ الحراني، حدثني محمد -يعني ابن سلمة- عن أبي اسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: وقعت جويرية بنت الحارث بن المصطلق في سهم ثابت بن قيس بن شماس، أو ابن عم له، فكاتبت على نفسها، وكانت امرأة ملاحاة تأخذها العين. قالت عائشة رضي الله عنها: فجاءت تسأل النبي ﷺ في كتابتها، فلما قامت على الباب فرأيتها كرهت مكانها، وعرفت أن رسول الله ﷺ سيرى منها مثل الذي رأيت، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية

في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق ﷺ فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء. فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء. فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، فتييموا. فقال أسيد بن الحضير^(١): ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فأصبنا العقد تحته^(٢).

قال ابن حجر: قوله "ماهي بأول بركتكم" أي: بل هي مسبوقة بغيرها من البركات، والمراد بآل أبي بكر: نفسه وأهله وأتباعه، وفيه دليل على فضل عائشة وأبيها، وتكرار البركة منهما. وفي رواية عمرو بن الحارث "لقد بارك الله للناس فيكم"^(٣).

(١) أسيد بن الحضير، بضم المهملة وفتح الضاد، ابن سماك ابن عتيق الأشعري، أبو يحيى، صحابي جليل، كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان أحد العقلاء الكملة أهل الرأي، توفي سنة ٢٠هـ، أسد الغابة (٢٤٠/١)، التقريب ص ١١٢.

(٢) كتاب التيمم، باب دون ترجمة، رقم (٣٣٤). ومسلم: كتاب الطهارة، باب التيمم، رقم (٣٦٧). والنسائي: كتاب الطهارة، باب بدء التيمم، رقم (٢٩٥).

(٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً)، رقم (٤٦٠٧).

(٤) فتح الباري (٥٦٣/١). والحديث في صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب استعارة الثياب للعروس وغيرها، رقم (٥١٦٤). وفي سنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب التيمم، رقم (٣١٧). والنسائي: كتاب الطهارة، باب فيمن لا يجد الماء ولا الصعيد، رقم (٣٠٨). وفي مسند أحمد، رقم (٢٤٢٩٩).

(٥) المنتقى شرح الموطأ (٤٢٤/١-٤٢٥).

جيش، بعثهم أول النهار. وكان صخر رجلاً تاجراً، وكان إذا بعث تجارة بعث أول النهار فأثرى ماله وكثر ماله^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: "ومن المكروه عندهم -أي الصالحين- النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، فإنه وقت غنيمة، وللسير ذلك الوقت عند السالكين مزية عظيمة، حتى لو ساروا طول ليلهم لم يسمحوا بالعود عن السير ذلك الوقت حتى تطلع الشمس، فإنه أول النهار ومفتاحه، ووقت نزول الأرزاق وحصول القسم، وحلول البركة، ومنه ينشأ النهار، وينسحب حكم جميعه على حكم تلك الحصة، فينبغي أن يكون نومها كنومة المضطر"^(٤)

قال ابن حجر: وإنما خص البكور بالبركة، لكونه وقت النشاط^(٥).

وقال الشيخ إسماعيل العجلوني: "العقل بكرة النهار يكون أكمل منه وأحسن تصرفاً منه في آخره، ومن ثم ينبغي التذكير لطلب العلم ونحوه من المهمات"^(٦) وقد أثبتت الدراسات العلمية أن الاستيقاظ مبكراً يستدعي الهمة والنشاط.

بنت الحارث، وإنما كان من أمري ما لا يخفى عليك، وإني وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، وإني كاتبت على نفسي فجئتك أسألك في كتابتي، فقال رسول الله ﷺ: "فهل لك إلى ما هو خير لك منه؟"، قالت: وما هو يا رسول الله ﷺ؟، قال: "أودي عنك كتابتك وأتزوجك"، قالت: قد فعلت. قالت: فتسامع -يعني الناس- أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية، فأرسلوا ما في أيديهم من السبي فأعتقوهم وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ. فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق^(١)

تعتبر هذه الغزوة من الغزوات المباركة التي أسلم عقبها قبيلة بأسرها، وكان الحدث الذي أسلمت القبيلة من أجله هو أن الصحابة حرروا الأسرى الذين أصابوهم بعد أن امتلكوهم باليمين في قسم الغنائم واستكثروا على أنفسهم أن يملكوا أصهار نبيهم عليه السلام، وحيال هذا العتق الجماعي دخلت القبيلة كلها في دين الله^(٢).

بركة البكور:

أخرج أبو داود عن سعيد بن منصور، حدثنا هيثم، حدثنا يعلى بن عطاء، عن عمارة بن جرير، عن صخر الغامدي، عن النبي ﷺ قال: "اللهم بارك لأمتي في بكورها". قال: وكان إذا بعث سرية أو

(٣) كتاب الجهاد، باب الابتكار في السفر، رقم (٢٦٠٦)، والترمذي: أبواب البيوع، باب ما جاء في التذكير بالتجارة، رقم (١٢١٢)، وابن ماجه: كتاب التجارات، باب ما يرجى من البركة في البكور، رقم (٢٢٣٦)، وأحمد في مسنده، رقم (١٣٢٣)، (١٣٢٩)، (١٣٣٩)، (١٥٤٤٣)، (١٥٥٥٧)، (١٥٥٥٨)، (١٩٤٣)، (١٩٤٧٩) صححه الألباني، صحيح سنن أبي داود (٣٠٦/٧).

(٤) مدارج السالكين (١/٤٥٩)، انظر التبرك أنواعه وأحكامه، د. ناصر الجديع ص ٣٠٩، ٣١٠.

(٥) فتح الباري (٦/١٣٨).

(٦) كشف الخفاء (١/١٨٧).

(١) كتاب العتق، باب في بيع المكاتب إذا فسخت المكاتب، رقم (٣٩٣١)، وأحمد في مسنده، رقم (٢٦٣٦٥). وحسنه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، ٨/٤٣١.

(٢) السيرة الحلبية عرض وقائع وتحليل أحداث (٣/٢٨٦).

بركة الكيل:

أخرج البخاري عن إبراهيم بن موسى، حدثنا الوليد، عن ثور، عن خالد بن معدان، عن المقدم بن معد بن يكر ب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "كيلو طعامكم، يبارك لكم فيه"^(٤).

قال ابن الجوزي: يشبه أن تكون هذه البركة للتسمية عليه عند الكيل. قال ابن حجر: والذي يظهر لي أن حديث المقدم محمول على الطعام الذي يُشترى، فالبركة تحصل فيه بالكيل لامتنان أمر الشارع، وإذا لم يمثل الأمر فيه بالاختيار نزعته منه لشؤم العصيان. وحديث عائشة: "كان عندي شطر شعير أكل منه حتى طال علي، فكلته فقني"^(٥) محمول على أنها كالتة للاختبار، فلذلك دخله النقص... إلى أن قال: والحاصل أن الكيل بمجرد لا تحصل به البركة ما لم ينضم إليه أمر آخر، وهو امتثال الأمر فيما يشرع فيه الكيل. ولا تنزع البركة من المكيل بمجرد الكيل ما لم ينضم إليه آخر، كالمعارض والاختبار، والله أعلم^(٦) فالبركة هنا المراد بها بركة الامتنان وهو من العمل الصالح.

بركة رمضان:

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن إسماعيل، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما

ذكر الدكتور زهير رابح في كتابه (الاستشفاء بالصلاة)، أن الكورتيزون الذي هو هرمون النشاط في جسم الإنسان يبدأ في الازدياد وبحدة مع دخول وقت صلاة الفجر، ويتلازم معه ارتفاع منسوب ضغط الدم، ولهذا يشعر الإنسان بنشاط كبير بعد صلاة الفجر.

وهذا الوقت تحديداً يشهد أعلى نسبة لغاز الأوزون، ولهذا الغاز الصباحي العجيب تأثير منشط للجهاز العصبي، والأعمال الذهنية والعضلية^(١).

المبحث الثاني: دلالة البركة في الآخرة**المطلب الأول: دلالة العمل الصالح وزيادة الإيمان:****بركة الآيات:**

أخرج الإمام البخاري عن محمد بن المثني، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: كنا نعدّ الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً. كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقلّ الماء، فقال: "اطلبوا فضلة من الماء"، فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: "حي على الطهور المبارك، والبركة من الله"، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ. ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل^(٢). قوله: "كنا نعد الآيات بركة" قال الطحاوي: المراد كنا نخاف بها، فنزداد إيماناً وعملاً، فيكون ذلك بركة^(٣).

(٤) كتاب البيوع، باب ما يستحب من الكيل، رقم (٢١٢٨). وأحمد في مسنده، رقم (١٧١٧٧). وابن ماجه: كتاب التجارات، باب ما يرجى في كيل الطعام من البركة، رقم (٢٢٣٢).

(٥) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب فضل الفقر، رقم (٦٤٥٠). ومسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٧٣). وابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب خبز الشعير.

(٦) فتح الباري (٤/٤٣٧، ٤٣٨) بتصريف.

(١) موقع المستكشف.

(٢) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٥٧٩). والترمذي: كتاب المناقب، باب في ذكر تسبيح الطعام ونبع الماء للوضوء، رقم (٣٦٣٣). وأحمد في مسنده، رقم (٤٣٩٣).

(٣) شرح مشكل الآثار (٥/٩).

٣. **تلاوة القرآن الكريم**، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: "وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن" (٦).

٤. **الاعتكاف**، ففي حديث عائشة رضي الله عنها: "أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده" (٧).

٥. **العمرة**، لقول النبي ﷺ للمرأة الأنصارية التي فاتها الحج معه ﷺ: "فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرة فيه تعدل حجة" وفي رواية: "تقضي حجة، أو حجة معي" (٨). (٩)

المطلب الثاني: دلالة الثواب:

بركة سورة البقرة:

أخرج الإمام مسلم عن الحسن بن علي الحلواني، حدثنا أبو توبة -وهو الربيع بن نافع- حدثنا معاوية -يعني ابن سلام- عن زيد أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني أبو أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما

حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: "قد جاءكم رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة القدر، خير من ألف شهر، من حُرِم خيرها فقد حُرِم" (١). قال أبو الوليد الباجي: قوله "فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النيران" يحتمل أن يكون هذا اللفظ على ظاهره، فيكون ذلك علامة على بركة الشهر، وما يرجى للعامل فيه من الخير (٢).

ومن بركات رمضان عظم الأعمال الصالحة فيه، منها ما يأتي:

١. **قيام الليل**، لقوله ﷺ: "من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه" (٣).

٢. **الصدقة**، لقول ابن عباس رضي الله عنهما: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فإذا لقيه كان أجود بالخير من الرياح المرسله" (٤).

قال المهلب: وفيه بركة مجالسة الصالحين وأن فيها تذكاراً لفعل الخير وتبنيهاً على الازدياد من العمل الصالح ولذلك أمر عليه السلام بمجالسة العلماء ولزوم حلق الذكر (٥).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان، رقم (١٩٠٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، رقم (٦٠٠٩) مختصراً، واللفظ للبخاري.

(٧) صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر رقم (٢٠٢٦)، ومسلم، كتاب الاعتكاف، رقم (٢٧٨٤).

(٨) صحيح مسلم، كتاب الحج رقم (٣٠٣٨)، والبخاري، كتاب العمرة، باب عمرة في رمضان، رقم (١٧٨٢).

(٩) انظر التبرك أحكامه وأنواعه، د. ناصر الجديع، ص ١٤٠-١٤٢..

(١) الحديث رقم (٧١٤٨)، وصححه الألباني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١/٢٤١).

(٢) المنقلى شرح الموطأ (٣/٨٩).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين رقم (١٧٧٩).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان، رقم (١٩٠٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، رقم (٦٠٠٩).

(٥) شرح ابن بطال، (٤/٢٢).

بركة وادي العقيق:

أخرج البخاري عن الحميدي، حدثنا الوليد وبشر بن بكر التنيسي، قالوا: حدثنا الأوزاعي، قال: حدثني يحيى، قال: حدثني عكرمة أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي العقيق يقول: "أتاني الليلة آتٍ من ربِّي، فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجة" (٧).

قال ابن بطال: إن الله أنزل فيه بركة إحلال الاعتمار في أشهر الحج، وكان محرماً قبل ذلك على الأمم. وفي جعل الله بطحاء العقيق المباركة مُهلاً^(٨) للنبي صلى الله عليه وسلم ولأهل المدينة -وهي آخر جزائر^(٩) المدينة على رأس عشرة أيام من مكة، وغيرها من المواقيت على رأس ثلاثة أيام من مكة- فضل كبير لأهل المدينة، لحمله تعالى عليهم من مشقة الإحرام أكثر مما حمل على غيرهم، وذلك لعلمه بتصبرهم على العبادة، واحتسابهم لتحملها^(١٠).

قلت: وهذه بركة زيادة الأجر للصبر على العبادة.

غيايتان، أو كأنهما من طير صواف تحاجان عن أصحابهما. اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة^(١) (٢).

قال الإمام ملا علي القاري: (أخذها) أي المواظبة على تلاوتها، والتدبر في معانيها، والعمل بما فيها. (بركة) أي: منفعة عظيمة^(٣). وقيل: (أخذها بركة) أي: زيادة ونماء، (وتركها حسرة) تندم على ما فات من ثوابها^(٤).

بركة الخروج لصلاة العيد:

أخرج البخاري عن عمر بن حفص، قال: حدثنا أبي، عن عاصم، عن حفص، عن أم عطية قالت: كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد، حتى تخرج البكر من خدرها، حتى تخرج الخبيص، فيكف خلف الناس، فيكبرن بتكبيرهم، ويدعون بدعائهم، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته^(٥).

قال الخطابي: أمر جميع النساء بحضور المصلى يوم العيد لتصلي من ليس لها عذر، وتصل بركة الدعاء إلى من لها عذر. وفيه ترغيب الناس في حضور الصلوات ومجالس الذكر، ومقاربة العلماء، لينالهم بركتهم^(٦).

(٧) كتاب الحج، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "العقيق وإد مبارك"، رقم (١٥٣٤)، وفي كتاب المزارعة، باب دون ترجمة، رقم (٢٣٣٧)، وفي كتاب الاعتصام، باب ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحض على اتفاق أهل العلم وما أجمع عليه الحرمان مكة والمدينة وما كان بهما من مشاهد النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار ومصلى النبي صلى الله عليه وسلم والمنبر والقبر، رقم (٧٣٤٣). وسنن أبي داود: كتاب المناسك، باب في الإفران، رقم (١٨٠٠). وسنن ابن ماجه: كتاب المناسك، باب التمتع بالحج، رقم (٢٦٥٧)، (٢٩٧٦)، وأحمد في مسنده، رقم (١٦١).

(٨) المُهَل، بضم الميم، موضع الإهلال، لسان العرب (٧٠١/١١).

(٩) الجزيرة واحدة جزائر، والجزيرة: القطعة من الأرض، لسان العرب (١٥٦/٤) فالمراد هنا: آخر أرض المدينة.

(١٠) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٧٣/١٠).

(١) البطلة: السحرة، النهاية في غريب الحديث (١٣٦/١).

(٢) كتاب المسافرين فضائل القرآن، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم (٨٠٤)، وأحمد في مسنده، رقم (٢٢١٤٦).

(٣) مرقاة المفاتيح (١٧/٥).

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير (١٩٣/١).

(٥) كتاب العيدين، باب التكبير أيام منى، وإذا غدا إلى عرفة، رقم (٩٧١).

(٦) عون المعبود (٤٨٨/٣).

قوله (بارك لنا في يمننا) أي: بركة ظاهرية ومعنوية، ولهذا أكثر الأولياء منهم. والظاهر في وجه تخصيص المكانين بالبركة؛ لأن طعام أهل المدينة محبوب منهما^(٦).

وقال ابن عبد البر: دعاؤه صلى الله عليه وسلم للشام يعني أهلها، لأن الشام سينتقل إليها الإسلام، وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم.^(٧)

المطلب الثاني: دلالة المنفعة الدنيوية المترتبة على المنفعة الأخروية:

بركة السحور:

أخرج الإمام البخاري عن آدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة، حدثنا عبد العزيز بن صهيب، قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "تسحروا فإن في السحور بركة"^(٨).

قال ابن حجر: البركة لكونه يقوي على الصوم، وينشط له، ويخفف المشقة فيه. وقيل: البركة ما يتضمن من الاستيقاظ، والدعاء في السحر، والأولى أن البركة في السحور تحصل بجهات متعددة، وهي: اتباع السنة، ومخالفة أهل الكتاب، والتقوي به على

ويحتمل أن يكون بالنسبة إلى المعطي، أي بسخاوة المعطي، أي انشراحه بما يعطيه.^(١) وقوله (بورك له فيه) أي: انتفع به في الدنيا بالتنمية، وفي الآخرة بأجر النفقة.

(ومن أخذه بإشراف^(٢) لم يبارك له فيه) أي: لم ينتفع به، إذ لا يجد لذة نفقته، ولا ثواب صدقته، بل يتعب بجمعه، ويذم بمنعه، ولا يصل إلى شيء من نفعه^(٣). وقيل: معنى قوله (بورك له فيه): لأنه ناظر في أخذه إلى ربه، ممتثل لأمره قائم لشكره متقو به على طاعته له، لا حظ له في قبوله إلى رضا الله ورسوله، كما يشير إليه قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)^(٤)

بركة الشام واليمن:

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن علي بن عبد الله، حدثنا أزهر بن سعيد، عن ابن عون، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر النبي ﷺ: "اللهم بارك في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا". قالوا: وفي نجدنا، قال: "اللهم بارك في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا". قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: "هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان"^(٥).

(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/٤٠٣٨).

(٧) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والموال والحفدة والمتاع، أحمد الحسيني (١٤/١٨٤).

(٨) كتاب الصوم، باب بركة السحور من غير إيجاب، رقم (١٩٢٣). وصحيح مسلم: كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيرها وتعجيل الفطر، رقم (١٠٩). وجامع الترمذي: أبواب الصوم، باب ما جاء في فضل السحور، رقم (٧٠٨). وسنن النسائي: كتاب الصيام، باب الحث على السحور، رقم (٢١٤٦)، (١٢١٤٧)، (١٢٤٨)، (١٢٤٩)، (١٢٥٠)، (١٢٥١)، (١٢٥٢). وسنن ابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما جاء في السحور، رقم (١٦٩٢). وأحمد في مسنده، رقم (٨٨٩٨)، (١٠١٨٥)، (١١٢٨١)، (١١٩٥٠)، (١٣٢٤٥)، (١٣٢٩٠)، (١٣٥٥٠)، (١٣٧٠٤)، (١٣٩٩٣)، (٢٣١٤٢).

(١) فتح الباري (٣/٣٣٦).

(٢) إشراف النفس: تطلعها إليه، وتعرضها له، وطمعها فيه، شرح النووي (٧/١٢٦).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/٨١، ٨٢).

(٤) مرقاة المفاتيح (٤/١٣١٠).

(٥) كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات، رقم (١٠٣٧)، وفي كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: "الفتنة من قبل المشرق"، رقم (٧٠٩٤). وجامع الترمذي: كتاب المناقب، باب في فضل الشام واليمن، رقم (٣٩٥٣). وأحمد في مسنده، رقم (٥٩٨٧).

قال النووي: معناه -والله أعلم- أن الطعام الذي يحضره الإنسان فيه بركة، ولا يدري أن تلك البركة فيما أكله، أو فيما تبقى على أصابعه، أو في ما بقي في أسفل القصعة، أو في اللقمة الساقطة، فينبغي أن يحافظ على هذا كله لتحصل البركة. وأصل البركة: الزيادة وثبوت الخير، والانتفاع به. والمراد هنا -والله أعلم- ما يحصل به التغذية، وتسلم عاقبته من أذى، ويقوي على طاعة الله تعالى وغير ذلك^(٤).
فالتعام منفعة دنيوية يترتب عليها منفعة أخروية وهي التقوي على الطاعة.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر لي إتمام هذا العمل، وأسأل الله تعالى أن يجعله مباركاً، وأن يحقق به النفع في الدنيا والآخرة. وقد توصلت فيه إلى عدة نتائج، أهمها:

١. تطلق البركة في اللغة على عدة معان، هي الثبوت، واللزوم، والنماء، والزيادة، والسعادة.
٢. البركة في الاصطلاح يراد بها الزيادة والنمو، حسية كانت أو معنوية.
٣. التبريك هو طلب البركة عن طريق أشياء ومعانٍ مميّزها الله بالبركة.
٤. من أسباب جلب البركة تقوى الله، والدعاء، وأخذ المال بطيب نفس، وغيرها.
٥. خص الله تعالى في القرآن الكريم أشخاص، وأزمنة وأمكنة، وبعض المخلوقات بالبركة.

العبادة، والزيادة في النشاط، ومدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع، والتسبب بالصدقة على من يسأل، إذ ذاك، أو يجتمع معه على الأكل، والتسبب للذكر والدعاء وقت مظنة الإجابة، وتدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام. قال ابن دقيق العيد: هذه البركة يجوز أن تعود إلى الأمور الدنيوية كقوة البدن على الصوم، وتيسيره من غير إضرار بالصائم. قال: ومما يعلل به استحباب السحور، المخالفة لأهل الكتاب، لأنه ممتنع عندهم. وهذه أحد الوجوه المقضية للزيادة في الأمور الأخروية^(١).
فالسحور منفعة دنيوية للصائم، يترتب عليها منافع أخروية.

بركة الطعام:

أخرج مسلم عن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى، ثم ليأكلها، ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة"^(٢). وفي لفظ "فإن آخر الطعام فيه بركة"^(٣).

(١) فتح الباري (٤/ ١٧٩).

(٢) كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة، رقم (٥٣٠٠) من عدة طرق. وسنن أبي داود: كتاب الأطعمة، باب في اللقمة الساقطة، رقم (٣٨٤٥) عن أنس رضي الله عنه. وسنن النسائي: كتاب آداب الأكل، باب العلة في اللعق، رقم (٦٧٤٦). وسنن ابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب لعق الأصابع، رقم (٣٢٧٠). وأحمد في مسنده، رقم (١٤٢٢١)، (١٤٣٩٠)، (١٤٥٥٢)، (١٤٦٢٩)، (١٤٩٣٨).

(٣) سنن النسائي: كتاب آداب الأكل، باب النهي عن رفع الصفحة حتى تلعق، رقم (٦٧٦٧). وأحمد في مسنده، رقم (٢٦٧٢).
(٤) شرح النووي لصحيح مسلم (١٣/ ١٧٤).

ملخص البحث:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، فعنوان البحث: "دلالة البركة في السنة النبوية من خلال الكتب الستة ومسند الإمام أحمد رحمه الله"
أهداف البحث:

١. جمع أحاديث البركة الصحيحة.
٢. تقسيم الأحاديث بحسب الدلالات التي اشتملت عليها.

اشتمل البحث على:

- دلالة البركة في الدنيا.
- دلالة البركة في الآخرة.
- دلالة البركة في الدنيا والآخرة.

أهم النتائج:

١. يراد بالبركة منافع في الدنيا، ومنافع في الآخرة.
 ٢. من دلالات البركة في الدنيا المضاعفة والمنفعة.
 ٣. من دلالات البركة في الآخرة الإيمان والعمل الصالح والثواب.
- وقد اوصت الباحثة بأهمية العناية بالوعي الصحيح بدلالات البركة؛ لتتم الاستفادة منها بالطريقة الصحيحة.

[٣] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ط بدون، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان.

٦. مفهوم البركة يراد به تارة بركة في الدنيا، وبركة في الآخرة، وبركة تجمع الأمرين.

٧. بركة الدنيا تأتي بمعنى المضاعفة والمنفعة.

٨. بركة الآخرة تأتي بمعنى العمل الصالح، وزيادة الإيمان والثواب.

٩. البركة التي تجمع بين خيري الدنيا والآخرة، إما أن تكون مرتبطة ببعضها، أو مترتبة على بعضها.

التوصيات:

توصي الباحثة بما يأتي:

١. العناية بالأحاديث الصحيحة التي تضمنت الأمور المباركة.
٢. الرجوع إلى شروح السنة لمعرفة دلالة البركة في الحديث.
٣. نشر الوعي الصحيح لدلالة البركة بين أفراد المجتمع، ليتم الاستفادة من الأشياء المباركة بالطريقة الصحيحة، والتوصية خاصة بطلبة العلم. والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

المصادر والمراجع

- [١] القرآن الكريم.
- [٢] أسد الغابة، ابن الأثير الجزري، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

- [٤] البركة، كيف يحصل المسلم عليها في ماله ووقته وسائر أموره، إعداد: د. أمين الشقاوي، الطبعة الأولى ١٤٣١-٢٠١٠م.
- [٥] البركة، ما يجلب البركة، ما يمحق البركة، تأليف: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الصحابة، مصر.
- [٦] التبرك أنواعه وأحكامه، تأليف: د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع، ط بدون، ١٤١١هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
- [٧] التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد عاشور، ط بدون، ١٩٨٤م، الدار التونسية للنشر، تونس.
- [٨] التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت.
- [٩] تفسير الخازن "لباب التأويل في معاني التنزيل" لعلاء الدين علي بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد علي شاهين، ط بدون، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- [١٠] تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م،
- [١١] تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- [١٢] الجامع للإمام أبي عيسى محمد الترمذي، إشراف ومراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار السلام، الرياض.
- [١٣] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام أبي عبد الله محمد البخاري، بإشراف ومراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار السلام، الرياض.
- [١٤] الداء والدواء، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، حققه: محمد أجمل الإخلاصي، خرَج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد -رحمه الله-، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.
- [١٥] السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- [١٦] السنن للإمام أبي عبد الله محمد بن ماجه القزويني، إشراف ومراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار السلام، الرياض.
- [١٧] السنن للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، بإشراف ومراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار السلام، الرياض.
- [١٨] تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني،

من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، ط بدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

[٢٧] عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ضبط وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط بدون، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.

[٢٨] فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، مكتبة دار السلام، الرياض.

[٢٩] الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لأحمد عبد الرحمن بن الساعاتي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي.

[٣٠] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، ط بدون، دار الفكر.

[٣١] فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، صححت الطبعة وقوبلت على عدة نسخ، وعلق عليه تعليقات قيمة نخبة من العلماء، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م، دار المعرفة، بيروت-لبنان.

[٣٢] كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، المفسر المحدث الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني، مكتبة القدسي، ١٣٥١هـ.

[١٩] شرح النووي لصحيح مسلم، ضبط نصّه الصحيح ورقمت كتبه وأبوابه وأحاديثه على الطبعة التي حققها محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، دار الكتب الصحيحة، بيروت-لبنان.

[٢٠] شرح صحيح البخاري لابن بطّال، ضبط نصّه وعلق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، مكتبة الرشد، الرياض.

[٢١] شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد الطحاوي، حققه وضبط نصّه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت-سوريا.

[٢٢] صحيح الترغيب والترهيب للشيخ محمد ناصر الألباني، الطبعة الخامسة، تاريخ بدون، مكتبة المعارف، الرياض.

[٢٣] صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، مكتبة المعارف، الرياض.

[٢٤] صحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

[٢٥] صحيح سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، المكتب الإسلامي، بيروت.

[٢٦] عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه شركة

- [٣٣] الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط بدون، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- [٣٤] لسان العرب للعلامة الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ط بدون، تاريخ بدون، دار صادر، بيروت.
- [٣٥] المجتبي من السنن للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، إشراف: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ-٢٠٠٠م، دار السلام، الرياض.
- [٣٦] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- [٣٧] مرآة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان القاري، تحقيق: جمال عيتاني، ط بدون، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- [٣٨] المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، بإشراف ومراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار السلام، الرياض.
- [٣٩] المسند المستخرج على صحيح مسلم لابن نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- [٤٠] معالم التنزيل في تفسير القرآن "تفسير البغوي" لمحي الدين الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- [٤١] معاني القرآن، أبو بكر زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي نجار وعبد الفتاح سكري، ط بدون، تاريخ بدون، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
- [٤٢] معجم لغة الفقهاء، د. محمد قلجعي، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار النفائس، بيروت- لبنان.
- [٤٣] المغني عن حمل الأسفار لأبي الفضل العراقي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، ط بدون، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، مكتبة طبرية، الرياض.
- [٤٤] المفردات في غريب القرآن، لحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط بدون، ١٤١٢هـ، دار العلم، دمشق-بيروت.
- [٤٥] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام أبي العباس أحمد القرطبي، حققه وعلق عليه: محي الدين ديب ستو، يوسف البدوي، أحمد السيد، محمد بزال، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، دار

- ابن كثير، دمشق-بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق-بيروت.
- [٤٦] مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط بدون، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، الناشر: اتحاد الكتاب العربي.
- [٤٧] المنتقى شرح موطأ مالك لأبي الوليد سليمان الباجي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- [٤٨] موقع المستكشف.
- [٤٩] النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود الطناحي، ط بدون، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت.

Meanings of Blessing in Sunnah through Al-Musnad of Imam Ahmed and the Six Books

Dr. Hanaa Ali jamal AL-zamzamyAssistant
 Professor in *Qur'an and Sunnah department*
 Kingdom of Saudi Arabia, ministry of education
 Umm Al Qura University
 Da'wa and fundamentals of religion college
 Qur'an and Sunnah department

Abstract. Praise be to Allah, and peace and blessings be upon the Messenger, The title of the research is:” The significance of the blessing in the Sunnah of the Prophet through the six books, and imam Ahmad”.

The goals of the research:

Gathering the correct conversations of the blessing.

Classifying the correct conversations of the blessing according to the indication included.

The research contained:

indication of blessing in this world.

Indication of blessing in the hereafter.

Indication of blessing in this world and the hereafter.

The most important results:

The blessing means benefits in this world, and benefits in the hereafter.

Some of the signs of the blessing in the world is getting benefits and doubling of awards.

A sign of blessing in the hereafter is faith, good deeds, and reward.

The researcher recommended to take care about the correct awareness of the blessing implications, so that it can be used in the right way.

زكاة العسل دراسة فقهية مقارنة

د. علي بن حمد بن مهدي الناشري

أستاذ الفقه المساعد

قسم الشريعة والدراسات الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مستخلص. فهذا بحث فقهي بعنوان (زكاة العسل : دراسة فقهية مقارنة)، والمقصود بالعسل هنا الذي يتَّخذُه صاحبه للغذاء والدواء، وليس للتجارة . وهي من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم قديماً وحديثاً. وقد جمعت أقوال أهل العلم في المسألة، من كتب المذاهب الفقهية المعتمدة، وراجعت كتب السنّة ومدونات الفقه المشهورة، وكتب التفسير وشروح الحديث. ووجدت أن الخلاف فيها استقرّ على قولين، الأول : وجوب زكاة العسل، والثاني: عدم وجوبها. ثم جمعت أدلة الفريقين من الكتاب والسنة والآثار والمعقول ، وما ذكره أهل العلم من أوجه الدلالة، ومناقشة كل فريقٍ لأدلة الآخر.

وقد ترجح لي بعد استكمال عرض الأدلة ومناقشتها: القول بعدم وجوب زكاة العسل، لقوة أدلته، ولما ردّ به القائلون بعدم الوجوب من ضعف أدلة القول بالوجوب إجمالاً ، وأن ما صحّ منها ليس صريحاً في أخذ العشر من العسل لأجل الزكاة، وإنما مقابل حماية الوادي، كما جاءت به الآثار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ويشتمل البحث على مقدمة فيها بيان أهمية البحث والمقصود منه ، والخطة والمنهج الذي اتبعته فيه. وأربعة مباحث فيها بيان للأقوال، وأدلتها، ومناقشة الأدلة، والترجيح، ونصاب العسل لمن قال بالوجوب ومقدار زكاته. أسأل الله التوفيق والسداد لخيري الدنيا والآخرة، وأن ينفع بهذا البحث من كتبه وقرأه وسمعه، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عمّا فيه من خطأ وتقصير ونسيان، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

المقدمة:

للناس، وعلمنا الحكمة والقرآن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ما جعل علينا في الدين من حرج، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله المبعوث

الحمد لله الذي شرع لنا الدين القويم، وهدانا إلى الصراط المستقيم، وجعلنا من خير أمة أخرجت

الكثير من الأمثلة والضوابط في كتب الزكاة، اتفقوا على بعضها واختلفوا في البعض الآخر .

ومن الأصناف التي اختلف أهل العلم في إلحاقها بالخارج من الأرض: العسل .

فإن جمهور الفقهاء ذكروا زكاة العسل في باب زكاة الخارج من الأرض؛ لكونه يشبه زكاة الخارج من الأرض في أنه لا حول له، وإنما تُخرج زكاته إذا بلغ النصاب، ولأن النحل يتغذى على زهور النبات وهو مما يخرج من الأرض .

قال الشيخ ابن عثيمين : " والعسل ليس مما يخرج من الأرض، وإنما من بطون النحل كما قال الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾^(٤)، ولكنه يشبه الخارج من بطون الأرض، بكونه يُجنى في وقت معين، كما تجتنى الثمار"^(٥).

أهمية البحث :

تظهر أهمية البحث، من اهتمام الناس بالعسل وإنتاجه والعناية به قديماً وحديثاً، وذلك لما يلي: أولاً: أن العسل من الطيبات التي جمع الله فيها لعباده بين الغذاء والشفاء، وأنزل الله في النحل سورة كاملة، امتنّ فيها على عباده بهذا النعمة، كما قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾^(٦).

رحمةً للعالمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين. أما بعد:

فإن الله تعالى شرع الزكاة لمقاصد عظيمة، وحكم جليلة، من أجلها تحقيق العبودية لله، بآداء هذا الركن العظيم الذي اقترن ذكره مع إقامة الصلاة في مواضع كثيرة من كتاب الله.

ومنا تطهير نفس المزكي وتركيتها من الشح والبخل، فهو من أخطر الأمراض التي تصيب النفس، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١). ومنها شكر الله تعالى على نعمة المال، والاعتراف بفضل الله تعالى وإحسانه، وهي علاج للقلب من حب الدنيا وتركية للنفس وتحويلها إلى الرغبة في الآخرة.

ومنها تحقيق التكافل الاجتماعي، وتلمس حاجة الفقراء والمساكين، الذين تشكل لهم الزكاة رافداً مهماً لمواجهة ظروف المعيشة وصعوباتها .

ومن الأصناف التي فرض الله فيها الزكاة: الخارج من الأرض، يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَنْتَوُا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٣).

والخارج من الأرض يشمل كل ما يمكن كئله وادخاره، كالحبوب والثمار، وقد ذكر الفقهاء لذلك

(٤) سورة النحل آية رقم (٦٩) .

(٥) الشرح الممتع (٨٦/٦) .

(٦) سورة النحل آية رقم (٦٩) .

(١) سورة الحشر آية رقم (٩) .

(٢) سورة الأنعام آية رقم (١٤١) .

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢٦٧) .

عروض التجارة ، وهو باب آخر غير ما نحن بصدده.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وأربعة مباحث:

المقدمة: وفيها بيان أهمية البحث والمقصود منه، والخطة والمنهج الذي اتبعته فيه.

المبحث الأول: بيان أقوال أهل العلم في زكاة العسل: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القائلون بوجود الزكاة في العسل.

المطلب الثاني: القائلون بعدم وجوب الزكاة في العسل.

المبحث الثاني: الأدلة والمناقشات، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: أدلة القائلين بوجود زكاة العسل ومناقشتها.

المطلب الثاني: أدلة القائلين بعدم وجوب زكاة العسل ومناقشتها.

المبحث الثالث: الترجيح:

المبحث الرابع: نصاب العسل ومقدار زكاته، عند القائلين بوجود زكاته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نصاب العسل.

المطلب الثاني: مقدار زكاته.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات .

منهج البحث:

١- جمعت أقوال أهل العلم في المسألة وأدلتهم عليها، من كتب الفقه المعتمدة في الأبواب التي شملها البحث.

ثانياً: ما ورد في سنة النبي ﷺ من الحث على التداوي بالعسل، لما له من آثار عجيبة في شفاء الكثير من الأمراض والحروق. كما روى جابر رضي الله عنهما، قال : سمعت النبي ﷺ يقول: " إن كان في شيء من أدويتكم، أو يكون في شيء من أدويتكم خيراً، ففي شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو لذعة بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوي"^(١).

ثالثاً : أن حكم زكاة العسل مما يحتاج الناس إلى معرفته، وذلك أن في معرفة الحكم الشرعي الراجح تبصيراً للمسلم بالواجب عليه، وإبراءً للذمة من أمرٍ قد يكون واجباً عليها، أو رفعاً للحرَج الواقع على المسلم في حال عدم ثبوت الحكم بوجود زكاة العسل.

وحيث وقع الخلاف بين أهل العلم قديماً وحديثاً في حكم زكاة العسل، ما بين موجبٍ للزكاة وغير موجبٍ لها، لذا وقع اختياري على هذه المسألة لبحثها، وللخروج بترجيحٍ فقهيٍ مبنيٍ على استقراء أدلة الفريقين، وذكر أقوال أهل العلم في توجيهها، وردود كل فريق على الآخر.

المقصود بالبحث:

المقصود بالبحث هنا هو بيان زكاة العسل الذي يتَّخذه صاحبه لغير غرض التجارة به، مثل التغذية به، أو التداوي به، أو الإهداء لمن ينتفع به. ولا يدخل في بحثنا العسل المعروض للتجارة ، فهذا لا خلاف بين أهل العلم في وجوب زكاته لكونه من

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٦٨٣).

عن عمر بن عبد العزيز^(١)، ومكحول، والزهرري،
وسليمان بن موسى، والأوزاعي، وإسحاق^(٢).

تحقيق مذهب الحنفية: ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه
الله إلى وجوب زكاة العسل: إذا كان من أرض
العُشر^(٣). وأما إذا كان في أرض الخراج^(٤) فلا شيء
فيه^(٥).

قال محمد بن الحسن: "قلت: رأيت إن كان العسل
قليلاً أو كثيراً، يجب فيه العشر فيما كان من ذلك؟
قال: نعم في قول أبي حنيفة^(٦)".

**أما لو وجد العسل في المفازة أو الجبل ففيه
اختلاف:**

(١) وروي عنه القول بعدم الوجوب. ينظر: موطأ الإمام مالك
برواية محمد بن الحسن (١٣٩/٢).

(٢) ينظر: الأموال لأبي عبيد (٥٩٩)، الاستنكار (٢٣٩/٣)،
المغني (٢٠/٣)، الحاوي الكبير (٥١٠/٣)، معالم السنن
(٤٣/٢).

(٣) أرض العشر هي: كل أرض أسلم أهلها عليها، وهي من
أرض العرب أو أرض العجم، فهي لهم وهي أرض عشر.
وكذلك كل أرض العرب، سواء فتحت صلحا أو عنوة؛ لأن
أهلها لا يقرون على الشرك، حتى لو دفعوا الجزية؛ ولأن
النبي ﷺ فتح كثيراً من أرض العرب عنوة، وأبقاها عشرية،
وكذلك الأرض التي فتحها المسلمون، عنوة وقسمها الإمام بين
الفاحين. ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١١٩/٣)،
التعريفات الفقهية (٢٢).

(٤) الخراج في اللغة: اسم للكرء والغلة، وهو عند الفقهاء: ما
وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها لبيت المال.
والأرض المختصة بوضع الخراج عليها هي التي صلح عليها
المشركون من أرضهم على أنها لهم ولنا عليها الخراج.
وكذلك الأرض التي فتحت عنوة عند من يقول بوضع الخراج
عليها. ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٩٦/١٥)، التعريفات
الفقهية (٨٦).

(٥) ينظر: بداية المبتدي (٣٦)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق
(٢٥٥ / ٢)، المبسوط للسرخسي (٢٧ / ٣)، حاشية رد المختار
على الدر المختار (٣٢٥ / ٢)، فتح القدير (١٥١ / ٤)، اللباب
في شرح الكتاب (٧٧).

(٦) ينظر: المبسوط للشيباني (١٥٤/٢).

٢- وثقت أقوال الأئمة الأربعة من كتبهم المعتمدة.

٣- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها بذكر اسم
السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.

٤- خرجت الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث في
الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بذلك، وإن لم يكن
فيهما أو في أحدهما فأخرجه من مظانه من كتب
الأحاديث الأخرى وأبين درجته معتمداً على الكتب
التي تعنتي بذلك.

٥- خرجت الآثار من مظانها.

٦- عزفت ببعض المصطلحات الفقهية، والمقادير
الشرعية لأهميتها في البحث.

٧- لم أترجم للأعلام ولا الأماكن، خشية إطالة
البحث، ولأن البحث مختص بالمهتمين بالعلم
الشرعي من الفقهاء وأساتذة الجامعات.

**المبحث الأول: بيان أقوال أهل العلم في زكاة
العسل:**

اختلف أهل العلم في زكاة العسل على قولين
مشهورين، وهما:

القول الأول: وجوب الزكاة في العسل.

والقول الثاني: عدم وجوب الزكاة في العسل.

وسأبين القولين ومن قال بهما في المطالبين التاليين:

المطلب الأول: القائلون بوجوب الزكاة في العسل:

وإليه ذهب الإمام أبو حنيفة والإمام أحمد، غير أن
أبا حنيفة حصر الوجوب في أرض العُشر. وأطلق
الحنابلة الوجوب في كل العسل. وهذا القول مروى

قال في الهداية: "ويجب في العسل العشر سواء كان في أرض خراجية أو غيرها، وسواء أخذه من موضع يملكه أو لا يملكه، كرؤوس الجبال والموات كلها"^(٧).

ويتوجه أن يكون للمذهب قول آخر بعدم الوجوب:

قال ابن مفلح في الفروع: "وأما أحمد رضي الله عنه فإنما احتج بقول عمر رضي الله عنه، قيل لأحمد: إنهم تطوعوا به، قال: لا، بل أخذ منهم. وهذا منه يدل على أنه لا حجة عنده في خير مرفوع في ذلك، لضعف إسناده أو دلالتها، أو لهما".

وقال أيضاً: "من تأمل هذا وغيره، ظهر له ضعف المسألة، وأنه يتوجه لأحمد رواية أخرى؛ أنه لا زكاة فيه، بناء على قول الصحابي. قال: وسبق قول القاضي، في الثمر يأخذه من المباح، يزكيه في قياس قول أحمد في العسل. فقد سوى بينهما عند أحمد، فدل أن على القول الآخر، لا زكاة في العسل من المباح عند أحمد، وقد اعترف المجد أنه القياس لولا الأثر، فيقال: قد تبين الكلام في الأثر. ثم إذا تساويا في المعنى، تساويا في الحكم وترك القياس، كما تعدى في العرايا إلى بقية الثمار وغير ذلك، على الخلاف فيه"^(٨).

قال المرادوي: "ففي كلام صاحب "الفروع" إيماء إلى عدم الوجوب، وما هو ببعيد"^(٩).

فعند أبي حنيفة ومحمد بن الحسن: يجب العشر. وعليه أكثر الحنفية^(١). وقال أبو يوسف لا شيء فيه^(٢).

ووجه التقييد عند أبي حنيفة بأرض العشر: أن العسل إذا كان في أرض الخراج فلا شيء فيه لما ذكر أن وجوب العشر فيه لكونه بمنزلة الثمر، ولا شيء في ثمار أرض الخراج لامتناع وجوب العشر والخراج في أرض واحدة^(٣).

تحقيق مذهب الحنابلة: ذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى وجوب العُشْر في العسل^(٤).

قال عبدالله ابن الإمام أحمد: "سألت أبي عن العسل هل تجب فيه الزكاة؟ قال في العسل العشر"^(٥). وقال المرادوي: "هذا المذهب، رواية واحدة، وعليه الأصحاب. وهو من مفردات المذهب"^(٦) وهو مطلق في كل العسل سواء كان من أرض خراجية أو من أرض مملوكة له أو غير مملوكة.

(١) ينظر: المبسوط للشيباني (٢/ ١٥٥)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٢/ ٢٥٥)، حاشية رد المختار على الدر المختار (٢/ ٣٢٥)، درر الحكام شرح غرر الأحكام (١/ ١٨٦)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٦٢).

(٢) ينظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٢/ ٢٥٥).
(٣) ينظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٢/ ٢٥٥)، حاشية رد المختار على الدر المختار (٢/ ٣٢٥).

(٤) ينظر: التذكرة لابن عقي (ص ٨٤)، المغني (٣/ ٢٠)، الفروع وتصحيح الفروع (٤/ ١٢٥)، كشف القناع (٢/ ٢٢٠)، شرح منتهى الإرادات (١/ ٤٢٢).

(٥) ينظر: مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله (ص ١٦٥).

(٦) ينظر: الإنصاف (٦/ ٥٦٧).

(٧) ينظر: الهداية على مذهب الإمام أحمد (ص ١٣٣)، الإقناع (١/ ٢٦٦)، الفروع وتصحيح الفروع (٤/ ١٢٠).

(٨) ينظر: الفروع وتصحيح الفروع (٤/ ١٢٣).

(٩) ينظر: الإنصاف (٦/ ٥٦٨).

المطلب الثاني: القائلون بعدم وجوب الزكاة في العسل:

وإليه ذهب الإمام مالك، والشافعي في الجديد. وهو قول الثوري، وابن أبي ليلى، والحسن بن صالح، وابن المنذر^(١).

تحقيق مذهب المالكية: ذهب الإمام مالك رحمه الله إلى عدم وجوب الزكاة في العسل مطلقاً^(٢).

روى ابن وهب، عن مالك: "في الترمس الزكاة، وليس في الحلبة زكاة، ولا في العصفر والزعفران، ولا في العسل"^(٣).

وقال القرافي: "قال سند ولا يختلف المذهب في عدم الزكاة في العسل"^(٤).

تحقيق مذهب الشافعية: اختلف قول الشافعي في زكاة العسل، فقد علق فيه القول على القديم^(٥).

قال الروياني: "وأما العسل فقال في القديم: الحديث الذي فيه العُشر غير ثابت، والذي روي فيه أنه لا عشر فيه، غير ثابت. فكأنه لم يقطع بحكمه"^(٦).

وذهب في الجديد: إلى أنه لا زكاة في العسل^(٧). وقطع أبو حامد وغيره بنفي الزكاة فيه قديماً وجديداً^(٨). وقطع النووي بأن المذهب في العسل أنه لا زكاة فيه^(٩).

المبحث الثاني: الأدلة والمناقشات:

المطلب الأول: أدلة القائلين بوجوب زكاة العسل ومناقشتها:

١- قوله تعالى: ﴿ حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾^(١٠).

وجه الدلالة من الآية:

ظاهر الآية يوجب الصدقة في العسل، إذ هو من أموالهم، والصدقة وإن كانت جملة، فإن الآية قد اقتضت إيجاب صدقة (ما)، وإذا أوجبت الصدقة كانت العشر، إذ لا يوجب أحد غيره، ولما أوجب النبي ﷺ فيه العشر، دلّ على أنه أجراه مجرى النَّمْرِ وما تخرجه الأرض مما يجب فيه العشر^(١١).

ويناقش هذا الاستدلال: بأن الصدقة المأمور بها في الآية مختلف فيها، فقيل: هي صدقة الفرض، قاله جويبر عن ابن عباس، وهو قول عكرمة فيما ذكر القشيري. وقيل: هو مخصوص بمن نزلت فيه،

(١) ينظر: الأموال لأبي عبيد (٥٩٩)، الاستنكار (٢٣٩/٣)، المغني (٢٠/٣) الشرح الكبير لابن قدامة (٥٦٩/٦)، معالم السنن (٤٣/٢).

(٢) ينظر: المعونة على مذهب أهل المدينة (٤٢٦)، الذخيرة (٣/٧٣)، مواهب الجليل (٣/١٢١)، النوادر والزيادات (١٠٩/٢)، الإشراف على نكت مسائل الخلاف (١/٣٩٧)، عيون المسائل (١٨٣).

(٣) ينظر: النوادر والزيادات (٢/٢٦٢).

(٤) ينظر: الذخيرة (٣/٧٥).

(٥) ينظر: المهذب (١/٢٨٤)، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع (١/٢٢٧)، الحاوي الكبير (٣/٥١٠)، فتح العزيز (٥/٥٦٣)، المجموع شرح المهذب (٥/٤٥٢).

(٦) ينظر: بحر المذهب (٣/١١٥).

(٧) ينظر: الأم (٢/٣٩)، الحاوي الكبير (٣/٥١٠)، فتح العزيز (٥/٥٦٣)، المجموع شرح المهذب (٥/٤٥٢).

(٨) ينظر: الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع (١/٢٢٧)، فتح العزيز (٥/٥٦٣)، المجموع شرح المهذب (٥/٤٥٥).

(٩) ينظر: المجموع شرح المهذب (٥/٤٥٥).

(١٠) سورة التوبة آية رقم (١٠٣).

(١١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/٣٦٣)، اللباب في الجمع بين السنة والكتاب (١/٣٦٨).

وجه الدلالة من الآثار السابقة:

ظاهر الآثار يدل على أخذ العشر من العسل، وهي مطلقة غير مقيدة بأنها في مقابل الحماية أو نحوها.

٦- عن سعد بن أبي ذباب قال: قدمت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، اجعل لقومي ما أسلموا عليه، ففعل رسول الله ﷺ واستعملني عليهم، ثم استعملني أبو بكر من بعده. قال: فقدت على قومي فقلت: في العسل زكاة، فإنه لا خير في مال لا يزكى. قال: فقالوا لي: كم ترى؟ قال: فقلت: العشر، قال: فأخذ منهم العشر، فقدم به على عمر فأخبره بما فيه، وأخذ عمر فباعه، وجعل في صدقات المسلمين^(٦).

أوجه الاستدلال بالأثر:

أولاً: أن أخذ سعدٍ ليس رأياً منه وتطوعاً، بدليل أنه قال: "في العسل زكاة". والزكاة اسم للواجب فيحتمل كونه سمعه من رسول الله ﷺ وكونه رأياً منه، وحمله على السماع أولى^(٧).

ثانياً: أن قولهم له: "كم ترى؟". لا يستلزم علمهم بأنه عن رأي في أصل الوجوب، لجواز كونه عن علمهم بأن الرأي في خصوص من الكمية، وأن

فإن النبي ﷺ أخذ منهم ثلث أموالهم، وليس هذا من الزكاة المفروضة في شيء^(١).

ولو سلمنا بأن المقصود بالصدقة هنا الزكاة المفروضة فإن دخول العسل في عموم الآية غير مسلم به، للخلاف في ثبوت العشر فيه.

٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: "في العسل العشر"^(٢).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن: "أن يؤخذ من أهل العسل العُشْر"^(٣).

٤- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو: (أنه ﷺ أخذ من العسل العُشْر)^(٤).

٥- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: (أن رسول الله ﷺ كان يؤخذ في زمانه من العسل العشر، من كل عشر قرب قريبة من أوسطها)^(٥).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٤٤/٨).

(٢) رواه بهذا اللفظ العقيلي في الضعفاء الكبير (٣٠٩/٢)، وقال: منكر لا يتابع عبد الله بن محرر عليه.

قال أبو عبد الله الشافعي: الحديث في أن في العسل العشر. ضعيف، وفي ألا يؤخذ منه العشر ضعيف. ينظر: السنن الكبرى للبيهقي (١٥٨/٨). وقال الإمام أحمد: منكر. ينظر: العلل ومعرفة الرجال برواية المروزي (١٥٦).

(٣) رواه عبدالرزاق في مصنفه برقم (٦٩٧٢)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣٠٩/٣).

قال الزيلعي في نصب الراية (٣٩٠/٢): معلول بعبدالله بن محرر. وقال ابن حزم في المحلى (٢٣٢/٥): من رواية عبد الله بن محرر وهو أسقط من كل ساقط متفق على إطراره. وقال ابن حجر في الفتح (٣٤٨/٣): في إسناده عبد الله بن محرر قال البخاري: عبد الله متروك.

(٤) رواه ابن ماجة في سننه برقم (١٨٢٤)، حسن إسناده ابن عبد البر في الاستنكار (٢٤٠/٣)، وقال ابن الملقن في تحفة المحتاج (٥١/٢): إسناده جيد، وينظر: البدر المنير (٥١٩/٥).

(٥) رواه أبو عبيد في الأموال برقم (١٤٨٩)، وابن زنجويه في الأموال برقم (٢٠١٤)، قال ابن حجر في الدراية (٢٦٤/١): "وفي إسناده ابن لهيعة".

(٦) رواه الشافعي في مسنده برقم (٧٤٠)، وابن أبي شيبة في صنفه برقم (١٠١٤٨)، وابن زنجويه في الأموال برقم (٢٠١٧)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (٥٤٥٨)، والبيهقي في السنن الكبرى برقم (٧٥٣٦)، وضعفه ابن الملقن في البدر المنير (٥٢٣/٥)، وكذا ابن حجر في التلخيص الحبير (٣٧١/٢)، لأن فيه منير بن عبد الله وهو ضعيف.

(٧) ينظر: فتح القدير (٢/٢٥٤).

عمر رضي الله عنه: إن أدى إليك ما كان يؤدي إلى رسول الله ﷺ من عشور نحلته، فاحم له سلبته، وإلا، فإنما هو ذباب غيث يأكله من يشاء»^(٥) وفي رواية أخرى :

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن بني شبابة بطن من فهم، كانوا يؤدون إلى رسول الله ﷺ من عسل لهم العشر، من كل عشر قرب قربة، وكان يحمي لهم واديين، فلما كان عمر بن الخطاب، استعمل عليهم سفيان بن عبد الله الثقفي، فأبوا أن يؤدوا إليه شيئاً، وقالوا: إنما ذاك شيء كنا نؤديه إلى رسول الله ﷺ، فكتب سفيان إلى عمر بذلك، فكتب إليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما النحل ذباب غيث يسوقه الله رزقاً إلى من يشاء، فإن أدوا إليك ما كانوا يؤدون إلى رسول الله ﷺ، فاحم لهم واديهم، وإلا فخل بين الناس وبينهما، فأدوا إليه ما كانوا يؤدون إلى رسول الله ﷺ، وحمى لهم واديهم»^(٦).

وجه الدلالة من الحديثين:

أن المعهود لدى الصحابة هو أن للعسل زكاة، بدليل قول الراوي: "فأدوا إليه ما كانوا يؤدون إلى رسول الله ﷺ".

يكون ما علمه من النبي ﷺ أصل الوجوب مع إجمال الكمية^(١).

ثالثاً : كونُ عمر رضي الله عنه قبله منه ولم ينكره عليه حين أتاه بعين العسل ، مع أنه لم يأت به إلا على أنه زكاة أخذها منهم يدل على أنه حق معهود في الشرع^(٢).

وأجيب عن ذلك بوجهين:

أولاً: أنه فعل ذلك تطوعاً، وليس على سبيل الوجوب. قال الشافعي: " سعد بن أبي ذباب يحكى ما يدل على أن رسول الله ﷺ لم يأمره بأخذ الصدقة من العسل، وأنه شيء رآه فتطوع له به أهله"^(٣).

ثانياً: أنه ندبهم إلى أن يخرجوا عنه شيئاً لينمو ويكثر خيره وبركته، ويؤيده ما روي أنهم قالوا له: "كم؟" وفي بعض الروايات: "كم ترى؟" فراجعوا رأيه ونظره، وأن عمر رضي الله عنه باع ما أخذه وجعل ثمنه في الصدقات، ولو وجبت الزكاة فيه لأشبهه أن يقسمه بنفسه^(٤).

٧- عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: جاء هلال أحد بني متعان إلى رسول الله ﷺ بعشور نحل له، وكان سأله أن يحمي له وادياً، يقال له: سلبته، فحمى له رسول الله ﷺ ذلك الوادي، فلما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب سفيان بن وهب، إلى عمر بن الخطاب يسأله عن ذلك، فكتب

(٥) رواه بهذا اللفظ أبو داود في سننه برقم (١٦٠٠)، والنسائي في سننه الكبرى برقم (٢٢٩٠)، والدارقطني في سننه برقم (٤٥٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى برقم (٧٤٦٠)، حسنه ابن عبد البر في الاستذكار (٢٤٠/٣)، وينظر: التلخيص الحبير (٣٧٠/٢)، وصححه الألباني في الإرواء (٢٨٤/٣).

(٦) أخرجه أبو داود في سننه برقم (١٦٠١)، وابن خزيمة في صحيحه برقم (٢٣٢٤)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (٦٣٩٣)، والبيهقي في السنن الكبرى برقم (٧٤٦٠)، وابن كثير في مسند الفاروق برقم (٢٢٩)، وقال: إسناد حسن جيد.

(١) ينظر: فتح القدير (٢/ ٢٥٤)، التجريد (٣/ ١٢٨٨).

(٢) ينظر: فتح القدير (٢/ ٢٥٤).

(٣) ينظر: السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٥٨).

(٤) ينظر: شرح مسند الشافعي (٢/ ١٢٣).

والجواب عن هذا الاستدلال:

أنه على القول بثبوت هذين الحديثين (حيث ضعفهما جمع من أهل العلم)، فليس فيهما ما يدل على زكاة العسل، وإنما كانوا يؤدون العشر مقابل حماية الوادي.

قال ابن خزيمة: "هذا الخبر إن ثبت، ففيه ما دلّ على أنّ بني شبابة إنما كانوا يؤدون من العسل العُشْرَ لعلّة، لا لأنّ العُشْرَ واجب عليهم في العسل، بل متطوعين بالدفع لحماهم الواديين"^(١).

وقال القرافي: "والجواب عن الأول -يعني هذا الحديث- أن المأخوذ قبالة حماية الوادي"^(٢).

وقال ابن زنجويه: "ولو كانا ثابتين لم يكن فيهما أيضاً حجة؛ لأنه قد بين لك أنّ بني شبابة هم الذين كانوا يؤدون لرسول الله ﷺ، ولم يقل إنّ رسول الله فرض ذلك عليهم"^(٣).

وقال الماوردي: "فلو كان عشره واجباً لأمر بأخذه منهم، وإن لم يحم لهم، ثم قد أخبر في حكمه وإباحته أنه غيث ذباب يأكله من شاء ولم يعلق على الأكل حقاً يؤدي، فدل على أنه لا شيء فيه والله أعلم بالصواب"^(٤).

وقال ابن حجر: "إلا أنه محمول على أنه في مقابلة الحمى كما يدل عليه كتاب عمر بن الخطاب"^(٥).

وقال ابن مفلح: "ثم يتوجه منه عدم الوجوب، وأن الأداء لأجل الحمى صلحاً أو عوضاً لمصلحة المسلمين؛ لأن عمر رضي الله عنه أمر بالحمى إن أدى العشر، ولم يأمر بأخذ العشر مطلقاً، ولو أخذ العشر مطلقاً لكان دفعه مع الحمى أصلح لهلال، ولم يمتنع منه، وأنه علم أنه إنما يؤخذ منه لأجل الحمى"^(٦).

وقال الخطابي: "في هذا دليل على أن الصدقة غير واجبة في العسل وأن النبي ﷺ إنما أخذ العشر من هلال المتعي، إذ كان قد جاء بها متطوعاً وحمى له الوادي إرفاقاً ومعونةً له بدل ما أخذ منه. وعقل عمر بن الخطاب المعنى في ذلك فكتب إلى عامله يأمره بأن يحمي له الوادي إن أدى إليه العشر وإلا فلا، ولو كان سبيله سبيل الصدقات الواجبة في الأموال لم يخيره في ذلك وكيف يجوز عليه ذلك مع قتاله في كافة الصحابة مع أبي بكر مانعي الزكاة"^(٧).

٨- عن أبي سياره المتعيّ قال: "قلت يا رسول الله، إن لي نحلاً. قال: "أدّ العُشْرَ"، قلت: "يا رسول الله، احمها لي"، فحمها لي"^(٨).

(٦) ينظر: الفروع (٤/١٢٠).

(٧) ينظر: معالم السنن (٢/٤٣)، نيل الأوطار (٤/١٧٥).

(٨) رواه عبدالرزاق في مصنفه برقم (٦٩٧٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه برقم (١٠٠٥٠)، وابن ماجه في سننه برقم (١٨٢٣) والإمام أحمد في مسنده برقم (١٨٠٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (٨٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى برقم (٧٥٣٢).
والحديث ضعيف لانقطاعه. قال الترمذي في العلل الكبير (ص ١٠٢): "سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال: حديث مرسل. سليمان بن موسى لم يدرك أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ". وقال ابن عبد البر في الاستنكار (٣/٢٤٠): "ولا يعرف أبو سياره هذا ولا تقوم بمثله حجة". وقال البيهقي

(١) ينظر: صحيح ابن خزيمة (٤/٤٥).

(٢) ينظر: الذخيرة (٣/٧٦).

(٣) ينظر: الأموال له (٣/١٠٩٥).

(٤) ينظر: الحاوي الكبير (٣/٢٣٧).

(٥) ينظر: فتح الباري (٣/٣٤٨).

وجه الاستدلال بهذا الحديث:

أن الحديث نص في وجوب زكاة العسل بدليل قوله ﷺ "أَدِّ الْعُشْرَ"^(١) ، وهي صيغة أمر ، والأمر يقتضي الوجوب، ولا قرينة صارفة هنا.

والجواب عنه: بأنه إن ثبت الحديث فليس فيه ما يدل على أن أداء العشر هو للزكاة ، وإنما في مقابل الحمى، ولذا قال: احمها يا رسول الله ، فحماها.

وقد ناقش القائلون بعدم وجوب زكاة العسل، ما سبق من الآثار، بأن أئمة الحديث الكبار كالبخاري والترمذي وابن المنذر والنووي وغيرهم ، ضعفوا تلك الأحاديث بعمومها ، وأنه لم يثبت في زكاة العسل خبر صحيح.

• قال البخاري: "وليس في زكاة العسل شيء يصح"^(٢).

• وقال الترمذي: "لا يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب كثير شيء"^(٣).

• وقال ابن المنذر: "ليس في وجوب صدقة العسل حديث يثبت عن رسول الله ﷺ ولا إجماع، فلا زكاة فيه"^(٤).

• وقال العقيلي : "وأما زكاة العسل فليس يثبت فيه عن النبي ﷺ ، وإنما يصح عن عمر بن الخطاب فعله"^(٥).

• وقال النووي: "فالحاصل أن جميع الآثار والأحاديث التي في هذا الفصل ضعيفة"^(٦).

• وقال ابن حزم بعد كلامه على بعض أحاديث العسل: "فبطل أن يصح في هذا عن رسول الله ﷺ شيء ، أو عن عمر أو عن أحد من الصحابة"^(٧).

• وقال ابن الملقن: "فهذه أحاديث إيجاب زكاة العسل مطعون في كلها وأجودها (ثانيها) ، وقد صرح جماعات من الحفاظ بأنه لا يصح شيء في إيجاب زكاته"^(٨).

• وقال العجلوني: "وباب زكاة العسل مع كثرة ما روى فيه لم يثبت فيه شيء"^(٩).

ومما ردّ به الموجبون لزكاة العسل :

أن هذه الآثار يقوي بعضها بعضاً وقد تعددت مخارجها واختلفت طرقها ومرسلها يعضد بمسندها^(١٠).

ومما ردّ به المنبجي الحنفي على من ضعف الآثار بالجملة ، فقال: "... في قول الترمذي: " ولا يصح عن النبي في هذا كبير شيء". إشارة إلى أنه يصح فيه وإن كان ذلك ليس بكبير. ولا يلزمنا قول

في السنن الكبرى(١٥٣/٨): "هذا أصح ما روي في وجوب العشر فيه وهو منقطع".

(١) ينظر: فتح القدير (٢٤٧/٢)، مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله (ص١٦٥).

(٢) ينظر: نقله عنه الترمذي في العلل الكبير (ص١٠٢).

(٣) ينظر: سنن الترمذي(١٥/٣).

(٤) ينظر: التلخيص الحبير(٣٧١/٢)، المغني(١٨٣/٤)، معرفة السنن والآثار(١٢٢/٦).

(٥) ينظر: الضعفاء الكبير(٣٠٩/٢).

(٦) ينظر: المجموع(٤٥٣/٥).

(٧) ينظر: المحلى(٢٣٢/٥).

(٨) ينظر: البدر المنير(٥٢٣/٥).

(٩) ينظر: كشف الخفاء(٤٢١/٢).

(١٠) ينظر: زاد المعاد(١١/٢) في سياق عرضه لأدلتهم .

زيتها ... ولا تجب في الفواكه والتوابل والعسول لأنها لا تدخل لذلك" (٤).

ويناقش: بأن كون العلة هي الادخار للقوت، غير مسلم به، فهي محل خلاف بين الفقهاء، فلا يستقيم الاستدلال بالآية .

٢- عن علي رضي الله عنه قال: "ليس في العسل زكاة" (٥).

ويناقش الاستدلال بهذا الأثر: بأنه غير ثابت، وأن الاحتجاج بقول الصحابي الذي خالفه غيره من الصحابة، فيه خلاف بين أهل العلم.

٣- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أنه أتى بوقص (٦) البقر والعسل، فقال: "كلاهما لم يأمرني فيه رسول الله بشيء" (٧).

٤- عن أبي موسى ومعاذ: أن رسول الله ﷺ بعثهما على اليمن يعلمان الناس أمر دينهم، فأمرهم أن لا يأخذوا الصدقة إلا من هذه الأربعة (الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب) (٨).

البخاري، فإن الحديث الصحيح ليس موقوفاً عليه.... قال أبو عيسى: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم وبه يقول أحمد، وإسحاق" (١).

ومن المعقول:

أن النحل تأكل من نوار الشجر وثمارها، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ، فما يكون منها من العسل متولد من الثمار ، وفي الثمار إذا كانت في أرض عشرية العشر، فكذلك فيما يتولد منها (٢).

المطلب الثاني : أدلة القائلين بعدم وجوب زكاة العسل ومناقشتها:

١- قوله تعالى: ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (٣).

وجه الدلالة من الآية : قال العلماء هذا حكم عام في هذه الأشياء، والحكم المشترك يجب أن يكون معللاً بعلة مشتركة، وهي الادخار للقوت عند الإمام مالك، والعسل لا تشمله هذه العلة.

قال القرافي عن علة الحكم في الآية : "قال مالك هي الادخار للقوت غالباً، لأنه وصف مناسب في الاقتيات من حفظ الأجساد التي هي سبب مصالح الدنيا والآخرة ، وإذا عظمت النعمة وجب الشكر بدفع الزكاة فلذلك تجب في الزيتون والسهم للاقتيات من

(٤) الذخيرة (٣/٧٣).

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى برقم (٧٥٤١) ، وضعفه ابن الملقن في البدر المنير (١/٣٠٤)، وقال ابن حجر في التلخيص (٢/٣٨١): "في إسناده حسين بن زيد وهو ضعيف". وينظر: معرفة السنن والآثار (٦/١٢٣).

(٦) الوقص هو: ما بين الفريضتين من نصاب الزكاة مما لا شيء فيه. نحو أن تبلغ الإبل خمساً ففيها شاة، ولا شيء في الزيادة حتى تبلغ عشراً. وبعض العلماء يجعل الوقص في البقر خاصة. ينظر: الصحاح (٣/١٠٦٢)، المصباح المنير (٢/٦٦٨).

(٧) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٢٠١٩)، والبيهقي في السنن الكبرى برقم (٧٥٣٩) ، قال ابن المقن في البدر المنير: "وهذا مرسل ؛ طاووس لم يدرك معاذاً". وقال ابن حجر في الفتح (٣/٣٤٨): "وهو منقطع".

(٨) رواه الدارقطني في سننه برقم (١٩٢١) ، والحاكم في مستدرکه برقم (١٤٥٩) وقال: "إسناده صحيح".

(١) ينظر: الباب في الجمع بين السنة والكتاب (١/٣٦٨).

(٢) ينظر: المبسوط للسرخسي (٢/٣٩١) ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٢/٢٥٥) ، فتح القدير (٢/٢٤٧) ، الهداية في شرح بداية المبتدي (١/١٠٨).

(٣) سورة الأنعام آية رقم (١٤١) .

وجه الدلالة من الأثر :

أن النبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن ، لتعليم الناس أمر دينهم، بيّن له ما يأخذ زكاته منهم، ولم يذكر له العسل، مع كون بلاد اليمن من أكثر البلاد التي تنتج العسل.

قال ابن زنجويه: " أحسن ما سمعنا في العسل والزيتون أنه ليس فيهما صدقة، وذلك لأنَّ السُّنَّة قد مضت بأنه لا صدقة إلا في الأصناف الأربعة: الحنطة والشعير والنخل والكرم، وأنَّ معاذاً وأبا موسى حين بُعثا إلى اليمن لم يأخذاً إلا منهما، وأنَّ معاذاً سُئل عن العسل باليمن، وهي من أكثر الأراضين عَسَلاً، فقال: لم أؤمر فيه بشيء. وأنه ليس له ولا للزيتون ذكر في شيء من الصدقات" (١).

٥- ما رواه الإمام مالك في الموطأ، قال: حدثنا عبد الله بن أبي بكر، عن أبيه، أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه: أن لا يأخذ من الخيل، ولا العسل صدقة (٢).

وجه الدلالة من الأثر:

أنَّ الوالي مأمور شرعاً بجمع الزكاة، ولو كانت زكاة العسل واجبة، لأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز عامله بأن يأخذها من الناس.

قال الشافعي: " لا صدقة في العسل ولا في الخيل، فإن تطوّع أهلها بشيء قُبِلَ منهم وجُعِلَ في صدقات

المسلمين. وقد قَبِلَ عمر بن الخطاب من أهل الشّام أن تطوّعوا بالصدقة عن الخيل، وكذلك الصدقة عن كل شيء تقبل ممّن تطوّع بها" (٣).

ومن المعقول :

١- أنه طعام يخرج من حيوان فأشبهه اللبن (٤).

ونوقش: بأنه قياس مع الفارق، فإن الأصل الذي يخرج منه اللبن عين زكائية-وهي بهيمة الأنعام- وقد قضى المكلف حق النعمة فيه وحاز الاستيفاء لمنافعها، بخلاف العسل، فإنه لا زكاة في أصله، فلا يصح اعتباره باللبن (٥).

٢- أنه ليس بقوت فلا يجب فيه العشر، كالبيض (٦).

المبحث الثالث : الترجيح :

الذي يظهر لي بعد عرض أدلة الفريقين، أن القول بعدم وجوب الزكاة في العسل، هو القول الأقوى وهو الأولى بالترجيح ، وذلك لما يلي:

أولاً : أن مجموع الأحاديث والآثار التي استدل بها أصحاب القول بالوجوب، لا تسلم من علة، فهي إما منقطعة، أو مرسلة، أو أن أحد رجال الإسناد مجهول، أو ضعيف.

ثانياً : أنّ ما يمكن ثبوته منها (كحديث هلال، أو بني شبابة في رواية)، ليس فيه دلالة صريحة على

(٣) ينظر: الأم للشافعي (٣٩/٢).

(٤) ينظر: الإشراف على نكت مسائل الخلاف (٣٩٧/٣)، المنتقى

شرح الموطأ (١٢٨/٢).

(٥) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٧٨/٥).

(٦) ينظر: المهذب (١/١٥٤)، المجموع (٥٢/٥).

(١) ينظر: الأموال له (٣/١٠٩٥).

(٢) رواه مالك في الموطأ برواية الشيباني برقم (٣٣٧) ، والطبراني في تهذيب الآثار (٩٥٣/٢)، والبيهقي في السنن الكبرى برقم (٧٤٩١) ، قال الأرناؤوط في شرح السنة (٤٥/٦)، إسناده صحيح.

عند وفاة النبي ﷺ من أداء الصدقة إلى الصديق
" (١).

وقال الشيخ ابن عثيمين: " الصحيح أن العسل ليس فيه زكاة، لأن ذلك لم يرد عن الرسول ﷺ، وإنما ورد عن عمر رضي الله عنه أنه حرس أماكن النحل وأخذ عليهم العشر، وعلى هذا فلا تجب الزكاة في العسل، لكن إن أخرجها الإنسان تطوعاً فهذا خير، وربما يكون ذلك سبباً لنمو نحله وكثرة عسله، أما أنها لازمة يأثم الإنسان بتركها فهذا لا دليل عليه" (٢).

ثالثاً: أن أكثر الآثار التي استدلت بها القائلون بالوجوب لم تذكر نصاب العسل. ومن المعلوم أن السنة المطهرة قد بينت نصاب كل صنف من الأصناف التي تجب فيها الزكاة، سواء بهيمة الأنعام أو ما يخرج من الأرض من الحبوب والثمار أو النقدين. قال ابن زنجويه: " ومن أبين الحجج وأوضحها في العسل أنه لا صدقة فيه؛ أنا لم نجد في شيء من الآثار أنه ليس فيما دون كذا من العسل صدقة، فإذا بلغ كذا وكذا، ففيه كذا وكذا، كما وجدنا في العين، والحرث، والثمار، والماشية، ولم نجد له ذكراً في كُتُب الصدقات" (٣).

غير أن هذا الترجيح لا يمنع القول باستحباب الصدقة من العسل، والحث عليها، من غير أن يكون ذلك فرضاً عليهم.

الوجوب. بل هو مقابل حماية الوادي كما ذكرنا أقوال أهل العلم هناك .

قال ابن خزيمة: " ألا تسمع احتجاجهم على سفيان بن عبد الله وكتاب عمر بن الخطاب إلى سفيان لأنهم إن أدوا ما كانوا يؤدون إلى رسول الله ﷺ أن يحمي لهم واديهم، وإلا خلى بين الناس وبين الواديين. ومن المحال أن يمتنع صاحب المال من أداء الصدقة الواجب عليه في ماله إن لم يحمى له ما يرعى فيه ماشيته من الكلاً. وغير جائز أن يحمى الإمام لبعض أهل المواشي أرضاً ذات الكلاً ليؤدي صدقة ماله إن لم يحم لهم تلك الأرض. والفاروق رحمه الله قد علم أن هذا الخبر بأن بني شباية قد كانوا يؤدون إلى النبي ﷺ من العسل العشر، وأن النبي ﷺ كان يحمي لهم الواديين. فأمر عامله سفيان بن عبد الله أن يحمى لهم الواديين إن أدوا من عسلهم مثل ما كانوا يؤدون إلى النبي ﷺ ، وإلا خلى بين الناس وبين الواديين. ولو كان عند الفاروق رحمه الله أخذ النبي ﷺ العشر من غلهم على معنى الإيجاب، كوجوب صدقة المال الذي يجب فيه الزكاة، لم يرض بامتناعهم من أداء الزكاة. ولعله كان يحاربهم لو امتنعوا من أداء ما يجب عليهم من الصدقة..... إلى أن قال: " فلو كان أخذ النبي ﷺ العشر من نحل بني شباية عند عمر بن الخطاب على معنى الوجوب لكان الحكم عنده فيهم كالحكم فيمن امتنع

(١) ينظر: صحيح ابن خزيمة (٤٥/٤)

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٥٧/١٨).

(٣) ينظر: الأموال له (٣/١٠٩٥).

وهو قول أبي حنيفة رحمه الله في العسل إذا كان في أرض العشر^(٢).

أدلة هذا القول :

١- أن النبي ﷺ كتب إلى أهل اليمن: "أن يؤخذ من العسل العشر" ، وقد جاء مطلقاً من غير تقييد^(٣).

٢- أنه يجري مجرى الثمار، والعشر عند أبي حنيفة يجب في قليل الثمار وكثيرها؛ لأنه لا يعتبر فيها النصاب^(٤).

الفريق الثاني: يرى أن للعسل نصاباً. وهؤلاء اختلفوا إلى عدة أقوال :

القول الأول: إذا بلغ عشرة أرطال^(٥) ففيه رطل، وهو قول أبي يوسف من الحنفية^(٦).

وعنه رواية أخرى وهي: أن النصاب خمسة أوسق^(١)، وفسره القُدوري بقيمة خمسة أوسق؛ لأنه لا يكال، فاعتبر القيمة على أصله^(٢).

قال أبو عبيد في كتابه الأموال بعد أن ذكر أقوال أهل العلم في زكاة العسل: " وأشبه الوجوه في أمره عندي أن يكون أربابه يؤمرون بصدقته، ويحثون عليها، ويكره لهم منعها، ولا يؤمن عليهم المأثم في كتمانها، من غير أن يكون ذلك فرضاً عليهم، كوجوب صدقة الأرض والماشية ، ولا يجاهد أله على منع صدقته، كما يجاهد مانعوا دينك المالمين، وذلك أن السنة من رسول الله لم تصح فيه ما صحت فيهما، ولا وجدت في كتب صدقاته، ولو كانت بمنزلتها ، لكانت لها أوقات (حدود) ومعالم كالحدود التي حدها الله في تلك: من الأوسق الخمسة فيما يخرج من الأرض، ومن الأربعين من الغنم، وكذلك لم يثبت عن أحد من الأئمة ، إلا أنه قد يجب على الإمام إذا أتاه رب العسل بصدقته أن يقبلها منه، كما قبلها عمر من أبي ذباب، وإنما كان أتاه به من قبل نفسه، ولم يكن عمر ألزمه إياه"^(١).

المبحث الرابع : نصاب العسل ومقدار زكاته، عند القائلين بوجوب زكاته.

المطلب الأول: نصاب العسل:

انقسم القائلون بوجوب زكاة العسل في نصابه إلى فريقين:

الفريق الأول: يرى أنه لا نصاب للعسل، وأنه يخرج العشر من القليل والكثير.

(٢) ينظر: مختصر القُدوري(٥٨) ، الاختيار لتعليل المختار(١٢١/١)، الجوهرة النيرة(٤٨٥/١) ، العناية شرح الهداية (١٧١/٣)، المبسوط للسرخسي (٢٧/٣)، بدائع الصنائع(٨٧/٤). اللباب في شرح الكتاب(٧٧).

(٣) ينظر: الاختيار لتعليل المختار(١٢١/١).

(٤) ينظر: الجوهرة النيرة(٤٨٥/١)

(٥) الرطل في اللغة بفتح الراء وكسرها والكسر أشهر، معيار يُوزن به وهو مكيال أيضاً، والرطل بالبغدادي يزن اثنتي عشرة أوقية. والرطل في اصطلاح الفقهاء على نوعين: رطل دمشق، ورطل بغدادي، ويقال له عراقي، والثاني هو المقصود لدى الفقهاء إذا أطلق، وبه يتم تقدير الأحكام الشرعية لديهم. ينظر: المصباح المنير (٢٣٠/١) ، الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٠٧/٣٨)، المقادير الشرعية والأحكام الفقهية المتعلقة بها (١٩٠، ١٩١).

(٦) ينظر: مختصر القُدوري(٥٨) ، الاختيار لتعليل المختار(١٢١/١)، العناية شرح الهداية (١٧١/٣)، المبسوط للسرخسي (٢٧/٣) ، بدائع الصنائع(٨٥/٤)، اللباب في شرح الكتاب(٧٧).

(١) ينظر: الأموال له(٦٠٦).

والدليل :

والدليل عليه : أنَّ غير المنصوص عليه يقاس على المنصوص عليه لمعنى مؤثر يجمع بينهما، والمنصوص عليه خمسة أوسق فيما يدخل تحت الوسق، لأن الوسق أعلى ما يقدر به ذلك الجنس فكذلك في كل مال يعتبر فيه خمسة أمثال أدنى ما يقدر به^(٩).

القول الثالث : نصاب العسل عشرة أفرق. وهو المذهب عند الحنابلة^(١٠). وقد اختلف الحنابلة في مقدار الفَرَق، فقول: إنه ستون رطلاً ، وقيل: ستة وثلاثون، وقيل: ستة عشر، وهو الذي عليه المذهب. ودليل هذا القول : ما روي عن عمر رضي الله عنه أن ناساً سألوه فقالوا : إن رسول الله قطع لنا وادياً باليمن فيه خلايا من نحل ، وإنا نجد ناساً يسرقونها فقال عمر رضي الله عنه : إن أديتم صدقتها من كل عشرة أفرق فرقاً حميناها لكم^(١١). قال ابن قدامة: " وهذا تقدير من عمر رضي الله عنه فيتعين المصير إليه"^(١٢).

١- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة"^(٣).

٢- أن نَصَبَ النصاب بالرأي لا يكون، ولكن فيما فيه نص يعتبر المنصوص، وما لا نص فيه المعتبر هو القيمة كما في عروض التجارة مع السوائم في حكم الزكاة^(٤).

وعنه رواية ثالثة وهي : أن نصاب العسل عشر قرب^(٥).

والدليل : أن رسول الله ﷺ "كان يؤخذ في زمانه من العسل العشر من كل عشر قرب قرية من أوسطها"^(٦).

القول الثاني : أن النصاب هو خمسة أفرق^(٧)، كل فَرَق ستة وثلاثون رطلاً، وهو قول محمد بن الحسن من الحنفية^(٨).

(١) الوسق: حمل بعير يقال عنده وسق من تمر والجمع وسوق ، وهو ستون صاعاً بصاع النبي صلى الله عليه وسلم. ينظر: المصباح المنير(٢/٢٦٠).

(٢) ينظر: المبسوط للسرخسي(٣/٢٧)، بدائع الصنائع(٤/٨٥)، اللباب في شرح الكتاب(٧٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم(١٤٠٥)، ومسلم في صحيحه برقم(٩٧٩).

(٤) ينظر: المبسوط للسرخسي(٣/٢٨).

(٥) ينظر: الاختيار لتعليل المختار(١/١٢١)، العناية شرح الهداية(٣/١٧١).

(٦) سبق تخريجه ، ينظر ص(١٢).

(٧) الفَرَق : بفتحين أو بسكون الراء : مكيال معروف بالمدينة وهو ستة عشر رطلاً ، والجمع فرقان.

قال أبو عبيد : لا اختلاف بين الناس أعلمه في ذلك أن الفرق ثلاثة أصع ، وهي ستة عشر رطلاً.

وقال الإمام أحمد في رواية أبي داود : قال الزهري الفرق ستة عشر رطلاً ، وهو مذهب الحنابلة ، وقال ابن حامد : الفرق

ستون رطلاً ، فإنه يروي أن الخليل بن أحمد قال : الفرق بإسكان الراء مكيال ضخم من مكابيل أهل العراق ، وقيل هو مائة وعشرون رطلاً . ينظر: العناية شرح الهداية(٣/١٧٢)، المغني(٣/٢١)، الموسوعة الفقهية الكويتية(٣٨/٢٩٧).

(٨) ينظر: مختصر القدوري(٥٨) ، العناية شرح الهداية(٣/١٧١)، اللباب في شرح الكتاب(٧٧)، المبسوط للسرخسي(٣/٢٧).

(٩) ينظر: المبسوط للسرخسي(٣/٢٨).

(١٠) ينظر: الهداية على مذهب الإمام أحمد(١/١٣٣)، المحرر في الفقه(١/٢٢١) ، الشرح الكبير(٦/٥٨٦)، الإنصاف(٣/٨٥)، المبدع(٢/٣٢٣)، الروض المربع(٦/٢٠٦)، شرح منتهى الإرادات(٣/١١١).

(١١) ينظر: المغني(٣/٢١). وقال الألباني في إرواء الغليل(٣/٢٨٧) : لم أقف عليه.

(١٢) ينظر: المغني(٣/٢١).

- ١- أن كثيراً من الفقهاء أدرجوا زكاة العسل في باب زكاة الخارج من الأرض .
- ٢- أن مذهب الحنفية والحنابلة وجوب زكاة العسل، وأن المالكية والشافعية لا يرون الوجوب.
- ٣- أن جمعاً من أهل الحديث ضعفوا أدلة القائلين بالوجوب إجمالاً كالبخاري والترمذي وابن المنذر والنووي وغيرهم.
- ٤- أن أدلة القائلين بالوجوب لا تسلم من علة: فهي إما أن تكون منقطة أو مرسلة أو ضعيفة.
- ٥- أن ما صحّ من أدلة القائلين بالوجوب فهو محمول على أنه في مقابلة حماية الوادي وليس لأجل الزكاة .

٦- اتفاق القائلين بوجوب زكاة العسل على أن مقدار الزكاة هو العشر .

وفي ختام هذا البحث أحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به وأولى، وأستغفره سبحانه من آفات الخطأ والسهو والغفلة والتقصير والنسيان، التي لا تخلو منها أعمال البشر، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل البحث خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به في الدنيا والآخرة.

سبحانك اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، وصلوات ربي وسلامه على المبعوث رحمةً للعالمين، محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قال ابن القيم: " ثم اختلف الموجبون له: هل له نصاب أم لا؟ على قولين. أحدهما: أنه يجب في قليله وكثير، وهذا قول أبي حنيفة رحمه الله، والثاني: أن له نصاباً معيناً، ثم اختلف في قدره، فقال أبو يوسف: هو عشرة أرطال، وقال محمد بن الحسن: هو خمسة أفرق، والفرق ستة وثلاثون رطلاً بالعراقي. وقال أحمد: نصابه عشرة أفرق، ثم اختلف أصحابه في الفرق، على ثلاثة أقوال أحدها: أنه ستون رطلاً، والثاني: أنه ستة وثلاثون رطلاً، والثالث ستة عشر رطلاً، وهو ظاهر كلام الإمام أحمد، والله أعلم^(١).

المطلب الثاني : مقدار زكاته :

اتفق أهل العلم القائلون بوجوب زكاة العسل بأن المقدار الواجب إخراجه هو : العُشْر .

قال عبدالله ابن الإمام أحمد في مسأله: "سألت أبي عن العسل هل تجب فيه الزكاة؟ ، قال: "في العسل العشر"^(٢).

وحكى أبو يوسف الإجماع على ذلك، حيث قال: "العشر في العسل مجمع عليه ، ليس فيه اختلاف عن رسول الله ﷺ"^(٣).

الخاتمة:

بعد البحث في هذا المسألة الخلافية المشهورة، وصلت إلى النتائج التالية:

(١) ينظر: زاد المعاد (١٦/٢).

(٢) ينظر: مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله (ص ١٦٥).

(٣) ينظر: الاختيار لتعليل المختار (١٢١/١).

Zakat of Honey: a Comparative Jurisprudential Study

Dr. Ali Hamad Mahdli Alnashri

*Assistant Professor of Fiqh Studies
Department of Islamic Law and Studies
Faculty of Art & Humanities*

Abstract. this jurisprudential (*Fiqh*) study is entitled (*Zakat of Honey: a comparative jurisprudential study*). Honey in this study means one that is consumed as food and medicine, and not for trade. Scholars have differed in opinion regarding this issue in the past and present. I have collected opinions of different scholars on this issue from books of approved jurisprudence schools. I have also reviewed famous Sunnah books, multivolume jurisprudence books, books of *Tafseer* and commentaries of Hadith. I have found that the disagreement among scholars could be narrowed down to two opposite opinions. The first opinion is that the Zakat of honey is obligatory, and the second is that it is not obligatory. Evidences of both groups were collected from the Qur'an, Sunnah, *@Athar*, logical reasoning, and scholarly discussions on these evidences.

I have concluded that the second opinion outweighs the first opinion due to the strength of its evidence, and the weakness found in the evidence used by the proponents of the first opinion. Moreover, the strongest evidence reported was explicit enough to stand as a proof for taking one-tenth of honey for the sake of zakat; but was given in return for protecting the valley as reported by Omar b. Al-Khattab, may Allah be pleased with him.

The research included an introduction in which I explained the importance of the research and its aims, methodology and approach. It also includes four sections in which I reviewed the scholarly opinions, their evidence, and discussion of the evidence. Then, I stated the right opinion of all (*Rājih*), and the *Nisāb* of honey according to those who say that it is obligatory, and the amount of its zakat.

I ask Allah to make this research beneficial, to make it sincerely for His sake, and to forgive my shortcomings. Praise is to Allah by Whose grace good deeds are completed.

شعرية التوسل: قراءة تحليلية لميميّة ابن مشرف (أسلو) في مدح الإمام فيصل بن تركي

عبد المعين بن حسن بن عبد الحميد بالفاس

أستاذ الأدب الحديث والمقارن المشارك

قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبد العزيز جدة - المملكة العربية السعودية

مستخلص. تركز الدراسة على شعرية التوسل بمناقشة قصيدة يتوسل فيها الشاعر ابن مشرف إلى الإمام فيصل بن تركي أن ينصره وأهل بلدته الأحماء على عمال الزكاة الذين غالوا في تقديرها عليهم. وتوضح الدراسة أهمية اتخاذ الشاعر لموقف المتوسل في القصيدة التراثية القديمة بمناقشة كيفية استغلاله لإمكاناتها من حيث اختيار قسيميا - النسيب والمديح- وتوظيفهما بما فيهما من موضوعات داخلية وصور ومعجم لفظي؛ لإقناع الحاكم لتلبية حاجة الشاعر. وتشرح الدراسة علاقة نظرية (التبادل الطقوسي) لمارسيل ماوس بقصيدة التوسل، لا سيما وظيفتها التفاوضية التي تحدد طبيعة العلاقة بين الشاعر والحاكم.

الكلمات المفتاحية: شعرية التوسل، ابن مشرف، الإمام فيصل بن تركي، قصيدة المديح، نظرية التبادل الطقوسي، مارسيل ماوس.

المقدمة:

بقصيدة أحادية التقسيم يتطرق فيها إلى غرضه مباشرة؛ فيسأله أن ينصره على من ظلمه، لكنه - بوصفه شاعرًا إحيائيًا يستلهم التراث الشعري في مراحل إنشاء قصيدته، ويبحث عن الأقسام الشعرية التي يشكّل منها قصيدته التي تتوافق مع وضعه

غرض ابن مشرف الرئيس من قصيدته هو التوسل للإمام فيصل بن تركي أن ينصره وأهل بلدته على من ظلمهم من عمال زكاة الذين غالوا في تقديرها. وقد كان بإمكان الشاعر أن يتوسل للإمام فيصل

النص بالأدبية، أي ما به صار النص أدبًا، وتتبع بالثانية سمات أسلوب الشاعر في قصيدته، وتعرض لأبرز المظاهر الأسلوبية، ولا سيما في المعجم الشعري.

- الممدوح والشاعر في قصيدة التوسل:

الممدوح في قصيدة التوسل هو الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، وهو جد الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود مؤسس الدولة السعودية. ولد عام ١٢١٥هـ وتوفي عام ١٢٨٢هـ. يعد الإمام فيصل بن تركي أحد أبرز حكام الدولة السعودية الثانية، وقد اتم بفضائل كثيرة، منها: الصلاح والتقوى والدفاع عن العقيدة ومحاربة البدع والشركيات، والشجاعة ومجاهدة المفسدين والعدل والكرم والحكمة والحرص على العلم ومجالسة العلماء ومحبة الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام. (الألوسي، ٢٠٠٧)، (الزركلي، ١٩٨٦). وقد حكم الإمام على فترتين؛ الفترة الأولى: (١٢٥٠هـ-١٢٥٤هـ)، والفترة الثانية: (١٢٥٩هـ-١٢٨٢هـ). ومع أن الحقبة الزمنية التي حكم فيها الإمام كانت عصبية؛ حيث تفشت الاضطرابات والصراعات الداخلية والخارجية إلا أنه استطاع أن يثبت حكمه بقوة؛ فأنسم عهده بانتشار الأمن والرخاء في ظل العقيدة الإسلامية. (الريحاني، ١٩٢٨)، (الشراري، ٢٠٠٢). قال محمود الألوسي عن الإمام فيصل: "وجمع في سياسته بين الشدة واللين، وكثرت عطاياه، وكان كثير الإكرام لأهل العلم وحملة القرآن، رؤوفًا بالفقراء والأرامل والأيتام، غير مائل إلى سفك

الاجتماعي والسياسي في بيئته وزمنه- يختار أن يعبر عن حاجته بالقصيدة التراثية القديمة وأن يشكلها من قسمي النسب والمديح.

وبناء على ذلك تبرز تساؤلات مهمة: لماذا اختار الشاعر الذي يعيش في العصور المتأخرة زمنيًا أن يعبر بالقصيدة التراثية القديمة عن قضايا بيئته وعصره، وهل هي أفضل طريقة أدبية ممكنة ومقنعة ليعبر بها عن حاجته؟ ما مفهوم التوسل في القصيدة الحالية، وما أهمية اختيار ابن مشرف دور الشاعر المتوسل فيها، ولماذا اختار لهذا الدور قصيدة تراثية ثنائية التقسيم؟ لماذا اختار الشاعر قسمي النسب والمديح المستلهمين من التراث الشعري القديم المرتبط بالعصور الذهبية (الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي)، وكيف استطاع أن يطوعهما ويربط أحدهما بالآخر بطريقة منطقية انسيابية، وأن يختار لهما من الموضوعات الداخلية والأفكار والصور وأسماء الأشخاص والأماكن ومفردات المعجم اللفظي ما يكون له رمزية تسهم في تطوير القسمين نفسيهما، ومن ثم تطوير غرض الشاعر الرئيس في القصيدة/غرض التوسل وتفسيره وتوضيحه؟ وما علاقة نظرية التبادل الطقوسي بقصيدة التوسل، لا سيما وظيفتها التفاوضية التي تحدد طبيعة العلاقة بين الشاعر والحاكم؟

وللإجابة عن جميع التساؤلات السابقة ستناقش الدراسة قصيدة التوسل باتباع منهجي الإنشائية والأسلوبية؛ فتنبع بالأولى المواضع التي صبغت

في الأحساء وولي القضاء بها مدة من الزمن، وتوفي بها عام ١٢٨٥هـ. له كتاب (مختصر صحيح الإمام مسلم)، وله ديوان شعر تضمن مدائح كثيرة في الإمام فيصل بن تركي، بالإضافة إلى عدد من المنظومات الدينية، منها: (جوهرة التوحيد)، وهي منظومة في التوحيد وأنواعه وقواعد الدين والإيمان والإحسان والتحذير من الشرك، ومنظومة في العقيدة (الشهب المرمية على المعطلة والجهمية). وقد نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة، ورسالته في فقه المالكية. وله قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وفي ذكر الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمة وبني العباس. وله قصائد أخرى متفرقة في شرف العلم أهله وفي التواصل مع بعض أصدقائه. (الزركلي، ١٩٨٦)، (الجبوري، ٢٠٠٣)، (الحيدري، ٢٠١٣).

ويعد الدور العظيم الذي قام به الإمام فيصل بن تركي في استقرار البلاد من أهم الأسباب التي جعلت ابن مشرف يشيد بجهود الإمام في قصائد مديح متعددة. وبحسب ما جاء في ديوان ابن مشرف فإن عدد قصائد المديح التي كتبها الشاعر في الإمام فيصل بن تركي هو ٢٦ قصيدة، وقد نظمها ابن مشرف في الفترة ما بين سنة ١٢٤٥هـ وسنة ١٢٨١هـ^١. وتخصيص ابن مشرف لهذا العدد الكبير من قصائد المديح للإمام فيصل، واستمرار نظمها

الدماء" (الألوسي، ٢٠٠٧). وقال أمين الريحاني عن صفات الإمام فيصل: "وكان محبوباً ولا غرو، فقد جمع في سياسته بين الشدة واللين، فكان كريم الأخلاق، قوي الإرادة، سمحاً حليماً، محباً للعلماء، رؤوفاً بالناس، محسناً إليهم، حريصاً على مصالحهم." (الريحاني، ١٩٢٨). تقول لطيفة المخضوب بعد مناقشة عدد من قصائد ابن مشرف في الإمام فيصل بن تركي: "تستخلص مما سبق من نصوص لابن مشرف أن الإمام فيصلاً يتسم بالورع والتقوى، ومحاربة البدع، واستخدام الشدة واللين كل في موضعه، والكرم والسخاء، ومساعدة الفقراء والأيتام، ولين الجانب، والإصغاء إلى الشاكين، وتلبية رغبة الجماعة" (المخضوب، ٢٠١٥).

وتنسب قصيدة التوسل في الدراسة الحالية إلى الشاعر والفقير والمحدث أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهبي التميمي الإحسائي المالكي الأثري السلفي. وهو أهم شعراء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية الإصلاحية زمن الدولة السعودية الثانية، وأحد أهم شعراء الإحياء في القرن الثالث عشر الهجري الذين تتجلى في شعرهم إرهابات النهضة الأدبية في الجزيرة العربية في العصر الحديث. ولد بالأحساء وقيل بقطر، ولا يعرف تاريخ محدد لولادته، وقيل إنه ولد أوائل القرن الثالث عشر الهجري نحو عام ١٢٠٢هـ. طلب العلم في الأحساء؛ حيث حفظ القرآن وبعض المتون العلمية في الحديث والفقه والعقيدة، وقد تتلمذ على عدد من العلماء، ومنهم المؤرخ حسين بن غنام (ت ١٢٢٥هـ). درس

(١) لابن مشرف قصيدة رثاء في الإمام فيصل بن تركي كتبها. عام ١٢٨٣هـ. (ابن مشرف، د.ت).

٣- أهميتها الزمنية؛ حيث إنها كُتبت في سنة ١٢٧٨ هـ، وتأثير ذلك في طبيعة علاقة الشاعر بالمدوح وفي البنية الفنية لقصيدة المديح. فتاريخ كتابة القصيدة يدل على أنها من القصائد المتأخرة في الخط الزمني لعلاقة الشاعر بالمدوح، وهذا الأمر يعطي أهمية خاصة للقصيدة؛ لأنها جاءت في مرحلة توثقت فيها العلاقة بين الطرفين. بالإضافة إلى أن تاريخ القصيدة يدل على نضج في بنية قصيدة المديح التي اتخذت عند ابن مشرف شكلاً نمطياً تقليدياً يحاكي شكل القصيدة التراثية القديمة التي تعطي تصوراً عن طبيعة علاقة شاعر البلاط السياسي بالحاكم الشرعي المترعب على هرم المجتمع كما نجدها في العصور الذهبية في التراث الشعري العربي.

وتقول لطيفة المخضوب عن مناسبة قصيدة التوسل: "ومن سمات شخصية الإمام فيصل التي تبنت من خلال شعر ابن مشرف الإصغاء إلى مشكلات الرعية وتحسس الآلام. يكشف تلك السمة شكوى ابن مشرف من العمال (جباة الزكاة)؛ بسبب مبالغتهم في تقدير الزكاة على أهل الأحساء - كما يقول ابن مشرف- وذلك عام ١٢٧٨ هـ، حيث كان العمال يخرصون الزكاة قبل أن يحين وقت جني الثمار... وحسب شكوى ابن مشرف يبدو أنهم يبالغون في تقدير زكاة النخيل لأهالي الأحساء". (المخضوب، ٢٠١٥). وجاء في ديوان ابن مشرف (ابن مشرف، د. ت) عن مناسبة القصيدة:

لفترة زمنية طويلة تقارب ٣٦ سنة^٢ - مع أهمية الإشارة إلى أن بقية القصائد الأخرى في ديوانه جاءت لأغراض دينية- يعطي دلالة واضحة على العلاقة الوثيقة التي جمعت بين الطرفين، وعلى شدة ولاء ابن مشرف للإمام فيصل بن تركي، ومدى احتقائه به بوصفه حاكماً شرعياً مستحقاً للولاء والبيعة.

- سبب اختيار قصيدة التوسل ومناسبتها ونصّها:

تُصنّف قصيدة التوسل الميمية في الدراسة الحالية ضمن مجموعة قصائد المديح التي نظمها ابن مشرف في الإمام فيصل بن تركي. وسبب اختيار هذه القصيدة يعود إلى عدة أمور:

١- دلالتها على مفهوم التوسل الذي يتداخل مع قسمة النسب والمديح في القصيدة، ويؤثر في طريقة تشكيلها من حيث موضوعاتها الداخلية والأفكار والصور والمعجم اللفظي... إلخ.

٢- كونها مثلاً مهماً لأحد أهم أدوار الشاعر في المجتمع؛ وهو العمل على استقراره واستتباب أمنه ونشر السلام فيه بوصفه وسيطاً بين المجتمع والحاكم يحفظ التوازن بين الطرفين. فالشاعر في قصيدة التوسل يتدخل من أجل تعويض فئة من المجتمع عن حق من حقوقها نُزع منها ظلماً؛ ليحول دون الفتنة داخل المجتمع.

(٢) قد يكون هناك قصائد مديح أخرى كتبها ابن مشرف في الإمام فيصل خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة، ولكنها لم تذكر في الديوان؛ إما لضيقها أو لعدم وصول جامع الديوان لها، أو لصعوبة التوثيق في ذلك العصر، أو لأسباب أخرى مختلفة.

"وقال أيضًا في الإمام فيصل لما جاز عمّاله على
أهل الأحساء سنة ١٢٧٨هـ:

- ١- أسلو وقابلي للغرام غريم
 - ٢- ولي مقلّة لا يقلع العذل دمعها
 - ٣- أبيت أراعي أنجم الليل ساهدا
 - ٤- وأصوب إلى ریح الصبا كلما صبت
 - ٥- وأسعد قمريّ الحمام بنوحه
 - ٦- وأهتز شوقا كلما لاح ببارق
 - ٧- ولوعا بسلمى حين شطّ مزارها
 - ٨- وقفت على الأطلال أبكي وما بها
 - ٩- فتاة تضاهي البدر حسنا فمثلها
 - ١٠- إذا أقبلت قلت الصباح لنا بدا
 - ١١- كأن ظلام الليل خيم جنحه
 - ١٢- لقد أسقمت منها جفون سقيمة
 - ١٣- وقد أوقدت نار الصبابة في الحشا
 - ١٤- لقد منحتني في الشبيبة وصلها
 - ١٥- فلما علا رأسي البيضاء تباعدت
 - ١٦- فأصبحث مأسور الفؤاد بحبها
 - ١٧- فما بالها تصبو إلى كل يافع
 - ١٨- ألتهم تدر أن المقرنين شيعتي
 - ١٩- إمام حوى كل المكارم والعللا
 - ٢٠- له نسب في وائل بن ربيعة
 - ٢١- تفزع من صيد الملوك الذين هم
- وجسمي كطرف الغايات سقيم
وقلب إذا جنّ الدجاء بهيم
كأنني إذا جنّ الظلام سقيم
وجاد بأنفاس الحبيب نسيم
كأنني لسجّاع الحمام حميم
من العارض النجدي حين أشيم
وحالت وعور دونها وحزوم
سوى ندمي عند الطول نديم
إذا قستها بالغايات عديم
وإن أدبرث قلت الدجاء بهيم
على الشعر أو مدّ الجناح ظليم
ومذ كمتني فالفؤاد كلهم
وأحشاؤها مثل الحريير هضم
وقذّي كعود السمهي قويم
وذو الشيب عند الغايات مشوم
وما ذاك من كيد النساء عظيم
وتهجر شيوخا والداده تميم
وليّ عهد وديّ بالإمام قديم
وطاب له في العالمين أروم
نماه إلى أعلى الفخار صميم
لهم مكرمات جمّة وحلوم

- ٢٢- هم نصرُوا دينَ الهدى بعد أن عفت
لنه بين سكان البلاد رسوم
- ٢٣- وأحيوا بأطراف الأسننة سنة
لخير السورى منها العظام رميم
- ٢٤- وقد ورتوا المجد الأثيل لفيصل
فعاد كريم الأصل وهو كريم
- ٢٥- إليه تشدد السيملات لرغبة
وخوف إذا آذى النفوس غشوم
- ٢٦- فيما من في ساعاته كل خائف
وفي قصره للمرملين نعيم
- ٢٧- يجود بما تحوي اليدان كأنه
غام يوالي وباه ويديم
- ٢٨- وما هو بالنزق العجول إلى الأذى
ولكنه واعى الجنان حلِيم
- ٢٩- صفوح عن الجاني ولكن عقابه
لمن رام أسباب الفساد أليم
- ٣٠- هو الضيفم الضرغام في كل معرك
إذا شب من نار الحروب جحيم
- ٣١- يخوض نظى الهيجاء والنقع ثائر
وظير المنايا بالمنون تحوم
- ٣٢- فكم جفيل بالمرهفات أباده
فقتلاهم مثل الهشيم هشيم
- ٣٣- فلأرض منهم ما جرى من دمائمهم
وللطير منهم والسباع لحوم
- ٣٤- وإن طنبت حول العودو خيامه
فقل جبل راسي الأساس مقيم
- ٣٥- فيما أيها السوالي الذي لا يصده
عن العدل ساع بالانمिम أثيم
- ٣٦- وإحسانه كالغيث قد عم نفعه
فمنكره أو مزديريه لئيم
- ٣٧- إليك شددت العيس أشكو ظلامتي
فقد رام خسفي حاسد وظلوم
- ٣٨- وجار علي العالمون بخزصهم^(٣)
وظلم السورى يوم الحساب وخيم
- ٣٩- وإنك للمظالموم كهف ومعقل
يلوذ به مستضعف ويتيم
- ٤٠- وإنك نجم للهدى يهتدي به
ويرمي به عند السماع رجم
- ٤١- فدونها بكرا عليها قلائد
وعقد من الدر النفيس نظيم
- ٤٢- أتتلك من الإحساء ترقل في الخلى
تخوض بها نحو السراب رسيم^(٤)
- ٤٣- وما مهرها إلا القبول فجذ به
لينزاح عن قلب المحب هموم

(٣) جاء في المعجم الوسيط: "خَرَصَ الشيء: خَرَرَهُ وَقَدَّرَهُ بِالظَّنِّ، يُقَالُ: خَرَصَ النَّخْلَ وَالكَرْمَ: حَزَرَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الرُّطْبِ تَمَرًا، وَمِنَ الْعَنْبِ زَبِيبًا" (أنيس وآخرون، ٢٠٠٤).

(٤) جاء البيت في الديوان من دون كلمة (نحو)، وأضيفت في المتن؛ ليستقيم الوزن والمعنى.

وبالبيض للدين القويم تقويم

وما نيط بالبيت العتيق حطيم

نبي الهدى بالمؤمنين رحيم

٤٤- فلا زلت بالدين العزيز مؤيدا

٤٥- وأزكى صلاة الله ما طاف طائف

٤٦- على من هو الماحي لكل ضلالة

- مفهوم التوسل في القصيدة:

المقصود بالتوسل في الدراسة ما يقوم به الشاعر من سؤال الممدوح الحي ما يقدر على فعله، أي أن الشاعر يتوسل إلى الحاكم بما يكون سبباً لاستجابته لفعل ما يقدر عليه. وابن مشرف في قصيدته الميمية يتوسل إلى الإمام فيصل بن تركي أن يدفع ظلم عمال الزكاة الذين غالوا في تقديرها عليه وعلى أهل بلدته الأحساء. فالشاعر المتوسل في القصيدة ليس مخطئاً يطلب العفو من الحاكم، بل هو ضحية ظلم يطلب الإنصاف بردّ الحق له والاقتصاص ممن ظلمه.

ولاختيار ابن مشرف دور الشاعر المتوسل في القصيدة دلالات متعددة مترابطة، أهمها:

١- تأكيد الولاء المطلق للحاكم باللجوء إليه والاستعانة به؛ لحل المشكلة، ولتصحيح الوضع داخل المجتمع.

٢- الرغبة في استقرار المجتمع، وعدم تعريضه لفتنة الثورة على الحاكم.

٣- إظهار الثقة بعدل الحاكم وقدرته على نصرته المظلوم.

٤- تأكيد قوة الحاكم والاعتراف بها، وفي المقابل تأكيد خضوع المجتمع -بمن فيهم الظالم والمظلوم- لسلطته.

٥- التمهيد لدخول الشاعر في مفاوضة مع الحاكم تتعين بها أبعاد القوة وحدودها وتبادل أدوارها.

٦- تحدي الحاكم -بطريقة غير مباشرة- أن يقوم بمهام منصب ولاية الأمر ومسؤولياته.

وسبب اختيار ابن مشرف أن يقوم بدور المتوسل بقصيدة تصنف على أنها قصيدة مديح؛ لأن التوسل يرتبط بالمديح ارتباطاً وثيقاً؛ فهما متلازمان تلازم الجزء بالكل؛ لأن المتوسل يمدح المتوسل إليه ضمناً وبالضرورة وإن لم يتلفظ بذكر فضائله صراحة.

ولجوء الشاعر المتوسل يعني ضمناً إقراره بقدرة الممدوح المتوسل إليه على تلبية طلبه، ومن ثم فهو لجوء بمعنى المديح. وإذا صاحب فعل التوسل إقراراً قولي بفضائل المتوسل إليه وتعداد لها فيكون هذا من باب المديح المضاعف أو المركب. ويعدّ Kevin

Crotty في كتابه *The Poetics of*

Supplication التوسل شكلاً من أشكال المدح، فيقول إنه: "يُعدّ مدحاً من وجهة النظر المضطربة

[الممدوح] وخضوعه لها في الوقت ذاته" (Stetkevych, 2002).

ويظهر ابن مشرف في قصيدته متوسلاً مضطرباً؛ بسبب ما وقع على أهل بلده من ظلم، ومحاوفاً في الوقت نفسه - توجيه قوة الممدوح إلى جهة محددة؛ وهي دفع الظلم عن المتضررين من أهل بلده والاقترصاص من المعتدي. ولاستغلال قوة الممدوح وإعادة توجيهها يلجأ الشاعر إلى وضع السلطة الأخلاقية - أي فضائل الممدوح من مثل: العدل ونصرة المظلوم ونجدة المستغيث والإعانة على نوابئ الحق وإغاثة اللهفان... إلخ - في مقابل السلطة السياسية؛ لأن الفضيلة لها أثر مباشر في تثبيت الحاكم على الحق وتأكيد أهليته للحكم. تقول S. Stetkevych حول التحدي الذي يعلنه الشاعر على الحاكم بالتوسل: "إن الشاعر يقابل السلطة السياسية والعسكرية بالسلطة الأخلاقية. ولهذا نستطيع أن نتبنى ما سماه كروتى (السلطة المتناقضة ظاهرياً التي يمارسها المتوسل)، ذلك أنه في كلتا الحالتين الهومرية والعربية، يكون المتوسل مدعوماً بمؤسسات القوة والفضائل الارستقراطية القبلية [الحربية]" (ستينكيفتش، ٢٠١٠).

وقد استطاع ابن مشرف أن يكتف استخدام ألفاظ التوسل في قصيدته ليصنع له معجماً خاصاً به يمكن تسميته بـ(معجم التوسل)^٧ الذي تصفه S.

الخاصة بالشخص المهزوم"^٥ (Crotty, 1994). وتقول S. Stetkevych: "فالتوسل والمدح ليسا نوعين منفصلين، بل هما -اتباعاً لعمل Kevin Crotty - متحدان جوهرياً". (Stetkevych, 2002)، وتقول في موضع آخر: "فإن التوسل جزء لا يتجزأ من المدح"^٦ (Stetkevych, 2002).

وفي لجوء الشاعر المتوسل إلى الممدوح إقراراً صريحاً بقوة الأخير، ومحاولة لاستغلالها بإعادة توجيهها بما يخدم المتوسل. ويناقش Simon Goldhill في كتابه *The Poet's Voice* التوسل: "بوصفه طقساً اجتماعياً يعين حدود/أبعاد القوة؛ فالمتوسل يقرّ - بفعله التوسلي - بقوة المتوسل إليه، ويحاول -بوصفه مستضعفاً- أن يمنع صاحب القوة من استخدام قوته، أو أن يوجهها إلى وجهة معينة" (Goldhill, 1991). وتشير S. Stetkevych إلى الطريقة التي يعرض بها الشاعر المتوسل نفسه في القصيدة التراثية، فتقول: "يقدم الشاعر نفسه بوصفه غير ممتلك لأي شكل من أشكال القوة، بينما يقدم [الممدوح] ممتلكاً لأشكال القوة كافة؛ لذا فإن القصيدة -في أحد مستوياتها- تؤدي وظيفة التعبير عن علاقة القوة هذه تحديداً، أي أنها اعتراف الشاعر بقوة

(^٥) رجع الباحث للمصادر المكتوبة باللغة الإنجليزية، وترجم النصوص المختارة إلى العربية، ثم وضعها في متن البحث اقتباساً أو تضميناً.

(^٦) استفادت S. Stetkevych من دراسة K. Crotty؛ حيث ناقشت مفهوم التوسل وعلاقته بقصيدة المديح التراثية، لا سيما ما بها من تفاوض بين الشاعر والممدوح.

(^٧) استخدمت S. Stetkevych مصطلح (معجم التوسل) في كتابها *The Poetics of Islamic Legitimacy*، ص ١١٧.

مراسميّ معقد" (Stetkevych, 2002). وتقول أيضًا: "الشاعر، بإذلال النفس والتماس الرحمة، يمهد السبيل للحاكم كي يمارس قوته ويظهر سلطته وفضله." (ستيتكيفتش، ٢٠١٠). وعليه، فالشاعر يريد أن يدخل الممدوح في علاقة تحدّ طردية؛ فكلما زاد توسّل الشاعر في القصيدة زاد تمسك الممدوح بالفضيلة التي تُنسب له فيها.

- النسيب (الأبيات ١-١٧):

يفتح ابن مشرف قصيدة التوسل بغرض النسيب؛ لأسباب، منها: أن النسيب هو القسم التقليدي الذي يغلب على الشعراء القدماء افتتاح قصائدهم به على امتداد التراث العربي الشعري، لا سيما في العصور الذهبية منه. كما أن البدء بالنسيب -متابعة للتقليدي الشعري- يعطي القصيدة المتأخرة قدرة على استلهاام قوة التراث الشعري وسيورته، ومن ثم يعطيها مصداقية في زمنها وبيئتها. بالإضافة إلى أن النسيب يعدّ تمهيدًا مهمًا لقسم المديح، ومن ثم لموضوع الشاعر الرئيس وهو التوسل؛ لما يتميز به، أي النسيب، من طبيعة عاطفية تستحوذ على سمع المتلقي، لا سيما الممدوح. كما أن النسيب -بما فيه من موضوعات داخلية وأفكار وصور ومعجم لفظي- يعدّ غرضًا قابلاً للتأويل؛ حين يرمز إلى حال الشاعر التي تكون -غالبًا- مصحوبة بالحزن والعجز والإحساس بعدم الاستقرار، كما هي الحال في قصيدة ابن مشرف الحالية.

Stetkevych في القصيدة التراثية بأنه: "يشكل عنصرًا بنائيًا مميزًا في الطقس الشعري للتوسل، كما يعمل بوصفه نقطة تحول واضحة في التسلسل الموضوعي البنائي في شكل القصيدة. وهذا المعجم الخاص والمميز يستخدم مصطلحات من مثل: المغترب واللاجئ؛ ليصف الشاعر المتوسل، ومصطلحات من مثل: الملاذ والملجأ والرحمة والكرم؛ ليصف الممدوح، ومصطلحات من مثل: الأمل أو الثقة المفقودة والرجاء أو الثقة المتجددة؛ ليعبر عن مأزق الشاعر الحالي" (Stetkevych, 2002). ومن الأمثلة على معجم التوسل في قصيدة ابن مشرف الألفاظ التي تدلّ على الصفات المتعلقة بتأمين الخائف وإعانة الكلّ وتفريج كربة المسكين في الأبيات (٢٥-٢٧)، و(٣٥-٣٧)^٨.

إن إنشاد قصيدة التوسل -بما فيها من معجم التوسل- هو اختبار لقوة الممدوح وتحدّ له؛ لأن التوسل -كما أشارت الدراسة أعلاه- طقس يعيّن حدود القوة حين يطلب الشاعر من الحاكم أن يقوم بالتزاماته تجاهه وتجاه أهل بلده. تقول S. Stetkevych: "إنّ تحقير الذات الذي يستلزمه التوسل يشكل فحًا أيضًا؛ لأن المتلقي (للهدية/للقصيدة) يخسر ماء وجهه أو مكانته إذا لم يرّد الهدية -التي قبلها- بهدية أعظم منها... إن التوسل -وما يصاحبه من تحقير للذات- ليس شيئًا خسيسًا ممتنًا، بل هو عنصر [رئيس] في تحدّ

(٨) ستقف الدراسة عند هذه الأبيات بشكل أكثر تفصيلًا عند مناقشة قسم المديح أدناه.

لموضوعة العاذلة (الأبيات ١-٧). ثم ينتقل إلى موضوع الوقوف على الأطلال (البيت ٨)، الذي يعدّ موضوع الذكريات التي تبعث الشجن وتزيده حينما يقف الشاعر نادماً يتأمل آثار ديار المحبوبة التي باتت خالية بعد رحيلها. بعد ذلك ينتقل الشاعر إلى موضوع الغزل (الأبيات ٩-١٣)، وفيه يشبّب بمحبوبته ويذكر محاسنها الخلقية. ويختم الشاعر قسم النسيب بموضوع شكوى الشيب (الأبيات ١٤-١٧)، وهو الموضوع الذي يرد أحياناً في النسيب التقليدي؛ ليوضح سبب الابتعاد الاختياري لمحبوبة الشاعر عنه، ويضيف الشاعر بهذا الموضوع عاطفة الغضب على عاطفة الحزن؛ فلا يملك عندها إلا عتاباً لمحبوبته الغائبة واتهاماً لها بخيانة العهد وعدم الوفاء.

تُظهِرُ الموضوعات الداخلية في قسم النسيب عواطفَ مختلفة متداخلة تنبئ عن اضطراب في المشاعر وعدم استقرار لها؛ فيظهر الشاعر في النسيب حزيناً شاكياً باكياً، ومتأملاً قلقاً أرقاً، ومشتاقاً طرباً مغرماً، وواقفاً وحيداً باكياً، ومغرماً متغزلاً، وغاضباً معاتباً مثقلاً بالإحساس بالخيانة والخذلان. والشاعر لا يضع هذه الموضوعات متجاورةً بدافع التقليد، بل يختارها بعناية لغرض استتارة مجموعة من العواطف السلبية الموجعة؛ لتكثيف مقام التوسل الذي اختاره الشاعر لنفسه في القصيدة. كما أنه يعتمد على التكرار؛ ليؤكد الحال الحزينة التي وصل

ويعدّ الرجوع لمناسبة القصيدة من الخطوات الأساسية لتوضيح النسيب وتفسير رمزيته؛ لأن ذلك يسهم في ربط الواقع الاجتماعي والسياسي للشاعر بقسم النسيب ومن ثم بالقصيدة. لا يرى الشاعر وجود مبرر حقيقي لغياب السلام عن بلده، بل إن السبب الرئيس لغيابه كان مفاجئاً غير متوقع، ويتمثل في الظلم الذي وقع على أهل بلده من قبل فئة من المجتمع نفسه، إنهم عمال الزكاة الذين استأمنهم الحاكم على تنفيذ ركن من أركان الإسلام (الزكاة)، وعلى حفظ ضرورة من الضروريات الخمس ألا وهي حفظ المال. ويعدّ الشاعر هذا الاعتداء انعداماً للوفاء وللتقدير له ولأهل بلده؛ مع أن لهم مكانة سياسية عظيمة ذات امتداد زمني طويل تربطهم بالحاكم من حيث الولاء والتأييد. وبناء على ذلك، فإن مناسبة النص تسهم في تشكيل النسيب بمكوناته المتعددة كالموضوعات الداخلية فيه، وهوية المحبوبة كاسمها وطبيعة علاقته بها، والمعجم اللفظي. وقد شكّل الشاعر النسيب فناً وهو يتكىء على التراث الشعري ويطوّعه لتحقيق غرضه.

يبدأ الشاعر قصيدته بقسم النسيب الذي يتذكر فيه محبوبته التي رحلت عنه، ويعبر عن شوقه لها؛ فيضع فيه بعض الموضوعات المتكررة التي تظهر غالباً داخل النسيب في القصيدة التراثية القديمة، ويكون لها رمزية تسهم في تطوير النسيب، ومن ثم تطوير الغرض الرئيس في القصيدة وتفسيره. يبدأ ابن مشرف بموضوع الشكوى من ألم الفراق، ويعرض فيه

يبعثه استبدال الممدوح بالمحوبة من أمل ورجاء وعزم.

وقد جرث العادة في التقليد الشعري القديم ألا يشارك الممدوح الشاعر معاناته في قسم النسيب بشكل مباشر؛ فلا يقف معه على الأطلال باكياً، ولا يشرب معه الخمر متناسياً ودافعاً ألم هجر المحبوبة، ولا يشهد معه ظعنهما يوم رحيلها مضطرباً، ولا يشاركه مغامراته الليلية العاطفية معها طرباً. وتتمثل علاقة الممدوح بقسم النسيب في محاولة الشاعر لاستثارة تعاطف الممدوح معه حينما يظهر ألمه بسبب فراق المحبوبة. وأما إذا تداخل الممدوح مع الشاعر في النسيب بشكل مباشر، لا سيما علاقة الشاعر بمحبوبته، فإنه يستوجب تأويل المحبوبة بأمر ما. ومثال ذلك من التراث الشعري العربي هائية أبي العتاهية (ت ٢١١هـ) التي يمدح بها الخليفة العباسي المهدي (ت ١٦٩هـ)، والتي يقول في مطلعها (أبو العتاهية، ١٩٦٥):

ألا ما لسيدتي ما لها أدلاً فأحملُ إِدلالها

فمحبوبة أبي العتاهية في قصيدة المديح كناية عن موصوف وهو الخلافة التي اتضحت مع بداية قسم المديح في القصيدة، وتحديداً في البيت التالي:

أنته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها

ولتوضيح سبب ربط الشاعر محبوبته سلمى بالممدوح ربطاً مباشراً يجدر الوقوف عند هوية المحبوبة في قسم النسيب من حيث اسمها وطبيعة علاقتها بالشاعر، ومن ثم قابليتها للتأويل لتكون

لها؛ حيث أضحى وأهل بلدته طرائد بلا حماية أو رعاية.

وبعد نهاية قسم النسيب مباشرة يأتي الشاعر بالبيت ١٨ (بيت التخلص) لغرضين: غرض تقليدي منطقي وهو ربط النسيب بالمديح؛ حيث تبدأ ملامح التحول من قسم إلى آخر؛ فيظهر تغير نسبي في الموضوعات والأفكار والصور والمعجم اللفظي. فنلاحظ -مثلاً- في هذا البيت بداية تحوّل سريع ومباشر في القصيدة من النغمة المنخفضة ذات النبرة الخافتة التي تناسب وضع الحزن والخذلان والغضب المسيطر على قسم النسيب إلى النغمة المرتفعة ذات النبرة الخطابية التي تناسب وضع الثقة والعزم والتي تنبئ ببداية قسم جديد هو قسم المديح. وأما الغرض الثاني لبيت التخلص فهو محدد ذو علاقة وطيدة بمناسبة القصيدة الحالية، ويتمثل في ربط الشاعر معاناته في النسيب، لا سيما حاله مع محبوبته، بالممدوح ربطاً مباشراً -على غير العادة في التقليد الشعري القديم- حين يقابل بين ذكرياته السلبية مع محبوبته سلمى في قسم النسيب وذكرياته الإيجابية مع الممدوح بالسؤال الاستكاري الذي وجهه الشاعر توبيخاً لمحبوبته في هذا البيت. وتجدر الإشارة إلى أن بيت التخلص يأتي مباشرة بعد نقطة الانكسار في ختام النسيب؛ ليربط الشاعر بالممدوح الذي يُعدّ -في هذه اللحظة من القصيدة- معادلاً موضوعياً للقوة المولدة للسلام والمحافظة عليه مما يعطي الشاعر دفعة لاستعادة التوازن بما

الجزر (س - ل - م). جاء في (المعجم الوسيط):
 "(سَلِمَ) من الآفات ونحوها سلامًا وسلامة: برئ....
 (سالمه) مسالمة، وسلامًا: صالحه.... (السلام)
 السلامة. البراءة من العيوب. الأمان. الصلح."
 (أنيس وآخرون، ٢٠٠٤). وستوضح الدراسة العلاقة
 بين الاسم والتأويل عند مناقشة طبيعة رحيل سلمى؛
 ليبدو قسم النسب بمكوناته أكثر ترابطاً وعلاقة
 بمناسبة القصيدة وموضوعها الرئيس (التوسل).

أراد ابن مشرف أن يعبر عن رحيل سلمى/السلام
 عن بلدته الأحساء بسبب ما وقع عليها من ظلم
 مستكّر، فنظر في التراث الشعري العربي القديم،
 فوجد أن رحيل المحبوبة عن الشاعر موضوع متكرر
 في قسم النسب، فجعله الموضوع الذي يختم به
 موضوعات النسب؛ ليكون قريباً مكانياً وموضوعياً
 من قسم المديح ومن ثم من الممدوح. وأراد الشاعر
 أيضًا أن يكون رحيل المحبوبة اختياراً منها لسبب
 غير مبرر؛ ليدلّ على انعدام وفائها بالعهد مما
 يسبب حالة من الاستنكار والغضب لديه، فوجد
 الشاعر هذه الحال موجودة أيضًا في موضوع متكرر
 في قسم النسب التقليدي وهو شكوى الشيب الذي
 يصور فيه الشاعر رحيل محبوبته عنه اختياراً بسبب
 كبر سنه.

في قسم النسب ترحل محبوبة الشاعر سلمى
 (السلام) بصورة غير مبررة يستنكرها الشاعر؛ فهي
 تختار الفراق وتخون عهد حبيبها الذي مكثت معه
 فترة طويلة من حياته، لا سيما مرحلة شبابه.

كناية عن أمر له علاقة مباشرة بمناسبة القصيدة.
 ويبدأ التساؤل حول اسم المحبوبة الذي اختاره
 الشاعر في القصيدة، وهل له دلالة محددة ذات
 علاقة بالموضوع الرئيس في القصيدة؟

أسماء النساء المستخدمة في الموروث الشعري القديم
 متعددة، فقد استخدم شعراء العصور الذهبية القديمة
 في قصائدهم التراثية، لا سيما في قسم النسب،
 أسماء كثيرة لمحوباتهم، منها: مية، وخولة، وعبله،
 وهند، ولميس، وسعاد، وليلى، وعزة، وبثينة... إلخ.
 وابن مشرف يختار لمحبوته اسمًا قد ورد في التراث
 الشعري العربي القديم وهو (سلمى). واختيارات
 الشاعر الإحيائي المتمكن من أدواته الشعرية لا تأتي
 اعتباطاً في ثنايا قصيدته؛ فهو يستلهم التراث
 الشعري ويربطه ببيئته وزمنه. ولذلك، فلا بد أن
 يكون استخدام اسم (سلمى) في القصيدة مقصوداً
 لذاته، ويمكن تأويله بمعنى له علاقة مباشرة بحال
 الشاعر الاجتماعي والسياسي وغرضه الرئيس في
 قصيدته.

وبحسب ما جاء في مناسبة القصيدة فإن الشاعر
 يتوسل للإمام فيصل بن تركي أن ينصفه من عمال
 الزكاة الذين غالوا في تقديرها على الشاعر وأهل
 بلده الأحساء مما أدى إلى غياب السلام عن
 الشاعر وبلده فأصبحوا جميعاً في حالة من انعدام
 الأمن تستوجب تدخل الحاكم. وبناء على هذا السياق
 يمكن تأويل اسم المحبوبة (سلمى) ليدل على معنى
 (السلام)، لا سيما وأن اسم (سلمى) مشتق من

الحاكم على إقامة ركن من أركان الإسلام وحفظ أموال الناس. فالعمال يشيعون الظلم الذي يسلبون به السلام بشكل مفاجئ مستكرر. وعليه، فرحيل سلمى/السلام في القصيدة لم يكن رغباً عنها كأن يكون بسبب اعتداء خارجي؛ بل كان بسبب طائفة من المجتمع نفسه؛ فالألم من رحيل سلمى/السلام أعظم وأشد وقعاً. فطبيعة رحيل سلمى/السلام تسهم في تكثيف الصدمة، ومن ثم وضع التوسل.

وفي وصف الشاعر لحاله بهذه الطريقة الرمزية التي قدمها في قسم النسيب توجية غير مباشر من الشاعر للممدوح من دون لوم أو عتاب؛ فالشاعر لا يحاول المساس بأمن المجتمع بالتحريض ضد الحاكم أو تحريضه على أحد من منظومة المجتمع. فافتقى الشاعر بالشكاية وعرض حالة الحزن والخذلان غير المستحق بطريقة رمزية في النسيب؛ لما له ولأهل بلده من مكانة عظيمة عند الممدوح أشار إليها في بيت التخلص؛ ليؤكد قوة الأمل والرجاء في الممدوح الذي سوف يعيد السلام إلى الشاعر وأهل بلده.

وإذا أصبحت سلمى كناية عن السلام الذي ينشده الشاعر نستطيع أن نتبين أنه يستعين بالممدوح لكي يسترجع محبوبته سلمى/السلام التي انفصلت عنه بالمسببات غير المنطقية التي أشارت إليها القصيدة. وبذلك يكون بيت التخلص حسناً منطقياً مناسباً في مكانه وغرضه، ومن ثم يكون هذا الانتقال بين قسمي القصيدة هو من (حسن التخلص). كما أن عملية اختيار الموضوعات وترتيبها داخل قسم

فالشاعر يربط تغير حال الحبيبة معه بتغير الزمن مستكراً ومعائباً؛ لأن تقادم الزمن أدعى لحفظ العهد والوفاء، وهذا الذي لم تفعله محبوبته، فكان ذلك مثلبة في حقها، ومن ثم يدخل الشاعر -نتيجة لذلك- في حالة من الخوف والاضطراب بسبب إحساسه بأنه غير مرغوب فيه، بل ويمكن الاستغناء عنه واستبدال غيره به. وهذا الأمر يُفسر ما تعرض له الشاعر وأهل بلده من غياب غير مبرر للسلام بسبب إحساسه بأن مكانته الممتدة زمنياً -التي جعلته وأهل بلده أهلاً لسلمى/السلام- تحت رعاية الممدوح أصبحت منسية. أما الآن فسلمى/السلام بعيدة عن الشاعر تقطن نجد/ديار الممدوح، وهو في حالة انتظارٍ لسلمى/السلام (البيت ٦). وعليه، فإن رحيل سلمى هو استعارة لوضع الشاعر السياسي؛ حيث يشير رحيلها إلى رحيل السلام عن الشاعر وأهل بلده الأحرار. فعلى القول بتأويل المحبوبة بالسلام يكون تغير الوضع السياسي والاجتماعي إلى حالة انعدام السلام أمر غير منطقي للشاعر؛ لأن علاقته وأهل بلده بالسلام كانت وطيدة خلال السنوات الماضية، وما طرأ يعدّ تغيراً يستوجب تدخل الحاكم، ومن هنا يبدأ الربط المنطقي بين المحبوبة والممدوح.

ولاختيار الشاعر أن يكون رحيل محبوبته سلمى اختياراً دلالة مهمة مرتبطة بالواقع السياسي والاجتماعي للشاعر؛ حيث تتمثل في طبيعة رحيل السلام بسبب ظلم عمال الزكاة الذين استأمنهم

النسيب تدل على حسن استلهاام الشاعر للتراث لتصوير حالته الاجتماعية السياسية.

- المديح (الأبيات ١٨-٤٦):

لتوضيح دور قسم المديح في إقناع الممدوح برغبة الشاعر ستناقش الدراسة علاقة هذا القسم -بما فيه من موضوعات داخلية وأفكار وصور ومعجم لفظي وطبيعة محددة لفضائل الممدوح- بالتوسل، ومن ثم بالغرض الرئيس من القصيدة. بالإضافة إلى مناقشة خطة العرض المنطقية التي اعتمد عليها ابن مشرف؛ ليحدد بها ملامح طبيعة قسم المديح، وطبيعة الفضائل التي اختارها ليمدح بها الحاكم، ومدى علاقتها بغرضه من القصيدة ومطلبه فيها.

في قسم المديح يتدرج ابن مشرف في مدحه للإمام فيصل بن تركي من العام إلى الخاص؛ فيبدأ في البيت (١٩) مستخدماً كلمة (كل) لتأكيد اتصاف الممدوح بالفضائل جميعها. ومن ثم يخصص ابن مشرف خمسة أبيات (٢٠-٢٤) يمدح فيها عائلة الممدوح مبتدئاً بنسبهم الكريم واشتمالهم على الصفات الحميدة (٢٠-٢١)، وأهمها دورهم العظيم في نصره الدين والدفاع عنه بالسيف ونشره في جزيرة العرب (٢٢-٢٣). بعد ذلك يدمج الشاعر في البيت (٢٤) الممدوح بعائلته في تأكيده لمفهومي كرم الأصل وتوريث المجد وعلاقة أحدهما بالآخر. وفي مديح عائلة الممدوح تذكير بأهمية القرابة وقوة تأثيرهم على الإنسان وتصرفاته، وفي ذلك بلاغة لطيفة من الشاعر الذي يتوسل للممدوح من أجل

قربته وأهل بلدته. ومن ثم يبدأ ابن مشرف بذكر صفات الإمام فيصل بن تركي مفصلة، ويركز على فضائل ذات علاقة وثيقة بمطلبه من الممدوح وغرضه الرئيس في قصيدته؛ ومنها الكرم والرحمة والإعانة على نوابغ الدهر، لا سيما نجدة الخائفين، وحمل الكل (٢٥-٢٧). وفي البيتين (٢٨-٢٩) يركز الشاعر على توازن شخصية الممدوح التي تجمع بين فضيلتي الحلم والحزم؛ فهو حليم فطن وشديد في تطبيق الحق. ومن ثم يستكمل الشاعر عرض فضائل الممدوح ذات العلاقة بصدا الأعداء من خارج المجتمع، وهي: الشجاعة والقوة والخبرة الحربية (٣٠-٣٤). وفي تخصيص هذه الفضائل دعوة إلى الممدوح لاتخاذ الإجراءات الصارمة مع من ظلم الشاعر؛ لأن من كانت هذه صفاته المؤثرة في مواجهة الأعداء من خارج المجتمع، فهو على كف يد الظالم من داخل المجتمع أقوى وأقدر. وبعد ذلك يشير الشاعر في البيتين (٣٥-٣٦) إلى فضيلتي العدل والإحسان التي يتحلى بهما الممدوح تمهيداً لعرض مشكلته الشخصية التي يصورها بشكل مباشر في الأبيات الثلاثة التالية (٣٧-٣٩) حين يشكو إلى الممدوح من الظلم الذي وقع عليه وعلى أهل بلدته مكثفاً بذلك مقام التوسل، لا سيما وهو يثبت للممدوح فضيلة نجدة المظلوم وحمايته. ومن ثم يختم الشاعر صفات الممدوح بتشبيهه بليغ يشبهه فيه بالنجم في البيت (٤٠). ووجه الشبه الهداية والعقوبة؛ فالممدوح يعدّ قدوة لكل حاكم من حيث

الحماية والنصرة تجاه الشاعر وأهل بلدته الذين يشكلون جزءاً مهماً من المجتمع. تقول S. Stetkevych عن وظيفة التفاوض لقسم المديح: "إن الطرف الذي يبدأ بالتفاوض - حتى وإن بدا هذا الفعل من قبيل الضعف - تكون له اليد العليا، ويمتلك رد فعل إيجابي من المجتمع، في حين أنه يجب على الطرف الآخر أن يتفاوض فيقبل بالتسوية أو بالتنازل أو بأن يريق ماء وجهه ويُتهم بالعداء والتعنّت." (Stetkevych, 2002). وتقول عن علاقة وظيفة التفاوض في قسم المديح بتحدي الشاعر المتوسل للممدوح: "عند تقديم القصيدة على هيئة توسل رسمي في بلاط الممدوح فإن الشاعر لا يقصد عرض فضائل الممدوح فحسب، بل إن القصيدة في هذه الحال تعلن تحدياً للممدوح يرقى ليتحول إلى فخ أو ابتزاز. وهنا -تحديدًا- تبرز قوة الشاعر المتوسل" (Stetkevych, 2002)، وأبيات قسم المديح التي تعدد فضائل الممدوح تمثل تحدياً، لا سيما الفضائل التي يكتف بها الشاعر معجم التوسل التي تعدّ تحدياً مضاعفاً. تقول S. Stetkevych أيضاً: "إنشاد القصيدة بين يدي الملك يتضمن، في الواقع، تحدياً له، ومن ثم فإن وليّ النعمة يريق ماء وجهه إذا لم يقابل التحدي بمثله. ومعنى قبول التحدي في قصيدة المدح العربية أن يمثل وليّ النعمة لهذا التحدي، أي أنه يعمل بالفضائل التي نُسبت له في القصيدة. وتلبية طلب الشاعر وإعطائه جائزته... إلخ -يوصف هذا الفعل

توازن شخصيته وتكاملها وحسن تقديرها في تقديم النفع وإيقاع العقوبة، ومثل الممدوح في ذلك مثل النجم الذي يهدي الله به التائبين ويعاقب به الله المجرمين. وفي البيت (٤٠) استدعاء لعدد من الآيات القرآنية الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْتُ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (سورة النحل، آية ١٦). وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ (سورة الحجر، آية ١٨). وفي استدعاء آيات النصوص الشرعية تأكيد لمصادقية فضائل الممدوح التي تقوي خطاب الشاعر الإقناعي في هذا القسم.

- الوظيفة التفاوضية لقسم المديح وعلاقتها بمفهوم التوسل:

قسم المديح في القصيدة التراثية من أهم المداخل التي يستعين بها الشاعر عند مخاطبة الحاكم صاحب السلطة؛ لأنه لا يمهد للشروع في الطلب فحسب، بل ويسهم في تحقيقه أيضاً. وابن مشرف لا يهدف من قسم المديح إلى استجداء الممدوح طلباً للنصرة بشكل مباشر، بل يستغل بعض الوظائف التي يؤديها قسم المديح التي يحدد أهميتها الشاعر نفسه بحسب عرضه الرئيس من قصيدته. وأهم وظيفة يستغلها ابن مشرف لقسم المديح هي وظيفة التفاوض التي يؤسس لها الشاعر بفخٍ أدبي ينصبه للممدوح حين يتحده بطريقة غير مباشرة أن يمثل للفضائل التي ينسبها له في قسم المديح والتي لها علاقة بمقام التوسل، ومن ثم بغرض الشاعر الرئيس من قصيدته وهو الاستجابة لمطلبه بالقيام بالتزامات

قطع الصحراء عازماً على تخطي أهوالها بصبر عظيم وهو يمتطي راحلته التي تشاركه هذا العزم؛ فيصف قوتها وقدرتها على تخطي البيداء لتوصله إلى بلاط الممدوح. وفي إشارته لقسم (الرحيل) بهذه الأبيات الثلاثة يستلهم ابن مشرف القوة التراثية لهذا القسم التقليدي، ومن ذلك قوته الدلالية على أمرين متلازمين هما: شدة حاجة الشاعر التي حملته على تخطي صعاب الرحلة، وقوة أمله ورجائه في الممدوح.

في البيتين (٢٥، ٣٧) يستخدم الشاعر التقديم لما حقه التأخير في قوله: (إليه تشدّ اليعملات لرغبة وخوف)، و(إليك شددت العيس أشكو ظلامتي)؛ لإفادة القصر على الممدوح. والشاعر ينتقل في هذين البيتين من المعنى العام إلى المعنى الخاص؛ ففي البيت (٢٥) يمدح الشاعر ممدوحه بمعنى عام وهو أن جميع الخائفين والراغبين يرتحلون على مطاياهم قاصدين الممدوح - لا غيره - لقضاء حوائجهم. وأما البيت (٣٧) فينتقل فيه الشاعر - بعد أن ذكر عدداً من فضائل الممدوح التي يظهر فيها معجم التوسل جلياً - إلى المعنى الخاص؛ فيذكر حاجته هو تحديداً عندما يشكو للممدوح - لا لغيره - الظلم الذي وقع عليه وعلى أهل بلده. وهذا الانتقال المتدرج من العام إلى الخاص - بما فيه من قصر - يعدّ من أساليب الإقناع التي يستخدمها الشاعر في قصيدته عند مخاطبة الممدوح.

هدية مقابلة - يرمز إلى قبول الممدوح للولاء والمديح الذي يقدمه الشاعر، وفي الوقت نفسه يؤكد الفضائل التي نسبت إلى ولي النعمة في القصيدة. وعليه، إذا أراد الممدوح أن يقبل هدية المديح فيجب عليه أن يدفع الجائزة أو الهدية المقابلة. وإذا امتنع عن ذلك - أي عن دفع الهدية المقابلة - فإن المديح يُسحب - أي يعد ملغياً ولا يعتد به -. وبحسب المفهوم الشعري فإن سحب المديح بهذه الطريقة يعدّ شكلاً من أشكال الهجاء الذي يؤثر في نفي الآثار الإيجابية للمديح". (Stetkevych, 2002)

وبناء على ما سبق يتضح لنا أهمية اختيار الشاعر ابن مشرف لقسم المديح ليكون طريقاً للتوسل إلى الحاكم الذي يريد أن يثبت أهليته للفضائل التي نسبت له في قسم المديح؛ لأنه إذا لم يطبق ما تقتضيه هذه الفضائل فإنه يلغي أحقيته بالمكانة العليا التي وضعه الشاعر، لا سيما باستخدامه الألقاب التالية: إمام للمسلمين، ومملك من سلالة ملوك، والوالي الذي ولي أمر المسلمين في الأبيات (١٨، ١٩، ٣٥).

- أبيات (الرحيل) في قسم المديح وعلاقتها بمفهوم التوسل (٢٥، ٣٧، ٤٢):

أشار الشاعر إلى راحلته (ناقته) في ثلاثة أبيات متفرقة داخل قسم المديح هي: (٢٥، ٣٧، ٤٢). ولهذه الأبيات الثلاثة علاقة تقليدية بقسم (الرحيل) الذي اشتهرت به القصيدة التراثية، والذي يصف فيه الشاعر رحلته وراحلته مصوراً معاناته وهو يحاول

- نظرية التبادل الطقوسي (Ritual Exchange) وعلاقتها بمفهوم التوسل:

من المهم الإشارة إلى أبرز مبادئ نظرية Marcel Mauss الموسومة بالتبادل الطقوسي (Ritual Exchange) قبل مناقشة كيفية الربط بينها وبين قصيدة ابن مشرف. ناقش Mauss في كتابه (The Gift) مفهوم تبادل الهدايا في الحضارات الإنسانية ووضع نظريته التي تسمى بالتبادل الطقوسي (Ritual Exchange). ومن أهم ما أشار إليه في نظريته أن الشيء الذي يعطيه المرء يعدّ جزءاً من طبيعته. يقول Mauss: "عندما تعطي شيئاً فأنت تعطي جزءاً من ذاتك" ص ١٠، ويقول في موضع آخر: "عندما يعطي المرء فهو -في الحقيقة- يعطي جزءاً من طبيعته وجوهره. وعندما يتلقى شيئاً فهو يتلقى جزءاً من الجوهر الروحي للمرء الذي أعطاه" (Mauss, 1967). بالإضافة إلى أن ما يعطيه المرء لا يفارقه بالكلية، بل إنه يولد نوعاً من الارتباط القوي والحسن والدائم بين الشخصيتين المتبادلتين للهدية، وينشئ نوعاً من الالتزام الذي "يتخذ شكل المنفعة في الأشياء المتبادلة؛ فهذه الأشياء لا تنفصل عن أصحابها بالكلية عندما يعرضونها للتبادل؛ لأن الشراكة والتحالف الذي تؤسسه يصبح أدياً" (Mauss, 1967). ويقول في موضع آخر: "الهدف من التبادل هو خلق مشاعر ودية بين الشخصين المعنيين، وإن لم يتحقق ذلك فإن التبادل يفشل في تحقيق الغرض منه" (Mauss, 1967)،

وقد ذكر ابن مشرف الناقة أيضاً في موضع ثالث في قسم المديح في البيت (٤٢)، غير أنه يصور فيه ناqqته في مشهد مختلف عن البيتين السابقين. الناقة هنا مسرعة تحمل العروس/القصيدة/الهدية شوقاً إلى الممدوح؛ رغبة من الشاعر في هدية مقابلة يهبها له الممدوح. والمعنى هنا يختلف عن البيتين السابقين اللذين يصوران أبناء المجتمع كافة -ومنهم الشاعر- وهم يرتحلون إلى دار الممدوح طلباً لعطاياه بلا هدية افتتاحية يقدمونها له. والبيت (٤٢) بما فيه من صورة فنية^١ يقدم فكرة الحاجة إلى عطاء الممدوح بطريقة مختلفة تدلّ على تكثيف وضع التذلل الذي وصلت له حال الشاعر وحاجته الملحة لإجابة طلبه؛ لأن إنشاد القصيدة، أيّ الابتداء بتقديم الهدية، وانتظار الجائزة، أيّ هدية الممدوح المقابلة، يعدّ فعلاً من أفعال التوسل التي قام بها الشاعر في القصيدة. وبناء على ما سبق، فإن أبيات قسم (الرحيل) في القصيدة تقوم "بتكثيف الضرورة الملحة لحاجة المتوسل، وقوة الثقة والرجاء التي يؤملها في الممدوح" (ستيتكيفتش، ٢٠١٠).

ولزيادة توضيح علاقة قسم المديح بمفهوم التوسل، ومن ثم بغرض الشاعر من قصيدته ستناقش الدراسة أدناه نظرية Marcel Mauss الموسومة بالتبادل الطقوسي (Ritual Exchange) وعلاقتها بقسم المديح في القصيدة.

(١) سنشرح الصورة الفنية في البيت (٤٤) باستفاضة عند مناقشة مقطع ما وراء الشعر (ميتابوتري/ Metapoetry) أدناه.

وتزعم الدراسة الحالية أن هذا التبادل الطقوسي يمكن تطبيقه على التقليد الشعري العربي المتعلق بمفهوم (الجائزة مقابل القصيدة)، لا سيما قصيدة ابن مشرف التي يمدح بها الإمام فيصل بن تركي، بالاستفادة من بعض دراسات S. Stetkevych التي تعدّ أول ناقدة طبقت نظرية Mauss للتبادل الطقوس على قصيدة المديح العربية التراثية وجائزة الممدوح.

عندما يقدم ابن مشرف القصيدة بوصفها هدية رمزية للإمام فيصل بن تركي فإنه يقدم -حقيقة- جزءاً من طبيعته آملاً أن يقوم الممدوح بالرد بهدية رمزية مقابلة تعدّ أيضاً جزءاً من طبيعته، وتكون أعظم من هدية الشاعر. وتتمثل هدية الممدوح المقابلة في استجابته لتوسل الشاعر وإنصافه وأهل بلده من جباة الزكاة الذين غالوا في تقديرها. عندما يقدم الممدوح هديته المقابلة فإنه يردّ بهدية أعظم من الهدية التي تلقاها من الشاعر، وبفعله هذا يكتمل طقس التبادل بمفهوم Mauss؛ فتأكد عندها سلطة الحاكم ومكانته الرفيعة على قمة الهرم الاجتماعي لتتناسب مع الفضائل التي نُسبت إليه في القصيدة. وينتج عن اكتمال طقس التبادل توثق علاقة الودّ المتبادل بين الشاعر والممدوح لتأخذ بعداً إنسانياً ممتداً عبر عصور الثقافة العربية يتمثل في العلاقة التراثية الخالدة بين الحاكم وشاعره^١. بالإضافة إلى

كما أن هذا التبادل الحاصل بين الشخصيتين "يخدم أهدافاً أخلاقية" (Mauss, 1967)، ويعدّ "نمطاً من الحقوق المتماثلة والمتبادلة" (Mauss, 1967). ومن الأمور المهمة التي أشارت إليها نظرية (التبادل الطقوسي) أن الأعطية التي يهبها المرء لغيره لا بد من أن تُردّ له بأعطية أعظم منها من قبل الطرف الآخر، فمتلقي الهدية إذا لم يقدّم إعطاء هدية مقابلة تكون أعظم من التي تلقاها فإنه يريق ماء وجهه، ويؤكد أنه غير جدير بالهدية، وأنه خاضع للمانح الذي ابتدأ بها، يقول Mauss: "العجز عن إعطاء [الهدية] أو تلقيها مثل العجز عن إعطاء هدية مقابلة لها، وهذا يؤدي إلى فقدان الكرامة وخسارة المكانة العالية والمنزلة الرفيعة" (Mauss, 1967). ويقول أيضاً: "أن تعطي يعني أن تظهر علو شأنك وتفوقك على غيرك وأنت أعظم قدرًا وأعلى مكانة....، وأن تستقبل العطاء من دون ردّ له أو إعطاء أكثر مما تلقيت يعني أن تصبح تابعًا وخاضعًا متذللًا" (Mauss, 1967). ومن ثم فإن الذي يبدأ بتقديم الهدية تكون له سلطة على متلقيها حتى يقوم الأخير بردها بأعظم منها. يقول Mauss: "الالتزام المرتبط بالهدية نفسها لا يعدّ شيئاً خاملًا جامدًا غير فعّال، حتى عند التحلي عن الهدية من قبل الشخص المانح فإنها لا تزال تشكل جزءًا منه، فهو من خلالها [أي الهدية] يكون لديه سلطة على متلقيها" (Mauss, 1967).

(١) من العلاقات المتميزة الخالدة التي تجمع بين الحاكم والشاعر في عصور الثقافة العربية القديمة علاقة المتنبي بالأمير سيف الدولة الحمداني في العصر العباسي، وعلاقة الأخطل بالخليفة عبد الملك بن مروان في العصر الأموي، وعلاقة النابغة الذبياني بالملك النعمان بن المنذر في العصر الجاهلي.

يقوم به الشاعر من استغلال لهذه الأبيات لتأكيد مطلبه الذي سعى إليه صراحة وحاجته التي ألمح إليها ثم شرحها مفصلة في قصيدته، ومن ثم إثبات استحقاؤه لتلقي المعروف بإجابة طلبه من قبل ممدوحه.

ويركز ابن مشرف في أبيات مقطع (ما وراء الشعر/ Metapoetry) على شعره متمثلاً في قصيدته الميمية/الهدية مستخدماً صورة شعرية فنية تقليدية؛ فيشبهه قصيدته بالعروس البكر التي تتبخر في مشيتها، وتجر ثوبها فرحاً وتباهياً، وتتقلد أنفـس قلادة من الدرّ النفيس، وترتدي أجمل الحلي وهي مسرعة إلى الممدوح تنتظر جوده وتكرمه ليقبلها زوجة له. وتُظهر الصورة الفنية وليّ أمر العروس/الشاعر - الذي يزفها للممدوح- وهو في حال ترقّب ورجاء أن يذهب عنه الهم إذا قبل الممدوح بالعروس زوجة له. تؤكد الصورة الفنية حال التذلل المناسبة لمقام التوسل؛ فالشاعر يصرح برغبته الملحة في أن يحظى بقبول الممدوح للعروس/الهدية/للقصيدة؛ والقبول يعني امتثال الممدوح للفضائل التي نُسبت له في القصيدة مما يؤدي إلى أداء المؤمل منه بإجابة مطلب الشاعر. وبالإستعانة بهذه الصورة الفنية يخالف ابن مشرف إلى حدّ ما التراث العربي الشعري الذي يصوّر الشاعر المحب/الزوج، لا سيما في قسم النسيب، وهو يسعى حثيثاً للظفر بمحبوبته/بزوجته، ويعمل جاهداً ليكون مستحقاً لها. ويختار ابن مشرف هذه الصورة الفنية التي تكسر النمط التقليدي بعناية؛

أن عملية التبادل الطقوسي تؤكد جوهر العلاقة بين الشاعر والحاكم المتمثل في الولاء المطلق الذي يجعل كلاً منهما مديناً للآخر بحياته. إضافة إلى ما سبق فإن علاقة نظرية التبادل الطقوسي بالوظيفة التفاوضية لقسم المديح تتضح عندما يقدم الشاعر قصيدته بوصفها هدية افتتاحية عند شروعه في المفاوضة مع الممدوح. تقول S. Stetkevych: " تبدأ عملية التفاوض من قبل الشاعر غير المنتمي عندما يؤدي عملية طقوسية تتضمن الخضوع والتوسل وإعلان الولاء وتقديم الهدية-أي القصيدة نفسها" (Stetkevych, 2002).

- أبيات ما وراء الشعر (ميتابوتري/ Metapoetry) (٤١-٤٣) وعلاقتها بمفهوم التوسل:

تحدث أبيات مقطع (ما وراء الشعر/ Metapoetry) في القصيدة عن الشعر وكل ما يتعلق به، وليس لها غرض شعري محدد ترتبط به؛ فقد توجد ضمن أغراض مختلفة كالفخر والمديح والحكمة، كما أنها قد تأتي على شكل مقطوعة كاملة مستقلة أو جزء من قصيدة.

تعد الأبيات الثلاثة (٤١-٤٣) المكوّنة لمقطع (ما وراء الشعر/ Metapoetry) جزءاً من قسم المديح، إلا أنها تتميز بخصائص إقناعية إضافية لها دلالات ذات علاقة بموقف التوسل الذي اختاره الشاعر لنفسه وغرضه من قصيدته. من هذه الخصائص ما

لأنها مناسبة لمقام التوسل الذي أثبتته الشاعر لنفسه على مدى القصيدة. وجدير بالذكر أن كلمة (هموم) التي ختم بها الشاعر أبيات مقطع (ما وراء الشعر/ Metapoetry) تعدّ من أهم مفردات معجم التوسل التي حرص الشاعر على تكرارها في ثنايا القصيدة. ولهذا الصورة الفنية كذلك علاقة إضافية بإقناع الممدوح، لأنها تثبت للقصيدة الابتكار والتفرد في قيمتها الجمالية الفنية التي ستعمل على تخليد ذكر الممدوح وفضائله، تقول S. Stetkevych: "إن وصف القصيدة بالعروس، وهو وصف معروف عند الشعراء كأبي تمام، يضمنها معنى العذرية -أي الابتكار والأصالة-.... وبالإضافة إلى ذلك، بطبيعة الحال، فإن استعارة الزواج توحى بأنه كما أن العروس سوف تتجب لإحياء سلالة الزوج واستمرارها، فإن قصيدة المدح سوف تخلد اسم الممدوح. وكذلك توظف استعارة العقد التراثية، لا لإعطاء فكرة القافية والوزن -أي النظم المرتب للقصيدة- فحسب، بل للتعبير عن فنيته، وعن كونها فريدة من نوعها وعن قيمتها وجمالها الدائمين" (ستينكيفتش، ٢٠١٠).

بالإضافة إلى أن في ذكر اسم بلدة الشاعر (الأحساء) ضمن أبيات (ما وراء الشعر/ Metapoetry) دلالة توسلية وتفاوضية في الوقت نفسه؛ ففي ذكر (الأحساء) تضخيم فعل التوسل بالإشارة إلى أن التوسل ليس فرديًا خاصًا بالشاعر، بل هو توسل جماعي، وما الشاعر إلا صوت لهذه

الجماعة. وفي ذكر اسم البلدة كذلك تذكير للممدوح بمكانة المنطقة ودورها السياسي في تأييد حكمه، ومن ثم تأكيد لعملية التفاوض التي يؤديها الشاعر بتحدي الممدوح؛ لإثبات مكانته والعمل بما تقتضيه صفات المديح المنسوبة له في قسم المديح، ومن ذلك صفة حفظ المعروف والقدرة على رد الجميل لمنطقة ليست فقط مهمة وموالية للحاكم، بل لها أيضًا تاريخ مشرق في مساندة تثبيت حكم الإمام فيصل بن تركي في الجزيرة العربية بعد مقتل والده الإمام تركي؛ فأهل الأحساء من أوائل من أيّد الإمام فيصل وساعده على اعتلاء الحكم بعد مقتل أبيه عام (١٢٤٩هـ). (ابن بشر، ١٩٨٣). وعدم إشارة الشاعر لهذه المنقبة السياسية التي اختصت بها منطقتهم كانت لأسباب لها علاقة بمقام التوسل، من مثل: التأدب مع الممدوح في الخطاب، والمبالغة في إظهار الاحترام وتقدير المكانة، والإقرار غير المباشر بنبل الممدوح وكرم أصله؛ لأن الكريم لا ينسى مجازاة الإحسان بالإحسان. إضافة إلى أن تذكير الممدوح بمنقبة المنطقة السياسية عند طلب الحاجة هو نوع من المنّ والمقايضة التي لا تناسب مقام المتوسل، ولا تليق بطبيعة العلاقة بين الممدوح وشاعره.

ويضع الشاعر في أبيات مقطع (ما وراء الشعر/ Metapoetry) (الأنا الغنائية/ Lyric I) في مقابل الآخر/ الممدوح؛ فيظهر بقوته الثنائية المتناقضة - التي أشات إليها الدراسة أعلاه- أي أنه يظهر

توسلاً. وعليه، فإن أبيات (ما وراء الشعر/ Metapoetry) تتحد مع غرض القصيدة الأساسي؛ فهي متوافقة مع مقام التوسل الذي تقمصه الشاعر ليحقق غرضه من القصيدة. فالشاعر لم يسخر هذه الأبيات للفخر بذاته، وإنما سخرها لتكون وسيلة لاستعطاف الممدوح، لا سيما أبيات تشبيه القصيدة بالعروس. بالإضافة إلى أن مدح الشاعر لقصيدته بالجمال والتفرد في هذه الأبيات لم يأت لقصده الفخر بها بقدر كونها محاولة لتزيينها وتجميلها للممدوح حتى يتجاوب مع ما جاء فيها.

ومما يجدر الإشارة إليه أن هناك علاقة وثيقة بين أبيات مقطع (ما وراء الشعر/ Metapoetry) ونظرية التبادل الطقوسي/تبادل الهدايا. وتظهر هذه العلاقة بوضوح حين يؤكد الشاعر في البيت (٤٣) أنه يهب قصيدته بوصفها هدية للممدوح منتظراً منه قبولها بإجابة طلبه ليزول عنه الهم. فبتقديم القصيدة/العروس/الهدية بصورة المتوسل يعلن الشاعر خضوعه للممدوح من جهة، كما أنه يعلن التحدي من جهة أخرى. فالشاعر ينتظر هدية مقابلة من قبل الممدوح وهي إجابة طلبه بنصرتة ودفع المظلمة عنه وعن أهل منطقتة. والشاعر حينما ينسب للممدوح فضائل محددة فإنه ينتظر أن يمثل الممدوح لها ليثبت صحة ما تُسب إليه منها. وعليه، فإن الممدوح إذا لم يستجب لطلب الشاعر فإنه يرفض دفع هدية مقابلة للشاعر ومن ثم فإنه -أي الممدوح- لا يستكمل عملية طقوس تبادل الهدايا

متوسلاً ومتحدياً في الوقت نفسه. ومع ذلك فإن (الأنا الغنائية/ Lyric I) في هذه الأبيات لا تظهر واضحة كما كانت في قسم النسيب؛ لأن الشاعر لا يزال مهتماً بإظهار الآخر/الممدوح في المكانة العليا، وبإظهار نفسه -في المقابل- في وضع المتوسل، فهو لا يريد أن يصرح بقوته للممدوح وبتحديه المباشر له. ومما يؤكد عدم رغبة الشاعر في إظهار صوته عالياً متحدياً في هذه الأبيات أنه لم يصرح بألفاظ تدل دلالة واضحة على قصيدته/هديته كأن يقول: (نظم) أو (قول) أو (قريض) أو غيرها مما يشير إلى الفخر بشعره. وفي عدم التصريح بالقصيدة بألفاظ تشير إليها مباشرة وعي كبير من الشاعر لعدم مناسبة ذلك لمقام التوسل؛ فالفخر بالقصيدة يؤدي إلى الفخر بالذات ومن ثم الوقوف بقوة أمام الممدوح، وكأنه يضع الأنا الغنائية في مساواة مع الآخر/الممدوح، وهو الأمر الذي لا يريده الشاعر في قصيدته؛ لأن المقام الذي اختاره لنفسه فيها هو مقام توسل وخضوع وإحاح لقبول الهدية/القصيدة.

وتعدّ أبيات مقطع (ما وراء الشعر/ Metapoetry) الجزء الذي تصل فيه عملية التفاوض بين الشاعر وممدوحه إلى نهايتها؛ وهي العملية المعقدة التي اتبع فيها الشاعر التدرج في الطلب؛ حيث بدأت تضميناً في قسم النسيب، وإلماحاً -بذكر فضائل الممدوح- مع أول أبيات قسم المديح، وتصريحاً في أبيات في مقطع (ما وراء الشعر/ Metapoetry)، لا سيما آخر أبياته (٤٣) الذي يعدّ أكثر أبيات القصيدة

تحقير الذات -الذي بدأ به الشاعر المتوسل في أول القصيدة في قسم النسيب حتى هذا الموضع في قسم المديح- إلى الدعاء للممدوح يعدّ من التغيّر في أبعاد القوة بين الشاعر والممدوح داخل القصيدة. وعليه، فإن إضافة بيت الدعاء مباشرة بعد نهاية أبيات (ما وراء الشعر/ Metapoetry) -التي تعدّ أكثر أبيات القصيدة دلالة على موقف التوسل- يحقق أمرين مترابطين يبرزان القوة الثنائية المتناقضة للشاعر المتوسل؛ ففي بيت الدعاء تكثيف لموقف التوسل حين يختم الشاعر قصيدته بمشهد الدعاء للممدوح مضاعفًا بذلك استعطافه لاستجلاب إحسان الممدوح، لا سيما وأن الدعاء يتضمن تأكيد ولاء الشاعر للحاكم. وفي بيت الدعاء أيضًا إظهار لقوة الشاعر وهو يتحدى الممدوح أن يؤدي مسؤوليته تجاه مجتمعه بتذكيره بطريقة غير مباشرة بأن القدرة على الدعاء لك لتأليف القلوب حولك يقابلها قدرة -لا تقل قوة وتأثيرًا- على الدعاء عليك، وصرف المجتمع عنك، ومن ثم نزع الولاء لك.

ويختم الشاعر قصيدته ببيت الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم (٤٥ و ٤٦) على عادة أغلب شعراء الدعوة الإصلاحية في تلك الحقبة (المخضوب، ٢٠١٥)، غير أن ابن مشرف يستغل هذا التقليد الشعري فيوجهه نحو غرضه الرئيس حين يربط هذين البيتين ببيت الدعاء السابق لهما؛ لأن من أسباب إجابة الدعاء -الذي يؤكد به الشاعر ولاءه للممدوح- الصلاة على النبي محمد صلى الله

فيفقد مكانته التي تحدد قيمته في مجتمعه. وبناء على ذلك فإن أبيات (ما وراء الشعر/ Metapoetry) تعدّ مفصلاً حيويًا مهمًا في قصيدة التوسل، فهي تُظهر الشاعر في حالين متناقضتين لكنهما مترابطتين في الوقت نفسه؛ فمن جهة تُظهره في أشد حالات الضعف والتوسل مما لا يترك مجالًا للممدوح سوى أن يقبل الهدية، ومن جهة أخرى تُظهره في أشد حالات القوة والتحدي؛ لأنه يُلزم الممدوح بردّ الهدية -بعد قبولها- بأعظم منها.

- الأبيات الثلاثة الأخيرة (٤٤-٤٦) في القصيدة (بيت الدعاء وبيت الصلاة على النبي) وعلاقتها بمفهوم التوسل:

يضيف الشاعر بعد نهاية أبيات (ما وراء الشعر/ Metapoetry) مباشرة بيتًا يمكن تسميته ببيت الدعاء في القصيدة (البيت ٤٤). ويعدّ هذا البيت جزءًا من قسم المديح إلا أن لإضافته في هذا الموضع من القصيدة أهمية لها علاقة بمفهوم التوسل. يدعو ابن مشرف الله -في هذا البيت- أن يظلّ الممدوح حاكمًا مؤيدًا بتمسكه بالدين مجاهدًا في سبيل الله مدافعًا عن حرمة الإسلام وأهله.

تقول S. Stetkevych: "الدعاء لا ينفصل عن القوة الثنائية المتناقضة التي يمتلكها المتوسل.... فإن القدرة على التلطف بالدعاء [للممدوح بالحفظ والإعانة] تتضمن القدرة على [التلطف بالدعاء عليه وتمنى زوال النعمة، أي] تشويه السمعة والتلطف باللعن" (Stetkevych, 2002). والانتقال من

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴿سورة التوبة، آية ١٢٨﴾. ويوظف الشاعر استدعاء النص الشرعي بوصفه محفزاً دينياً يستلهم الشاعر به قوة تأثير النص القرآني؛ ليذكر الحاكم بضرورة الاتصاف بالفضائل الأخلاقية النبوية، لا سيما صفة الرحمة. فابن مشرف يختم قصيدته التي يتوسل فيها إلى الإمام فيصل بأهم مفردة من معجم التوسل -الذي تكرر طوال القصيدة- وهي كلمة (رحيم) التي تلخص موقف الشاعر وغرضه الرئيس من قصيدته. وقد جمع الشاعر في الأبيات الثلاثة الأخيرة من قصيدته بين عظم العبادة وهي الدعاء، وعظم المكان وهو بيت الله الحرام، وعظم الشعيرة الدينية وهي الطواف، وعظم القدوة وهو النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا ختام ديني يعطي القصيدة أهلية عظيمة؛ حيث يحول الشاعر ختام قصيدته إلى ما يشبه الخطاب الديني الذي يستلهم فيه قوة التراث الثقافي الإسلامي لدعم مطلبه.

- خاتمة:

التوسل هو السبب الرئيس الذي من أجله أنشأ ابن مشرف قصيدته، وعند بحثه عن أهم الأقسام الشعرية التراثية التي تؤكد معنى التوسل وجد ابن مشرف أن النسب والمديح أكثرها ملاءمة؛ فاختر البدء بالنسب على عادة الشعراء القدماء؛ لما فيه من إشاعة جو الأسى ومن ثم تصوير تذلل الشاعر وضعفه وحزنه. ومن ثم اختار موضوعاته المتكررة في القصيدة التراثية التي تسهم في تكثيف مقام

عليه وسلم. عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا أراد أحدكم أن يسأل؛ فليبدأ بالمدح والثناء على الله بما هو أهله، ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ليسأل بعد؛ فإنه أجدر أن ينجح" (الألباني، ٢٠٠٢). وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كلُّ دعاءٍ محجوبٍ حتى يُصلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم" (الألباني، ٢٠٠٢). وهذه العلاقة التي تربط بيتي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وبيت الدعاء تؤكد علاقتهما بالغرض الرئيس من القصيدة. بالإضافة إلى ذلك فإن الشاعر ببيت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الحاكم بضرورة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، لا سيما في فضيلتين محددتين لهما علاقة مباشرة بمطلب الشاعر. وهاتان الفضيلتان هما محو الضلالة والرحمة بالمؤمنين؛ لأن معاقبة الظالم من عمال الزكاة هو محو للضلالة، ونصرة الشاعر المظلوم وأهل بلده هو من الرحمة بالمؤمنين. فالشاعر يحفز الممدوح -الذي يعد حاكماً شرعياً- باستلهم قوة التراث الثقافي الإسلامي للاستجابة لمطلبه بتخصيص الصفات الأخلاقية الإسلامية لقدوة المؤمنين صلى الله عليه وسلم.

ويختم الشاعر قصيدة التوسل بجملة (بالمؤمنين رحيم)؛ التي تستدعي الآية القرآنية الكريمة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

والمكونات الداخلية لكل قسم في القصيدة كالموضوعات الداخلية والصور والمعجم اللفظي تكثف أثر القسم الخاص بها بوصفها خطوة أولى أساسية، ومن ثم تعمل على تكثيف الغرض من القصيدة؛ فالمكونات الداخلية للنسيب تكثف حالة الحاجة عند الشاعر المحتاج لمن ينصره، والمكونات الداخلية للمديح توضح جلياً شخصية الممدوح التي يحتاج إليها الشاعر تحديداً برسمها بواسطة فضائل محددة لها علاقة بغرض الشاعر من قصيدته. وعليه، فإن هناك علاقة تكاملية بين أقسام القصيدة تقضي بالتدرج من العام إلى الخاص. بالإضافة إلى أن قسم النسيب يؤدي إلى المديح بعلاقة تراتبية بوصفه مقدمة له، ومن ثم يرتبط القسمان بطريقة منطقية بإضفاء طبيعة خاصة لكل قسم مع ما فيهما موضوعات داخلية وأفكار وصور ومعجم لفظي يؤدي كل منها للآخر الذي يليه؛ لتناسب الغرض الرئيس للشاعر.

إن هذا التشكيل الدقيق لقصيدة التوسل لا يُقدّم شعرياً بعشوائية، وإنما يأتي بتناسق محدد قصد إليه الشاعر قصداً؛ ليسهم في تكثيف مقام التوسل الذي اختاره لنفسه رغبة في إقناع الممدوح بإجابة طلبه ونصرة أهل بلده. وقصيدة التوسل، لا سيما قسم المديح فيها، ليست مجرد استجداء بل هي عملية معقدة ذات أبعاد كثيرة تتداخل مع السياقات الاجتماعية والسياسية.

التوسل، كما عمل على تحديد هوية محبوبته؛ فاختر اسماً مقصوداً لها (سلمى)، وحدد طبيعة علاقته بها؛ فجعلها عديمة الوفاء لرحيلها عنه اختياراً بسبب عذر مُستكّر وغير مبرر. واستطاع الشاعر أن ينسج لقسم النسيب معجماً لفظياً متماشياً مع غرض القصيدة الرئيس؛ بتكثيف معاناة الشاعر وإخراجه بمقام المتوسل الذي اختاره لنفسه في قصيدته.

وقد وضحت الدراسة الكيفية التي وظّف بها ابن مشرف قسم المديح لتحقيق غرضه من القصيدة، وعلاقة هذا القسم -بما فيه من موضوعات داخلية وأفكار وصور ومعجم لفظي وطبيعة محددة لفضائل الممدوح- بقسم النسيب، ومن ثم بالغرض الرئيس من القصيدة. كما ناقشت الدراسة خطة العرض المنطقية التي اعتمد عليها ابن مشرف؛ ليحدد من خلالها ملامح طبيعة قسم المديح، وطبيعة الفضائل التي اختارها ليمدح بها الحاكم، ومدى علاقتها بغرضه من القصيدة ومطلبه فيها. وعليه، فقد شكّل الشاعر قسمي النسيب والمديح متكئاً على التراث الشعري ومطوّعاً له لتحقيق غرضه من القصيدة.

تعمل القصيدة بأكملها من مبتدئها إلى منتهاها بوصفها وحدة واحدة لتأدية غرض الشاعر؛ فقصيدة التوسل -على ما فيها من تنوع يوهم بالاختلاف أو التناقض أحياناً- تعدّ نموذجاً للاندماج الانسيابي شكلاً ومضموناً من أصغر وحدة فيها إلى أن تصل إلى كيانها العام. فكل موضوع داخل كل قسم يؤدي إلى الذي يليه حتى يكتمل القسم ويتخذ طبيعته.

شعرية يحافظون فيها على طبيعة القصيدة التراثية، ويجعلونها متفقة مع بيئاتهم وزمنهم.

المصادر والمراجع العربية

- القرآن الكريم.
- ابن بشر، ع. (١٩٨٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبد الرحمن عبد اللطيف آل الشيخ. ط٤ الرياض: دار الملك عبد العزيز. ج ٢ ص١٠٠-١٠١.
- ابن مشرف، أ. (د. ت) ديوان ابن مشرف، ط٤ الأحساء-الهفوف: مؤسسة مكتبة الفلاح. ص٧-٨، ٩٣-٩٥، ٩٩-١٠٠.
- أبو العتاهية، إ. (١٩٦٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق: شكري فيصل. دمشق: مطبعة جامعة دمشق. ص٦٠٩-٦١٣.
- الألباني، م. (٢٠٠٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط١ الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. مج٧ ص٦١٩-٦٢٠ (حديث ٣٢٠٤)، مج٥، ص٥٤-٥٨. (حديث ٢٠٣٥).
- الألويسي، م. (٢٠٠٧) تاريخ نجد، تحقيق: محمد بهجة الأثري، ط١ بغداد: شركة دار الوراق للنشر المحدودة. ص١٣٢، ١٤٠-١٤٦.
- أنيس وآخرون، إ. (٢٠٠٤) المعجم الوسيط، ط٤ القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. ص٢٢٧، ٤٤٦.

ويناقش ابن مشرف في قصيدة التوسل إمكانية بناء المجتمع الآمن الذي يؤسسه الحاكم العادل بتحقيق الأمن والقضاء على الفتن الداخلية التي تسبب الفوضى في المجتمع؛ لذلك نجد الشاعر يتمسك بقلب التوسل فيؤكد فضيلة العدل ودفع الظلم التي تعدّ من أهم الفضائل التي يتصف بها الحاكم. وبناء على ذلك توصي الدراسة بضرورة البحث في تراث ابن مشرف الشعري؛ لاستكشاف ما إذا كان الشاعر قد قدّم قصيدة أخرى للإمام فيصل بن تركي تتناول قدرة الحاكم على تأسيس المجتمع الآمن، ولكن بالقضاء على الفتن والاضطرابات الخارجية التي يقوم بها الأعداء من خارج المجتمع. وإذا وجدت هذه القصيدة توصي الدراسة بمناقشتها وتسليط الضوء على غرضها وتقسيمها ومضمونها وشكلها... الخ.

ونظرًا لأهمية التراث الشعري لابن مشرف توصي الدراسة أيضًا بأهمية البحث فيه بتأنٍ لمناقشة أغراض قصائده وطريقة تقسيمه لها وعلاقة ذلك بالقصيدة التراثية القديمة، لا سيما مناقشة التقسيم الثنائي المكون من قسمي النسب والمديح، وكيفية تغييره طبيعتهما وخطة عرضهما وعلاقة أحدهما بالآخر لموافقة أغراضه الرئيسية المختلفة. بالإضافة إلى ضرورة مقارنة قصائد ابن مشرف بقصائد شعراء إحيائيين آخرين كمحمود سامي البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم؛ لتوضيح الاتفاق والاختلاف في طبيعة استلهام التراث العربي الشعري، والتنوع في تعامل شعراء الإحياء مع قضايا بلدانهم بطريقة

- الجبوري، ك. (٢٠٠٣) معجم الشعراء من العصر الجاهلي إلى ٢٠٠٢ م، لبنان: دار الكتب العلمية. ج ١، ص ٢١٥.
- الجهيمي، ن. (٢٠٠٨) عودة الإمام فيصل بن تركي من مصر (الأولى والثانية) من خلال المصادر والوثائق المحلية والعثمانية، الدارة، دارة الملك عبد العزيز. مج ٣٣، ع ٤٤، ص ٩-٤٢.
- الحيدري، ع. (٢٠١٣) أحمد بن علي ابن مشرف (١٢٨٥هـ): جوانب من سيرته، وطبعات ديوانه، والمستدرك على الديوان، الدرعية، الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري. مج ١٥، ع ٥٧٤ و ٥٨٠، ص ١٩٩-٢٢٨.
- الريحاني، أ. (١٩٢٨) تاريخ نجد الحديث وملحقاته-وسيرة عبد العزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما، ط ١ بيروت: المطبعة العلمية ليوسف صادر. ص ٤٨-٥٠، ٨٠-٨٢.
- الزركلي، خ. (١٩٨٦) الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٧، بيروت: دار العلم للملايين. ج ١، ص ١٨٢-١٨٣، ج ٥، ص ١٦٤.
- الشراري، ن. (٢٠٠٢) عودة الإمام فيصل بن تركي من مصر للمرة الثانية، الدرعية، الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري. مج ٥، ع ١٨ و ١٩، ص ٦٢-١٠٢.
- المخضوب، ل. (٢٠١٥) ملاح من شخصية الإمام فيصل بن تركي آل سعود في شعر ابن مشرف، الدارة، دارة الملك عبد العزيز. مج ٤١، ع ١٤، ص ٣٣-٣٤، ٣٧، ٤٢.
- ستيتكيفتش، س. (٢٠١٠) القصيد والسلطة: الأسطورة، الجنوسة، والمراسم في القصيدة العربية الكلاسيكية، ترجمة وتقديم: حسن البنا عز الدين، ط ١ القاهرة: المركز القومي للترجمة. ص ١٦٠، ١٦٢، ١٧٤، ٣٣٦-٣٣٧.

المصادر والمراجع الانجليزية

- Crotty, K. (1994) The poetics of Supplication: Homer's Iliad and Odyssey, Cornell University Press, Ithaca, N. Y. p90.
- Goldhill, S. (1991) The poet's Voice: Essays on Poetics and Greek Literature, Cambridge University Press, Cambridge. P73.
- Mauss, M. (1967) The Gift: Forms and Functions of Exchange in Archaic Societies. Trans. Ian Cunnison. Norton and Co, New York. p9-11, 18, 31, 40, and 72.
- Stetkevych, S. (2002) The Poetics of Islamic Legitimacy: Myth, Gender, and Ceremony in the Classical Arabic Ode, Indiana University Press, Bloomington and Indianapolis. P18, 72, 117, and 139.

The Poetics of Supplication: An analytical reading of Ibn Musharraf's *Mīmiyyah* ('A 'aslū) in Praising Imām Fayṣal ibn Turkī

Abdalmueen Hassan Abdulhameed Balfas

Associate Professor of Modern Arabic and Comparative literature

*Department of Arabic Language and literature / Faculty of Arts and Humanities / King Abdulaziz University
Jeddah-Kingdom of Saudi Arabia*

Abstract. the study focuses on the poetic of supplication by discussing a poem in which Ibn Musharraf pleads with Imām Fayṣal ibn Turkī to support him against the zakat collectors who –unjustly- took too much zakat from people of the poet's hometown, i.e. *al-Aḥsā'*. The study clarifies the significance of the supplicant's position by discussing how Ibn Musharraf exploits his traditional poem, such as choosing its sections - *nasīb* and *madīḥ* - carefully and employing their themes, images, lexicon etc. to persuade the ruler to fulfill the poet's request. Moreover, the study explains the relation between Marcel Mauss' theory of (Ritual Exchange) and the supplicatory poem, particularly its negotiation function which forms the nature of the relation between the poet and the ruler.

Keywords: Poetics of Supplication, Ibn Musharraf, Imām Fayṣal ibn Turkī, Panegyric Ode, Ritual Exchange, Marcel Mauss.

تأثير العوامل المناخية على صحة الحيوان محافظة ميسان نموذجا

أ.د. كاظم عبادي حمادي الجاسم

جامعة ميسان . . كلية التربية . . قسم الجغرافية

مستخلص. تؤثر العناصر المناخية بشكل مباشر وغير مباشر على صحة الحيوان من خلال تأثيرها على توفير المراعي الخضراء ومصادر الأعلاف الاصطناعية، إذ يؤدي ارتفاع درجة الحرارة فوق الحد الطبيعي إلى تدمير أعداد كبيرة من الثروة الحيوانية ونقص إنتاجها بسبب الإجهاد الحراري الذي يؤدي في بعض الأحيان إلى تدمير الماشية وموت الدواجن، لأنه يؤثر على القدرة التناسلية للحيوانات، وكثير منها تقل الرغبة الجنسية لها بسبب قلة الحيوانات المنوية للذكور مما تسبب في انخفاض التكاثر، وانعكس ذلك على قلة أعدادها، ومحافظة ميسان تتصف درجات الحرارة فيها وانها مناسبة لتربية الحيوانات وليس لها تأثير يذكر على صحة الثروات الحيوانية التي تعيش في معظم مناطقها.

اما الرطوبة النسبية فإنها تقلل من كميات الإنتاج الحيواني من خلال خلق جو بيئي لاحتضان بعض الحيوانات ومسببات الأمراض والحشرات والطفيليات التي تصيب الماشية بالعديد من الأمراض مما يؤدي إلى تدميرها. وتؤثر الرياح على عملية إيواء الحيوانات ونوعية بناء الحظائر التي تحميها من حرارة الشمس المرتفعة بسبب الرياح الحارة التي ترتفع في منتصف النهار وخاصة خلال اشهر الصيف فالمحافظة هي نموذج مدروس يتاثر بمجموعة العوامل المشار إليها، الامر الذي أدى إلى تباين في التوزيع الجغرافي للثروات الحيوانية في معظم أنحاءها. الكلمات الدليلية: الحمل الحراري، التوازن الحراري، الإجهاد الحراري، كفاءة التبريد.

climatic fluctuations and less rainfall, which leads to exposure to some types of animal wealth, especially cows and sheep, for the state to follow such climatic conditions and work to Reducing animal wealth exposure to such climatic conditions.

4- Opening veterinary care centers in the administrative centers of the province (districts and districts) and not focusing on the general veterinary hospital in the district center, which sometimes leads to difficult access to it.

5- Continuous follow-up by the livestock cadres in the province, conducting continuous checks and numbering the heads of animal wealth and registering them in special records in order to know the problems facing the animal wealth

Research Sources

1- Abdel-Aleem, K. (1977). Cattle breeding and production and transfer. The Egyptian Knowledge House, Cairo, p. 32.

2- Darwish, M. Y. (1962). Meat Production, Cairo, p. 91-92.

3- Ismail, A. A. (1982). Animal Health, Mosul Univ. Press, p. 21-34.

4- Jandel, J. M. (2001). Effect of solar radiation on animals. Journal of Cows and Sheep in the Middle East, No. 32, p. 45.

5- Jasim, K. A. (2015). Geography of Agriculture, Amman - p. 297 , 330.

6- Mari, M. S. (1996). Geography of Agriculture, Mosul Univ. Press, p. 363, 410.

7- Saleh, Ahmed Haj Taha, Yunus, A. D. and Rashid. M.R. (1989). Milk cattle, Mosul Univ. Press, p.166.

8- Noah, A. The impact of environmental changes on the production and reproductive performance in cattle- Research published on the website www.gcsar.gov.sy.

9- Potter, C. The impact of climate on animals and ecosystems- Manchu's research on www.llpdigital.usembassy.gov.

10- An interview conducted by the researcher with the agricultural engineer, Karim Jumaa, the owner of a poultry farm in Missan Province on 16/9/2019.

11- www.forum.stop55.com.

crowding and lead to some animals falling from the top and death, in addition to shortness of breath, some of which lead to suffocation and lack of breathing and death.

In order to study the effect of air movement and wind speed, Missan province is exposed to the phenomenon of dust and sand storms, which leads to the destruction of a number of animal resources during the stages of movement between the pastures and natural habitats where the wind speed in the months of May and June to 6 m / S affect animal health, especially livestock.

Research Results

After identifying the most important effects of climatic elements and their relation to animal health, directly or indirectly, a series of results can be found that illustrate this relationship to animal health.

a- The climatic elements combined have a direct and indirect effect on animal health by influencing the availability of feed stocks and artificial feed stocks. The situation may be rare due to climatic fluctuations and lack of rainfall, For the cultivation of fodder crops and crops dependent on their waste, such as grain crops mainly, and this is reflected in the destruction of large numbers of livestock, especially cattle and sheep in cases of scarcity of rain and the lack of natural pastures and shrinking areas planted with feed crops.

b- high temperatures from the natural limit leads to the destruction of a large number of animal resources and lack of production due to thermal stress, which sometimes lead to the destruction of livestock and mortality of poultry, and affects the reproductive capacity of many animals for lack of sexual desire and lack of sperm for males, causing the lack of reproduction This is reflected in the quantities of production of a small number and the province of Missan temperature is suitable for raising animals and have little impact on their health.

c- Relative humidity reduces the quantities of animal production and indirectly within the barns by creating an environmental environment for the incubation of some animals, pathogens, insects and parasites that afflict livestock, many of the diseases leading to their destruction.

d - The wind speed in some seasons of the hot and cold animal health, so you need to process your accommodation through the construction of barns that protect them from the heat of the sun in the first degree.

e - The climatic fluctuations in animal resources will inevitably lead to a state of discomfort and stability within the houses and some animal breeds are vulnerable to diseases because of their weakness and lack of resistance to these bitter climatic changes, which makes their productive capacity less compared to the veterinary services and feeds so that they are economical On their breeders.

Recommendations

1- The official departments should provide agricultural credit to the livestock breeders in order to build the shelters for animals and rid them of high temperatures, especially during the hot summer season that characterizes Missan Province , This reduces the percentage of mortality and mortality for poultry, as it is one of the animals most exposed to this climate characteristic. in summer .

2- Given the exposure of animal wealth in the Missan Province to a group of animal diseases due to the influence of some climatic factors such as relative humidity that helps to create a climate favorable to the growth of fungi and bacteria, the state and veterinary institutions should pay attention to the livestock sector and establish field work and field visits to their breeding fields and work on Examination and control of diseases suffered in the province of Missan.

3- Providing artificial feed sources (diets and concentrated feed) in the vicinity of green fodder, especially in times of scarcity due to

- a- Construction of housing in high places and far from groundwater to prevent the phenomena of leaching and gurgling from the ground.
- b- Building the side walls of the concrete to reduce the leakage of water to the barns, especially in the coastal areas and the sites of the barns near the rivers.
- c - Reduce the number of animals inside the barns to reduce animal congestion, which leads to reduce the amount of exhalation outside during the breathing process.
- d- Continuous maintenance and cleaning of sheds to reduce the accumulation of waste, which cause many diseases and a safe haven for many pathogens and carriers such as insects and worms.
- e- Good and continuous ventilation and increase the number of air openings of the barns and helps to increase the movement of air inside them rather than allowing the light and sunlight to enter into the barns and a break during the day.
- f- Increasing the number of air hoods and coolers that help to rotate, purify, move and change air in animal housing, thus reducing relative humidity.

4- The Wind

Air movement is important factors affecting animal health and sustainability and continuity in animal production from the dairy, meat and egg process so is the study of this important climate component as one of the factors that provide a healthy atmosphere for the animal inside the barns and in the forefront of change in temperature, relative humidity and ventilation Housing, and through which the safety of the animal inside the barn is maintained in terms of health free from many diseases affecting livestock.

The size of the moving air inside the house varies according to the size of the area occupied by the barn, which varies from one animal to another depending on the surface area and the size and weight of the animal. It is natural for

poultry accommodation to be different from that of cows and buffaloes, etc. Therefore, the size of the dwelling is highly related to the movement of wind and internal inputs for ventilation. To calculate the number of ventilation times inside the barns, the equation results can be followed and applied to estimate the amount of carbon dioxide inside the dwelling :-

CO₂ is estimated by the following equation: -

$$K = 4 + (10000 (X)/ a) \quad \text{Where:}$$

K = CO₂ concentration in the atmosphere is estimated for each (4 part per 10,000).

a = the volume of air needed for each head of animals (m³).

X = the volume of CO₂ externally from the animal exhalation is estimated (m³ / h).

(Ismail - 1982)

The ventilation has a clear role in influencing the health of the animal through which the temperature is adjusted, especially when it drops outside the animal's equilibrium point, the wind speed, especially during the winter, will lead to thermal insulation of the body and raise the temperature of the minimum temperature, the cold air speed does not reduce the temperature of the animal's body by evaporation, unlike the movement of hot air during the summer, which does the opposite. It increases heat stress through the process of heat transfer of external air to the animal's body by the process of contact, and lead sometimes the effect of the movement of air cold facilities to lower the temperature to the destruction of some animal wealth, including small poultry where growth stops at such thermal situations that occur during the winter and lead to considerable material losses for poultry farmers.

The rapid air movement (storms) associated with dust, sand and dust lead to the injury of a number of animals bruises and fractures and loss of their feathers and feathers as a result of

quantities, this disease may lead to colds and diseases when exposed to cold air during the winter, which is less resistant to animal diseases and called these cases of discomfort to the animal (Discomfort Index) :-

The evidence of the rest of the human and animal is extracted according to the following equation: - $(d.I = 0.55 Tdb + 0.2 Tdp \div 17.5)$
Where: *d.I* = discomfort index , *Tdb* = dry temperature in Fahrenheit, *Tdp* = dew point in Fahrenheit.

There are also special tables to know the dew point by knowing the relative humidity and the average temperature in place.

This term is compatible with humans and animals, and is spread in hot humid days, as is the case in most parts of southern Iraq, especially Basra province, which is close to the Arabian Gulf region, the source of moisture in the air.

Some people point out that the animal's comfortable zone is the area where the animal does not need any orderly processes of body temperature. This area differs from one place to another and from one animal to another depending on the type, age, size, skin thickness and amount of hair covered.

The result of the above equation is that the comfort index of 70% means that 10% of the animal feels comfortable and if it reaches 80%, all animals and humans feel comfortable, but the 75% comfort index affects some animals,

such as cows with less milk At this level, cow breeders are able to build housing and comfortable barns to accommodate the animal's production of milk (Ismail, 1982).

After studying the characteristics of relative humidity and its relation to animal health, some of the effects can be summarized, which lead to many complications, the most important of which are:-

- a- Low production of milk, meat and eggs.
- b- The spread of many animal diseases that help the relative humidity to provide an environmental environment for its spread.
- c- The increase in the number of germicidal vectors and insects affecting the health of animals such as flies, mosquitoes and others.
- d. Moisturizing the skin of the animal and the scalp of the body, which are suitable environments for many insects and pathogenic bacteria such as ticks and lice, especially on the bodies of livestock.

These include the increase in the number of animals in the sheds. This leads to the rapid movement of infections among animals. Breathing leads to high humidity and the sorting of animals through water vapor. The process of exhaling, which varies from one place to another and beyond the difference in the temperature and size of the animal as shown in Table (4) and to maintain the health of the animal from the large increase in air humidity can be the following:-

Table 4: The relationship between the weight of the animal and the amount of moisture distributed .

Type of animal	Weight (kg)	Relative humidity (g / h)
Calves	135	200
Adult cattle	4500	400
Chicken meat	1.5	2.5
Eggs Chicen	3	2.5

Abdel Al-Moez Ahmed Ismail et al. (1982). Animal Health, Mosul Univ. Press: p. 32.

the process of eliminating the temperature processes sweating and evaporation and reduce the degree of heat burden of the body of the animal.

After showing the most important general variations in temperature, we note that the province of Missan is suitable for breeding livestock in terms of availability of appropriate temperature grades in the province, as shown in Table (2) where the average temperature of 24.3 c° and the highest in the summer months in June (35.5 c°). It is suitable for raising livestock and poultry, especially during the first few weeks of the growth of chicks, as shown in Table (3) which requires special care such as shaded barns and ventilation or air cooling using air vents.

3- Relative Humidity

Relative humidity is the amount of water vapor diffused in the air and measured by introducing a quantity of water in a special test tube in which the amount of mercury to measure the atmospheric pressure in the water is pushing the mercury down as much as the pressure of the pressure has reached the maximum point of saturation, It is used in the measurement of moisture relative to the law of Boyle based on the pressure of saturated water vapor at the dew point and normal air temperature, and is used for measuring special devices such as dry and wet hystrometer, dizziness, hair and hectograph.

The impact of relative humidity on animal health is related to the high proportion of air, especially hot air, which hinders the process of elimination of high temperatures affecting the body of the animal and the harassment of movement and the demand for food, and one biological and climatic studies indicated that the low humidity in the atmosphere, 20-80% have little effect on animal health whether the air is cold or hot as long as the animal has the ability to adapt and adapt to the optimum temperature.

The high humidity in the air is less than the animal cannot withstand the process of heat stress, which affects the health by increasing the burden of heat, which leads to a reduction in the proportion of production to 30% as in the fattening of cattle in addition to the disease of heat stroke or heat (Heat stroke).

If the ratio rises between 80-90 % and air temperature of 45c° will lead to the cessation of most of the functions of the body of the animal and may reach the situation of loss, especially at the drop of the heart, and cause high humidity and high temperature up to 30m⁰ to low proportion Milk in Cows (Saleh et al., 1989).

The increase in relative humidity in the air to affect the fetus inside the eggs in artificial insulators, especially during the early stages of growth, so control of the rate of the main factors in the process of hatching where the decrease in the effect of the withdrawal of liquids in the inside of the egg, Feathers have negative effects on poultry health in their resistance to external stimuli in the environment (Marali, 1996).

Through these environmental effects of relative humidity, which is affected by the temperature of wet and dry air, the humidity in Missan province is suitable for animal husbandry and health maintenance, where we indicated beforehand that if the humidity ranged between 20-80 %, it does not harm the health of the animal, As shown in Table (2) between 26.2-70.6 % are suitable for animal husbandry and do not need a lot of material costs in the case of height of Hungary ventilation space and air movement, which helps to reduce the humidity in the places of barns and haters.

As a result of the effects of rising temperatures and relative humidity in the air and in animal housing, livestock breeders should maintain their numbers within the barns and take into consideration the weather changes that affect their health, especially when transported from one place to another or the marketing process when selling, In the case of accumulation of waste in the floor of the dwelling and in many

Table 3: The relationship between temperature (c°) and age of the poultry in the incubation period

Age (week)	The first	second	third	fourth	Fifth	Sixth	Seventh
begging week	34	33	29	27	25	23	21
weekend	32	30	28	26	24	22	22

kadhim Abadi Al-Jasim - Geography of Agriculture - Amman, 2015 – p 330

In order to preserve animal health from high temperatures, many animal breeders follow the sound scientific methods of prevention:-

a - Follow good harboring systems for animals inside the pens , the smaller the number of animals in the barn, the better the habitat will be and the good health to take care of the numbers of small quantities compared to the large numbers in terms of providing feed, water and good bedding and veterinary care and this is reflected in the quantity and quality of production.

b - Sufficient ventilation of the barn in terms of the large number of outlets that help to renew the air and movement continued during the times of the day, the distribution of ports, including the section to enter the air and sunlight and another to get out of the air and the entry of sunlight during the day according to the movement of the sun daily.

c - Use of desert coolers or large air vents that help to move the air and switch inside the barn and this helps to accommodate a larger number of animals inside the barn, and the role of the suction is important in the process of lowering the temperature and temper the atmosphere inside the pens and change the humidity inside .

The lower of humidity in the air, the more refrigerant the desert will be able to reduce the temperature inside the hatch so that it reaches the reading of the wet thermometer, which is illustrated by the following formula :-

cooling efficiency = difference between reading dry and wet thermometers × humidity in the atmosphere , (For example, wet humidifiers read 23m, dry 35m and humidity 82%, cooling efficiency becomes 9.8 through the result of equation = (35-23) × (82 ÷ 100) .

In many countries of the world, hot water sprayers are used through special pipes to reduce the temperature through the water evaporation process.

High air pressure in the barns can be avoided using air vents to cool the atmosphere and reduce pressure inside the barns.

d - Use of shading inside exposed barns, especially in rural areas devoted to raising livestock.

e - Use washing and spraying of animal bodies in order to reduce the temperature of their surface bodies and clean the pores spread over their skins, Which helps to accelerate the process of sweating and evaporation and get rid of excess high temperatures and the environment surrounding the environment, and these things make the animal live healthy and free of animal diseases, which is the animal production in larger quantities and good quality.

One of the veterinary studies of cows in the hot areas where the washing process of animals that the production of milk Up to 2.5 times compared to cows did not use the process of washing, especially during the summer heat.

F- Cutting the hair scalp spread over the surface area of the body of an animal, which helps in

have a high number of thyroid glands Zippo for continuous exposure to sweating, reaching the thyroid glands in the bodies of European cows to $40 \text{ cm}^2/\text{m}^2$.

The cows in the Tropical region to $480 \text{ cm}^2/\text{m}^2$ and less than these glands in buffalo animals, which made them live near water resources such as rivers and the marshes where a long period of her life is immersed in water especially during the hot summer.

Relationship between Temperature and Animal Health

Temperature is one of the most climatic factors affecting animal health, especially in tropical and subtropical hot lands.

The effect is limited when the heat burden has limited effect on animal productivity. The process of heat balance and regulating the temperature of the body with the temperature of the medium in which the animal lives is appropriate, where the temperature of the thermocouple is close to the temperature of the body of the animal, this does not represent heat on the animal's body and called this Situation Comfort.

And determine this degree in the warm areas between $16-27^\circ\text{C}$ and in the cold areas between $1-16^\circ\text{C}$. If the temperature exceeds the rate mentioned, the effect is negative on the health of the animal including:-

- a- The height of the body of the animal from the thermal medium.
- b - Lack of animal appetite for food.
- c- Increasing water consumption.
- d- Low growth rate.
- e- Decrease the amount of milk, meat and eggs production.
- f- The weakness of the animal and disorder of behavior, so that it becomes lazy, inactive,

avoids sunlight, and increases sleep for livestock and poultry for poultry.

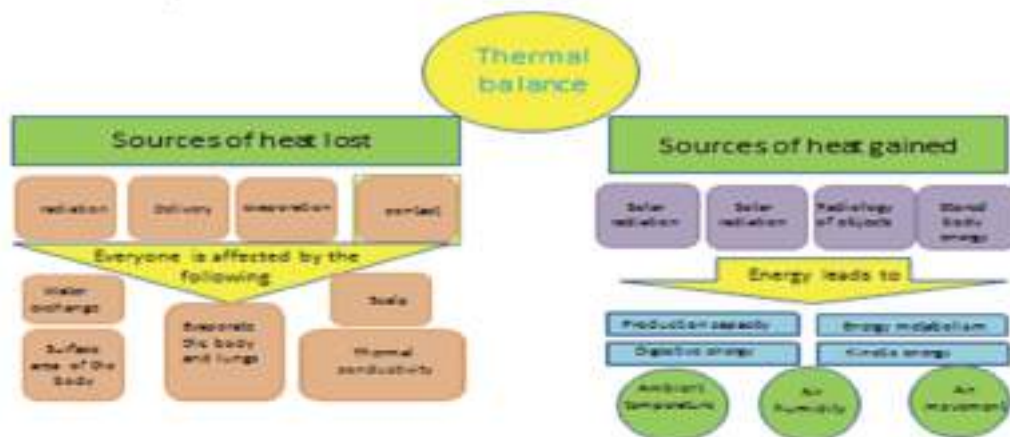
These characteristics can be observed when moving animals from temperate to cold areas where the temperature between the two regions varies.

This is the case before adaptation to the animal habitat, and this changes after adaptation Such situations occur before the process of adaptation to the medium in which animals live, as these situations change after the process of acclimatization and adaptation .

Some field studies have been proven that The thermal environment in which animals live at the temperature of their bodies, they affect their health through a change in physiological processes such as fertility, sexual desire, length of pregnancy and survival of the fetus in the uterus of the female, in addition to increasing the problem of childbirth to cows, and this extends to the decomposition in the male and male areas of sheep, especially the Marino type, and the injury of some to temporary sterility, especially if the temperature rises above 35°C long and Gesture (Ismail, 1982).

In poultry, the high temperature affects the lives of chick chicks, especially in small ages. If the temperature rises above 27°C , it is affected by the lack of egg production, size, color and thickness of the shell. If it reaches more than 29°C , poultry are subject to lack of growth, The optimal temperature for poultry is 25°C and for one day and decreases to less than that when the age increases to 16°C at the age of 6 weeks, and the temperature in the chicken breeds differ in the production of eggs (Jasim, 2015) as shown in Table (3).

Figure 1: Heat balance of temperature sources



This is the case in cold areas where temperatures are low which reach less than 30 °C and diminish this situation whenever the temperature is more than 35 °C. This is what happens in the hot seasons, and depends on the loss of temperature on the following factors:-

- a - The surface area of the animal's body.
- b - Self-capacity in thermal radiation.
- c- The position and behavior of the animal and depends on the number of animals inside the barn where it is inversely proportional to the less radiation when increasing the number and increase when reduced.

b- Convection

This is the process of transferring temperatures through the moving medium from warm objects to the less warm medium. This also depends on the number of animals inside the dwelling, the temperature separation, the ambient temperature of the animal, and the movement of air inside the barn, which affects the degree of thermal loss of the animal's body. Poultry and lead to the occurrence of many animal diseases, especially chilling diseases.

c- Conduction

The animal loses the temperature of its body to the surrounding medium by direct contact with the cold surfaces and the loss is great during the cold season. Therefore, the animal breeders have to put a thick straw mattress in the barn

floor to reduce the soil moisture and keep the body temperature from loss.

d. Evaporation

The temperature of the animal's body is lost through the process of evaporation of body fluids through the lungs and the animal. This method of loss of temperature, especially during the hot summer, through the process of sweating is lost temperature, where zoologists estimated that more than 80% The water is lost from the body of the senses through sweating, and the animals of horses in the forefront of animal wealth and the activity of the thyroid glands in the body, and then followed by animals for the pores spread on the skin, followed by animals and camels cows and sheep and the least sweating cats animals, and lack of pores in the skin August and poultry , but In dogs, the sweating rate is 30 times per minute and more in poultry, due to the lack of thyroid glands in these animals .

So get rid of the temperature process hyperventilating process (Panting) where the thermal equilibrium process.

The number of thyroid glands in the animal's body varies from one animal to another and within the animal species as well, For example The cows and buffaloes, European cows living in cold areas have fewer thyroid glands in their bodies compared to those in warm regions that

The effect of light on the reproductive processes in sheep is more than the cows, where it affects the pituitary gland in sheep and the lack of influence in cows, where the correlation of cattle reproduction with light period (Noh, www.gcsar.gov.sy).

The light also affects the activity and vitality of poultry, as it helps in the rapid consumption of food as well as its contribution to the formation of vitamin (D) cholesterol in the fats located under the skin of the animal, Which helps to build the skeletons of all animals and birds, and helps light on the disinfection of bodies Many animal skins and bird feathers from pathogens and microbes die and some die by exposing the animal to sunlight during the daytime, Where ultraviolet radiation helps destroy microbes (Jindal, 2001).

Sunlight helps the poultry to activate the eye's nerve and stimulate the frontal lobe of the pituitary gland, which develops its reproductive system, so that the light is important to it, especially at the beginning of growth, which requires during this period to 24 hours daily light.

This is why poultry breeders put light lamps in their pens during the days The first period of her life to get enough light and continuous during the day and night for the permanence of growth and then decrease this period gradually by 20 minutes every day starting from the first week of age to up to 12 hours a day during the first 20 weeks of life (Interview, 2018).

The light is dim in In order to reduce the phenomenon of predation and feather feathers in poultry (Feather Picking) as well as increased consumption of food in young poultry and chicks.

One of the researchers said that light is one of the factors affecting animal health, which helps

in the migration of animals in general, such as aquatic turtles, crustaceans and wild birds and long distances, which has a clear relationship in the process of mating between wild birds and was one of the causes of migration of birds across continents, Long light (the length of the day) stimulates the sexual glands that increase throughout the day (Potter, www.llpdigital.usembassy.gov).

2- Temperature

Which is the heat resulting from solar radiation reflected from the surface of the earth, which surrounds the body of the animal and affects the health and growth, negatively or positively, including quantities of production of milk, meat, eggs and other animal products, animal farm animals of all types of livestock (Homotherms) Which has the ability to maintain physiological temperature and physiological adjustment in the case of high or low temperature of the surrounding atmosphere, which is known as environmental thermal balance (Thermal balance).

This effect is direct in the case of heat exchange between the animal's body and the surrounding thermal environment. The effect is indirect if the animal's body is affected only by the surrounding thermal environment.

The energy lost by the animal's body is known to occur from several main exits, In addition to radiation sweating, evaporation, contact, contact, etc, as shown in Figure (1), which we will clarify as follows: -

a- Radiation Solar

The body of the animal loses its temperature to the surrounding medium by radiation. This process occurs when the body temperature of the animal is higher than the temperature of the surrounding environment in which it lives.

By observing the number of hours of solar radiation in Missan province, as shown in Table (2).

The overall average is 8.8 hours per day. Therefore, the province climate is suitable for animal husbandry and has little impact on animal health except for some days of the year, daily to 11.3 hours during June and July.

The effect of this climate element can be avoided or reduced to animal health by setting up tree-shaded sheds and providing shade for animals affected by increasing its quantity.

Animal pens or shelters may be set up, especially at noon, covered with aluminum and reflective materials to reduce solar radiation, and can be followed by new methods of grazing times were to be in the early morning or evening or night of the moon, In both cases, the solar radiation is few and makes up for the lack

of grazing period by giving animals concentrates.

The Relationship between Sunlight and Animal Health

Sunlight plays a large and important role in many animal life and encourages reproduction and mating especially during a limited period of the year , varies from one animal to another and from one region to another , Some studies and scientific experiments have shown that sexual desire and period of euphoria in the cold and distant animals of the region (Long day) and short winter are suitable for mating, while in the vicinity of the equator during the spring and autumn of moderate light, and in the province of Missan, The number of light hours during the summer to 11. 3 hours a day during the month of June and July and less during the winter season, the lowest in the month of January and 6.5 hours a day.

Table 2: Monthly and annual averages of climate elements in Missan province for 2018

Months of the year	Solar radiation (h/d)	Temperature (c°)	Rainfall (mm)	Relative humidity (%)	Wind speed (m / s)
January	6.5	11.5	35.6	70.6	2.9
February	7.4	13.7	23	63.5	3.1
March	7.9	18	33	59	3.7
April	8.5	24.2	15.4	44.4	4
May	7.9	30.2	4	33	4.2
June	11.3	34.3	0	28.3	6
July	11.3	36.5	0	26.2	5.7
August	11.1	35.6	0	28.1	5.2
September	10.2	32.1	0	30	4
October	9.6	26.2	6.5	42.3	3.4
November	7.4	16.9	22.2	55	3
December	6.9	12.9	33	70.2	2. 8
Total	106	292.1	172.7	550.6	48
General Average	8.8	24.34		45.88	4

Ministry of Transport and Communications - General Authority for Meteorology - unpublished data.

the variation in the color of its skin and hair and the duration of exposure of the sun to sunlight, as well as the variation in the astronomical location in which the animal lives to the degree of variation of the angle of sunlight fall within the width circle, As the type of falling radiation differs on the place and its length, which is represented by long or short wavelengths, or ultraviolet and infrared, as the length of the first waves (0.01 microns) and the second (1 micron) respectively, and the effect of ultraviolet waves on the bodies of animals while it reaches The effect of short waves on the dermis and below it.

Solar radiation has a clear role in the direct impact on animal health, especially when it increases its quantity. It affects the skin of animals and the mucous membranes, causing the animals to suffer sunburn, and more to the diseases of photosynthesis. The effect increases when increased radiation increases temperature. The burden of heat.

It is the environmental conditions, such as temperature, wind and air humidity, which affect our bodies and our general sense, including livestock, and vary from one environment to another and from one animal to another depending on the degree of tolerance of the animal to climatic conditions in the open and places of production, and measured through the following equation

It is possible to determine the exposure of agricultural animals to thermal stress and the equation

$$THi = db - (0.55-0.55RH)$$

or the modified equation $(db-0.33-0.31RH)$ $(db-14.4$ where $db =$ dry heat temperature)

$(RH =$ humidity ratio (Jasim 2015)(
www.forum.stop55.com).

On the body of the animal and this is reflected on the performance of the animal physiologically and thus decrease the production of milk, meat and eggs because of lack of appetite to eat fodder in addition to

accompanying idle and laziness and desire to sleep and stagnation for poultry.

The animal can adapt to this climate factor affecting its health through the thickness of the skin and hair color and density (scalp), as this is very necessary adaptation to animals living in the cold and warm, it was found that the scalp body of great importance affecting the health of animals where it is acquired animal temperature, especially during the winter in the cold areas and during the summer in the warm areas.

As it is white color and the most transparent of the colors reflect the radiation of the sun, In warm areas, it reduces solar radiation reaching the body of the animal, while black and dark color are more suitable for animals of the cold zone as a color that absorbs the solar radiation, which helps the body of the animal to provide warmth and raise the temperature of the body , The white color of animal skin and bird feathers reflected most visible solar rays with wavelengths ranging from 0.3 to 0.8 microns, while less than short-wave ultraviolet rays wavelengths of 0.8 to 2.5 microns) Otherwise the color is black or dark (Mari , 1996) .

It was found that the yellow color of the body's cornea is very much related to the absorption and reflection of solar radiation. Africander and Zebu Cows absorb about 45% of the radiation and reflect 15% of the body, while the Aberdeen cows absorb 89% of the radiation and reflect only about 5% of the radiation and this is due to the hair color and degree of brightness and density in addition to the spread of melanin in the skin.

The increase in solar radiation affects the spread of many animal diseases that reduce the production of the animal and affect his health.

These diseases are congenital swelling. The spread of this disease in the cows of the warm zone, especially Friesian cows, which caused a shortage of milk and therefore reflected on the amount of production.

The province of Missan is located in the south-eastern part of Iraq bordered to the north by Wasit province, from the west by Dhi Qar province, from the south by the province of Basrah and from the east by the Islamic Republic of Iran. Its astronomical location is located between the galleries of 15, 46, 30 and 47 North and longitude 30, 46 - 30, 47 East (Map 1).

The province of Missan has a large animal wealth represented by livestock animals in the main class (sheep, cows, goats and buffalo) in addition to large numbers of poultry (Table 1, Map 2).

Directorate of Agriculture Missan - Planning and follow-up, agricultural statistics - unpublished data.

1- Solar Radiation

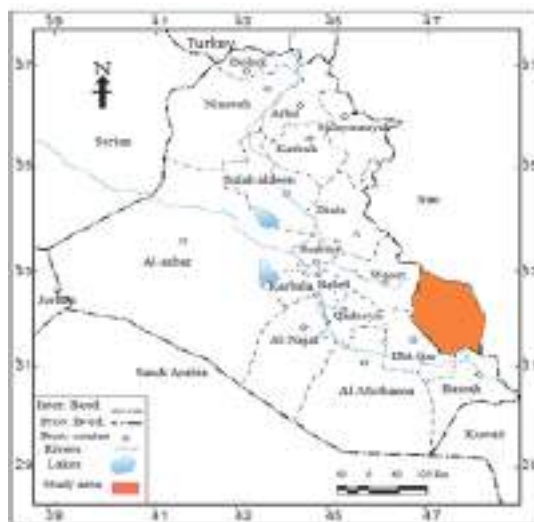
Solar radiation is one of the most climatic elements affecting the health of the animal and its effect is directly and indirectly, The direct effect is the arrival of the sun's rays to the earth after passing through a group of effects that reflect, absorb and disperse part of the solar radiation, and the section that reaches the surface of the earth and after reflection becomes a factor Directly affecting on animal health.

Table (1): Preparing the livestock resources in Missan province for the year 2018 (number 1000)

Type of Animal	Sheep	Cowes	Goats	Buffalo	Poultry
No	429.2	150.8	28.3	27.4	325.7

Source: Directorate of Agriculture Missan - Planning and follow-up, agricultural statistics - unpublished data.

Map 1: Geographical location of Missan province



Source : Map of the General Authority for Survey - Map of Missan province .

Radiation begins for bodies whose temperature rises above zero percentile. From these bodies are the bodies of animal wealth that vary in the colors of their skin and hair. The radiation is through the exposure of their bodies to solar

radiation during the daytime period, which part of it sometimes loses to the air medium that comes into contact with the animal's body in the case of a high degree Its body temperature

Aim of the Study

The aim of the study is to analyze the geographical factors, especially the climatic factors through their direct impact on livestock breeding and the extent of the negative effects on animal health.

Analytical Methodology

The analytical methodology was used to clarify the effect of climatic factors on animal health and applied to the animals of Missan province by adopting climatic mathematical equations that have a direct impact on animal comfort such as heat stress equation.

Research Problem

Research problem was limited to give an answer to the following questions:-

- 1- Is animal health affected by the degree of solar radiation in Missan province?
- 2 - Does sunlight affect the degree of animal growth and reproduction in the province?
- 3 - Does the temperature variation affect the nature and shape of the animal?
- 4 - Is the rain and relative humidity have a significant role in the way the animal lives within the barns?
- 5 - Does the speed of the wind affect the increasing incidence of diseases and the speed of their spread?

Research Hypothesis

Through the questions posed in the research problem can be answered according to the following research hypotheses

- 1- Animal health in Missan province is affected by varying degrees of solar radiation.
- 2 - Sunlight has a significant impact on the degree of growth of the animal and the nature of reproduction.
- 3 - The temperature has a great impact on the shape of the animal and the quality of hair and wool on his body.
4. The amount of rain and relative humidity affect how animals live in the barns.
- 5- The speed of the wind significant impact on the transfer of animal diseases within the barns and the speed of their spread.

Research Importance

The importance of this study is to address the geographical factors affecting animal health, especially climatic factors through its direct and indirect impact on livestock breeding in Missan province and the extent of the negative effects on animal health and growth.

Research Methodology

The research relied on the systemic approach in studying climatic factors and the extent of their impact on animal health, as well as the regional approach and field study when obtaining data from official departments is low, and the province has fewer such studies at the level of geography ,In addition, climate mathematical equations have been adopted that have a direct impact on animal comfort, such as the heat stress equation .

Research Structure

The study focused on the study of the main climatic factors affecting animal health, which were the study of solar radiation, temperature, rainfall, relative humidity and wind speed, as well as some factors related to the effects of climatic elements on animal health. Have an impact on determining the type of climate prevailing in any geographical area.

To study these climatic factors and their environmental effects on animal health, they must be defined, which is the set of elements that express the state of the atmosphere over a variable period of time in their impact on animal health, which varies from place to place depending on the factors indicated above.

In this study, we will focus on the most important climatic factors in Missan Province, which have the greatest impact on animal health, the most important of which are (solar radiation, temperature, relative humidity, wind movement), and the effect of these factors can be summarized separately.

In the present study, we focused on Missan province as a model for studying the impact of climate factors on animal health.

The impact of climatic factors on animal health (Missan province as a model)

Prof. Dr. Kadhim Ebadi Hammadi Al-Jasim
*Department of Geography, Collage of Education,
University of Missan, Iraq*

Corresponding author: drkad955@uomisan.edu.iq
drkad955@gmail.com

Abstract. Combined climatic elements influence directly and indirectly the animal's health by influencing the provision of green (artificial pasture) and artificial feed sources (feed and concentrated feed). The rise in temperature above the natural limit leads to the destruction of large numbers of animal wealth and the lack of their production due to the thermal stress that sometimes leads to the destruction of livestock and the death of poultry, as it affects the reproductive capacity of many animals due to the lack of sexual desire and the sperm sperm for males, which caused a decrease in reproduction and is reflected This is due to the quantities of production due to their low numbers and Missan province. The temperatures are suitable for animal husbandry and have little effect on their health. Relative humidity reduces the quantities of animal production by creating an environmental atmosphere to embrace some animals, pathogens, insects, and parasites that infect livestock with many diseases leading to their destruction. Wind affects the process of harboring animals and the quality of building barns that protect them from the heat of the midday sun in the first place. Missan province is the studied model, as it was affected by the set of factors referred to, which led to a variation in the geographical distribution in most parts of the province.

Keywords: Thermal load, heat balance, heat stress, cooling efficiency.

Introduction

The environment affects animal health through its external factors and its effects on the health and life of the animal and its growth and development and the amount of production and the impact directly or indirectly, and sometimes this effect through the interaction of environmental factors with each other.

Climate factors are one of these influences on animal health, so many scientists have been

interested in studying these influences, especially climate scientists, environment, veterinarians, biologists, livestock and others in the study of climatic factors because of their great importance in the development of animal production, and to reduce the climatic conditions facing development Raising livestock and reducing its effects through the establishment of suitable climatic conditions for animal husbandry within the barns.

Contents English Section

	<i>Page</i>
• (Verse of Witchcraft from Surat Al-Baqara and its Moral and Judicial Implications for the Salaf - Analytical Study) Hibatallah Sadiq saeed Abu Arab.....	29
• Exploring the Factorial Structure of the Clinician-Rated Dimension of Psychosis Symptom Severity (CRDPSS-DSM-5) in Patients with Schizophrenia Ibrahim A. Saadi.....	50
• General Supervisor at the National Institute for Educational Professional Development (NIEPD) ILham Ibrahim Fouzan AlFouzan, Fatima Abdulaziz Al-Tewaigri	83
• The location of the visualization at the Diamond Record Enas Mahmoud Abdullah Abu Salem	117
• The importance of some Red Sea ports and cities for the Portuguese through the journey of the Portuguese man Duarte Barbosa in 972 A.H./ 1565 A.D. samah Saeed Bahowyrih.....	139
• The effect of meaning and performance on the linguistic sound distance of time The response to Dr. Ahmed Keshk in his research tagged of linguistic voice functions as a model Semantic Critical Voice Study Zamzam Ahmed Ali Taqi	161
• Moderate Sufis Mohammed bin Ahmed Aljwair.....	187
• A Linguistic Comparative Approach to the Internal Language Structure of Advertising Discourse Nasser F. ALhorais.....	209
• Features of national identity in Saudi poetry "Watani Ashiqtuka": Poet Musallam Fraij Al-Atawi as a model A stylistic study Ysser Ahmed Hamed Marzouq.....	223
• Meanings of Blessing in Sunnah through Al-Musnad of Imam Ahmed and the Six Books Hanaa Ali jamal AL-zamzamyAssistant.....	257
• Zakat of Honey: a Comparative Jurisprudential Study Ali Hamad Mahdli Alnashri.....	275
• The Poetics of Supplication: An analytical reading of Ibn Musharraf's <i>Mīmiyyah</i> (' <i>A'aslū</i>) in Praising Imām Fayṣal ibn Turkī Abdalmueen Hassan Abdulhameed Balfas.....	303
• The impact of climatic factors on animal health (Missan province as a model) Kadhim Ebadi Hammadi Al-Jasim	305

■ Editorial Board ■

Prof. Dr. Ahmed Mohamed Azab aazab@kau.edu.sa	Editor in Chief
Prof. Dr. Abdul Rahman Raja Allah Alsulami aralsulami@kau.edu.sa	Member
Prof. Dr. Mohamed Salih Alghamdi Msalghamdil@kau.edu.sa	Member
Prof . Dr. Amal Yahya Alshaikh Ayalshaikh@kau.edu.sa	Member
Prof . Samia Abdallah Bukhari Sbukare @kau.edu.sa	Member
Prof . Zakaria Ahmed El-sherbeny zalsherpeny @kau.edu.sa	Member
Prof . Nuha Suliman Alshurafa Nalshurafa@kau.edu.sa	Member
Dr . Zainy Talal Alhazmi Zalhazmi@kau.edu.sa	Member
Dr . Suliman Mustafa Aydinn slaydinn@hotmail.com	Member
Dr . Abdul Rahman Obeid al-qarni aoalqarni@kau.edu.sa	Member



**Journal of
KING ABDULAZIZ UNIVERSITY
Arts and Humanities**

**Volume 28 Number 15
2020 A.D.**

**Scientific Publishing Center
King Abdulaziz University
P.O. Box 80200, Jeddah 21589
Saudi Arabia
<http://spc.kau.edu.sa>**



IN THE NAME OF ALLAH,
THE MERCIFUL,
THE MERCY-GIVING